معاجم الموضوعات

في ضوء علم اللغة الحديث

تأليف

الدكتور محمود سليمان ياقوت

أستاذ العلوم اللغوية

كلية الآداب - جامعة طنطا

دار المعرفة الجامعية

معاجم الموضوعات

في ضوء علم اللغة الحديث

معاجم الموضوعات

في ضوء علم اللغة الحديث

تأليف
الدكتور محمود سليمان ياقوت
أستاذ العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة طنطا

٢٠٠٢

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة ت: ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي ت: ٥٩٧٣١٤٦

دار المعرفة الجامعية
للطبع والنشر والتوزيع

* الإدارة : ٤٠ شارع سوتير
الأزاريطة - الاسكندرية
ت : ٤٨٢٠١٦٣

* الفرع : ٣٨٧ شارع قنال السويس
الشاطبى - الاسكندرية
ت : ٥٩٧٢١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

صدق الله العظيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ المبعوث رحمةً للعالمين وبعد ...

فإن المعجم الموضوعى واحد من أنواع المعاجم العربية التى ظهرت مبكراً فى الحياة الفكرية عند العرب ، وقد تمثل هذا المعجم أول الأمر فيما يُعْرف بالرسائل اللغوية التى وضع فيها الأوائل تصورهم لجمع اللغة من بطون البوادى وألسنة الأعراب . وقد دارت تلك الرسائل حول موضوعات مختلفة ؛ فكانت فى الخيل والإبل والمطر وسواها .

ولقد أدت الرسائل اللغوية دوراً مهماً فى نشأة المعاجم العربية بصفة عامة ، والموضوعية منها بصفة خاصة ؛ فيكفى أن نقرأ فى أحد المعاجم الموضوعية لنرى أسماء هؤلاء الأوائل كأبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد الأنصارى وغيرهم تتردد داخل هذا المعجم ، وأن مروياتهم وشروحهم المعجمية للألفاظ كان لها الدور الرئيسى فى تصنيف الموضوعات وحصر الألفاظ ، ومن هنا فقد قيل إن أبا عبيد القاسم بن سلام اعتمد فى عمل معجمه الموضوعى (الغريب المصنف) وتصنيف موضوعاته على مرويات الأصمعى .

وقد استمر المعجم الموضوعى فى طريقه نحو التطور والشمول ، ولم تطل مرحلة الرسائل اللغوية ؛ إذ إن الجيل التالى لأولئك الأوائل قد طورها ، وقام بعض جامعى اللغة بضم أكثر من موضوع داخل معجم قائم بذاته ، واهتموا بوضع العناوين الخاصة بالموضوعات التى جمعوا ألفاظها ، وهى تساعد الباحث عن لفظة لمعنى فى ذهنه ، وهى أولى مهمات المعجم الموضوعى ، وقد تمثل هذا فى (المخصص) لابن سيده ، أحد المعاجم الموضوعية التى وُضِعت فى منتصف القرن الخامس الهجرى .

وقد لقى المعجم الموضوعى عناية مؤلفيه قديماً ، ولكنه لم يَلْقَ العناية نفسها من حيث الدراسة والبحث فى العصر الحديث ؛ فقد وُضعت أبحاث مختلفة حول المعاجم اللغوية ، وتناولها الباحثون بالدرس والتحليل من النواحى اللغوية كافة ، أما المعاجم الموضوعية ، رغم أهميتها ، فلم تلق ما هى جديرة به من

باهتمام ، ومن تعرض لها فهو يكتفى بالإشارة السريعة دون عمق فى الدراسة ، أو استقصاء فى البحث ؛ لذلك كان هذا البحث (معاجم الموضوعات فى ضوء علم اللغة الحديث) الذى نهدف من ورائه إلى التعرف على هذا اللون من النشاط الفكرى عند العرب ، مع تتبع نشأته الأولى خلال الرسائل اللغوية ، حتى وصوله إلى النضج والكمال .

ومن أسباب اختيارنا المعجم الموضوعى للبحث ـــ بالإضافة إلى عدم تناوله بالدراسة المستقلة فى العصر الحالى ـــ أن الرسائل اللغوية التى تُعَدُّ اللبنة الأولى فى عمل المعاجم الموضوعية ، تحتوى على بعض الجوانب التى تفيد فى الدرس اللغوى للعربية ؛ وذلك بما حوته من ظواهر خاصة بالألفاظ ، وبعض الإشارات للهجات العربية ، مع تحديد بعض القبائل . وما حوته تلك الرسائل من جوانب لغوية فى حاجة إلى تحليل .

وما فى تلك الرسائل من أهمية لم يعد وقفاً عليها ؛ بل تعداها إلى المعاجم الموضوعية ؛ لا عتمادها عليها فى جمع موادها ومعانيها وتصنيف موضوعاتها

ونشير إلى أننا حددنا البحث بالقرون الثلاثة الأولى ، ولهذا التحديد أسبابه ، منها أن ما ظهر فى هذه الفترة من مجاميع لغوية ما هو إلا إرهاصات لظهور المعجم العربى بصفة عامة ، وندلل فى هذا الصدد بمعجم (العين) للخليل بن أحمد ؛ فعلى الرغم من أنه واحد من كبار اللغويين العرب ؛ فإنه اعتمد فى ثناياه على مرويات تلامذته من أصحاب الرسائل اللغوية ، وممن اشتهروا بالرحلة إلى البادية ، وعلى رأسهم الأصمعى الذى تردد اسمه كثيرا داخل المعجم . وأخيراً فإن هذا البحث يهدف إلى التعرف على أخصب الفترات وأقربها عهداً باللغة ؛ تلك الفترة التى عاش فيها كبار اللغويين الذين لهم جهود مهمة ، لم تقتصر على المعجم وحده ؛ بل شملت مجالات لغوية كثيرة .

ويقع هذا البحث فى ثلاثة أبواب يسبقها تمهيد يدور حول « المعجم الموضوعى : ما هيته ومعناه » . وقد توقفنا فى هذا التمهيد أمام بعض النصوص المعجمية التى تنسب إلى بعض الأوائل حتى يمكن التعرف على مدى « الموضوعية » فى جمع الألفاظ ، ثم توقفنا ـــ بعد ذلك ـــ أمام التطور التاريخى للتأليف المعجمى عند الأوربيين ، وذلك للتعرف على المعجم الموضوعى فى الفكر الحديث

ويدور الباب الأول حول « الرسائل اللغوية فى الموضوعات حتى نهاية القرن الثالث الهجرى » ، وقد تتبعنا فيه التطور التاريخى للتأليف فيها ، مع الاهتمام بدور الأعراب فى هذا الصدد ، ثم توقفنا أمام المصادر التى اعتمدت عليها الرسائل اللغوية فى تحصيل موضوعاتها ، وتنحصر فى القرآن الكريم ، والحياة فى شبه الجزيرة العربية ، والشعر العربى القديم . وأخيراً تتبعنا الرسائل اللغوية حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، مع العرض للمطبوع منها والمخطوط ، والتوقف أمام تلك الشكوك التى أثيرت حول نسبة بعض الرسائل ككتاب (الأيام والليالى والشهور) و (الرحل والمنزل) و (النخل والكرم) وسواها .

ويدور الباب الثانى حول (المعجم الموضوعى عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجرى) ، وأشهر معاجم تلك الفترة (الغريب المصنف) لأبى عبيد القاسم بن سلام ، و (الألفاظ) لابن السكيت . وقد أثار القدماء مشكلة حول المعجم الأول ، وبيان جهد أبى عبيد فيه ، وتبين أن جهده ينحصر فى الجمع والتصنيف والتبويب ؛ إذ استغل « المادة المعجمية » التى أخذها عن طريق الرواية وعن طريق الرسائل اللغوية أيضاً ، وأعاد تنظيم ما أخذه فى أبواب تدور حول بعض الموضوعات .

وقد اختار أبو عبيد وابن السكيت « المنهج الوصفى » فى صناعة معجميهما ؛ إذ إنهما جمعا اللغة من مصدر أصيل ، وصنفا هذا المجموع اللغوى حسب الموضوعات والظاهرة التى يندرج تحتها ؛ فقد تحدثا فى مواضع مختلفة عن بعض الجوانب الخاصة بالألفاظ كالمترادفات والمشترك والأضداد والاشتقاق وسواها ، ولم يشغل أى منهما نفسه بتعليل تلك الجوانب فى اللغة تعليلاً مباشراً ، قدر اهتمامه بالحصر والاستشهاد على استعمالات الألفاظ حسب . ويشبه هذا حديثهما عن « المسائل النحوية » كالتذكير والتأنيث ، والمفرد والمثنى والجمع دون تعليل أو جدل .

وعلى الرغم من المجهودات التى بذلها أبو عبيد فى صناعة معجمه (الغريب المصنف) فإنه قد لقى نقداً عنيفاً من على بن حمزة البصرى ، وخلال تتبع نقده لمعجم أبى عبيد مع مقارنته ببعض النصوص المعجمية تبين أنه كان متحاملاً عليه فى مواضع كثيرة .

وعقدنا فى الباب الثالث « دراسة لغوية فى الأعمال الموضوعية » المؤلفة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، وكانت هذه الدراسة خلال المستوى الصوتى ، والمستوى التركيبى ، والمستوى الدلالى الذى كان له اهتمام خاص ؛ لاتصاله المباشر بالمعاجم الموضوعية التى تسمى أيضاً بـ « معاجم المعانى » وقد توقفنا أمام « المعنى المعجمى » والنقد الموجه إليه من حيث عدم مقدرته على تحديد بعض الأمور الخاصة بدلالة الألفاظ ، وما يتصل منها بما يسمى « اللغة الجانبية » وما يندرج تحتها من موازين كميزان جهارة الصوت ، وميزان طبقة الصوت ، وميزان الصوت المنفتح ، وميزان البطء والسرعة . ومن المؤثرات فى المعنى « المسافة » و « الحركة الجسمية » وهناك علم يسمى بـ « علم الحركة الجسمية » ، و « سياق الحال » ، و « النبر » وتوقفنا أمام معالجة المعنى فى الرسائل اللغوية والمعاجم الموضوعية ، والمجهودات التى بذلها الرواد الأوائل من أجل تقديم « المعنى » دقيقاً محدداً كالرحلة إلى البادية ، والاعتماد على « المصدر البشرى » أو « الراوية » والرؤية المشاهدة ؛ خاصة إذا كانوا يجمعون ألفاظاً حول النبات والشجر والنخل والكرم

هذا عن أبواب البحث وموضوعاته ، وقد حاولنا أن نتبع منهجاً محدداً فى معالجة الظواهر اللغوية التى درسناها فى الباب الثالث ، وهو منهج يعتمد فى أساسه على تتبع النصوص فى أقدم مظانها ، واستقراء الآراء المختلفة الواردة فيها ، مع تفنيد تلك الآراء معتمدين فى ذلك على الكتب العربية القديمة والحديثة ، وتعليل بعض الظواهر ، وهو تعليل يُرَدُّ معظمه إلى اختلاف اللهجات ، والاستعمال العربى للكلام ، أو ما يمكن أن يطلق عليه سنن العرب فى كلامها وسر العربية . ويعتمد هذا المنهج أيضاً على الشواهد ، وعلى رأسها القرآن الكريم ، والشعر ، والأمثال العربية القديمة لغة الشعب التى يطلقها فور الحدث دون تصنع أو تفكير . وأخيراً فإننا نهتم فى هذا المنهج كثيراً بالكشف عن النصوص المعجمية القديمة ؛ خاصة الرسائل اللغوية التى تعد مقدمة للتأليف المعجمى عند العرب ، لذلك حاولنا — ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً — الحصول على أكبر قدر منها ، المطبوع منها والمخطوط ، حتى يكون أساساً صالحاً فى التعرف على الواقع اللغوى للعربية فى شبه الجزيرة .

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن هذا الكتاب كان رسالتى التى تقدمت بها للحصول على درجة « الماجستير » فى الآداب من قسم اللغة العربية فى كلية

الآداب ـ جامعة الإسكندرية ، وقد نُوقِشت في ١٩ /١٠ /١٩٧٨ ، ونال صاحبها الدرجة بتقدير « ممتاز » .

وقد أجرينا بعض التعديلات في الرسالة ، لعلها تؤدى إلى الفائدة المرجوة .

وبعد فهذه محاولة قمتُ بها جاداً مخلصاً ؛ فإن كانت نافعة فبها ونعمت ، وإن كانت الأخرى فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

والله وحده ولى التوفـــيق .

محمود سليمان ياقوت

الأربعاء : غرة شــوال ١٤١٣ هـ
٢٤ من مارس ١٩٩٣ م

تمهيد

المعجم الموضوعي : ما هيته ومعناه

« المعجم الموضوعي » واحد من أنواع المعاجم العربية ، وقد لقى عناية كبرى من مؤلفيه فى العصر القديم ، ومع ذلك لم ينل العناية نفسها التى نالتها المعاجم اللغوية من حيث الدراسة والبحث ، ومن تعرض له فهو يكتفى بالإشارة السريعة ، دون عمق فى الدراسة ، أو استقصاء فى البحث .

ويعد هذا اللون من التأليف العجمى فى المقدمة ، وقد ظهر فى تلك « الرسائل اللغوية » ، التى إن تكن سابقة فى الظهور والنشأة على (كتاب العين) أول المعاجم اللغوية ؛ فهى — على الأقل — معاصرة له .

ولكننا نتساءل : هل كان الأوائل عندما جمعوا اللغة العربية من بطون البوادى وألسنة الأعراب ، قد تمثلوا تلك الموضوعية — التى سنبينها بعد قليل — فى جمع الألفاظ ؟ وهل كان أبو عبيدة والأصمعى وأبو زيد الأنصارى وسواهم من الرواد الأوائل قد جاءت إلى أذهانهم الفكرة التى تحاول جمع الألفاظ حسب الموضوعات ؟ وقبل الإجابة عن هذا كله نتعرف أولاً على ما هية المعجم الموضوعى .

إنه لون من ألوان التأليف المعجمى عند العرب ، من شأنه أن ينظم ألفاظ اللغة حسب الموضوعات ، بمعنى أن المعجمى يجمع الألفاظ المتصلة بالخيل أو النبات أو أوصاف النساء ... وينظمها تحت عنوان يجمعها معاً ؛ فنجد « كتاب الخيل » أو « كتاب النبات » أو « كتاب أوصاف النساء » . وقد تمثل هذا التقسيم بصورة أوضح فى المعاجم المتأخرة مثل (المخصص) لابن سيده ، الذى قسم معجمه إلى كتب داخل العمل نفسه ؛ فنجد كتاباً لـ « خلق الإنسان » وكتاباً لـ « الإبل » وكتاباً لـ « الخيل » وسواها من الموضوعات .

ويساعد هذا اللون من التأليف الباحثين عن ألفاظ لمعانٍ موجودة فى أذهانهم ، وظهر هذا الترتيب بعد مرحلة الرسائل اللغوية ؛ لأن العرب — خلال فترة الرسائل — هم أصحاب اللغة ، ولا يجدون صعوبة فى أن ينهلوا ألفاظاً لمعانٍ فى أذهانهم . أما فى المرحلة التالية فأصبح هذا اللون من المعاجم ضرورة أوجبتها طبيعة التطور الذى يصيب أية لغة والمتكلمين بها ، والانتقال من الفصاحة إلى اللحن والخطأ .

ولعلنا نتساءل هاهنا : لماذا اختار الأوائل من جامعى الألفاظ تلك الطريقة فى الترتيب ؟ الراجح عندنا أنهم اختاروا طريقة الموضوعات ؛ لأنها تساعدهم على حفظ ما يتلقونه من الأعراب ، ثم تصنيفه وتقسيمه بما يؤدى إلى الإفادة منه .

ومن هنا فإن فكرة المعجم نفسه لم تأتِ إلى أذهانهم فى هذا الوقت المبكر ؛ كما أن فكرة « المعجم الموضوعى » نفسه لم ترد إلى أذهانهم ، وإنما كان شغلهم الشاغل هو محاولة تقييد هذا الذى يجمعونه ثم تصنيفه وحفظه فى مجموعات حتى لا يضيع ؛ بالإضافة إلى هذا فإن التقسيم الموضوعى لألفاظ اللغة يُعَدُّ مناسباً للمقام نفسه ، ونقصد بذلك أن جامع اللغة حين يلتقى بواحد من الأعراب الأجدى أن يأتى إلى شجرة فى البادية — مثلاً — ثم يطلب منه أن يحدثه عن الأوراق والجذع والساق ، مع ذكر التسميات المختلفة لتلك الأجزاء . أو يأتى إلى فرس ويطلب منه أن يبين له أسماء العيوب التى تصيبه ، ثم أعضاء جسمه وتسمية كل عضو بالاسم الخاص به . ولعله مما يؤيد وجهة نظرنا هذه أن الموضوعات التى سارت عليها الرسائل اللغوية كانت مستقاة من بيئة شبه الجزيرة العربية نفسها ، فى أثناء التقدم الواسع فى العصر العباسى الذى عاش فيه هؤلاء الرواد ، ولو أنهم وصفوا عصرهم وما فيه من ألفاظ لا قتصروا عليها .

وإذا كنا قد عرضنا لمعنى « الموضوعية » فى جمع اللغة ؛ فإن الكتب التى اهتمت بهذا اللون لم تقصد اسماً قائماً بذاته ثم جمعت اللغة على أساسه ؛ كما أن أبوابها تكاد تكون واحدة ، ويرجع الخلاف بينها فى هذا الجمع للغة إلى تفاوتها من حيث الاستقصاء والشمول والإحاطة بالموضوع نفسه ؛ أى إن بعضها لم يترك شيئاً ذا صلة بموضوع كتابه إلا طرقه وعرض له ، فى حين أن بعضها الآخر حرص على الإيجاز والاختصار ، فجاء عمله على نحو ما أراد .

وقد اهتمت الأعمال الموضوعية الأولى بالشمول والإحاطة بالموضوع نفسه ، ولعله من المناسب أن نذكر معجم (الغريب المصنف) لأبى عبيد القاسم بن سلام ، الذى اعتمد تأليفه على أسلوب الرواية ؛ فجمع مرويات أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد وغيرهم ؛ كما أخذ رسائلهم اللغوية ووضعها فى معجمه هذا . ونجد الأمر نفسه فى (كتاب الألفاظ) لابن السِّكِّيت .

وقد ألف الكثيرون من اللغويين العرب فى الناحية الموضوعية ، وحاول كل منهم إضافة الجديد ، ووجدنا مجموعة من المعاجم الموضوعية مثل (الألفاظ الكتابية) لعبد الرحمن بن عيسى الهمذانى (— ٣٢٠ هـ) ؛ و (مبادىء اللغة) لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافى (— ٤٢١ هـ) ؛ و (فقه اللغة وسر العربية) لأبى منصور الثعالبى (— ٤٢٩ هـ) ؛

و (المخصص) لابن سيده الذى يعد قمة التأليف المعجمى عند العرب فى الناحية الموضوعية ، ويرجع هذا إلى أن ابن سيده قد وسّع دائرة الموضوعات التى طرقها ، والمرويات التى جمعها ، واعتمد على مصادر مختلفة لأجل هذا الغرض ؛ لذلك نستطيع أن نقول عن معجمه إنه موسوعة لغوية ، يفيد منها المشتغلون بالدراسات اللغوية فائدة حقيقية حين يرجعون إليها .

ولكن لماذا عُدّت الكتب السابقة « معاجم موضوعية » ؟ يعود هذا للأسباب الآتية :

أولاً : بالنظر فى المنهج الذى سارت عليه تلك الكتب فى جمع ألفاظ اللغة ؛ والمنهج الذى سارت عليه « المعاجم اللغوية » نجد أن بينهما اختلافاً واضحاً ، يظهر فى أن المنهج الأول أساسه الموضوع ؛ أى إن الذى يجمع كلّ طائفة من الألفاظ اتحادُها فى الموضوع ؛ أما المنهج الذى سارت عليه المعاجم اللغوية فقد كان أساسه حروف المعجم ، وقد تشعب هذا المنهج إلى ثلاث طرق : التقاليب الصوتية ، والقافية ، وأوائل الحروف حسب الترتيب الهجائى .

وإذا نظرنا فى أحد المعاجم الموضوعية كـ (فقه اللغة وسر العربية) للثعالبى ـــ مثلاً ـــ فإننا نجد صاحبه يصرح بنظامه قائلاً : « وأزهر لى قربه ـــ يقصد الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى (ـــ ٤٣٦ هـ) ـــ سراج التبصر فى استتمام الكتاب ، وتقرير الأبواب ؛ فبلغت بها الثلاثين على مهل وروية ، وضمنتها من الفصول ما يناهز ستمائة »[1] . ودارت هذه الفصول وتلك الأبواب حول الكليات والتمثيل ، والأشياء التى تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها ، وأوائل الأشياء وأواخرها ، وصغار الأشياء وكبارها وعظامها وضخامها ، والطول والقصر ، واليبس واللين والرطوبة ، والشدة والشديد من الأشياء ، والكثرة والقلة ، والأحوال المتضادة ، والملء والامتلاء ، والصفورة والاختلاء ، وضروب الألوان والآثار ، وأسنان الناس والدواب ، وتنقل الحالات بها ... وغيرها من الموضوعات التى جمع الثعالبى الألفاظ المختلفة الخاصة بها .

وقد سار ابن سيده على ترتيب آخر عَدَّه من فضائل كتابه . قال : « فأما فضائل هذا الكتاب من كيفية وضعه ؛ فمنها تقديم الأعمّ فالأعمّ ، على

(١) فقه اللغة : ٢٤ .

الأخصّ فالأخص ، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات ، والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير ، وتقديم (كَمْ) على (كيف) وشدة المحافظة على التقييد والتحليل ، مثال ذلك ما وصفته فى صدر هذا الكتاب حين شرعت فى القول على خلق الإنسان ؛ فبدأتُ بتنقله وتكونه شيئاً فشيئاً ؛ ثم أردفتُ بكُلّيه جوهره ، ثم بطوائفه وهى الجواهر التى تأتلف منها كليته ، ثم ما يلحقه من العظم والصغر ؛ ثم الكيفيات كالألوان إلى ما يتبعها من الأعراض والخصال الحميدة والذميمة »[٢] . فهو يُعوِّل على الأعم والكليات ، ويذكر بعدهما الأخصّ والجزئيات ، كذلك تؤدى « الكمية » عنده دوراً رئيسياً .

ثانياً : تختلف الموضوعات التى طرقتها « المعاجم الموضوعية » عن تلك التى هدفت إليها « المعاجم اللغوية » ؛ فالأولى محصورة فى دائرة شبه الجزيرة العربية وما فيها من مظاهر الحياة القديمة ، كما أنها وضعت الإنسان ضمن الموضوعات التى طرقتها ، ومن هنا كانت الموضوعات محصورة فى النبات والشجر والنخل والكرم والشمس والقمر وغيرها من المظاهر الطبيعية ، ثم الخيل والإبل واللبأ واللبن وغيرها مما له صلة بالحيوانات التى يعتمدون عليها فى حياتهم داخل شبه الجزيرة ، ثم فى الحياة العربية بصفة عامة . وقد اهتموا بالإنسان ، باعتباره أعظم المخلوقات وأكرمها ؛ فعرضوا له منذ أن كان جنيناً فى بطن أمه ، إلى أن يشيب ويصبح هَرِماً .

وكان هناك هدف أساسى لبعض الرسائل اللغوية والمعاجم الموضوعية ، لقى اهتمام واضعيها وعنايتهم ، وهو « التثقيف اللغوى » للكُتّاب والمشتغلين بصناعة الكتابة ، ويمكن إيضاح هذا الهدف فى ضوء المقدمة التى وضعها الهمذانى لمعجمه الموضوعى (الألفاظ الكتابية

أشار الهمذانى فى البداية إلى أن « الصناعات مختلفات » ولها درجات متفاوتات ؛ فمنها ما يرفع أهله ويشرفهم ويُغْنيهم عند المساجلة والمكاثرة عن كرم المناسب ، وشرف المناصب ؛ ومنها ما يضع المتحرفين له أشدَّ الضَّعَة ، ويُحَمِّلُهم أقبح الخمول حتى لا يكونوا لأحدٍ ممن سواهم نظراءَ فى منزلة ، ولا أكْفاءَ فى معاشرة ، وإن كان لبعضهم قديم يذكره ، أو أب معروف يعتزى إليه » .

---

(٢) المخصص : ١ / ١٠ .

ويتوقف الهمذانى ، بعد ذلك ، أمام صناعة الكتابة قائلاً : « وهذه الكتابة من أعلى الصناعات وأكرمها وأسمقها بأصحابها إلى معالى الأمور وشرائف الرتب ؛ فهم بين سيِّدٍ ومدبِّرِ سيادةٍ ، ومَلِكٍ وسائسِ دولةٍ ومملكةٍ ، وبلغت بقوم منهم منزلة الخلافة وأعطتهم أزِمَّة المُلْكِ . والمتصرفون فيها (يقصد صناعة الكتابة) فى الحظ منها بين متعلق بالسِّماك مضاءً ونفاذاً ، وبين منتكس فى الحضيض نقصاً وتخلفاً » . ثم يشير الهمذانى إلى بعض الأصناف من المشتغلين بصناعة الكتابة ، وهم من المتأخرين قائلاً : « ووجدت من المتأخرين فى الآلة قوماً أخطأهم الاتساعُ فى الكلام ؛ فهم متعلقون فى مخاطبتهم وكتبهم باللفظة الغريبة والحرف الشاذ ؛ ليتميزوا بذلك من العامة ويرتفعوا عند الأغبياء عن طبقة الحشو ... وألفيتُ آخرين قد توجهوا بعضَ التوجه ، وعَلَوْل عن هذه الطبقة ، غير أنهم يمزجون ألفاظاً يسيرة قد حفظوها من ألفاظ كتَّاب الرسائل بألفاظ كثيرة سخيفة من ألفاظ العامة استعانةً بها وضرورة إليها لخفة بضاعتهم ، ولا يستطيعون تغيير معنى بغير لفظه لضيق وسعهم ؛ فالتكلف والاختلال ظاهران فى كتبهم ومحاوراتهم ؛ إذ كانوا يؤلفون بين الدُّرَّة والبَعْرَة فى نظامهم » .

وبعد هذا الحديث عن الكتابة والكُتّاب ، يوضح الهمذانى ما جمعه فى كتابه من مادة لغوية ، والهدف من هذا الجمع . قال : « فجمعتُ فى كتابى هذا لجميع الطبقات أجناساً من ألفاظ كُتَّاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس ، السليمة من التقعير ، المحمولة على الاستعارة والتلويح ، على مذاهب الكُتّاب وأهل الخطابة دون مذاهب المتشدقين والمتفاصحين ، من المتأدبين والمؤدِّبين المتكلفين ، البعيدة المرام ، على قربها من الأفهام ، فى كل فن من فنون المخاطبات » . ويتحدث الهمذانى عن المصادر التى استقى منها مادته اللغوية قائلاً : « ملتقطة (يقصد الألفاظ) من كتب الرسائل وأفواه الرجال وعرصات الدواوين ومحافل الرؤساء ، ومتخيرة من بطون الدفاتر ومصنفات العلماء . فليست لفظة منها إلا وهى تنوب عن أختها فى موضعها من المكاتبة ، أو تقوم مقامها فى المحاورة ؛ إما بمشاكلة أو بمجانسة أو بمجاورة ، فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التى تُوضَع منها كانت له مادة قوية وعوناً وظهيراً » .

ويتوقف الهمذانى أمام المادة اللغوية ، موضحاً بعض الموضوعات التى تصلح للاستعمال فيها ، والمناسبات الخاصة بها قائلاً : « فإن كَتَبَ (يقصد

الكاتب) عدة كتب فى معنى تهنئة أو تعزية أو فتح أو وعد أو وعيد أو احتجاج أو جدل أو شكر أو استبطاء أو اعتذار أو عهد من عهود الولاة أو مطلب أو موافقة أو صدر دستور أو حكاية حساب أو كتاب ضمان أو غير ذلك ، أمكنه تغيير ألفاظها مع اتفاق معانيها ، وأن يجعل مكان : « أصلح الفاسد » : « لَمَّ الشَّعَث » ، ومكان : « لَمَّ الشَّعَث » : « رَتْق الفَتْق » و « شَعَبَ الصدع » . وهذا قياسٌ فيما سواه من أبواب ألفاظ هذا الكتاب ، وإن قعد به حُسْنُ المعنى لم يعدم من ألفاظه ما هو من بناء الكلمة ... »(٣) .

وواضح من هذه المقدمة ما قلناه من أن بعض المعاجم الموضوعية كان هدفها التثقيف اللغوى للمشتغلين بصناعة الكتابة ، ولهذا التثقيف عدة طرق من بينها إمداد الكاتب بالمترادفات من التراكيب النحوية التى تساعده فى فنه .

هذه ـــ باختصار ـــ موضوعات المعاجم الموضوعية التى التزمتها بدقة تكاد تكون تامة . أما المعاجم اللغوية فالأساس الأول فيها والموضوع الرئيسى الخاص بها هو الألفاظ بمعانيها المختلفة واشتقاقاتها الكثيرة . ونشير هاهنا إلى قيمة « اللفظ » فى المعجم الموضوعى ؛ إذ إنه أساسى فيه ، ولكنه يختلف فى طريقة استخدامه وعرضه ووضعه فى المعجم ؛ فالمعاجم اللغوية مرتبة على أساس اللفظ ، أما المعاجم الموضوعية فالباب نفسه أو الموضوع أو المعنى هو الذى يتحكم فى العرض للألفاظ ؛ لذلك تسمى تلك المعاجم أيضاً بـ « معاجم المعانى » .

ثالثاً : يختلف الهدف الذى وضعه المعجم الموضوعى نصب عينيه عن هذا الذى هَدَفَ إليه المعجمُ اللغوىُّ ؛ إذ يهدف الأول إلى إمداد المؤلف أو الكاتب أو الأديب أو الباحث بلفظ لمعنى يختمر فى ذهنه ؛ أما الثانى فيهدف إلى شرح ألفاظ غامضة المعنى ؛ ومن هنا فلا تؤدى الشواهد دوراً مهماً فى المعجم الموضوعى ؛ لأن الفكرة المختمرة فى ذهن الباحث هى الشاهد على ما يقوله واضع المعجم ؛ كما أنه يكوّن بعض الجمل والعبارات الافتراضية حين صناعة معجمه ، فى حين أن الشاهد فى المعجم اللغوى يؤدى دوراً أساسياً ، ومازلنا نعيب على بعض المعاجم اللغوية عدم اهتمامها بالشواهد ؛ لأنها تساعد على فهم معانى الألفاظ ، ويؤدى إهمالها إلى غموض المعالجة الدلالية للألفاظ .

---

(٣) الألفاظ الكتابية : (المقدمة) .

رابعاً : تختلف عناوين المعاجم الموضوعية عن تلك التى فى المعاجم اللغوية ؛ فتكاد عناوين الأولى تدل عليها ؛ فابن السكيت سمّى معجمه (الألفاظ) هادفاً من ورائه إلى حصر ألفاظ اللغة خلال موضوعات مختلفة ، وأبو عبيد القاسم بن سلام سمّى معجمه (الغريب المُصنَّف) هادفاً إلى موضوعات معينة ، مع الاهتمام بالتوقف أمام الغريب اللفظى ، والثعالبى سمّى معجمه (فقه اللغة وسر العربية) وجعله فى قسمين ، ويقع القسم الأول منهما فى ثلاثين باباً ، تضمُّ ستمائة فصل ، جمع خلالها بعض ألفاظ اللغة وقسمها تقسيماً موضوعياً ، ودارت حول بعض الموضوعات التى تعرضت لها الرسائل اللغوية والمعاجم الموضوعية السابقة عليه . وقد كان الثعالبى دقيقاً فى تنظيم أبواب هذا القسم ؛ بحيث يمكن الإفادة منه حين البحث عن لفظة لمعنى دون صعوبة ؛ لأنه كان يعقد العناوين المختلفة التى من شأنها الدلالة على الألفاظ والتراكيب النحوية التى تضمها . وتعد هذه العناوين من أهم لوازم المعجم الموضوعى ؛ لأنها تساعد فى الإلمام باللفظ المطلوب دون أن يضل الباحث . ولكى نوضح ذلك نقدم نصاً من القسم الأول من الكتاب ، وهو الذى اختار له الثعالبى اسم « فقه اللغة » .

توقف الثعالبى فى الباب الأول أمام « الكُلِّيَّات » وهى ما أطلق أئمة اللغة فى تفسيره لفظة « كل » ، ويبدأ بفصل عنوانه : « فيما نطق به القرآن من ذلك وجاء تفسيره عن ثقات الأئمة » . قال :

« كل ما علاك فأظلك فهو سماء ، كل أرض مستوية فهى صعيد ، كل حاجز بين الشيئين فهو مَوْبق ، كل بناء مربع فهو كعبة ، كل بناء عالٍ فهو صرح ، كل شىء دبَّ على وجه الأرض فهو دابة ، كل ما غاب عن العيون وكان محصلاً فى القلوب فهو غيب ، كل ما يستحيا من كشفه من أعضاء الإنسان فهو عورة ، كل ما امتير عليه من الإبل والخيل والحمير فهو عِير ، كل ما يستعار من قدوم أو شفرة أو قدر أو قصعة فهو ماعون ، كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار كثمن الكلب والخنزير والخمر فهو سُحْت ، كل شىء من متاع الدنيا فهو عَرَض ، كل أمر لا يكون موافقاً للحق فهو فاحشة ، كل شىء تصير عاقبته إلى الهلاك فهو تهلكة ، كل ما هيِّجَتَ به النار إذا أوقدتها فهو حصب ، كل نازلة شديدة بالإنسان فهى قارعة ، كل ما كان على ساق من نبات الأرض فهو شجر ، كل شىء من النخل سوى العجوة فهو اللين واحدة

لينة ، كل بستان عليه حائط فهو حديقة والجمع حدائق ، كل ما يصيد من السباع والطير فهو جارح والجمع جوارح »[٤] .

والقسم الثانى مما اشتمل عليه كتاب الثعالبى وهو سرُّ العربية فى مجارى كلام العرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها . وقد جعله فى عدة فصول ، تدور حول التقديم والتأخير ، وإضافة الاسم إلى الفعل ، والاختصاص بعد العموم ... وسواها .

ولا توجد صلة بين قسمى الكتاب ؛ وذلك من حيث المجموع اللغوى الموجود داخلهما ، والمنهج الذى سار عليه الثعالبى فى معالجة المعنى ، ثم العناوين التى وضعها لكل منهما . وما القسم الأول إلا مرحلة تالية متطورة عن الرسائل اللغوية ، وظهر هذا التطور فى جمع الثعالبى لمجموعة مختلفة من الموضوعات ، دون أن يحصر نفسه فى نطاق موضوع واحد ؛ بالإضافة إلى التزامه الدقة داخل هذا القسم ، والدليل على ذلك العناوين الداخلية فى المعجم نفسه ، وهو أمر لم تلتزمه كثيراً الرسائل اللغوية ، وإنما هو من خصائص المعاجم الموضوعية بصفة عامة . والقسم الثانى من الكتاب دراسة فى الأساليب المختلفة ؛ وذلك من حيث التقديم والتأخير ، والكناية عما لم يجرِ ذكره من قبل ، وأبنية الفعل ، والجمع الذى لا واحد له من لفظه ، والتصغير ... وسواها ؛ لذلك نستطيع أن نقول إن هذا القسم محاولة من قبل الثعالبى لبيان خصائص التركيب اللغوى للجملة العربية .

ولكن هل من صلة بين مصطلح « فقه اللغة » Philology بمفهومه فى الدراسات اللغوية المعاصرة ، وبين استخدام الثعالبى له ووضعه عنواناً لكتابه ؟ نقرر أولاً أن الثعالبى لم يكن أول من استخدم « فقه اللغة » ، وإنما سبقه إليه أبو الحسين أحمد بن فارس (ـــ ٣٩٥ هـ) فى كتابه (الصاحبى) فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها)[٥] ، وقد استخدم الثعالبى عبارة « فقه اللغة »

---

(٤) فقه اللغة وسر العربية : ٣٠ و ٣١ . وقد أطلنا الوقوف مع كتاب الثعالبى لمحاولة التعرف على الصلة بين عناوين المعاجم الموضوعية والمجموع اللغوى الموجود داخلها .

(٥) كلمة « الصاحبى » التى يبدأ بها عنوان الكتاب تشير إلى أن ابن فارس قد قدّم كتابه إلى الصاحب ابن عباد (ـــ ٣٨٠ هـ) ، وقد أوضح ذلك قائلاً : « وإنما عنونته بهذا الاسم ؛ لأنى لما ألفته أودعته خزانة الصاحب الجليل ، كافى الكفاة ـــ عَمَرَ الله عراض العلم والخير والعدل بطول عمره ـــ تجملاً بذلك وتحسناً » . الصاحبى : ٢٩ .

وهو يبغى من ورائها صناعة معجم موضوعى لبعض التراكيب النحوية والألفاظ التى تؤدى معانيها ، مثلما رأينا فى النص الذى نقلناه من « باب الكليات » ، ويؤدى حفظ الكُتّاب والناشئين لتلك التراكيب والألفاظ إلى إتقان اللغة ؛ أى إلى فقهها . أما مصطلح Philology فى الدرس اللغوى الحديث فله عدة مفهومات من بينها :

- إعداد النص القديم أو النقش إعداداً علمياً للنشر على نحو ييسر للباحث استخدامه ، وعلى هذا فمقابلة النصوص للخروج منها بالنص الأقدم والأقرب إلى ما دونه المؤلف عمل فيلولوجى ، وإعداد النقوش للنشر العلمى عمل فيلولوجى أيضاً .
- وضع الشروح الميسرة لفهم النصّ ، بالإضافة إلى معرفة الأدب الجميل .
- دراسة لغة معنية بالتحليل النقدى لنصوصها ، وقد عرف الرومان والجرمان فى القرن التاسع عشر شهاداتٍ فى النحو والفيلولوجيا .
- الدراسة الشكلية للنصوص فى المخطوطات المختلفة التى انتهت إلينا[٦] .

ونأتى إلى « المعاجم اللغوية » ، وحين النظر فى عناوينها نجد بعضها يدل على الإحاطة والشمول ؛ فقد سمّى ابن منظور معجمه (لسان العرب) ، وسمى الفيروز ابادى معجمه (القاموس المحيط) ؛ أى « البحر المحيط » ، وسمّى بطرس البستانى معجمه (محيط المحيط) ؛ أى إنه أكثر إحاطة وشمولاً من قاموس الفيروز ابادى نفسه ؛ فهذه العناوين هدفها الإحاطة باللسان العربى من الناحية اللفظية .

من خلال هذه النقاط الأربع اختلفت الأسماء والمسميات كما أنها تبين الفرق بين المعاجم الموضوعية والمعاجم اللغوية ، وذلك من حيث الشواهد ، والمنهج الذى يسير عليه واضع كل منهما ، ونظرته إلى اللغة ، ثم جمع الألفاظ ، وطريقة تنظيم هذا المجموع ، والهدف الذى يريد صاحب كل معجم تحقيقه ؛ فالموضوعى محصور فى دائرة ضيقة هى دائرة الموضوع نفسه ، أما اللغوى فمجاله أرحب ، ومادته أوسع وأشمل ؛ فهو يتعامل مع اللسان العربى كله .

---

(٦) انظر المدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود حجازى : ٣١ و ٣٢ ؛ وفى علم اللغة العام للدكتور عبد الصبور شاهين : ٥ ـ ٧ ؛ وكتابنا : فقه اللغة وعلم اللغة : ٦٢ ـ ٦٨ ؛ إذ جمعنا فى تلك الصفحات عدة تعريفات لـ « فقه اللغة » .

ولعله من الملاحظ أنه ، خلال العرض السابق ، قد وثقنا الصلة بين المعاجم الموضوعية والرسائل اللغوية ، وهذا طبيعى ؛ إذ إن هذه الرسائل لم تكن الأساس فى عمل المعجم الموضوعى حسب ، بل فى عمل المعاجم العربية كلها ، فيكفى أن نمسك بأحد هذه المعاجم حتى نرى فى صفحاته المختلفة أسماء الرواد الأوائل الذين كتبوا هذه الرسائل ، ثم نرى هذه المنقولات الكثيرة ، والمرويات المتنوعة التى أخِذَت عنهم ؛ حتى إننا نستطيع أن نقول إن الرسائل اللغوية كان معظمها موجوداً داخل المعاجم العربية .

ولكن لماذا عُدَّت الرسائل اللغوية بمثابة إرهاصات لظهور المعجم الموضوعى ، ولماذا عُدّت النواة التى اعتمد عليها هذا النوع من المعاجم العربية ؟ الحقيقة أن الاطلاع على أية رسالة لغوية من شأنه بيان ذلك ؛ فهى مرتبة من الناحية اللفظية حسب الموضوع نفسه ، وإذا أخذنا (كتاب البئر) لابن الأعرابى (ـــ ٢٣١ هـ) مثالاً لذلك ؛ فإننا نجده عبارة عن رسالة لغوية صغيرة مقسمة إلى موضوعات ، تدور حول « البئر » ، ويضم كل موضوع مجموعةً من الألفاظ . وقد تحدث فيها ابن الأعرابى عن صفة البئر ، وتفصيل أسماء الآبار ، وذكر الأحوال عند حفر الآبار ، والآلات التى تستخدم لاستخراج الماء منها . وننقل من تلك الرسالة نصاً يوضح صورة جمع الألفاظ داخل الرسائل اللغوية . قال :

« يقال للأرض إذا لم يكن فيها حَفْرٌ ، فَحُفِر فيها : أرضٌ مظلومةٌ . قال الشماخ :

وأُسُّ رمادٍ كالحمامةِ ماثلٌ ... ونُؤْيانِ فى مظلومتين كُدَاهُمَا[7]

ويقال إذا حَفَر قِعْدةَ الرجل أو قعدتين قيل : حَفَر أُوقة أو أُوقَتَيْنِ . قال الشاعر :

وانغمسَ الرامى لها بين الأُوَقْ[8]

قال أبو عمر[9] : هوه أَوْقَةٌ ، بالفتح ، وجمعها أَوَقٌ . كذا سماعى من

---

(٧) فى ديوان الشماخ بن ضرار الصاحبى الغطفانى « وإرث رماد » : ص ٨٧ .

(٨) فى ديوان رؤبة بن العجاج التميمى البصرى « واغتمس » . انظر : مجموعة أشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤبة ، وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه : ص ١٠٦

(٩) هو محمد بن عبد الواحد المطرز المعروف بأبى عمر الزاهد ، غلام ثعلب (ـــ ٣٤٥ هـ) . طبقات اللغويين والنحويين : ٢٢٩ .

لعلب ؛ قال أبو العباس : الأوقة بئر الصائد التى يستتر فيها من الوحش .

وإذا ابتدأ حَفْرَ البئر فهى : بَدِئٌ . فإذا حفر إلى أسفل قيل : قد امتعق واعتمق ، وحفر معيق وعميق . وإذا حفر فى أحد جانبيها قيل : قد لَجَّفَ . قال الشاعر :

إذا انتحــى مُعْتَمِقاً أو لجَّفا[10]

ويقال لجانب البئر : الجال والجُول . و « إنه لغير ذى جُول » ؛ أى قليل العقل . و « إنه لغير متماسك الجُول » ، يقال ذلك للرجل إذا كان يُحَمَّقُ .

فإذا حفرها حتى يبلغ الماءَ قيل : أَنْبَطَهَا ، والماء فهو النَّبَط .

وفَطَرها إذا كان هو ابتدأها ، واختصم إلى ابن عباس — رضى الله عنهما — رجلان فى بئر ، فقال أحدهما : « بئرى أنا فطرتُها »[11] أى ابتدأتها واستخرجتها »[12] . .

ويوضح هذا النص الذى نقلناه عن ابن الأعرابى أنه قد نظم الألفاظ خلال أساليب صنعها ، يدلّ على ذلك قوله : « يقال للأرض إذا لم يكن فيها حفر فحفر فيها : أرض مظلومة » . ولم يكن يكتفى بتلك الأساليب ، وإنما كان يتبعها ببيت من الشعر ، أو قول منسوب للأوائل ، وهذا كله يدور حول البئر من مختلف النواحى .

وإذا كنا قد نقلنا من كتاب ابن الأعرابى النص السابق لتوضيح المقصود بالموضوعية فى جمع الألفاظ ؛ فلعله من المناسب هنا أن نتخير بعض النصوص من معاجم الموضوعات ؛ لأن هذا يعرفنا بمعنى الترتيب حسب الموضوع فى تلك المعاجم ، ولنبدأ بنص من كتاب (مبادىء اللغة) للخطيب الإسكافى يدور حول « البُسُط والفُرُش ونحوها » . قال :

« البساط كل شيء بُسِط للجلوس عليه ، وجمعه القليل أبسطة ، والكثير البُسُط . وكذلك أفرشة وفُرُش لجمع الفراش ، فأما الفرش فاسم لكل

(١٠) فى اللسان (لجف) ينسب للعجاج ، وفى ديوانه : ٤٩٨ .

(١١) لهذا الخبر رواية أخرى هى : « قال ابن عباس : ما كنتُ أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى احتكم إلىّ أعرابيان فى بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها » . انظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٣٢ .

(١٢) البئر : ٥٤ — ٥٦ .

ما افترش من المتاع ، والفرش أيضاً صغار الإبل . قال الله تعالى : (ومن الأنعام حَمُولةً وفرشاً)(١٣) . والفريش من الخيل الحديثة العهد بالنتاج . والإراض بساط ضخم من وبر أو صوف . والزرابىُّ نخاخ مخملة على عمل الطنافس إلا أن خَمْلها رقيق وجنس منها يقال له العبقرىُّ . والمِسح البَلاس وجمعه أمساح ومسوح . والسيح مسيح مخطط . والسِّماط النُّخ والدُّرنوك الطنفسة ، وهو النخ أيضاً . والمصلى قدر ما يصلى عليه وجمعه مصلّيان . والمخدة ما يوضع تحت الخد »(١٤) .

ويوضح هذا النص المقصود بالترتيب الموضوعى فى جمع الألفاظ التى تدور حول البُسُط والفُرُش وسواهما ، وقد جمعها الخطيب الإسكافى ، ومنهجه فى ذلك هو أن يذكر اللفظ مع تقديم تفسير له . وهناك منهج مخالف فى بعض المعاجم الموضوعية ، يكون عبارة عن ذكر جملة معنية يليها اللفظ الدال على معناها كما فى النص التالى الذى يتحدث فيه الثعالبى عن « ترتيب أحوال اللبن وتفصيل أوصافه » . قال :

« أول اللبن اللِّبأ ، ثم الذى يليه المُفْصِح ، ثم الصَّريف ، فإذا سكنَتْ رغوتُه فهو الصريح ، فإذا خثر فهو الرائب ، فإذا حَذَى اللسان فهو القارص ، فإذا اشتدت حموضتُه فهو الحازر ، فإذا انقطع وصار اللبنُ ناحيةً والماء ناحية فهو مُمْذَقِرٌ ، فإذا خثر جداً وتلبَّد فهو عُثَلِط وعُكَلِط وعُجَلِط ، فإذا حُلِبَ بعضه على بعض من ألبان شتى فهو الضَّريب ، فإذا مُخِضَ واستُخْرِجت منه الزبدة فهو المخيض ، فإذا صُبَّ الحليب على الحامض فهو الرَّثيئةُ والمُرِضَّة ، فإذا سُخِّن بالحجارة المُحْماة فهو الوغير »(١٥) .

وهذا النص يوضح معنى الموضوعية فى جمع الألفاظ وترتيبها ؛ فهى تدور حول أحوال اللبن وأوصافه المختلفة ، وقد جمعها الثعالبى معاً ، ثم كان يذكر جملة معينة ، يليها اللفظ الدال على معناها ؛ فإن اللبن إذا انقطع وصار ناحية والماء ناحية يسمى « الممذقر » . ونلاحظ أنه أورد ألفاظاً يجمعها الاتحاد فى الموضوع ، وقد نظمها تنظيماً سهلاً ، بحيث يمكن الإفادة منها ، وتلمس اللفظ المراد دون جهد يذكر .

(١٣) الأنعام /١٤٢ .

(١٤) مبادىء اللغة : ٤٥ .

(١٥) فقه اللغة : ٣٩٩

ونختم تلك النصوص بنصٍّ من (المخصص) لابن سيده عنوانه : « أسماء عامة المفاصل والعظام » . قال :

« كل ملتقى عظمين فصل ومفصل وفصٌّ . أبو عبيد : الفصوص المفاصل في العظام كلّها إلا الأصابع واحدها فصٌّ . ابن دريد : المعاقم الفصوص ، وفي الحديث : « تُعْقَدُ معاقمُ المشركين يومَ القيامةِ ، فلا يقدرون على السجود »[16] . قال عليٌّ[17] : لم أسمع للمعاقم بواحد ، وأشبه ذلك معقم كـ« مفصل » . الأصمعي : الطوابق الفصوص . ثعلب : هو الطابق والطابقة . قال سيبويه : طابق وطوابيق ، وهو عنده شاذ كـ« خواتيم ودوانيق » . الأصمعي : الطبق والطبقة الفقرة حيث كانت ، وجمعها طباق ، وقيل : هي ما بين الفقرتين ، والطبق المفصل . أبو عبيد : ومنه قيل للسيوف التي تصيب المفاصل المطبقة . أبو عبيدة : الوصل والموصل المفصل ، والوصيل كلّ عظمٍ لا يكسر ولا يُخْلَط بغيره ، والجمع أوصال . صاحب العين[18] : العظمُ قصب اللحم . ابن دريد :

ثم أكلْتَ اللحـمَ والعظامَهْ[19]

اللحياني[20] : عظمت الحيوان : فصلته عظماً عظماً ، وعظمت الكلب عظماً ، وعظمته إياه . صاحب العين : كل عظمٍ عريضٍ لوحٌ والجمع ألواح ، وألاويح جمع الجمع ، وألواح الجسد عظامه خلا قصب اليدين والرجلين ، ورجل مِلْواحٌ : عظيم الألواح ، وأنشد :

يتبعْـنَ إثـرَ بازلٍ مِلْـوَاحِ[21]

أبو حاتم[22] : ألواح الإنسان قصب عظامه . أبو عبيد : الأنقاء كل عظمٍ ذي مُخٍّ ، واحد نقي . أبو زيد : ونقاً ، ورجل أنقى وامرأة نقواء ،

(١٦) ورد الحديث الشريف في النهاية : ٣ /١٣٥ .

(١٧) كان ابن سيده يستخدم في (المخصص) عبارة « قال علي » إشارة إلى تلك الإضافات التي كان يضيفها وتنسب إليه .

(١٨) استخدم ابن سيده عبارة « صاحب العين » دون إشارة إلى صاحب المعجم ؛ نظراً للشك الذي أثير حول صاحبه الأصلي .

(١٩) ورد الشطر في الجمهرة : (ظ ع م) .

(٢٠) هو علي بن المبارك أبو الحسن اللحياني .

(٢١) الشطر في اللسان ؛ وتاج العروس : (ل و ح) .

(٢٢) هو سهل بن محمد السجستاني (ـــ ٢٥٥ هـ) . انظر : الفهرست : ٨٦ .

والكراديس والمراديس رؤوس الأنقاء »[٢٣] .

ويوضح هذا النص أن فكرة التنظيم الموضوعي لألفاظ اللغة قد اتضحت في دهن ابن سيده ، ولكنه خلط بين الألفاظ وحشدها بطريقة ظاهرة ، وقد أتى ذلك من سبيلين :

١ ــ أنه جمع كل ما وقع تحت يديه من ألفاظ اللغة ، ثم قسمها موضوعياً ، ولعل مما ساعده على ذلك أنه وضع معجماً لغوياً للألفاظ هو (المحكم والمحيط الأعظم) .

٢ ــ اعتماده التام على الرواة والرواد الأوائل مما أدى إلى الخلط والاضطراب ، وصعوبة العثور على اللفظة التي نبحث عنها ، وكان في وسعه تنظيم تلك المرويات حتى تسهل الفائدة .

وإذا قارنّا هذا النص من ناحية النظام بنص الثعالبي ، نجد أن الفائدة عند الأخير سهلة ميسورة ، وكان ابن سيده في وسعه أن يوسع الدائرة ، ولكن دون حشد لتلك المرويات ولأسماء الرواة ، وكان في وسعه أيضاً أن يضع عنواناً تالياً لأسماء عامة المفاصل والعظام ، ويقول : « نقلاً عن الأئمة » ، وقد فعل مثل ذلك الثعالبي ، ولكن التضخم والاضطراب هما طبيعة التأليف المعجمي منذ القديم حتى العصر الحديث .

★ ★ ★

وبعد أن تعرفنا على « المعجم الموضوعي : ماهيته ومعناه » نتوقف أمام التطور التاريخي للتأليف المعجمي عند الغربيين ، للتعرف على التأليف في المعجم الموضوعي في العصر الحديث ، ولعل أهم ماوُضع من معاجم كان حول المفردات في اللغة الإنجليزية ، ومن هنا نتوقف أمام تلك المعاجم .

ولكن قبل ذلك نتعرف على مفهوم المعجم كما ورد في دائرة المعارف البريطانية مادة Dictionary . تقول الدائرة إن المعجم اصطلاحاً عبارة عن كتاب يحتوي مجموعة من مفردات اللغة مرتبة ترتيباً ألفبائياً أو في نظام آخر محدد كنظام الموضوعات أو الصور أو غيرهما ، مع شرح لمعانيها ، وعادة

---

(٢٣) المخصص : ٢ /٦١ وما بعدها .

ما يذكر المعلومات الخاصة بها فى اللغة نفسها ، أو فى لغات أخرى ؛ بالإضافة إلى ذلك فإن القواميس ؛ خاصة الكبيرة منها تتعرض لطريقة نطق الكلمات واشتقاقاتها والمترادفات والاصطلاحات مع ذكر الشواهد التوضيحية .

ونشير إلى أن العمليات التى تُتَّبع لصناعة القواميس تعرف باسم Lexicography فى الدراسات اللغوية المعاصرة . ويطلق اسم Lexicographers على المشتغلين بصناعة تلك القواميس .

ولعله مما يكمل الحديث عن « القاموس » التوقف أمام المواصفات الخاصة بالمعجم الجيد كما حددتها (موسوعة كمبردج فى اللغة) لمؤلفها دافيد كريستال David Crystal ، وقد جعلها على هيئة أسئلة يطرحها القارىء على نفسه حين الذهاب لشراء قاموس من القواميس ، ومن بين تلك الأسئلة ما يأتى :

١ ــ هل الأوراق من النوع الجيد ؟ ولعل القارىء يرى فى هذا السؤال نوعاً من أنواع الترف العلمى ، ولكن هذا ليس صحيحاً ؛ خاصة بعد انتشار طباعة بعض الأعمال العلمية على أوراق تشبه أوراق الصحف اليومية . ومما يتصل بذلك الضبط بالشكل للمادة المعجمية والنصوص ، وهذا له أهميته فى صناعة المعجم العربى ، الذى يؤدى فيه الضبط دوراً أساسياً .

٢ ــ هل يحتوى القاموس الذى تريد شراءه على معانى الكلمات التى ترد إلى ذهنك ولا تعرف معانيها ؟ ولكى تستطيع أن تعرف ذلك يمكن الاحتفاظ ببعض الكلمات فى ورقة تكون معك حين ذهابك لشراء قاموس ، ويمكنك أن تبحث عنها داخله .

٣ ــ هل يحتوى القاموس على تغطية لبعض الأحداث التاريخية العالمية ؟ والمقصود بذلك أن بعض القواميس تشير إشارة سريعة إلى أحداث مهمة تهم القارىء ، ويحتاج إلى معرفتها ؛ لأنها تعد من مكوناته الثقافية .

٤ ــ هل يحتوى القاموس على بعض المعلومات الموسوعية ؟ ونعنى بذلك أنه إذا كان هناك إنسان يعمل فى حقل الدراسات اللغوية ، فعلى القاموس أن يمده بالمعلومات المتصلة باللغة وتعريفها وطرق تحليلها وغير ذلك .

٥ ــ هل التعريفات الموجودة فى القاموس يطبعها الوضوح ؟ والمقصود بذلك أن القاموس يجب أن يحتوى على بعض التعريفات الواضحة التى

لا يضل معها القارىء الطريق ؛ فإذا كان يبحث عن تعريف لـ « النحو » مثلاً ؛ فالمفروض أن يجد هذا التعريف أولاً ، ثم أن يكون واضحاً بعد ذلك .

٦ ـــ هل يعطى القاموس شواهد (أمثلة للاستعمال) ؟ وهل تلك الشواهد حقيقية أو مصطنعة ؟ ولهذا السؤال أهميته ؛ نظراً للدور الأساسى الذى يؤديه الشاهد حين صناعة المعجم ؛ إذ إنه يوضح المعنى ويقربه إلى الأذهان .

٧ ـــ هل يعطى القاموس مجموعة من الاستعمالات الأسلوبية ؟

٨ ـــ هل يعطى القاموس معلومات عن الاشتقاق ؟

٩ ـــ هل يهتم بالنطق ؟ وهل يعطى بعض التحديدات الصوتية التى تساعد فى مجال النطق ؟

١٠ ـــ هل يحتوى القاموس على العبارات الجاهزة أو التراكيب المسكوكة Idioms ، والأمثال ؟ ولهذا أهميته ؛ إذ إن اللغات يطبعها استخدام تلك العبارات والأمثال على ألسنة أبنائها ، ويجب على القاموس أن يمد القارىء بإيضاحات عنها كأن يتحدث عن معانيها والمناسبات التى تقال فيها ... وهكذا .

١١ ـــ هل يحتوى على قوائم بالمترادفات والمشترك اللفظى ؟

١٢ ـــ هل يعطى القاموس معلومات عن أقسام الكلمة والإعراب وبعض الجوانب الأخرى الخاصة بالنحو ؟

هذه هى بعض الأسئلة التى يجب أن تكون فى ذهن القارىء حين يذهب لشراء القاموس أو المعجم ، وهى تصلح لأن تكون مواصفات للمعجم الجيد .

ونتوقف أمام التطور التاريخى للتأليف المعجمى فى اللغة الإنجليزية .

لم ينشأ المعجم فى اللغة الإنجليزية مرتبطاً باللغة القومية ذاتها ؛ بل بلغة أخرى سادت أوربا فى إحدى الفترات ، وهى اللغة اللاتينية . وقد ظهرت قوائم للكلمات على النحو الآتى

Latin - Latin

Latin - English

وكانت بداية ظهور المعجم فى الإنجليزية متصلاً بما أطلقوا عليه مصطلح Glossaruim ، وهو نوع مبكر من القواميس(٢٤) . ومما يتصل بتلك المعاجم التى لم تنشأ عن اللغة القومية ما يسمى بـ « معاجم الترجمة » ، وقد نُشِرَ أول نوع منها عام ١٤٤٩ م ؛ أى فى العصور الوسطى(٢٥) .

ويُلاحظ أن نشأة المعجم فى الإنجليزية مخالف لما فى العربية ؛ لأنها كانت متصلة بمعاجم الترجمة ؛ أى تلك التى تعطى مقابَلاً للكلمة فى لغة أخرى ، واحتوى أول معجم منها على كلمات لاتينية مع نظيرها فى الإنجليزية أو العكس . أما فى العربية فقد اهتم العلماء بالكلمات التى يصعب فهم معناها مع إعطاء تفسير لها فى العربية أيضاً . ومن الغريب أن تكون نصف كلمات المعجم من اللاتينية ، ويرجع هذا إلى أنها كانت اللغة القومية للتلاميذ ، وعُدَّت أكثر فائدة من الإنجليزية . وقد حملت على عاتقها طرق التعبير فى البلاد فى العصور الوسطى .

وبعد ذلك ظهرت معاجم الكلمات الصعبة ، ويطلق عليها اسم Dictionaries of hard words ، وظهر أول معجم منها على يد Robert Cawdrey عام ١٦٠٤ م، وسماه: Table Alphabetical of hard Words ، ووضع John Bolokar عام ١٦١٦ م معجماً أطلق عليه اسم : An English Expositor ، ووضع Henry Cockeram عام ١٦٢٣ معجماً عنوانه : The English Dictionary ، وقد جَدَّد فى هذا المعجم المصادر التى استقى منها المادة المعجمية ، ومن أهم المصادر فى المعاجم بصفة عامة ما يأتى :

- الأساطير Mythology
- القانون Law
- العِلْم Science

وقد اعتمدت المعاجم فى شواهدها على القصص والمحادثات التى كان يعقدها المعجميون مع بعض الناس ، وخلال ذلك يحصرون الكلمات الصعبة ، مع الاهتمام بإعطاء معلومات علمية تفيد فى التعرف على المعنى .

---

(٢٤) Essays on language and usage, P. 3,4 .

(٢٥) Words, Vocubularies and Dictionaries, P. 105,106 .

وبين عامى ١٧٠٨ و ١٧٢١ م أخذت معاجم الكلمات الصعبة تحتل مكانتها ولفتت الأنظار ؛ لأنها اعتمت بالاستعمال الأدبى للكلمات ، ومع ذلك فإن تعريف الكلمات فى المعاجم خلال تلك الفترة كان قاصراً ، ويمكن الاستدلال على ذلك بنموذج من معجم Johnson المنشور عام ١٧٢١ م وهو :

Cow : A beast well - Known .

Horse : A beast well - known .

Dog : A quadruped well - known .

ولايقدم هذا التعريف جديداً لمعنى الكلمة ؛ لأن جونسون استعمل عبارة well - known ثلاث مرات للتعريف بالكلمات الثلاث ، وقد أضاف كلمة Quadruped ومعناها « من ذوات الأربع » للتعريف بالكلمة الثالثة . والتعريف باستعمال كلمة « معروف » لا يضيف جديداً ، وربما يستعملها المعجمى للتعريف بما هو مجهول ؛ خاصة أن جونسون قد كررها كثيراً .

وأول المعاجم الجديرة بالاعتبار ذلك الذى وضعه Nathaniel Baily عام ١٧٢١ م تحت عنوان :

Universal Etymological Dictionary of the English Language

وقد أعيد طبعه عام ١٧٣١ م . وأحدث ظهور هذا المعجم ثورة فى صناعة المعاجم ؛ حيث اهتم واضعه بتطور الكلمات وتاريخها ، وهو اهتمام يظهر من عنوانه ، والمصطلح الذى وضعه وهو Etymological دليل على هذا الاهتمام ؛ بالإضافة إلى توقفه أمام المقاطع ونطق الكلمات ، وإيراد الشواهد .

والحقيقة أن تتبع معانى الكلمات واستعمالها من أهم ما يجب توافره فى المعجم ؛ لذلك يقول اللغوى السويسرى فرديناند دى سوسير Ferdinand de Saussure عن المصطلح Etymology (٢٦) :

It goes back into the history of words until it finds something to explain them ... Etymology does not simply explain isolated words and stop there . It complies the history of words families and of families of formative elements - prefirx, suffiexs ...

---

(٢٦) Course in General linguistics, P. 189 .

ويدل النص على أن علم تطور الكلمات ومعرفة تاريخها من حيث الاستعمال يهتم بالنصوص أكثر من غيرها ؛ لأنه يغوص فى أعماقها ، محاولاً الوصول إلى أقدمها ، حتى يمكنه أن يرى استخدام الشاعر ـــ مثلاً ـــ للكلمة ؛ بل يتجاوز ذلك إلى البحث فى العائلات المتشابهة من اللغات ؛ لملاحقة معنى الكلمة فى تطوره التاريخى ؛ لذلك ليست هناك فائدة فى الاعتماد على المعجم وحده فى معرفة معنى الكلمة واستعماله ؛ لأنه ـــ بكل بساطة ـــ لا يضيف جديداً سوى الحصر ، إن كان فى العصر جدة ، ومن هنا فإنه من الأهمية حين صناعة المعجم الاتصال بالنصوص فى أقدم مظانها .

ومن المعاجم المهمة التى ظهرت فى الفترة التالية لذلك المعجم الذى وضعه Bailey معجمٌ صنعه Peter Mark Roget (١٧٧٩ ـــ ١٨٦٩ م) ، وقد أُطلق عليه فى الإنجليزية اسم : Thesaurus English Words and Phrases أى « موسوعة الكلمات والعبارات الإنجليزية » . وقد جمع روجت الكلمات والعبارات مع ترتيبها وتصنيفها حسب الأفكار والعبارات ؛ ليساعد الأدباء وغيرهم على استخدامها فى الموضوعات الأدبية ، ومن هنا فلم يرتب روجت ما جمعه حسب الأصوات ؛ بل حسب الأفكار ، مع الاهتمام بالتعبير الاصطلاحى idiomatic والسياقات التوضيحية[٢٧] . ونستطيع أن نقول إن هذا هو أول معجم موضوعى فى الإنجليزية ، لم يسر فيه مؤلفه ـــ بعد جمع المادة ـــ على النظم المألوفة فى التصنيف والترتيب ؛ بل كانت طريقته حسب الموضوع أو الفكرة ، وكان له هدف واضح هو إمداد الأدباء والكتاب وغيرهما بالعبارات والتعبيرات التى تساعدهم فى الخلق الفنى والإبداع الأدبى .

وقد تنوعت المعاجم الإنجليزية بعد ذلك ، وأصبحت مصنفة حسب وجهة معينة ؛ منها ما يهتم باللهجات العامية ، ومنها ما يهتم بالمصطلحات السياسية والاقتصادية ، ومنها ما يهتم بأن يكون عملاً مختصراً للتلاميذ يمدهم سريعاً بالمعنى وهو ما أُطلق عليه اسم : Pocket - Dictionaries . وقبل التعرف على تلك الأنواع من المعاجم نتوقف أمام « معجم أكسفورد » Oxford وقيمته فى الإنجليزية ، والمعاجم التى اهتمت باستعمال الشعب الأمريكى للغة الإنجليزية .

(٢٧) What is language ? A new approach vo linguistic description, P 72

أما عن معجم أكسفورد فقد أتت قيمته من حفظه الكلمات التى استهلكت ، ولم تعد مستعملة على ألسنة المتحدثين بالإنجليزية ؛ بالإضافة إلى اهتمامه بالمصطلحات التاريخية ، وقد اختاروا له العنوان الآتى : A New English Dictionary on Historical Principles ويهتم هذا المعجم بالمواد الأصلية ، وإذا كانت المادة لها مفهوم علمى أو لغوى ؛ فإنه يعطى تعريفات بها ، ومن ذلك مادة Dictionary ؛ فنجده يحدثنا عن ماهية القاموس ، وما يجب توافره فيه من حيث الاهتمام بالاشتقاق Derivation ونطق الكلمات والشواهد التوضيحية . وهذا نفسه ما نجده فى دوائر المعارف ؛ ففى دائرة المعارف البريطانية ، كما سبقت الإشارة ، نجد تعريفاً بمفهوم القاموس وما يجب أن نجده فيه أيضاً من حيث تتبع تطور الكلمات وتاريخها ، مع التوقف أمام المعاجم الأولى .

ولم تشهد الفترة التالية لظهور قاموس أكسفورد قاموساً جديراً بالاعتبار ، سوى ما وضعه Henrs Cecil Wyld عام ١٩٣٢ م تحت عنوان : Universal Dictionary of the English Language أما عن المعجم الأمريكى American Dictionary فقد كان فى بدء نشأته عبارة عن كتب مدرسية صغيرة ، اعتمدت كثيراً على معجم Johnson ؛ بالإضافة إلى مجموعة أخرى من معاجم اللغة الإنجليزية التى ظهرت فى لندن . والحق أن النشأة العلمية للمعجم الأمريكى سنة ١٨٢٨ م وذلك حين أصدر Noah Webster معجماً فى جزئين عنوانه :

An American Dictionary of the English Language ولهذا المعجم الفضل فى الاهتمام باللهجة Dialect الأمريكية فى نطق اللغة الإنجليزية ؛ بالإضافة إلى نطق الكلمات بصفة عامة . وقد اهتم المؤلف أيضاً بالشواهد التوضيحية ؛ لأن لها دوراً أساسياً حين معالجة المعنى داخل أى معجم من المعاجم . وكان المصدر الأساسى للمعجم الأمريكيين أنفسهم ؛ وذلك أثناء جمع المادة اللغوية التى احتواها . وقد توقف Webster أمام معجم Johnson بالنقد ؛ فأشار إلى أنه لم يعتمد على عبارات الأدباء والمبدعين فى أعمالهم الأدبية والفنية ، ولم يهتم إلا قليلاً بـ « علم تاريخ الكلمات » ومع ذلك فإن Webster نفسه

ومن فى طبقته كانوا يعتمدون على « الحدس » حتى يصلوا إلى التطور التاريخى لاستعمال الكلمة ، دونما اعتمادٍ على النصوص التى تعد المصدر الرئيسى فى هذا المجال .

وبعد ذلك صنع بعض الباحثين معاجم أخرى للأمريكية الإنجليزية ، ونذكر هاهنا معجمين هما :

١ــ Dictionary of American English on Hostorical Principles لمؤلفيْهِ : J.R. Hulbert, William Craigie .

٢ــ Dictionary of Americanisms لمؤلفه : Miford M. Mathews .

وقد ظهر المعجم الأول عام ١٩٤٤ م ، والآخر عام ١٩٥١ م(٢٨) .

ونتوقف ، الآن ، أمام بعض المعاجم وأنواعها عند الغربيين(٢٩) :

١ ــ المعاجم العامة : يُعَدُّ عمل المعجم الحديث عملاً شاقاً ؛ لأنه يكلف قدراً من المال ، ويحتاج إلى توظيف مجموعة من الباحثين المتخصصين ، مع فتح الباب أمام كل من يستطيع أن يمدَّ يد العون للذين يصنعون المعجم ويقدم ما لديه من نتاج يفيد فى هذا الشأن . لقد غمرت القواميس الاقتصادية ــ مثلاً ــ الأسواق ، وهى موجودة فى المحلات الكبرى Super - markets والجرائد والمجلات وسواها . ونظراً لشدة الإقبال على تلك القواميس فقد ارتفع ثمنها كثيراً ، وهذا يبين أن قيمة المعجم فى استخدامه ومقدرته على أن ينفع أكبر قدر من الناس ؛ بالإضافة إلى حيويته ، لذلك قلنا إن المعاجم العامة لابد أن تلاحق استخدام الناس للغة ، وأن يستفيد صانعوها من كل من لديه المقدرة على إمدادهم بالمادة المعجمية الصالحة .

٢ ــ قواميس الجيب Pocket Dictionaries : وتهتم تلك القواميس كثيراً بهجاء الكلمات ، ويقدر عدد الكلمات التى تشتمل عليها بخمسين ألف كلمة ، ويستطيع أىُّ إنسان أن يحصل على نسخة يمكنه حملها معه أو وضعها

---

(٢٨) Words, P. 140 & Essays on language, P.P. 8,9 .

(٢٩) Words, P.P. 135 - 150 .

فى مكتبه أو فى بيته أو فى مدرسته ؛ وقد وُجِّه إلى تلك القواميس بعض الانتقادات منها ما فى قوائمها من أخطاء ، وعدم تحديدها للمعانى بدقة .

٣ ــ قواميس المكاتب Desk Dictionaries : وغالباً ما تكون فى مجلد واحد ، وهى صالحة لأنْ تُستَعْمل فى المدارس والجامعات ، وقد اعتمد هذا النوع من القواميس على ما وضعه Webster فى معجمه خاصة المقدمة التى صدَّره بها وتدور حول ما يجب اتباعه حين الشروع فى صناعة قاموس من القواميس .

٤ ــ القواميس الجامعة أو دوائر المعارف : وتهتم بجمع الكلمات المستعملة فى اللغة ، ولكن هذا الاهتمام تصادفه بعض الصعوبات من بينها أن القائمين على تلك الدوائر منعزلون عن العالم الخارجى ؛ لذلك لا يستطيعون ملاحقة الكلمات المستعملة خارج عالمهم الخاص ، مع عدم مقدرتهم على الإلمام باللهجات العامية واستعمال المتكلمين لبعض الكلمات دون بعضها الآخر ، ومن ثم فتلك القواميس الموسوعية على الرغم من مقدرتها على تسجيل حوالى نصف مليون كلمة ؛ فإن هناك مثل ذلك من الكلمات لا يمكنها الإحاطة به ؛ بل إنها لا تحتويه إطلاقاً .

ومع ذلك فالقواميس الجامعة أو دوائر المعارف هى أكمل عمل يمكنه وصف الكلمات واستعمالاتها فى اللغة ، وهى تفيد الكُتَّاب المحترفين Professional writers والباحثين والمشتغلين بالدراسات اللغوية .

وهناك بعض المواصفات التى تساعد فى الإفادة من تلك القواميس الموسوعية ، وذلك إذا احتوت على ما يتصل بأصول الكلمات ومعانيها والمصدر الأصلى والنطق واستعمال الكلمات والمترادفات Synonyms والمشترك اللفظى Homonym والوظيفة النحوية Grammatical function والهجاء والأشكال الاشتقاقية Derived forms ، ويجب عليها أن تحتوى أيضاً على الكلمات التى لم تعد مستعملة على الألسنة ؛ لأنها تراث يجب المحافظة عليه .

٥ ــ القواميس الخاصة Special dictionaries : وهى تجمع أنواعاً خاصة من الكلمات ، وبعض المعلومات الخاصة باللغة أو المعرفة على وجه العموم .

وتجمع بعض القواميس الخاصة الألفاظ الخاصة بالألعاب الرياضية أو التصوير أو الطهى أو اللغات الأجنبية أو ما هو خاص بالحدائق ... وتضم هذا كله دوائر المعارف . ومن أمثلة تلك القواميس قاموس عنوانه : Dictionary of Word Literature ونجد فيه مناقشة تقع فى أكثر من خمسين صفحة حول الأدب الفرنسى .

٦ ــ **قواميس ألفاظ العامة Dictionaries of Slang** : إن أىّ استخدام للغة بواسطة مجموعة من الناس فى أى مستوى Level جدير بالدراسة ، ولكن بعض الدارسين يعد ألفاظ العامة فى القاع وليست جديرة بأية دراسة ، ومع ذلك فهى مادة لقواميس مختلفة مهمة ؛ لأنها جزء من اللغة يحتاج إلى التسجيل ، وأول قاموس مادته من ألفاظ العامة عنوانه :

Eric Partridge لمؤلفه A Dictionary of Slang and Unconventional English وقد ظهر عام ١٩٣٧ م . وهناك قاموس آخر يهتم بالعامية فى أمريكا عنوانه : Harold Wentworth لمؤلفيه A Dictionary of American Slang و Stuart Flexner وقد ظهر عام ١٩٦٠ م .

وهناك بعض الملاحظات التى لاحظها بعض الباحثين ، وهى تتصل بالعامية الإنجليزية ، من أهمها ما يأتى :

ــ تسمى اللهجات العامية فى إنجلترا أشياءَ كريهةً Unpleasant وتأخذ الطبيعة الإنسانية فى التعبير مكانة مهمة .

ــ تمتلك اللغة الإنجليزية المقدرة على الابتكار Invention والخَلْق ؛ فهناك حوالى ٩٤٠ لفظة عامية ؛ بالإضافة إلى بعض التعبيرات وذلك فى أحد المعاجم العامة .

ــ تعيش معظم الكلمات العامية قليلاً لتحل محلها مجموعة أخرى من الكلمات ؛ بالإضافة إلى أن هناك كلمات لا يعرف معناها سوى طبقة خاصة من الناس .

ــ تعطى العامية الفرصة لتناول الكلمات والأفكار وفهمها دون مشقة .

وهناك أنواع أخرى من المعاجم ظهرت فى اللغة الإنجليزية ، وهى تتعامل مع اللغة بطريقة خاصة ، ومنها معجم لهجات الإنجليزية The English Dialect Dictionary الذى وضعه Joseph Wright . وهناك معاجم خاصة بالنحو ، وهى تهتم بالخطأ والصواب ، وتنبه على الطريقة المثالية حين استعمال اللغة ، وهى عبارة عن مجموعة من الأسئلة التى يستطيع مستعمل المعجم التوصل خلالها إلى تلك الطريقة ، ومن ذلك ما يأتى :

— Can a sentence be started with « and » or « but » ? .

— When do you use « bad » and when do you use « badly » ? .

وأول كتاب نُشِرَ فى هذا الفن عام ١٩٦٢ م على يد Margaret M. Bryant .

وهناك قواميس تبين الطريقة الصحيحة فى نطق الكلمات Pronunciation بفونيماتها ونبراتها ، وقواميس تبحث التطور التاريخى لاستعمال الكلمة خلال قصة أو حكاية مثيرة ، ويضم عنوان هذا القاموس مصطلح Etymology ، وهناك قواميس للمترادفات والمشترك وسواهما .

وبعد هذه المحاولة للتعرف على أنواع المعاجم وتطورها فى اللغة الإنجليزية ، يمكن ملاحظة ما يأتى :

— نشأ المعجم فى الإنجليزية بسيطاً يهدف إلى إيراد بعض الكلمات من اللاتينية مع إيراد نظيرها فى اللغة القومية ، وهذا ما يسمى بـ « معاجم الترجمة » .

— أطلق على القوائم التى ضمت تلك الكلمات مصطلح Glossarium ولم تعرف معاجم القرن السادس عشر مصطلح Dictionary ، وإنما استخدمت مصطلحات أخرى ، وأول كتاب استخدم هذا المصطلح ما وضعه Cokeram عام ١٦٢٣ م وعنوانه : The English Dictionary .

— اهتمت المعاجم الأولى بالهجاء Spelling ، وإذا كان القرن السادس عشر هو قرن المعاجم الخاصة باللغات الأجنبية أو معاجم الترجمة ، فإن القرن السابع

عشر هو قرن معاجم الكلمات الصعبة ، وبين عامى ١٧٠٨ و ١٧٢١ م أخذت معاجم تلك الكلمات تحتل مكانتها ، واستطاعت أن تلفِت الأنظار ؛ لأنها اهتمت بالاستعمال الأدبى للكلمات .

ـــ من المعاجم المهمة فى الإنجليزية تلك التى تُعرِّف بنطق الكلمات كما فى النموذج الآتى :

★ A soft C becomes a S as in receive ri - s é v .

★ A hard C becomes a K as in card kard .

وتأتى أهمية تلك المعاجم من أن هناك بعض الأصوات المفردة فى الإنجليزية التى يمكن أن تُنطَق نطقين مختلفين ، ومن ذلك الصوت C ؛ فينطق S أو K حسب الأصوات التى تصاحبه .

ـــ اعتمد الإنجليز فى جمع مادة المعجمية على الصحف والمجلات والأساطير والقانون وغيرها ، وقد يجد المعجميون معانىَ جديدة لكلمات قديمة يتم تسجيلها . والحق أن تحديد المادة بالطريقة السابقة من شأنه توسيع المعجم ، ويجعله يضم كلمات كثيرة من تلك التى تدور على أقلام الصحفيين . والتحديد نفسه غير علمى أو غير لغوى ؛ فقد يؤدى إلى أن يسجل المعجم ما ليس من اللغة .

ـــ من المعاجم التى لم تعرفها العربية تلك التى تهتم بتتبع التطور التاريخى لمعانى الكلمات ، وقد عرفت الإنجليزية ذلك ، ولابد أن تجد فى عنوان المعجم مصطلح Etymology ، ولتلك المعاجم أهمية خاصة ؛ إذ إنها تتتبع التطور فى استعمال الكلمة دلالياً خلال النصوص المختلفة . وقد شرع المستشرق الألمانى أ . فيشر فى علم معجم من هذا النوع للعربية ، ولكنه لم يُتمه ، فأخرج مقدمة مهمة عن المعجم العربى ، وما يجب توافره فى أى معجم من أمور تتصل بالنحو والصرف والدلالة ، وأخرج أيضاً مع المقدمة مادة « أبد » .

ومن المعاجم المهمة فى الإنجليزية تلك التى تهتم بلهجات العوام واستخدامهم للغة ومفرداتها ، وأيضاً تلك التى تهتم ببيان الحروف والأسماء وسواهما فى النصوص الأدبية والمؤلفات وغيرهما .

ـــ المعجم الموضوعى واحد من أنواع المعاجم التى اهتم بالتأليف فيها كبار اللغويين العرب ، وقد أنتج هذا الاهتمام أكثر من معجم موضوعى يحتوى على « مادة لغوية » تفيد فى التعرف على الواقع اللغوى للعربية ، ويشبهه ما صدر بالإنجليزية من القواميس الخاصة بألفاظ الاقتصاد والسياسة والطهى والألعاب الرياضية وغيرها .

وبعد فهذا عرض للمعجم الموضوعى : ماهيته ومعناه ، مع الاهتمام بالتأليف المعجمى عند الغربيين للتعرف على « المعجم الموضوعى » . وقد لاحظنا أن هذا النوع من المعاجم لم يَحْظَ باهتمام ؛ بل لم يؤلفوا فيه كثيراً ، وذلك على نحو ما نجد عند العرب فى المراحل الباكرة من الحياة الفكرية. وهذا الظهور المبكر لفكرة الجمع الموضوعى للألفاظ على نحو ما يتمثل فى « الرسائل اللغوية » يدل على إدراك العرب لبعض وظائف اللغة فى المجتمع ، ومنها أن المتكلم للغة والمستعمل لألفاظها قد يجد فى ذهنه فكرة ولكن محصوله اللغوى لا يسعفه للتعبير عنها ، وهنا يقدم المعجم الموضوعى اللفظ الذى يُعبّر عن تلك الفكرة ، ولم يقدم اللفظ مجرداً ، وإنما قدمه فى سياق ؛ وذلك يساعد على الدقة فى التعبير ، والسهولة فى الحصول على المعنى ، وهو أهم ما فى المعاجم بصفة عامة .

ولكن أين يقع المعجم الموضوعى فى الفكر العربى الحديث ؟

الحق أنه منذ أن وضع ابن سيده معجمه (المخصص) فى منتصف القرن الخامس الهجرى ، نلاحظ أن التأليف الموضوعى ضَحْل ، ووُجّه الاهتمام إلى صناعة المعاجم اللغوية . وقد اضطلع بعض الباحثين بالتأليف الموضوعى ،

نذكر منهم الشيخ إبراهيم اليازجى اللبنانى الذى ألّف معجماً عنوانه : (نجعة الرائد ، وشرعة الوارد ، فى المترادف والمتوارد) ، والأستاذين عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف وألفا معجماً عنوانه : (الإفصاح فى فقه اللغة) .

ويسير هذان المعجمان فى فلك المعاجم القديمة ؛ وذلك من حيث جمع الألفاظ وشرحُها ؛ بل إن العنوان بالنسبة إلى المعجم الأول فيه التأثر بالقدماء من حيث التزام السجع ؛ خاصة قدامة بن جعفر صاحب كتاب (جواهر

الألفاظ) . أما بالنسبة إلى المعجم الثانى فقد اختار مؤلفاه مصطلح « فقه اللغة » ، وهما متأثران فى هذا الاختيار بابن فارس والثعالبى ؛ بالإضافة إلى اختصارهما (المخصص) لابن سيده ، مع إعادة ترتيبه وحذف شواهده .

وقد وُضِعَتْ بعضُ المعاجم الخاصة التى تهتم بجمع ألفاظ علم من العلوم ، مع إعادة ترتيب تلك الألفاظ حسب الصوت الأول ؛ أى إن الترتيب ألفبائى ، ومن تلك المعاجم ما يأتى :

- مصطلحات الاقتصاد السياسى ، وقد أصدره مجمع اللغة العربية عام ١٩٥١ .
- معجم العلوم الاجتماعية ، وأصدر المجمع أيضاً عام ١٣٨٥ هـ ـــ ١٩٦٦ م .
- المعجم الفلسفى ، وهو من إصدارات المجمع كذلك عام ١٣٨٣ هـ ـــ ١٩٦٣ م .

وأسهم « مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى » بالمغرب بجهد مهم فى إصدار بعض المعاجم الخاصة مثل :

- معجم الإدارة العامة .
- معجم الاقتصاد .
- معجم السكر والبنجر .
- معجم السيارة(٣٠) .
- معجم الفقه والقانون ، وقد صدر عام ١٣٨٨ هـ ـــ ١٩٦٩ م .

* * *

وبعد فهذا عرض للمعجم الموضوعي : ماهيته ومعناه ، تبين خلاله أهمية « الرسائل اللغوية » ؛ إذ إنها المصدر الأول فى صناعة المعاجم الموضوعية ؛ لذلك نتوقف أمامها بالدراسة التفصيلية فى الباب الأول .

---

(٣٠) انظر مجلة اللسان العربى : الجزء الأول والثانى ـــ المجلد الحادى عشر ١٣٩٤ هـ ـــ ١٩٧٤ م .

الباب الأول

الرسائل اللغوية فى الموضوعات
حتى نهاية القرن الثالث الهجرى

الفصل الأول

التطور التاريخى للتأليف فى الرسائل اللغوية

تمهيد : دور الأعراب فى الحياة اللغوية :

الأَعْرَابُ هم سكان البادية خاصة ، يتتبعون مساقط الغيث ، ومنابت الكلأ ، والمفرد أَعْرَابِىٌّ . وقد كان لهم دور مهم فى الحياة اللغوية ، حين نتحدث عنه نركز على هؤلاء الذين أُخِذت عنهم اللغة ، ولم يكونوا رواة للشعر ، أو نَقَلَةً للحديث ، أو حَفَظَةً للأنساب ، وإن وُجِدت صفةٌ من تلك الصفات فى أحدهم فهى عارضة ، وليست أساسيةً .

وقد بدأ هذا الدور عندما ربط مؤلفو كتب الطبقات والتراجم نشأة النحو بـ « اللَّحْن » حين سماع بعض الأعراب لقراءة إحدى الآيات الكريمة ؛ فيُرْوَى أنه قدم أعرابىٌّ فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فقال : مَنْ يُقرئنى شيئاً ممّا أنزل الله على محمد ﷺ ؟ فأقرأه رجل سورة براءة ، فقال : (أَنَّ الله برىءٌ مِنَ المشركين ورسولِه)[1] بالجر ، فقال الأعرابى : أَوَ قد برىء الله من رسوله ! إن يكنِ الله برىء من رسوله فأنا أبرأ منه ! فبلغ عمرَ — رضى الله عنه — مقالةُ الأعرابى ، فدعاه فقال : يا أعرابىُّ ، أتبرأ من رسول الله ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى قَدِمْتُ المدينةَ ، ولا علم لى بالقرآن ، فسألتُ مَنْ يُقْرِئنى ، فأقرأنى هذا سورة براءة ، فقال : (أَنَّ الله برىء من المشركين ورسولِه) ، فقلت : أو قد برىء الله تعالى من رسوله ! إن يكن بَرِىءَ من رسوله ، فأنا أبرأ منه . فقال له عمر رضى الله عنه : ليس هكذا يا أعرابى ، فقال : كيف هى يا أميَر المؤمنين ؟ فقال : (أَنَّ اللهَ برىءٌ من المشركين ورسولُه)[2] ، فقال الأعرابى : وأنا والله أبرأ ممّن

(١) التوبة /٣ .

(٢) كلمة (رسوله) مرفوعة فى الكتاب العزيز من وجهين ؛ أولهما (رسول) : مبتدأ وخبره محذوف ، والتقدير « ورسوله برىء » ، وتم حذف الخبر لدلالة الأول (برىء) عليه .

بريء الله ورسوله منه . فأمر عمر رضى الله عنه ألاّ يُقرىء القرآنَ إلا عالمٌ باللغة ، وأمر أبا الأسود[3] أن يضع النحو »[4] .

وتدل تلك الرواية على إدراك هذا الأعرابى لما يؤديه جرُّ كلمة (رسوله) إلى دلالة غير مستحبة ، على الرغم مما يقال من أن الأعراب — بصفة عامة — لم يكونوا ليعرفوا مصطلحات النحو ودلالتها فى العلم نفسه ؛ فقد قيل لأحدهم : أتجرُّ فلسطين ؟ قال : إنى إذاً لقوىٌّ ؛ فهو لم يدرك مفهوم الجر . وما يقال أيضاً من عزوف بعضهم عن طلب النحو ؛ فيُروى أن أعرابياً وقف على حلقة أبى زيد الأنصارى ؛ فظن أبو زيد أنه قد جاء يسأل عن مسألة فى النحو ؛ فقال أبو زيد : سَلْ يا أعرابىّ ، فقال على البديهة :

لستُ للنحو جئتُكم   لا ، ولا فيه أرغبُ
أمَا مالى ولامرىءٍ   أبَدَ الدَّهْرِ يُضْرَبُ
خلِّ زيداً لشأنه   أينما شاءَ يذهبُ
واستمعْ قول عاشقٍ   قد شجاه التطرُّبُ
همُّه الدهر طفْلةٌ[5]   فهو فيها يُشبِّبُ[6]

ومما يتصل بدور الأعراب فى الحياة اللغوية الاحتكام إليهم للفصْل فيما ينشأ بين العلماء من خصومات تتصل بالأداء اللغوى لبعض التراكيبِ النحوية من حيث رفعُ كلمة ونصب أخرى ، وحين يحتكمون إليهم لم يكونوا ليسألوهم عن العلة فى هذا الرفع وذاك النصب ، وإنما كانوا يحاولون التعرف على نطقهم لبعض الكلمات من حيث ضبط أواخرها حسب ، والدليل على ذلك الحكاية

والآخر أن كلمة (رسول) : اسم معطوف على الضمير المستتر فى كلمة (برىء) ؛ إذ التقدير : « برىءٌ هو » . وجاز العطف على الضمير المرفوع وإن لم يؤكد ، لوجود الفصل بالجار والمجرور (من المشركين) لأنه يقوم مقامه . ويرى بعض العلماء أن (رسوله) مرفوع بالعطف على موضع (أن) واسمها : (أنّ الله) ، وموضعه الرفع .

(3) هو أبو الأسود الدؤلى المتوفى سنة تسع وستين ، أول من أسس العربية ، ونهج سبلها ، ووضع قياسها ؛ وذلك حين اضطرب كلام العرب ، وصار سَرَاة الناس ووجوههم يلحنون ، فوضع باب الفاعل ، والمفعول به ، والمضاف ، وحروف النصب والرفع والجر والجزم . انظر : طبقات النحويين واللغويين للزُّبَيْدى ص ٢١ .

(4) نزهة الألباء : ص ٨ .

(5) الطفلة : الجارية الناعمة .

(6) نزهة الألباء : ص ١٢٨ .

المشهورة عن « المسألة الزنبورية »[٧] حين عزم يحيى بن خالد البرمكى (ـــ ١٩٠ هـ) على الجمع بين سيبويه والكسائى ، وحين حضر الكسائى قال له : تسألنى أو أسألك ؟ فقال له سيبويه : سلْ أنت ؛ فسأله عن قول العرب : « قد كنت أظن أن العقربَ أشدُّ لسعةً من الزُّنبور فإذا هو هى » وقال أيضاً : « فإذا هو إياها » ، وهذا هو الوجه الذى أنكره سيبويه لما سأله الكسائى ؛ فقال سيبويه حين سأله الكسائى : « فإذا هو هى » ، ولا يجوز النصب (فإذا هو إياها » ، وسأله عن أمثال ذلك نحو : « خرجتُ فإذا عبدُ الله القائمُ ، أو القائمَ » فقال له سيبويه : كل ذلك بالرفع ، فقال الكسائى : العرب ترفع كلّ ذلك وتنصب ، فقال يحيى بن خالد البرمكى : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما ، فمن يحكم بينكما ؟ فقال له الكسائى : هذه العرب ببابك ، قد سمع منهم أهل البلدين (يقصد البصرة والكوفة) ، فيُحضَرون ويُسْألون ، فقال يحيى وجعفر بن يحيى البرمكى (ـــ ١٨٧ هـ) : أنصفتَ ، فأُحْضِروا ، فوافقوا الكسائى ، فاستكان سيبويه ، فأمر له يحيى بعشرة آلاف درهم ، فخرج إلى فارس ، فأقام بها حتى مات ، ولم يعد إلى البصرة[٨] .

والذى يَلْفِتُ النظر أن بعض الأعراب كان يُتَّخذ مصدراً للحكم على الخصائص اللغوية للهجات التى كانت سائدة فى شبه الجزيرة العربية ؛ بالإضافة إلى أنهم المصدر الأساسى فى معرفة تلك الخصائص ؛ فقد كان هناك رجلان من أعراب البصرة بلغا الذروة من الثقة هما : أبو مهدى أو مهدية محمد بن سعيد ابن ضمضم شاعر فصيح كان علماء زمانه يأخذون عنه لهجة أهل الحجاز ، والمُنْتجع بن نبهان أخذ عنه علماء زمانه لهجة تميم ، وقد ورد ذكرهما فى الحديث عن الاختلاف فى رفع كلمة « المسك » ونصبها فى قولهم :

ليس الطيبُ إلاَّ المِسْك

---

(٧) مغنى اللبيب : ١٢١ ـــ ١٢٣ ويعرِّف (المعجم الوسيط : ١ / ٤٠٢) تلك المسألة بقوله : « مسألة حتلف فيها الكسائى وسيبويه ، وهى قولهم : كنت أظن أن العقرب أشد لدغة من الزنبور ، فإذا هو هى أو هو إياها » . والزُّنبار : حشرة أليمة اللسع ، من الفصيلة الزنبورية واحدته زنبارة ، ويجمع على زنابير .

(٨) هناك بعض التعليقات على تلك الرواية نجدها فى (المغنى) لابن هشام ؛ فقال : إن العرب قد رُشوا على ذلك ، أو إنهم علموا منزلة الكسائى عند الرشيد ، ويقال : إنهم إنما قالوا : القول قول الكسائى ، ولم ينطقوا بالنصب . وإن سيبويه قال ليحيى : مُرْهم أن ينطقوا بذلك ؛ فإن ألسنتهم لا تطوع به

قال ابن هشام حين حديثه عن « ليس » واستعمالاتها فى الجملة العربية . « أن يقترن الخبر بعدها (يقصد خبر ليس) بـ « إلا » نحو « ليس الطيبُ إلا المسكُ » بالرفع ؛ فإن بنى تميم يرفعونه حملاً لها على « ما » فى الإهمال عند انتقاض النفى ، كما حمل أهل الحجاز « ما » على « ليس » فى الإعمال عند استيفاء شروطها ، حكى ذلك عنهم أبو عمر بن العلاء ، فبلغ ذلك عيسى بن عمر الثقفى فقال : يا أبا عمرو ما شىء بلغنى عنك ؟ ثم ذكر ذلك له ، فقال له أبو عمرو : نِمْتَ وأدلج الناسُ ، ليس فى الأرض تميمى إلا وهو يرفع ، ولا حجازى إلا وهو ينصب ، ثم قال لليزيدى[9] ولخلف الأحمر : اذهبا إلى أبى مهدى فلقناه الرفع فإنه لا يرفع ، وإلى المُنْتَجِع التميمى فلقناه النصب فإنه لا ينصب ، فأتياهما وجهدا بكل منهما أن يرجع عن لغته (أى لهجته) فلم يفعل ؛ فأخبرا أبا عمرو عنده عيسى ، فقال له عيسى : بهذا فُقْتَ الناس »[10] .

وتدل تلك الرواية على تمسك كلا الأعرابيين بلهجته التى جُبل عليها ؛ لذلك لم يستطع أىٌّ من اللغويَيْن أن ينجح فى تلقينهما غير ما تعودّا عليه . ولهذا صلته بما فى الدرس اللغوى من توقف أمام « المتحدث الفطـرى » Native speaker الذى ينطق دون تفكير أو تصنُّع . ونجد مثل هذا التمسك باللهجة التى جُبل عليها ابنُ اللغة خلال تلك اللقاءات التى كانت بين ابن جنى وأبى عبد الله الشَّجرى ؛ فقد سأله ابنُ جنى يوماً : كيف تجمع دُكّاناً ؟ فقال : دكاكين ، قلت : فسِرْحاناً ؟ قال : سراحين ، قلت : فقُرْطاناً ؟[11] قال : قراطين ،قلت : فعثمان ؟ قال : عثمانون ، فقلت له : هَلاّ قلت أيضاً عثامين ؟ قال : أَيْش عثامين ! أرأيْتَ إنساناً يتكلم بما ليس من لغته ، والله لا أقولها أبداً »[12] .

ونستمر فى مواصلة التعرف على جهود الأعراب فى الحياة اللغوية ؛ خاصة حين كان الرواة يعتمدون عليهم فى مجال ضبط الكلمات ؛ فنجد رواية تقول

(9) أبو محمد يحيى بن المبارك (ــ ٢٠٢ هـ) ، وإنما قيل له اليزيدى ؛ لأنه صحب يزيد بن منصور ــ خال المهدى ــ يؤدب ولده فنسب إليه ؛ ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدب المأمون

(10) المغنى : ٣٨٧ ــ ٣٨٨

(11) هون ما يكون تحت السرج

(12) الخصائص ١ / ٢٤٢

إن أبا عمرو بن العلاء سأل أبا خيرة (نهشل بن زيد من بنى عدى) عن قولهم : استأصلَ اللهُ عَرْقَاتِهم ؛ فنصب أبو خيرة التاء من « عَرْقاتهم »، فقال له أبو عمرو : هيهات يا أبا خيرة ! لان جلدُك ! وذلك أن أبا عمرو استضعف النصب ؛ لأنه كان قد سمعها منه بالجر[١٣] ، ولكن أبا عمرو كان يروى الكلمة بالنصب والجر معاً .

والأعراب مصدر من المصادر الأساسية التى اعتمد عليها اللغويون فى التعرف على دلالة الألفاظ ، وربما يفسر الأعرابىُّ اللفظَ بما هو أشدُّ غرابةً منه ؛ فقد قال أبو زيد الأنصارىُّ : قلتُ لأعرابى : ما المتكأكىء ؟ قال : المتآزِف ، قلتُ : والمتآزف ؟ قال : المُحْبَنطىء ؟ قلت : وما المحبنطىء ؟ قال : أنت أحمق ؛ ومضى وتركنى »[١٤] .

وقيل للمنتجع بن نبهان — أو لأبى مهدية : ما النَّضْنَاض ؟ فأخرج طرف لسانه وحركه ! وقيل له : ما الدَّلَنْظَى ؟ فزَحَرَ وتقاعس وفرج ما بين مَنْكِبَيْه[١٥] .

وكان اللغويون يسألون الأعراب عن اشتقاق الكلمات ؛ فقد سُئِل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق « الخيل » ، فلم يعرف ، فمرَّ أعرابى مُحْرِم[١٦] ، فأراد السائل سؤال الأعرابى ، فقال أبو عمرو : دَعْنِى ، فأنا ألطف بسؤاله وأعرف ، فسأله ، فقال الأعرابى : اشتقاق الاسم من فعل المُسمَّى . فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابى ، فسألوا أبا عمرو عن ذلك ، فقال : ذهب إلى الخُيَلاء التى فى الخيل والعُجْب ؛ ألا تراها تمشى العِرَضْنَة خُيلاءً وتكبُّراً ![١٧] .

وإذا كان للأعراب هذا الدور فى الحياة اللغوية ، فإن هناك بعض الأعرابيات اللاتى كان الرواة يلجأون إليهن ؛ فقد أخبر عمر بن خالد العثمانى ،

---

(١٣) نزهة الألباء : ٢٦ . والعَرْقاة : الأصل ، وأصل الشجر الذى يذهب فى الأرض سفلاً وتتشعب منه العروق . وحين النصب لكلمة « عرقاتهم » يجعلونها مفردة مؤنثة ، وحين الكسر تكون جمعاً لـ « عِرْق » .

(١٤) نزهة الألباء : ١٢٦ ، وقد علّق السيرافى على دلالة الألفاظ الثلاثة بقوله : « وذلك كله القصير » .

(١٥) البيان والتبيين : ٢ / ٢٢٢ .

(١٦) محرم : لم يخالط أحداً من أهل الحضر .

(١٧) طبقات النحويين واللغويين : ٣٥ و ٣٦

قال : قَدِمتْ علينا عجوز من بنى مِنْقَر ، تكنى أم الهيثم ، فغابتْ عنا ، فسأل أبو عبيدة عنها ، فقالوا : إنها عليلة ، قال : فهل لكم أن نأتيَها ؟ قال : فجئناها فاستأذنَّا عليها ، فأذنت لنا وقالت : لِجُوا . فولجناها فإذا عليها بُجُد وأهدام ، وقد طرحتْها عليها ، فقلت : يا أم الهيثم ، كيف تجدينك ؟ قالت : أنا فى عافية ، قلنا : وما كانت علتك ؟ قالت : كنت وَخْمى بِدكَة[١٨] ، فشهدت مأدُبة ، فأكلتُ جُبْجُبة[١٩] من صفيف[٢٠] هِلَّعة[٢١] ، فاعترتنى زُلْخة[٢٢] ، فقلنا لها : يا أم الهيثم ؛ أى شيء تقولين ؟ فقالت : أو للناس كلامان ! ما كلمتكم إلا الكلام العربى الفصيح ؛[٢٣] .

وكان الأعراب يعلّمون الصبية فى بعض المدن ؛ فأبو البيداء الرياحى (أسعد بن عصمة) زوج أم أبى مالك عمرو بن كركرة نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان فيها بأجر ، وأقام بها عمره ، وكان له راوية هو أبو عدنان ، أو أبو عبد الرحمن عبد الأعلى ، وكان شاعراً ذكر له ابن النديم قوله :

قال فيها البليغُ ما قال ذو العىّ وكلٌّ بوصفها منطيقُ
وكذاك العدوّ لم يعد قـذْ قال جميلاً كما يقول الصديقُ

وأبو زياد الكلابى (يزيد بن عبد الله بن الحر) قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناسَ المجاعةُ ، ونزل قطيعة العباس بن محمد ، فأقام بها أربعين سنةً ، وبها مات . وذكر ابن قتيبة أن أبا زياد أتى مع أعراب سنة القَحْمة[٢٤] ، فأجرى عليهم رجل رغيفاً لكل رجل ، ثم قطعه ، فقال أبو رياد :

إنْ يَقطَعِ العباسُ عنّى رَغيـفه فما يأتنى مِنْ نعمة الله أكبرُ[٢٥]

وأبو الجاموس (ثور بن يزيد) وفد البصرة على آل سليمان بن على ، وعنه أخذ ابن المقفع الفصاحة والبيان .

---

(١٨) بدكة تشتهى الودك ، وهو دسم اللحم .
(١٩) الجبجبة الكرش يجعل فيه اللحم يتزود به فى الأسفار
(٢٠) الصفيف : ما يصف من اللحم .
(٢١) الهلعة : العناق .
(٢٢) الزلخة : وجع يعرض فى الظهر .
(٢٣) المزهر : ٢ /٥٣٩ و ٥٤٠ .
(٢٤) القحمة : القحط .
(٢٥) عيون الأخبار : ٣ /١٥٧

وأبو خيرة (نهشل بن زيد من بني عدى) دخل الحيرة أيضاً ، وكان ضنيناً بعلمه ، يمنحه بأجر أو يعتل .

ووفد أبو شبل العقيلي على الرشيد ، واتصل بالبرامكة .

وحضر أبو مسحل (عبد الوهاب بن حريش) إلى بغداد ، وافداً على الحسن بن سهل ، وكانت له مع الأصمعي بعض المناظرات ، وهو يمثل الصورة الحضرية للأعراب ؛ فقد وقف على حلقات العلم ، ويسمع ما يدور فيها ، ويلازم الكسائي فيأخذ عنه النحو ، ويبدو أنه أصبح من المقربين إليه .

ووفدأبو ضمضم الكلابي (سعيد بن ضمضم) على الحسن بن سهل أيضاً ، وقد مدحه بالكثير من الأشعار ، ومن قصائده الحسان فيه قصيدة مطلعها :

سقياً لحيٍّ باللّوى عهدتهم منذ زمان ثم هذا عهدهم (٢٦)

وهناك آخرون من الأعراب ظلوا في البادية ، واستمسكوا ببداوتهم ؛ منهم أفَّار بن لقيط الذى يقال إنه جلس على زبالة عالية ، واجتمع إليه أصحابه يأخذون عنه ؛ وأبو مالك عمرو بن كركرة كان يُعَلِّم بالبادية ، ويورّق في الحضر ؛ وأبو ثروان العكلي وكان يعلّم في البادية أيضاً .

وبعد هذا الحديث عن دور الأعراب في الحياة اللغوية ، نشير إلى أن لهم دوراً رائداً في مجال التأليف في الرسائل اللغوية التى تُعَدُّ أساس المعاجم الموضوعية ؛ فقد نسب ابن النديم إلى كثيرين منهم بعض هذه الرسائل ، وهي التى كتب حول موضوعاتها روّادُ الجمع اللغوى ؛ فأبو زياد الكلابي وضع عدة رسائل لغوية أهمها « الفَرْق » و « الإبل » و « خلق الإنسان » ، وله كتاب في « النوادر » اعتمد عليه ياقوت الحموى في (معجم البلدان) . ولأبي خيرة كتاب في « الحشرات » يعد الأساس في تحديد موضوع كتب الحشرات سوف نتوقف أمام ما يعنيه به فيما بعد . ولأبي ثروان العكلي كتاب حول « خلقَ الإنسان » ؛ وقد كتب حول هذه الموضوعات التى طرقها هؤلاء

---

(٢٦) اهتم ابن النديم في كتابه (الفهرست) بفصحاء الأعراب ، فترجم لهم ، وعرّف بالرسائل اللغوية التى وضعوها ، وعرض لما كان بينهم وبين الرواد الأوائل من مناظرات ولقاءات . وتوقف أيضاً أمام هؤلاء الأعراب الذين وفدوا على بعض المدن كالبصرة وبغداد ، ومن اتصل منهم بالخلفاء والأمراء .

الأعراب روادُ الجمع اللغوى ؛ لأنهم أخذوا عنهم ، فقد قال الأموى (عبد الله ابن سعيد) : « دخلنا على أبى ثوابة الأسدى ، فقال : ما جاء بكم ، ما عندى طعام مَشْنَق(٢٧) ، ولا حديث مُونق » . وأخذ الأصمعى عن أبى الخطاب (عمرو بن عامر البهدلى) وجعله حجة وروى شعره .

وكانت موضوعات الكتب التى وضعها الأعراب ـــ على نحو ما بيَّنا ـــ تدور حول الإبل والخيل وخلق الإنسان والحشرات والفرق وسواها ، ومن هنا كان لهم دور مهم من ناحيتين ؛ الأولى وضع أسس الموضوعات التى دار حولها جمع اللغة العربية من بطون البوادى ، والأخرى أنهم المصدر الأول فى جمع الألفاظ .

ولكن ما أقدم الموضوعات التى دارت حولها الرسائل اللغوية ؟ الحقيقة أن أقدم الموضوعات كان يدور حول « الحشرات » ، وينسب إلى أبى خيرة الأعرابى الذى روى عنه أبو عمرو بن العلاء (ـــ ١٥٤ هـ) بداية التأليف فيه ، وقد تلاه بعض اللغويين فى وضع رسائل حول هذا الموضوع ، وقبل ذكر أولئك نشير إلى مفهوم كتب الحشرات . قال أبو خيرة : « حشرة الأرض : الدَّواب الصغار منها اليربوع والضبّ والقُنفذ والفأرة والزبابة والجرذ والحرباء والعظاية وأم حُبَيْن والعَضْرَفُوط والطحن وسام أبرص والدساسة ، وهى العَنَمَةُ ، والشقذان والثعلب والهر والأرنب . وقيل : الصيد أجمع حشرة ما تعاظم منه أو تصاغر ، وما أُكل من الصيد فهو حشرة » . ويضيف أبو حاتم السجستانى : « وقيل : الطير أيضاً من الحشرة ، وقيل : الحشرة ما أُكل من بقل الأرض نحو الدعاع والفثّ »(٢٨) . ومن هنا فكتب الحشرات لم تكن مقصورة على المعنى الشائع لهذه الكلمة ؛ بل شملت كلَّ ما رأته العربُ من الزواحف والهوام ، وجعل أبو حاتم الطير من الحشرات .

وبهذا المفهوم فإننا نجد فى موضوع « الحشرات » الكتب الآتية :

١ـــ النحلة لأبى عمرو الشيبانى (ـــ ٢٠٦ هـ) .
٢ـــ الحيوان والبازى والحمام والحيات والعقارب لأبى عبيدة (ـــ ٢١٠ هـ) .

(٢٧) الطعام المشنق : العجين الذى يقطع ويعمل بالزيت .

(٢٨) المخصص : ٨ / ٩١ .

٣ــ النحلة للأصمعي (ــ ٢١٣ هـ) .
٤ــ الذباب لابن الأعرابى (ــ ٢٣١ هـ) .
٥ــ الجراد والطير لأحمد بن حاتم (ــ ٢٣١ هـ) .
٦ــ الجراد والحشرات والنحل والعسل والطير لأبى حاتم السجستانى (ــ ٢٥٥ هـ) .
٧ــ الحشرات لأبى الأعلى هشام بن إبراهيم الكرمانى أحدِ تلاميذ الأصمعى .
٨ــ النحل لأبى عبد الله الزبير بن بكّار (ــ ٢٥٦ هـ) .
٩ــ النعم والبهائم والوحوش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض ويُنْسَبُ إلى ابن قتيبة (ــ ٢٧٠ هـ) .

وقد وضع أبو مالك عمرو بن كركرة كتابين حول « خلق الإنسان » و « الخيل » ، وكان ذلك بداية لأن يضع آخرون كتباً حول هذين الموضوعين . وقد حفظ ثابت بن أبى ثابت أحد علماء القرن الثالث الهجرى نصوصاً من كتاب أبى مالك فى « خلق الإنسان » ، وهى تبين أن هذا اللغوى القديم استطاع وضع أسس الموضوعات التى دارت حولها كتب خلق الإنسان ، ومن تلك النصوص قوله : « فى الرأس أربع قبائل ؛ أى أربع قطع ، فمن قبل الجبهة واحدة ، ومن قِبَلِ القفا واحدة ، وثنتان فى ناحيتى الرأس . وتجمع بين أعاليهن الشُّئون ، وهى شبيهةٌ بِشَعْبِ القَدَحِ والإناء » .

وقال أبو مالك : « الفَوْدانِ والحَيْدَان والمِذْرَوَان والمِلْطَاطَان كلُّ هذا ناحيتا الرأس ، قال غيلان من بنى ربيعة بن مالك بن زيد بن تميم :

تُمْتَلِخُ العينين بانتشاطِ ... وفروةَ الرأس عن المِلْطاطِ(٢٩)

وتلك مجموعة من الكلمات المترادفة فى حالة التثنية تدل على « ناحيتى الرأس » . وقال أبو مالك : « والأذنان يقال لهما : الأُنْثَيَانِ ، قال الفرزدق :

وكُنَّا إذا القيسىُّ صعّر خدَّه ... ضربْناه تحت الأُنْثيين على الكَرْدِ(٣٠)

وقال أبو مالك : « وتحت الصدر الأضلاعُ ثنتا عشرة ضلعاً ، فى كل شقٍّ ستٌّ أصولُها مركبة فى الصُّلْب ، وأطرافها الأُخَرُ مركبة فى الشراسيف ، وهى

(٢٩) الامتلاخ : الاقتلاع .
(٣٠) الكرد : العنق .

عظام لينة شبيهة بالعصب ، عَرْضُها قَدْرُ إصبعين أو ثلاث ، وهى مما يلى المَعِدَةَ ، ويقال لتلك الأضلاع : الجوانحُ ، ويقال لضِلَعٍ منها : الرُّخْبَى ، وهو موضع بين ضِلْعين يُكْوَى من النُّحَازِ ، والنحاز : سعال يأخذ الإبل ، وهو السُّل ، قال الشاعر :

طعنتُ به مجامعَ رُخْبَيَيْـه فخرَّ كأنه سيفٌ صقيلُ

وتحت الأضلاع ضِلَعٌ قصيرة مما يلى الخاصرة ، يقال لها ؛ القُصَيْرَى »[٣١] .

وهناك نصوص أخرى كثيرة نقلها ثابت بن أبى ثابت عن أبى مالك عمرو بن كركرة ، تدل على الدور الرائد لأبى مالك فى موضوع « خلق الإنسان » ؛ لذلك توالت الكتب التى تدور حول هذا الموضوع ، بعد أن وضع أبو مالك تفصيلات النقاط التى تعرض لها وتهتم بها ؛ فكتب فيها أبو عمرو الشيبانى (ـــ ٢٠٦ هـ) ، وأبو عبيدة (ـــ ٢١٠ هـ) ، والأصمعى (ـــ ٢١٣ هـ) ، وأبو زيد الأنصارى (ـــ ٢١٥ هـ) ، وابن الأعرابى (ـــ ٢٣١ هـ) ، وعرض لها أبو عبيد القاسم بن سلام (ـــ ٢٢٤ هـ) فى معجمه الموضوعى (الغريب المصنف) ، وابن السكيت (ـــ ٢٤٤ هـ) فى معجمه الموضوعى (الألفاظ) . ونجد « خلق الإنسان » لثابت بن أبى ثابت فى نهاية القرن الثالث الهجرى .

وكتب أبو مالك عمرو بن كركرة حول « الخيل » ، وتلته رسائل لغوية حول هذا الموضوع ، ولكن اختلفت الأسماء والمسميات ؛ فهناك « خلق الفرس » لقطرب[٣٢] والأصمعى وثابت بن أبى ثابت ، و « الخيل » لأبى عبيدة والأصمعى وابن الأعرابى وأبى مُحلِّم الشيبانى (محمد بن سعد ـــ ٢٤٨ هـ) وأبى عمرو بن أبى عمرو الشيبانى والرياشى (أبى الفضل العباس بن الفرج ـــ ٢٥٧ هـ) . وعرض الثورى (عبد الله بن محمد بن هارون) للخيل وسبقها وأنسابها وشياتها وغرتها وأضمارها ومَنْ نُسِبَ إلى فرسه . واهتم بها هشام بن محمد بن السايب بن بشر المعروف بابن الكلبى (ـــ ٢٠٦ هـ) وعرض لأنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام . أما المدائنى

(٣١) خلق الإنسان : ٤٨ و ٥١ و ٩٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ .

(٣٢) هو أبو على محمد بن المستنير البصرى المعروف بـ « قُطْرب » ، أحد العلماء باللغة والنحو ، أخذ عن سيبويه وعن جماعة من علماء البصرة ، وسُمِّى قطرباً ، لأن سيبويه كان يخرج فيراه بالأسحار على بابه فيقول : إنما أنت قطربُ ليل . والقطرب دويبة تدب ولا تفتر .

(الحارث بن أبي أسامة ـــ ٢١٥ هـ) فقد عرض للخيل والرهان الذى كان يدور حولها فى الجاهلية .

وهناك بعض اللغويين الذين لم يضعوا كتباً حول الخيل ، ولكن فى بطون المعاجم الموضوعية مرويات تُنسَبُ إليهم ، منهم الكسائى (أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله ـــ ١٩٧ هـ) فقد أخذ عنه الثعالبي قوله فى أوصاف الفرس بالكرم والعتق ، وهو : « إذا كان (الفرس) كريم الأصل رائع الخَلْق مستعداً للجرى والعَدْو فهو عتيق وجواد ، فإذا استوفى أقسام الكرم وحسن المنظر والمخْبَر فهو طِرْف وعُنْجوج ولُهْموم ، فإذا لم يكن فيه عرقٌ هجينٌ فهو مُغْرِب »(٣٣) .

وافتتح آخرون من الأعراب التأليف فى موضوعات دارت حولها الرسائل اللغوية ، ونذكر هنا ما كتبه أبو زياد الكلابى وأبو السمح الطائى حول « الإبل » ، وألّف بعض اللغويين فى هذا الموضوع مع إضافة موضوعات أخرى حول بعض الحيوانات ؛ فوضع أبو عبيدة كتاب « الإبل » ، وللأصمعى مجموعة من الكتب حول « الإبل » و « الشاء » و « الوحوش » ، وضمّ أبو زيد الأنصارى « الإبل والشاة » معاً ، وعرض الأخفش(٣٤) المجاشعى (أبو الحسن سعيد بن مسعدة ـــ ٢١٦ هـ) للغنم وألوانها وعلاجها وأسبابها . ولكل من أحمد بن حاتم والرياشى وأبى حاتم السجستانى كتاب حول « الإبل » .

ومن الموضوعات التى بدأ التأليف فيها مبكراً « الأنواء »(٣٥) ، ويعنون به تحديدمواقع النجوم ، حتى يمكن معرفة مواعيد سقوط الأمطار وهبوب الرياح ، وهو موضوع نابع من البيئة ، وأول من كتب فيه أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسى العجلى (ـــ ١٩٥ هـ) . وقد حصر ابن النديم تحت عنوان : « تسمية الكتب المؤلفة فى الأنواء »(٣٦) أسماءَ اللغويين الذين ألفوا فى

(٣٣) فقه اللغة وسر العربية : ٢٣٧ .

(٣٤) الأخفش فى اللغة : الصغير العينين مع سوء بصرهما ، وهو لقب أُطلق على جماعة من كبار العلماء فى اللغة والنحو أشهرهم : الأخفش الأكبر (عبد الحميد بن عبد المجيد ـــ ١٧٧ هـ) والأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة ـــ ٢١٥ هـ) ، والأخفش الأصغر (على بن سليمان ـــ ٣١٥ هـ) .

(٣٥) الأنواء جمع نوْء : النجم إذا مال للغروب ، والمطر الشديد .

(٣٦) الفهرست : ١٣٠ .

الموضوع مع ذكر كتبهم ، وهم : « كتاب الأنواء للأصمعي ، كتاب الأنواء لأبى محلم ، كتاب الأنواء لقطرب ، كتاب الأنواء لابن الأعرابى ، كتاب الأنواء للمبرد ، كتاب الأنواء لابن قتيبة ، كتاب الأنواء لأبى حنيفة الدينورى » . وهم من علماء القرن الثالث الهجرى ، وقد أضاف إليهم آخرين من القرن الرابع .

وفى بداية القرن الثالث الهجرى بدأ التأليف فى موضوع الصفات ، وأهم من كتب فيه النضر بن شميل (ـــ ٢٠٣ هـ) وقطرب والأصمعى . وموضوع الصفات هذا شامل لعدة موضوعات ، أفردتها الرسائل اللغوية بالحديث . وكتب اللغويين الثلاثة مفقودة ، ولكن ابن النديم احتفظ بوصف دقيق لمحتويات كتاب النضر ، وهو يقع فى خمسة أجزاء :

الجزء الأول : يحتوى على خلق الإنسان والجود والكرم وصفات النساء

الجزء الثانى : يحتوى على الأخبية والبيوت وصفة الجبال والشّعاب والأمتعة .

الجزء الثالث : للإبل فقط .

والجزء الرابع : يحتوى على الغنم والطير والشمس والقمر والليل والنهار والألبان والكمأة والآبار والحياض والأرشية والدلاء وصفة الخمر .

الجزء الخامس : يحتوى على الزرع والكرم والعنب وأسماء البقول والأشجار والرياح والسحاب والأمطار وكتاب السلاح وكتاب خلق الفرس[٣٧] .

وقد قيل إن أبا عبيد القاسم بن سلام أخذ كتابه (الغريب المصنف) من كتاب (الصفات) للنضر بن شميل ، وقال بهذا الرأى معظم واضعى كتب الطبقات والتراجم ، والأصل فى هذا قول ابن النديم : « كتاب الصفات وهو كتاب كبير ، ويحتوى على عدة كتب ، ومنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام كتابه : غريب المصنف » . والرأى عندنا أن أبا عبيد اعتمد فى صناعة معجمه على أسلوب « الرواية » ؛ إذ إنه روى عن معظم اللغويين الذين عاصرهم أو سبقوه قليلاً ، ونذكر منهم أبا عمرو الشيبانى والأصمعى وأبا عبيدة وأبا زيد الأنصارى . وقد جمع مرويات أولئك وصنفها وأحسن تبويبها فى (الغريب

(٣٧) السابق : ٧٧

المصنف) . ثم إن كتاب أبى عبيد أشمل من حيث موضوعاته وأعمُّ ، من كتاب النضر ، والكتاب مفقود ، ولولا ذلك لأمكن عقد مقارنة بينه وبين (الغريب المصنف) لتوضيح التأثر والتأثير بين العملين ؛ أما معجم أبى عبيد فهو بين أيدينا(٣٨) ، وعماد مؤلفه فيه أسلوب الرواية عن كبار الأئمة .

وهناك موضوع اهتم به الروّاد الأوائل ، وهو ما عُرِفَ باسم « معانى الشعر » أو « المعانى » ، والذين ألفوا فيه هم :

١ ــ المفضل الضبى (ــ ١٧٠ هـ) وله معانى الشعر .
٢ ــ أبو فيد مؤرج السدوسى (ــ ١٩٥ هـ) وله المعانى .
٣ ــ ابن كناسة (ــ ٢٠٧ هـ) وله معانى الشعر .
٤ ــ الأصمعى (ــ ٢١٣ هـ) وله معانى الشعر .
٥ ــ الأخفش المجاشعى (ــ ٢١٥ هـ) وله معانى الشعر .
٦ ــ أحمد بن حاتم (ــ ٢٣١ هـ) وله معانى الشعر .
٧ ــ ابن الأعرابى (ــ ٢٣١ هـ) وله معانى الشعر .
٨ ــ أبو العميثل عبد الوهاب بن خليد (ــ ٢٤٠ هـ) وله معانى الشعر .
٩ ــ ابن السكيت (ــ ٢٤٤ هـ) وله معانى الشعر الكبير ومعانى الشعر الصغير .
١٠ــ ابن قتيبة (ــ ٢٧٠ هـ) وله معانى الشعر الكبير .

ولم يصل إلينا من تلك الكتب سوى الأخير منها .

وهناك بعض الموضوعات التى اختص بها بعض اللغويين ، فكتب قطرب والأخفش والأصمعى فى « الأصوات » ، وكتب ابن الأعرابى فى « البئر » ، وكتب ابن الكلبى فى « السيوف » .

وبعد فإن مؤلفى الرسائل اللغوية حتى نهاية القرن الثالث الهجرى كثيرون ، وتنوعت موضوعات تلك الرسائل ، حتى إنها شملت كثيراً من مظاهر الحياة داخل شبه الجزيرة العربية ، وقدمت أوصافاً لبعض مظاهر تلك الحياة مع بيان الأساسيات التى اعتمد عليها العرب فى معيشتهم . ولما كانت هذه الرسائل قد تنوعت وكثر مؤلفوها فإنه من الأجدى حصر أشهر الموضوعات التى تم التأليف فيها فى جداول تشتمل على التأليف فى خلق الإنسان ، والإبل والنعم

(٣٨) توجد منه عدة نسخ خطية ، وقد اعتمدنا فى دراستنا له على نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢ لغة ش) .

والشاء ، وخلق الفرس والخيل وخلق الخيل وأسماء الخيل ، والصفات ، والمعانى أو أبيات المعانى ، والظواهر الطبيعية كالمطر والأنواء والبرق والرعد ، والنبات والشجر والنخل والكرم ، والسرج واللجام والقوس والسيف ، والرحل والمنزل ، وهى على النحو الآتى :

خلق الإنسان	الإبل والنّعم والشاء	خلق الفرس والخيل وخلق الخيل وأسماء الخيل
أبو مالك عمرو بن كركرة .	أبو زياد الكلابى .	أبو مالك عمرو بن كركرة .
أبو زياد الكلابى .	النضر بن شميل .	قطرب .
أبو السمح .	أبو عبيدة .	النضر بن شميل .
قطرب .	أبو زيد .	أبو عبيدة .
النضر بن شميل .	الأصمعى .	الأصمعى .
أبو عمرو الشيبانى .	الأخفش المجاشعى .	الرياشى .
أبو ثروان العكلى .	أحمد بن حاتم .	ابن الأعرابى .
أبو محلم الشيبانى .	الرياشى .	ابن الكلبى .
أبو عبيدة .	أبو حاتم السجستانى .	أبو محلم الشيبانى .
أبو زيد .	ابن السكيت .	عمرو بن أبى عمرو الشيبانى .
الأصمعى .		أبو الأعلى هشام بن إبراهيم الكرمانى .
أبو حاتم السجستانى .		أحمد بن حاتم .
ثابت بن أبى ثابت .		ثابت بن أبى ثابت .
(١)	(٢)	(٣)

الصفات	المعانى أو أبيات المعانى	الظواهر الطبيعية كالمطر والأنواء والبرق والرعد
النضر بن شميل .	المفضل الضبى .	مؤرج السدوسى .
قطرب .	مؤرج السدوسى .	قطرب .
الأصمعى .	ابن كناسة .	الأصمعى .
	الأصمعى .	أبو زيد .
	الأخفش المجاشعى .	أبو محلم الشيبانى .
	أحمد بن حاتم	محمد بن يزيد المبرد .
	ابن الأعرابى .	أبو اسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادى .
	أبو العميثل .	ابن الأعرابى .
	ابن السكيت .	ابن السكيت .
	ابن قتيبة .	ابن قتيبة .
		أبو حنيفة الدينورى .
(٤)	(٥)	(٦)

النبات والشجر والنخل والكرم	السرج واللجام والقوس والسيف	الرحل والمنزل
الأصمعى .	هشام الكلبى .	الأموى (عبد الله بن سعيد) .
أبو زيد .	أبو عبيدة .	أبو عبيدة .
أبو حاتم السجستانى .	أبو حاتم السجستانى .	الأصمعى .
ابن الأعرابى .	ابن السكيت .	سعدان بن المبارك .
الكرمانى .		
ابن السكيت .		
أبو حنيفة الدينورى .		
(٧)	(٨)	(٩)

وبعد هذا العرض للتطور التاريخى للتأليف فى الرسائل اللغوية ، نتوقف أمام المصادر التى اعتمدت عليها تلك الرسائل فى تحديد موضوعاتها، وهو موضوع الفصل التالى .

الفصل الثانى

مصادر موضوعات الرسائل اللغوية

بعد هذا العرض لموضوعات الرسائل اللغوية وأهم مؤلفيها ، نتوقف أمام المصادر التى حددت تلك الموضوعات، والذى دفعنا إلى ذلك ما لاحظناه من أن عناوين الرسائل اللغوية كالنبات والشجر والنخل والكرم والمطر ، والألفاظ التى وردت فيها ، لها مثيل فى القرآن الكريم . وكانت بعض الموضوعات نابعة من طبيعة الحياة فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ؛ إذ اعتمد العربى فى حياته على مجموعة من الحيوانات كالخيل والإبل والشاء ، واعتمد على الرحلة من مكان إلى مكان بحثاً عن مصادر للمياه وموارد للكلأ ، وكانت هناك رسائل تدور حول البئر والمطر ومصادر المياه بصفة عامة . ومعظم الألفاظ التى وردت فى الرسائل كان لها نظير فى الشعر العربى القديم ، وليس أدل على ذلك من الأوصاف التى عقدها امرؤ القيس فى شعره وتدور حول الفرس ، وكانت هذه الأوصاف وتلك الأشعار مما دار كثيراً فى الرسائل اللغوية ؛ خاصة « الخيل » لأبى عبيدة ، وما ورد فى (المعانى الكبير) لابن قتيبة حول الخيل . ومن هنا نستطيع أن نحصر هذه المصادر فيما يأتى :

١ ـــ القرآن الكريم .

٢ ـــ الحياة العربية فى شبه الجزيرة .

٣ ـــ الشعر العربى .

ونعرض لتلك المصادر الثلاثة بالتفصيل ، مع ربطها بموضوعات الرسائل اللغوية .

— ١ —

القرآن الكريم

حين النظر فى أسماء سور القرآن الكريم نجد من بينها (الأنعام) و (الرعد) و (النحل) و (النمل) و (العنكبوت) و (النجم) و (القمر) و (الإنسان) و (الفجر) و (الشمس) و (الليل) . وكان بعض هذه الأسماء ضمن الرسائل اللغوية ، وبعضها الآخر ضمن معاجم الموضوعات ، كما كانت ألفاظ هذه السور ضمن ألفاظ الرسائل والمعاجم ؛ بحيث يمكن استخدام تلك الألفاظ لشرح بعض الآيات الكريمة . فقد ذكر العلى القدير آيات كريمة حول بعض الظواهر الطبيعية ، ومن هذا قوله تعالى : (ألم تَرَ أن الله يُزجى سحاباً ثم يؤلّف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الوَدْق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ فيصيب به من يشاء ويَصْرِفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)[١] .

وقد ذكر الله — سبحانه وتعالى — فى تلك الآية الكريمة السحاب والظواهر الطبيعية الناتجة عنه ، وبعض الألفاظ التى وردت لها شروح فى كتب « المطر » ؛ فقد عرّف أبو زيد[٢] « الرُّكَام » بأنه السحاب الذى تراكم بعضه على بعض مثل النَّضَدِ ، و « الوَدْق » بأنه السَّحُّ ؛ أى المطر الخفيف ، و « سنا البرق » هو ضوء البرق تراه من غير أن ترى البرق ، أو ترى مخرجه فى موضعه ، وإنما يكون بالليل دون النهار ، وربما يكون فى غيم ، وربما كان ذلك بغير سحاب ، والسماء مصحية .

وقال تعالى : (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاءَ مرضاةِ الله وتثبيتاً من عند أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابلٌ فآتتْ أُكُلها ضِعْفَيْن فإنْ لم يصبها وابلٌ فطلٌّ والله بما تعملون بصير)[٣] . وحول معنى « الوابل » قال أبو زيد : « الوابل : وهو أغزر المطر وأعظمه قَطْراً ، يقال : وبلت الأرضُ وَبْلاً فهى موبولة » . أما « الطَّلّ » فهو « أثر الندى فى الأرض من المطر أو الجليد أو الصقيع أو الضريب » .

---

(١) النور /٤٣ .

(٢) أبو زيد : كتاب المطر ، منشور ضمن مجموعة (البلغة فى شذور اللغة) ص ٩٩ — ١٢٠ .

(٣) البقرة ٢٦٥ .

وقال تعالى : « أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المُزْنِ أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أُجَاجاً فلولا تشكرون »[٤] . وقد شرح أبو زيد معنى « المزن » بقوله : « المزن من السحاب البيض وواحداتها مُزْنَة » . أما « الأجاج » فهو ماء شديد الملوحة .

ولم يكن حديث القرآن الكريم وقفاً على المطر والسحاب والبرق والرعد ، بل هناك أشياء أخرى عرض لها الكتاب العزيز . قال تعالى : (ألم تَرَ أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابُّ)[٥] . وقال تعالى : (والأنعامَ خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تُريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشِقِّ الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم . والخيلَ والبغال والحمير لتركبوها وزينةً ويخلق ما لاتعلمون)[٦] .

وللخيل مكانة مهمة بين الحيوانات المذكورة فى القرآن الكريم . قال أبو عبيدة : « فلم تزل العرب على ذلك من تمييز الخيل والرغبة فى اتخاذها وصيانتها ، والصبر على مقاساة مؤنتها مع جدوبة بلادهم وشدة حالهم فى معيشتهم لما كان لهم فيها من العز والمنعة والجمال ، حتى جاء الإسلام فأمر نبيَّه ﷺ باتخاذها وارتباطها لجهاد عدوِّه . قال الله تبارك وتعالى : (وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم)[٧] ، فاتخذها رسول الله ﷺ ، وحضَّ المسلمين على ارتباطها ، فكان رسول الله ﷺ من أرغب الناس فيها ، وأصونهم لها ، وأشدهم إكراماً لها ، وحباً وعجباً بها »[٨] .

واختار الحق ـــ سبحانه وتعالى ـــ أعظم الصفات وأكرمها للبقرة التى أُمِرَ بنو إسرائيل بذبحها . قال تعالى : (وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً قالوا أتتخذنا هُزُواً قال أعوذ بالله أن أكونَ من الجاهلين . قالوا ادعُ

(٤) الواقعة /٦٨ ـــ ٧٠ .
(٥) الحج /١٨ .
(٦) النحل /٥ ـــ ٨ .
(٧) الأنفال /٦٠ .
(٨) أبو عبيدة : كتاب الخيل ص ٣ وما بعدها ؛ وانظر أنساب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها لابن الكلبى : ص ٦ .

لنا ربك يبيّنْ لنا ما هى قال إنه يقول إنها بقرة لا فارضٌ ولا بكْرٌ عوانٌ بين ذلكِ فافعلوا ما تُؤْمَرون . قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما لونُها قال إنه يقول إنها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونها تسر الناظرين . قالوا ادعُ لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلولٌ تثير الأرض ولا تَسْقِى الحرثَ مسلَّمةٌ لا شيةَ فيها قالوا الآن جئْتَ بالحقِّ فذبحوها وما كادوا يفعلون)[٩] .

وتقدم الآيات الكريمة أحسن الصفات وأكرمها لتلك البقرة ، فهىْ (لا فارضٌ ولا بكر عوانٌ) و (صفراء فاقعٌ لونها) ومن شأنها أن (تسر الناظرين) ، وهى ليست ضخمة ، فلا تثير الأرض و (لاشية فيها) ؛ أى إن لونها واحد وهو الأصفر . وتلك الصفات عرض لها اللغويون الأوائل وشرحوا الألفاظ الدالة عليها ، قال الأصمعى : « يقال : بعيرٌ وَهْمٌ إذا كان ضخماً ذلولاً وناقة وَهْمَةٌ »[١٠] . وقال الثعالبى : « ولد البقر عجل ، فإذا شبَّ فهو مشبوب ، فإذا أسنَّ فهو فارضٌ »[١١] .

وذكر الحقُّ ــ سبحانه وتعالى ــ الإنسان فى كتابه العزيز باعتباره أكرم المخلوقات وأعظمها على الإطلاق ، مع بيان مراحلِ خَلْقِه . قال تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سُلالةٍ من طين . ثم جعلناه نُطْفةً فى قرار مكين . ثم خلقنا النُّطْفة عَلَقَةً فخلقنا العلقة مُضْغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسوْنَا العظام لحماً ثم أنشأناه خلْقاً آخر فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين)[١٢] .

وتبين الآيات الكريمة مراحل خلق الإنسان ، وقد قال الأصمعى حول بعض الألفاظ : « ويكون (يقصد الجنين) نطفة أربعين يوماً ، وعلقة مثلها ، ومُضْغة مثلها ، ثم يبعث الله مَلَكاً فينفخ فيه الروح »[١٣] .

وورد ذكر النبات والشجر والأعناب والزيتون فى القرآن الكريم ، وهناك أسماء لبعض الأشجار . قال تعالى : (أذلك خيرٌ نُزُلاً أم شجرة الزَّقُّوم . إنا جعلناها فتنة للظالمين . إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم . طلعها كأنه رؤس

(٩) البقرة /٦٧ ــ ٧١ .

(١٠) كتاب الإبل ، منشور ضمن مجموعة « الكنز اللغوى فى اللسن العربى » ١٠٦ .

(١١) فقه اللغة : ١٤٩ .

(١٢) المؤمنون /١٢ ــ ١٤ .

(١٣) الأصمعى : خلق الإنسان ، منشور ضمن مجموعة « الكنز اللغوى فى اللسن العربى » ١٥٨ .

الشياطين)[١٤] . وقال تعالى : (وأنبتنا عليه شجرةً من يقطين)[١٥] ، وكل شجرة لا تقوم على ساقٍ فهي يقطين ، كما يقول ابن سيده[١٦] . وقال تعالى : (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سَيْلَ العَرِم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأثْلٍ وشيء من سِدْرٍ قليل)[١٧] . و « الأثْل » شجر ورقه ليس بعريض ولا شوك له ، وينبت نوع منه فى الجبال يسمى النُّضَار ، و « السِّدر » شجر النبق وهو نوعان منه العُبْرى وهو الذى ينبت على عبر النهر ويعظم ولا شوك له ، ومنه الضال وهو السدر البرى ذو الشوك ، وللسِّدْر ورقة مدورة عريضة[١٨] .

وبعد هذا العرض نستطيع أن نقول إن القرآن الكريم هو المصدر الأول فى موضوعات الرسائل اللغوية ، خاصة أن أسماء بعض السور الكريمة كانت عناوين لهذه الرسائل ، ويرجع هذا إلى تلك الصلة القوية بين الكتاب العزيز والمجهودات التى بذلها اللغويون القدامى ، ومنها جمع اللغة العربية من بطون البوادى وألسنة الأعراب من أجل شرح ألفاظ الكتاب الكريم .

— ٢ —

الحياة فى شبه الجزيرة العربية

ارتبطت موضوعات الرسائل اللغوية ببعض مظاهر الحياة فى شبه الجزيرة العربية ، وكانت الألفاظ الدائرة داخل تلك الرسائل نابعة من البيئة نفسها ، ونحاول التعرف على هذا الارتباط .

مما يسترعى الانتباه اهتمام العرب بالماء والمصادر التى تأتى منها ؛ فقد اعتمدوا على الآبار ومياه الأمطار للحصول عليها ، وكانت لهم ألفاظ تدل على هذا ، وضعوها فيما دار حول البئر والمطر . وقد اهتم العرب بالأزمنة لصلتها بالماء ، واهتموا بالأنواء لصلتها بحياتهم الاقتصادية والاجتماعية والبيئية التى

(١٤) الصافات /٦٢ — ٦٥ .

(١٥) الصافات /١٤٦ .

(١٦) المخصص : ١٢ /٥ .

(١٧) سبأ /١٦ .

(١٨) انظر كتاب « النبات والشجر » للأصمعى ، [illegible] « البلغة فى شذور اللغة » ٢٩ .

عاشوا فيها ، وهى حياة ترتكز على الرحلة فى طلب الكلأ والفرار من الجدب إلى مواطن المرعى ، والرحلة لتيسير بعض القوافل التجارية من أقصى الجزيرة العربية إلى أدناها ، ثم ما كانت ترتبط به حياتهم من شهور حج وغزو وعبادة وإغارة ، ومن هنا « عرفوا الآثار فى الأرض والرمل ، وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء ؛ لأن كل من كان بالصحاصح الأماليس(١٩) ؛ حيث لا أمارة ولا هادى مع حاجته إلى بُعْد المشقة مضطر إلى التماس ما ينجيه ويؤديه ، ولحاجته إلى الغيث وفراره من الجدب ، وضنه بالحياة ، اضطرته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث ، ولأنه فى كل حال يرى السماء وما يجرى فيها من كوكب ، ويرى التعاقب بينها ، والنجوم الثوابت فيها ، وما يسير منها مجتمعاً ، وما يسير منها فارداً ، وما يكون منها راجعاً ومستقيماً »(٢٠) .

وقد ظهر علم عند العرب يسمى « علم المواقيت » ، وهو يساعد فى التعرف على أزمنة الأيام والليالى وأحوالها ، وكيفية التوصل إليها ، ومنفعتُه معرفةُ أوقات العبادات ونواحى جهتها ، والطوالع من أجزاء البروج والكواكب الثابتةالتى فيها منازل القمر ، ومقادير الاطلاع والارتفاعات وانحراف البلاد وسمتها(٢١) . وقد وصف الأعراب المطر والسحاب والنجوم وجمع ابن دريد (ـــ ٣٢٠ هـ) تلك الأوصاف وما ذكرته العرب فى جاهليتها وإسلامها من وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع(٢٢) .

ومن هنا اهتم العرب بالأزمنة والأنواء لارتباطها بالمطر والحج والعبادة وغيرها ، وقد ظهر هذا الاهتمام فى شعرهم ودواوينهم، والشواهد المأخوذة من شعرهم فى كتب اللغة وغيرها تفيض بذلك ، وبعد الشعر تأتى الأخبار والأحاديث والشروح التى جمعها علماء الأدب واللغة من البصريين والكوفيين وغيرهم ، أو وضعوها حول هذا الشعر فى القرنين الثانى والثالث للهجرة ، ثم تأتى بعد ذلك أمثال العرب وأسجاعهم الموضوعة خاصة لما يكون من حوادث الطبيعة فى أنواء النجوم ومطالعها ومضاربها(٢٣) .

(١٩) الصحاصح : الأراضى المستوية الواسعة ، والأماليس ، الفلوات التى لا نبات فيها .

(٢٠) الجاحظ : الحيوان ٦ /٣٠ .

(٢١) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ١ /٣٨٢ .

(٢٢) ابن دريد : وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الرواد من البقاع ص ٣ .

(٢٣) ابن الأجدابى : الأزمنة والأنواء ص ٩ من مقدمة المحقق

ومما اهتم به العرب النبات والشجر لدورهما الخاص في رَعْى الماشية ، وكانت هذه النباتات بأسمائها ومسمياتها تشغل حيزاً كبيراً من لغتهم ، واتصلت بها اللغة اتصالاً وثيقاً فدُوِّنت مع اللغة وحفظت في دواوينهم جزءاً لا ينفصل عنها(٢٤) . وعندما وصف جامعو اللغة الأوائل النباتات والأشجار اعتمدوا على الرؤية والمشاهدة لارتباط هذا بالبيئة ؛ فقد قال أبو حنيفة عن نبات « الأُتْرُجّ » : « وهو كثير بأرض العرب ، وهو مما يغرس غرساً ، ولا يكون برياً . وأخبرني بعض الأعراب بأن شجرته تبقى عشرين سنة تحمل ، وحملها مرة واحدة في السنة ، وورقها مثل ورق الجوز ، وهو طيب الرائحة ، وفُقَّاحه شبيه بنور النرجس ، إلا أنه ألطف منه وهو ذكى ، ولشجره شوك حديد »(٢٥) .

وللخيل مكانة مهمة في الحياة العربية ، وقد قال أبو عبيدة : « لم تكن العرب في جاهليتها تصوّن شيئاً من أموالها ولا تكرمه صيانتها الخيل وإكرامها له ، لما كان لهم فيها من العز والجمال والمنعة والقوة على عدوهم ، حتى أن كان الرجل من العرب ليبيت طاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده ، فيسقيه المحض ويشربون الماء القَرَاح ، ويعير بعضهم بعضاً بإذالة الخيل وهزالها وسوء صيانتها ويذكرون ذلك في أشعارهم »(٢٦) . ولم تكن الخيل هي الحيوان الوحيد الذي اعتمد عليه واهتم به العربي ، فقد ارتبط بالإبل والأغنام والنوق ، وكلها تمده بما يحتاجه من المواد الغذائية ويستخدم بعضها في التنقل من مكان إلى آخر في وقت السلم .

وقد امتد الاهتمام بالنبات والشجر والخيل وسواها إلى اللغويين وجامعي اللغة وإلى رسائلهم اللغوية ، فعرضوا لها تحت عناوين مختلفة تهدف الناحية اللغوية أكثر من غيرها .

وكانت الحروب تنشب بين العرب لأتفه الأسباب وأقلها شأناً ، وقد خُلِّدت هذه الحروب فيما أسموه « أيام العرب » التى ذكروا فيها حروبهم

(٢٤) الدكتور أحمد عيسى : تاريخ النبات عند العرب ص ٨ .

(٢٥) ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١ /١٠ . والفُقّاح جمع فُقّاحة ، وهي زهرة النبت حين تتفتح أياً كان لونها .

(٢٦) الخيل : ص ٢ . والمحض : كل شيء خلص حتى لا يشوبه شيء يخالطه ، وإذالة الخيل : إهانتها وابتذالها ، وفي الحديث : « نهى النبي ﷺ عن إذالة الخيل » .

ووقائعهم والأسباب التى أدت إليها . ولا بد أن تنجلى الحرب عن جرحى وقتلى وأسرى ، وعن تخريب وتدمير ، ولا بد أن يعقب هذا فى نفس المهزوم والموتور حفيظة وموجدة لا يطفئها إلا أن يثأر لقتلاه . ومن لوازم الحرب الأسلحة المختلفة كالسيوف والرماح والقسى والدروع وغيرها . وقد لقيت الحرب والثأر والحقد وأدوات القتال اهتمام العرب من الناحية اللغوية .

وما زالوا يمدحون فى شعرهم الشجاعة والشجعان من أبنائهم ، وسخروا من الجبن والجبناء ، وهاتان الصفتان المتناقضتان كانتا ضمن الرسائل اللغوية .

واهتم العرب بالقيم والمثل والمبادىء ، واستخدموا الطير والوحش للتعرف على الخير والشر ، وكان التفاؤل والتشاؤم من طبيعة حياتهم ، فكانوا يثيرون الطير والوحش ، فما تيامن منها سموه سانحاً ، وما تياسر سموه بارحاً ، وما استقبلهم فهو الناطح ، وما جاء من خلفهم فهو العقيد[٢٧] .

وكان العربى وفياً لا يعرف الغدر فهو معرة يتجافون عنها ، وهناك بعض الشواذ الذين يغدرون ، وإذا ما غدر أحد بعهد من العهود رفعوا له اللواء بسوق عكاظ ليشهروا به بين القبائل .

وطبيعة الحياة فى شبه الجزيرة بما فيها من قحط وجدب أوجبت على العربى أن يكون كريماً لأضيافه ما يستطيع ، خاصة فى السنوات العجاف ، وهذه السنوات الشديدة تعوّد عليها العربى فى حياته . ولكنه ـــ أى العربى ، لم يكن كريماً على الدوام ، ففى القرآن إلحاح فى ذم البخل ، وإلحاح فى ذم الطمع ، فقد كان البخل والطمع إذاً من آفات الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى الجاهلية[٢٨] .

وارتبط العربى بالمرأة فهى الزوجة أو الحبيبة أو الأَمَةُ أو الحرة ، واهتم العربى بهذا كله مع توقفه أمام مقاييس الجمال فى المرأة بصفة عامة ، وإليك نصاً يدور حول « الأوصاف المحمودة فى محاسن خَلق المرأة » أخذه الثعالبى عن كبار أئمة اللغة[٢٩] :

---

(٢٧) انظر : الحياة العربية من الشعر الجاهلى ص ٢٠٦ و ٣٨٦ .

(٢٨) الدكتور طه حسين : فى الأدب الجاهلى ص ٨٥ .

(٢٩) فقه اللغة : ص ٢٣٠ وما بعدها .

« إذا كانت شابة حسنة الخَلْق فهى خَوْد . فإذا كانت جميلة الوجه حسنة المعرى فهى بَهْكنة . فإذا كانت دقيقة المحاسن فهو ممكورة . فإذا كانت حسنة القدّ لينة القصب فهى خَرْعَبَة . فإذا لم يركب بعض لحمها بعضاً فهى مُبَتَّلة . فإذا كانت لطيفة البطن فهى هيفاء وقَبّاء وخُمْصانة . فإذا كانت لطيفة الكشحين فهى هضيم . فإذا كانت لطيفة الخَصْر مع امتداد القامة فهى ممشوقة . فإذا كانت طويلة العنق فى اعتدال وحسن فهى عُطْبُول . فإذا كانت عظيمة الوركين فهى وركاءُ وهِرْكولة . فإذا كانت عظيمة العجيزة فهى رَدَاح . فإذا كانت سمينة ممتلئة الذراعين والساقين فهى خَدَلَّجة . فإذا كانت ترتج من سِمَنها فهى مَرْمارة . فإذا كانت كأنها ترعُدُ من الرطوبة والغَضَاضة فهى بَرَهْرهة . فإذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة فهى بَضّة . فإذا عُرِفت فى وجهها نَضْرَةُ النعيم فهى فُنُق . فإذا كان بها فتور عند القيام لسمنها فهى أناة وهنانة . فإذا كانت طيبة الريح فهى بَهْتانة . فإذا كانت عظيمة الخَلْق مع الجمال فهى عَبْهرة . فإذا كانت ناعمة جميلة فهى عَبْقَرة . فإذا كانت متثنية من اللين والنعمة فهى غيداء وغادة . فإذا كانت طيبة الفم فهى رشوف . فإذا كانت طيبة ريح الأنف فهى أنوف . فإذا كانت طيبة الخَلْوة فهى رَصُوف . فإذا كانت لعوباً ضحوكاً فهى شَمُوع . فإذا كانت تامة الشعر فهى فرعاء . فإذا لم يكن لمرفقها حجم من سمنها فهى دَرْماء . فإذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها فهى لَفّاء » .

وثمة صفات أخرى ، ومظاهر مختلفة لطبيعة الحياة فى شبه الجزيرة العربية من النواحى كافة ، وكانت هذه الصفات وتلك المظاهر ضمن الرسائل اللغوية ، مما يؤكد الارتباط بين هذه الحياة وموضوعات تلك الرسائل ، حتى إنها أصبحت المصدر الثانى لموضوعات الرسائل .

— ٣ —

الشعر العربى

الشعر العربى بألفاظه المختلفة وفنونه المتنوعة هو المصدر الثالث الذى اعتمد عليه واضعو الرسائل اللغوية فى تصنيف موضوعاتها . وقد كانت معظم الألفاظ التى وردت فى هذا الشعر مما دار فى تلك الرسائل ؛ بالإضافة إلى أن

شواهدها كانت مستقاة منه ؛ خاصة ذلك الذى قيل فى وزن « الرجز » ، ويرجع هذا إلى اتصاله بالألفاظ التى اهتمت الرسائل اللغوية بجمعها ، وهى مما كان يتصل بالبادية كثيراً . ولن نحاول حصر الألفاظ التى وردت فى تلك الرسائل والشعر القديم ، وإنما ننظر فى وصف الفرس عند امرىء القيس فى معلقته ، وما ورد عند أبى عبيدة فى رسالته اللغوية حول « الخيل » .

ولقد استغرق وصف الفرس مجموعة من أبيات معلقة امرىء القيس أتى خلالها ببعض الصفات المستحبة التي تُطلق على الفرس والتى تتردد فى الرسائل اللغوية الدائرة حول الخيل ، وفى الأبواب التى عقدتها المعاجم الموضوعية حول الموضوع نفسه أيضاً . ونذكر أولاً أن أبا عبيدة عقد فى آخر كتابه باباً حول ما قالت العرب فى أشعارها من صفة الخيل ، وقد أورد فى هذا الباب نماذج لمجموعة من الشعراء القدامى ، وعلى رأسهم امرؤ القيس الذى أورد له عدة مقطوعات وأبيات ، منها ما ورد فى معلقته حول وصف الفرس .

وأورد أبو عبيدة بعض الأبيات من المعلقة فى ثنايا أبواب الكتاب باعتبارها شواهد للموضوع ، ومن هذا قوله : « والعزل أن يعدل (يقصد الفرس) ذنبه فى أحد شقيه ، عادة يعتادها ليست بخلقية ، وقد يكون زماناً ليس بأعزل ثم يعزل ، ويكون أعزل ثم يدع ذلك . قال امرؤ القيس :

ضَليع إذا استدبرْتَه سَدَّ فَرْجَه بضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليس بأعْزَلِ(٣٠)

وقد جاء أبو عبيدة بهذا البيت فى الفصل الذى عقده تحت عنوان « ومن عيوب الخيل الحادثة التى ليست من خلقها » ، ومن هنا فإن « العزل » ليس بعيب فى خلقة الفرس وإنما هو يأتى مع الزمن ، وقد نفى الشاعر هذا العيب عن فرسه .

وقال أبو عبيدة : « وإن أردت أن تنظر إلى جَرْى فرس لتعتبر به جودته ، فلا تعتبرن بشىء من الجرى إلا بأعلى التقريب وأدنى الحضر على ما وصف ،

---

(٣٠) كتاب الخيل : ص ٥١ ؛ وديوان امرىء القيس : ص ٢٣ . وكلمة « ضليع » مجرورة لأنها نعت لما قبلها ، ويقال : فرس ضليع وبعير ضليع ، إذا كانا قويين منتفجى الجنبين ، وهى الضلاعة ، و « بضاف » معناه : بذنب ضاف ، وهو السابغ . ويكره من الفرس أن يكون أعزل ذنبه فى ناحية ، وأن يكون قصير الذنب ، وأن يكون طويلاً يطأ عليه .

فإن سواهما من الجرى يختلط على صاحبه ولا يستدل به على جودته ، وذلك أنه رفع عن التقريب ، فاجتمع واحزألّ وقصر عن الحضر فلم يضطر إلى قبيح خلقه ، وحسنه فتلك حال تحسن فيها كل فرس ... قال امرؤ القيس :

له أيطَلا ظَبْيٍ وساقا نعامةٍ ... وإرخاءُ سِرْحانٍ وتقريبُ تتْفُلِ[٣١]

واستشهد أبو عبيدة بهذا البيت للدلالة على جودة الفرس وهو محضر ، وقدم امرؤ القيس فى بيته هذا صفاتٍ مختلفة لفرسه ، فخاصرتاه كالظبى وساقاه كالنعامة وله عَدْو الذئب ويشبه ولد الثعلب فى أنه يضع رجليه موضع يديه فى العدو ، وكلها تعنى انتصاب الفرس وطوله وشدة عدوه وسرعته . وقد استشهد أبو عبيدة بالبيت نفسه فى موضع آخر حول ما يستحبه العرب فى الخيل[٣٢] .

وقال امرؤ القيس فى معلقته :

دريرٍ كخُذْروفِ الوليدِ أمَرَّهُ ... تتابعُ كفَّيه بخيطٍ مُوصَّلِ[٣٣]

والفرس هنا يديم العدو ، ويسرع إسراع خذروف الوليد إذا أُحكِم فتل خيطه ، وتتابعت كفاه فى نقله ، والخذرفة هى استدارة قوائمه .

* * *

وبعد هذا العرض للمصادر التي اعتمدت عليها الرسائل اللغوية فى تحديد موضوعاتها ، نقدم عرضاً تفصيلياً لتلك الرسائل حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، وهو موضوع الفصل التالى .

---

(٣١) كِتاب الخيل : ص ٥٦ ؛ وديوان امرىء القيس : ص ٢١ . والإرخاء : جرى ليس بالشديد ، والسرحان : الذئب ، والتقريب : أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً ؛ والتتفل : ولد الثعلب .

(٣٢) السابق : ص ١٠١ وما بعدها .

(٣٣) السابق : ص ١٢٧ ، والديوان : ص ٢١ . و « درير » مستدر فى العدو يصف سرعة عدوه وجريه ، و « الخذروف » الخرارة التى يلعب بها الصبيان تسمع لها صوتاً : خَرْخَرْ ، فهى سريعة المر ، و « أمره » من الإمرار ، وهو احكام الفتل .

الفصل الثالث

الرسائل اللغوية : توثيق وتحليل

بعد أن عرضنا للموضوعات التى دارت حولها الرسائل اللغوية ومؤلفيها، نتوقف أمام بعضها بالعرض التفصيلى. ولهذا العرض أهميته من النواحى الآتية :

١ــ التعرف على التفصيلات الدقيقة التى دارت حولها الموضوعات .
٢ــ مناقشة الشكوك التى دارت حول نسبة بعض الرسائل مثل :
ــ الأيام والليالى والشهور .
ــ الرحل والمنزل .
ــ النخل والكرم .
ــ النعم والبهائم والوحوش .
٣ــ عقد مقارنات بين بعض الرسائل التى تدور حول موضوع واحد ؛ وذلك للتعرف على مناهج الأوائل من اللغويين فى التأليف .

* * *

ــ ١ ــ

الأيام والليالى والشهور

من الرسائل اللغوية التى وصلت إلينا « الأيام والليالى والشهور » ، وقد أثيرت بعض الشكوك حول صاحبه الأصلى ، ونقدم عرضاً تفصيلياً لذلك .

توقف الأستاذ إبراهيم الإبيارى ، أثناء تحقيقه لهذا الكتاب ، أمام محاولة معرفة مؤلفه الأصلى . قال : « وأعرف ممن ترجموا للفراء (حيث إن هذا الكتاب يُنْسَبُ إلى الفراء) ابن النديم فى كتابه (الفهرست) وياقوت فى كتابه (إرشاد الأريب) وابن خلكان فى كتابه (وفيات الأعيان) وابن الأنبارى فى

كتابه (نزهة الألباء) والقفطى فى كتابه (إنباه الرواة) والسيوطى فى (بغية الوعاة) ، ولكنى لم أعرف واحداً منهم ذكر له فى هذا الكتاب (الأيام والليالى والشهور) بين ما ذكر من مؤلفاته ، وإن كانوا لم يبلغوها عداً ، واجتزءوا بذكر آحادٍ منها » .

« ولقد جاء حاجى خليفة فذكر كتباً فى هذه السبيل أربعة لم يذكر منها كتاباً للفراء وهى :

١ــ كتاب الأيام والليالى لثاوذوسيوس (كذا) ثلاثة وثلاثون شكلاً .
٢ــ كتاب الأيام والليالى لأبى العباس المستغفرى .
٣ــ كتاب الأيام لابن السكيت يعقوب بن إسحاق .
٤ــ كتاب الأيام لأبى عبيدة .

وأعود إلى ابن سيده أبى الحسن على بن إسماعيل اللغوى الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ فى كتابه المخصص (ج ٩ ص ٣٧ ــ ٦٠) حيث أفرد الأيام والليالى والشهور بصفحات فأجده ينقل عن كثير من الأئمة لم يذكر من بينهم الفراء » .

هؤلاء هم الذين لم يذكروا أن للفراء كتاباً يدور حول هذا الموضوع . ثم يذكر الأستاذ الإبيارى مَنْ نقلوا عن الفراء قائلاً : « وأرد إلى المرزوقى أبى على الأصبهانى فى كتابه (الأزمنة والأمكنة) الذى فرغ من تأليفه سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة (٤٥٣ هـ) فألقاه قد نقل عن الفراء فى غير موضع ... وقد أفرد القلقشندى أبو العباس أحمد بن على المتوفى سنة ٨٢١ هـ فى كتابه (صبح الأعشى) (ج ٢ ص ٣٣٩ ــ ٤١٦) فصلاً فى معرفة الأزمنة والأوقات ، عمدته فيه النقل عن أبى جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٣٣٨ هـ » .

« غير أن الذى يعنينا من هذا نقله وهو يتكلم عن الاثنين (ص : ٢٦٢) بعد أن ساق رأياً لابن قتيبة فى (أدب الكاتب) ثم قال : وحكى ابن النحاس مثله عن كتاب الفراء فى الأيام » .

ونقل عن (الأيام والليالى والشهور) النويرى أحمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ٧٣٣ هـ فى كتابه (نهاية الأرب) والسيوطى (ــ ٩١١ هـ) فى (المزهر) ، وهما من المتأخرين .

وقد انتهى الأستاذ إبراهيم الإبيارى إلى قوله : « فلم تبق إلا أن يكون الكتاب الذى بين أيدينا من جمع جامع جمع فيه عن الفراء ، وعن هذين الشيخين (الكسائى وابن كناسة) كما أضاف إلى النقول المسندة نقولاً أخرى منقطعة »[1] .

وتوقف الدكتور أحمد مكى الأنصارى أمام كتاب (الأيام والليالى والشهور) وتولى تفنيد ما قاله الأستاذ إبراهيم الإبيارى وعدَّ المراجع الخمسة السابقة التى ذكرها أولاً غير أساسية فى نفى نسبة هذا الكتاب إلى الفراء . قال : « ثم إنها — أى المراجع الخمسة — لم تنص على نفى نسبة الكتاب ، كما أنها لم تدَّع الحصر والاستقصاء ، وقد نبه الأستاذ المحقق إلى ذلك ، بل إن معظمها — إن لم يكن كلها — يقول بعد ذكر آحاد منها عبارته التقليدية (وغير ذلك) » .

« على أننى وقفت فى مراجع عدة على نسبة هذا الكتاب إلى الفراء ، من ذلك :

١ — بروكلمان فى كتابه (تاريخ الأدب العربى) تحدث عن الأيام والليالى للفراء وعدد نسخه وحدد مواطنها .
٢ — مجلة إسلامكا أشارت إليه فى المقال الذى كتبه المستشرق الروسى كراتشكوفسكى .
٣ — مجلة المستشرقين الألمان تحدثت عنه ونسبته إلى الفراء فقالت : (كتاب الأيام والليالى والشهور) للفراء ...
٤ — ومن القدماء أبو جعفر النحاس ، أشار إليه فى حديثه عن صناعة الكتاب فيما يرويه القلقشندى حيث يقول : « وحكى ابن النحاس مثله عن كتاب الفراء فى الأيام » .
٥ — أما السيوطى الذى ذكره الأستاذ الإبيارى على أنه لم ينسب فى بغيته (الأيام والليالى) إلى الفراء ، فقد رأيناه فى كتابه (المزهر) يكرر نسبته إليه تكراراً لا يدع مجالاً للشك فيه ، ولا يكتفى بذلك بل ينقل عنه النصوص فى كثرة ظاهرة[2] .

---

(١) الأيام والليالى والشهور : مقدمة المحقق .

(٢) الدكتور أحمد مكى الأنصارى : أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ص ٢١٥ وما بعدها .

والرأى عندنا أن هذه المراجع الخمسة التى ذكرها الدكتور مكى فى تحقيق الكتاب إلى الفراء ليست شيئاً ، فلا نستطيع أن نعتمد على بروكلمان ومجلة إسلامكا ومجلة المستشرقين الألمان فى هذا الأمر . ثم إن أبا جعفر النحاس من المتأخرين ، أما السيوطى فلا يمكن أن نعوّل عليه تماماً وعلى تلك النقول التى أخذها فى (المزهر) عن كتاب (الأيام والليالى والشهور) ؛ إذ إن السيوطى من المتأخرين ، وقد جمع فى كتابه كل ما وصل إليه عن سابقيه دون تحقيق أو تثبت .

وقبل أن نبين رأينا فى نسبة الكتاب نوضح أن الدكتور مكى لم يوافق على أن تكون نهاية الكتاب على النحو الذى أخرجه عليه الأستاذ إبراهيم الإبيارى ، وأتى بنص قال إنه عثر عليه ، وفات المحقق ، وهذا النص هو :

« قال حدثنا أبو بكر بن أبى شبابة عن ورقاء عن أبى نجيح عن مجاهد : (فلا رفث) قال : جماع النساء ، و (فسوق) المعاصى ، و (جدال فى الحج)[٣] قال : لا شهر يُنْسَى ، ولا شك فى الحج قد بين ، قالوا : كانوا يسقطون المحرم يقولون صفرين لصفر وشهر ربيع الأول ، ثم يقولون شهرى ربيع لشهر ربيع الآخر لجمادى الأولى ، ثم يقولون لرمضان : هو شعبان ، ويقولون لشوال رمضان ويقولون لذى القعدة شوال ، ويقولون لذى الحجة ذو القعدة ، ثم يقولون للمحرم ذو الحجة فيحجون فى المحرم ، ثم يأتنفون (كذا ؛ أى يستأنفون) فيعدون على ذلك سنة مستقبلة على وجه ما ابتدءوا فيقولون : المحرم ، فيحجون فى المحرم ويحجون فى كل شهر مرتين ، ويسقطون شهراً آخر ، ثم يعدون على العدة الأولى ، ثم يقولون صفر وشهر ربيع الأول على نحو عدتهم فى أول ما أسقطوا . تم الكتاب بحمد الله وعونه وصلواته على سيدنا محمدٍ وآله وسلم تسليماً كثيراً »[٤] .

هذا هو النص الذى عثر عليه الدكتور مكى ورآه خاتمة كتاب (الأيام والليالى والشهور) . والحق أن الأستاذ الإبيارى حقق هذا النص داخل الكتاب[٥] ولكنه لم يره نهايته ، ويرجع ذلك إلى اعتماده على أكثر من مخطوط

(٣) قال تعالى : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) . البقرة /١٩٧ .

(٤) أبو زكريا الفراء : ص ٢٢٥ .

(٥) الأيام والليالى والشهور : ص ١٤ و ١٦ ، وفيهما النص الذى أورده الدكتور مكى

لتحقيقه ؛ لذلك لا يعد النص السابق إضافة للكتاب ، كما أنه لا يصلح لأن يكون خاتمة له لاختلاف الوجهة التي يتحدث عنها عن تلك التي يعرض لها النص السابق عليه ؛ إذ إنه يتحدث عن تأخير الشهور وما يتبعها من التصرف فى مواقيت الحج مع شرح الآية الكريمة المذكورة فى صدره . أما النص السابق عليه فيعرض لأسماء الصلاة عند القبائل العربية ، وختمه بقوله : « والأصيل والأصيلال بالعشى . يقال : أتيتُه أصيلاً ومتوصلاً وأصيلالاً ، قال الشاعر وهو النابغة :

وقفتُ فيها أصيلالاً أُسَائلها[٦]

ونعود إلى التعرف على مؤلف كتاب (الأيام والليالى والشهور) فنراه أولاً مجموعة من المرويات التى تُنسَبُ إلى أئمة القرنين الثانى والثالث للهجرة ، ولا نستطيع أن نقولِ إنه كتاب بل هو مرويات تتحد فى موضوعها وهو الحديث عن الأيام والليالى والشهور ، ثم جمع أحد الرواة فى القرن الثالث الهجرى تلك المرويات معاً ونسبها إلى الفراء ؛ لأنه أكثر الأسماء التى وردت داخل تلك المرويات ؛ إذ ورد اسمه فى خمسة عشر موضعاً ، وبدأ الكتاب بهذه العبارة : « قال الفراء يحيى بن زياد أبو زكريا » ، ونرى أن هذا الجامع هو ابن السكيت (ـــ ٢٤٤ هـ) للأسباب الآتية :

١ــ نسب ابن النديم كتاباً إلى ابن السكيت عنوانه (الأيام والليالى)[٧] .
٢ــ عقد ابن السكيت فى معجمه الموضوعى (الألفاظ) أبواباً مختلفة تتفق معظم مروياتها مع ما ورد فى (الأيام والليالى والشهور) وهذه الأبواب هى :

ــ باب صفة الحر .
ــ باب صفة الشمس وأسمائها .
ــ باب أسماء القمر وصفته .
ــ باب صفة الليل .
ــ باب أسماء نعوت الليالى فى شدة الظلمة .
ــ باب صفة النهار وأسمائه[٨] .

(٦) السابق : ص ٦٣ .
(٧) الفهرست : ص ١٠٨ .
(٨) الألفاظ : ص ٣٨٣ ــ ٤٢٧ .

أما عن المرويات التى اتفقت فيما بين العملين فكثيرة ، ونمثل لها بما يأتى :

— فى (الأيام والليالى والشهور ص ٤١) : « قال الفراء : ولم أسمع قد سُمَّ يومنا ؛ إنما يقال : قد أسم يومنا ، إذا جاءت فيه السموم ، وهذا يوم مسمٌّ » . وفى (الألفاظ ص ٣٨٥) : « الفراء : أسمَّ يومُنا ، وسُمَّ يومنا ، ويوم مسموم » .

— فى (الأيام والليالى والشهور ص ٥٧) : « يقال للشمس : ذُكَاء ، وبنت ذُكاء ، وهى أنثى . قال الشاعر :

ألقتْ ذُكَاءُ يمينها فى كافرِ[٩]

وفى (الألفاظ ص ٣٨٧) : « يقال للشمس ذكاء ... » ثم يذكر بيت الشعر بأكمله .

— فى (الأيام والليالى والشهور ص ٤٧) : « يقال : مضى ذَهْلٌ من الليل ، ودَهْلٌ من الليل ؛ بالذال والدال . ومضى من الليل جوشٌ » ، وفى (الألفاظ ص ٤١٣) : « يقال : معنى دَهْلٌ من الليل ؛ أى صدر » .

٣ــ أكثر ابن السكيت فى كتابه (الألفاظ) من الرواية عن الفراء والأخذ عنه وعن بعض اللغويين الذين كانت لهم به صلة كابن الأعرابى (ــ٢٣١ هـ) . وقد جمع بين الاثنين بلد واحد هو الكوفة ، وقد كان الفراء من أئمة الكوفيين ، وكان ابن الأعرابى كوفىَّ المذهب ، كما كان من أحفظ الكوفيين للغة .

٤ــ لم تكن فكرة جمع اللغة وألفاظها جمعاً موضوعياً مما كان محبباً لدى الفراء ، وإنما كانت له مجهودات فى مجال النحو على وجه الخصوص ، ويظهر هذا فى كتابه (معانى القرآن) ، ويُعْنَى فيه بما كان يشكل فى القرآن ويحتاج إلى بعض العناء فى فهمه[١٠] .

(٩) البيت لثعلبة بن صُعَيْر المازنى ، وصدره :

فتذكرا ثَقَلاً رثيداً بعدما

وقال الأصمعى عن اشتقاق ذكاء : « وإنما اشتقت من ذُكُوّ النار وهو لهبها »

(١٠) انظر مقدمة (معانى القرآن) .

وبعد فهذا ما رأيناه بخصوص كتاب (الأيام والليالى والشهور) فهو عبارة عن مجموعة مرويات نُسبت إلى الفراء وسواه من الأئمة المعاصرين له أو السابقين عليه قليلاً ، جمعها ابن السكيت وتناثر معظمها داخل كتاب (الألفاظ) ، خاصة فى تلك الأبواب التى دارت حول الشمس والقمر والليل والنهار وغيرها .

ومهما يكن من أمر فإن مؤلف هذا الكتاب عاش إلى ما قبل نهاية القرن الثالث الهجرى ؛ لأن رواة الكتاب ومؤسسي مادته اللغوية هم الأئمة الأوائل الذين حملوا على عاتقهم جمع الألفاظ وشرحها والنظر فى قضايا النحو والصرف وعاشوا فى القرنين الثانى والثالث .

ولكن ما الموضوعات التى دارت حولها المرويات المختلفة ؟ يمكن حصر تلك الموضوعات فى ضوء العناوين التى وردت داخل الكتاب نفسه ، وهى كما يأتى :

١ــ تسمية الأيام .
٢ــ تسمية الأيام باللغة الثانية وهى لا تنصرف .
٣ــ تسمية الشهور وتثنيتها وجمعها على لغتين .
٤ــ تسمية الشهور باللغة الثانية .
٥ــ باب الهلال وما يقال فيه .
٦ــ باب من صفة الليالى .
٧ــ باب من ذكر الأيام .
٨ــ باب تسمية ساعات الليل .
٩ــ باب الشمس والقمر وما يقال فيهما .

هذه هى موضوعات الكتاب ، أما عن الجزئيات التى اندرجت تحتها فقد بدأ الكتاب بقول الفراء : « يقال : يوم وأيام ، والأصل أيوام ، ولكن العرب إذا جمعت بين الياء والواو فى كلمة واحدة وسُبق أحدهما بالسكون قلبوا الواو ياء ، وأدغموا وشددوا ، ومن ذلك قولهم : كويتُه كياً ولويتُه لياً . قال الله عز وجل : (وراعِنَا لياً بألسنتهم)(١١) ولكن العرب أدغمت الواو فى الياء ؛ لأن أحدهما سُبق بالسكون »(١٢) .

(١١) النساء/٤٦

(١٢) الأيام : ص ١ .

ويبدو من أول نص سيطرة الطابع المعجمى على الكتاب . ونجد فيه عرضاً لأيام الأسبوع القديمة والحديثة . قال : « ومن العرب من يسمى الأحد أول ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جُبار ، والأربعاء دُبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة العَرُوبة ، والسبت شيار »[١٣] . تلك هى الأسماء القديمةللأيام. أما الأسماء التى نستخدمها اليوم فهى مستعارة فى العربية من الآرامية والعبرية ، فيما عدا يوم « الجمعة » فهى تسمية عربية خالصة . أما « العَرُوبة » القديمة فهى اسم سامىٌّ قديم ، يوجد كذلك فى اللغة الآرامية[١٤] .

أما الشهور العربية القديمة ، فهى كما يذكر الفراء : محرم المؤتمر ، وصفر ناجر ، وربيع الأول خُوان ، وربيع الثانى بُصان ، وجمادى الأولى الحَنِين ، وجمادى الآخرة وَرْنة ، ورجب الأصمّ ، وشعبان وَعْل ، ورمضان ناتق ، وشوال عاذل ، وذو القعدة هُواع وذو الحجة بُرك .

وفى الكتاب أحاديث حول الهلال وما يقال فيه وذكر الأيام وصفاتها والألفاظ الدالة على كل صفة ، وتسمية ساعات الليل ، حتى نصل إلى نهاية الكتاب .

* * *

— ٢ —

حول نسبة ثلاث رسائل لغوية

هناك كتاب أشار إليه لويس شيخو وأوغست هفنر وموريس بوج هو (كتاب الجرائيم) وقد نسبوه إلى ابن قتيبة ، وعرّف بوج بموضوعاته ، وهو مستوعب لأسماء أصول العالم والبهائم والوحش والطير والسباع والهوام وكل نسمة تعرف ، ومتصرفاتهم وأفعالهم وأسماء أنواع الأرض والشجر والنبات وغير ذلك ، والعروض وقوافى الشعر[١٥] .

---

(١٣) السابق : ص ٦ .

(١٤) الدكتور رمضان عبد التواب : فصول فى فقه العربية ص ٢٥٣ .

(١٥) كتاب النعم : ص ٢ .

وقد أخرج الثلاثة بعض الرسائل اللغوية وقالوا إنها من (كتاب الجراثيم) وهى :

- الرحل والمنزل .
- النعم والبهائم والوحش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض .
- النخل والكرم .

وقبل أن نحدد مؤلفى تلك الرسائل نعرض لموضوعاتها .

الرحل والمنزل(١٦) :

وتدور تلك الرسالة حول الرحل وآلاته والأوانى فى السفر والحَضَر والدُّور والبيوت والأخبية والأبنية ، وتبدأ بالنص الآتى :

« أماحاجات السفر فإذا كان فى رَحْل الإنسان مُجلاَّتٌ نزل حيث شاء منفرداً عن الناس وهى : القربة والفأس والقدّاحة والدلو والشُّفْرة والقِدْر تُحِلُّه حيث شاء وإلا فلا بد له من الناس . ولكل واحدة من هذه نعوت وأسماء ، ومن أداته الميزان والسكين وحجر المِسَنّ والمزاد والأسقية والقِرَب والنار وأدوات تُعْتَمل فى الحَضَر والرَّحا وما فيها » .

وتعرض الرسالة لأدوات الرحل والمواكب وأجزاء الرحل والأبنية نحو : « من الأبنية الخِبَاء وهو من وبر أو صوف ولا يكون من شَعَر ، والبُرْجُد كساء ضخم فيه خطوط يصلح للخباء وغيره ، والسُّبِيج مِسْح مخطط يكون فى البيت يُستَّرُ به ويُفْتَرش ، والإراض بِسَاط ضخم من وبر أو صوف ، والفَليجة شُقَّة من شقق لا أدرى أين يكون ، والكِفَاءُ الشُّقَّة التى تكون فى مُؤَخَّر الخباء ... الردحة سترة فى مؤخره أيضاً ... والحمائر حجارة تُنْصَب حول البيت ... ورِوَاق البيت سماوته وهى الشُّقة التى دون العُلْيَا ، والنِّجيزة طُرَّة تُنْسَجُ ثم تُخَاط على شَفَة الشُّقَّة التى تلى الأرض » .

وفى الرسالة عرض للقدور ؛ لأنها من آلة المنازل ، ومن القدور « الوئيَّة ... وهى القِدْر الواسعة ، ومنها قدر جماع وجامعة وهى العظيمة ، وقدر دميم مطلية بِدَمَامٍ ، وقدر أعشار متكسرة ، وقدر زُوَازية تضم الجَزُورَ ، والصِّيدان برام الحجارة ... » . وفيها عرض أيضاً للآنية ومنها « الغُمْر وهو القدح

---

(١٦) الرحل والمنزل ، رسالة منشورة ضمن مجموعة (البلغة فى شذور اللغة) ص ١٢٢ — ١٣٦

الصغير ، ثم العُسُّ أكبر منه ، ثم الصحن أكبر منه ، ثم التِّبن أكبرها ، والمِصْحاة إناء مثل القدح ، والقصعة الجَفْنَة ... » . وتنتهى الرسالة بالعرض للقرب والأسماء التى تدل عليها .

النَّعَم والبهائم والوحش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض :

يبدأ الكتاب بالحديث عن الإبل وحملها ونتاجها ، وأجود الأوقات عند العرب أن تُترك الناقة بعد نتاجها سنة لا يحمل عليها الفحل ، ثم تضرب إذا أرادت الفحل ، ويقال لها عند ذلك : قد ضبعت ... فإن أكثر ضرابها حتى يتركها ويعدل عنها قيل : جفر يجفر جفوراً ، وفدر يفدر فدوراً . ويعرض للوليد الذى تضعه الناقة فإن ألقته قبل أن يشعر قيل : قد أملطت فهى مملط والجنين مليط . ثم تعرض الرسالة لأسنانها والأسماء الدالة على الذكر والأنثى ، فولدها ساعة تضع سليل قبل أن يُعْلَم أذكر هو أم أنثى ، فإذا عُلِم فالذكر سَقْب والأنثى حائل .

ويهتم الكتاب بالحديث عن سير الإبل والنُّوق فنجد عنواناً حول نعوت قوتها ، ومن هذه النعوت : العيسجور الشديدة ، والرجيلة الشديدة القوية على السير ، وجمل رجيل مثله ، وإنها لذات رجلة الظهيرة القوية ، وبعير ظهير وناقة حضار إذا جمعت قوة ورجلة ، ويعنى جودة السير .

وهناك بعض الأمراض التى تصيب الإبل كالغُدَّة ، وهو طاعونها ، يقال منه : بعير مُغِدٌّ ، فإن كان مع الغدة ورم فى ظهره فهو دارىء ، وقد دَرَأَ البعير يدرأ ... والهُيَام داء يصيب الإبل من ماء تشربه مستنقعاً ، ويقال : بعير هيمانُ وناقة هَيْمَى ، والهيمان العطشان ، ومن الداء مهيوم . ويتصل بهذا الحديث عن عيوب ذكورها ، ونوقها ، ومن هذا العَرَر وهو قصر السنام ؛ بعير أعرُّ وناقة عَرَّاء ، والجبب أن يقطع السنام ؛ بعير أَجَبُّ وناقة جَبَّاء .

وهناك حيوانات أخرى اهتمت بها تلك الرسالة اللغوية مثل جمل البحر ، وفرس البحر وخيله ، والثور والجاموس ، والثور الوحشى وهو الإيَّل ، ثم أسماء جماعات الغنم وأمراضها وعيوبها ونعوت البقر وأسنانها وبها نصل إلى نهاية الكتاب .

النَّخْلُ والكَرْمُ(١٧) :

ويمكن تقسيم هذه الرسالة إلى قسمين يدور أحدهما حول « النخل » والآخر حول « الكرم » ، وإنما دفعنا إلى هذا التقسيم اختلاف موضوعهما وطريقة جمع المادة اللغوية فى كليهما .

النخل : ويبدأ الحديث عن النخلِ بقولهم : « من صغار النخل الجَثِيث وهو أول ما يطلع من أمه ، وهو الوَدِىُّ والهِرَاء والفَسِيل ، وإذا كانت الفسيلة فى الجذع ولم تكن مستأرضة فهو من خسيس النخل والعرب تسميها الراكِب ، فإذا قُلِعت الوَدِيَّةُ من أمها بِكَرَبِها قيل وَدِيَّة مُنْعَلَة ، فإذا غَرَسَها حَفَرَ لها بئراً فغرسها ثم كبس حولها بتَرْنُوق المسيل والدِّمن فتلك البئر هى الفقير ؛ يقال : فَقِّرْنا للودية تفقيراً ، والأَشَا من صغار النخل » .

وتعرض الرسالة لنعوت سعف النخل وكربها وقُلْبها ، ولحمل النخل وسقوطه وطلعه وإدراك تمره ، وتغير تمره وفساده وذلك نحو : « إذا أَنْسَغت النخلة عن عَفَن وسواد قيل : قد أصابه الدُّمَال وقيل : الدُّمَان ، وإن لم تقبل النخلة اللقاح ولم يكن للبُسْر نوى قيل : قد صأصأت النخلة ، فإن غَلُظ التمر وصار فيه مثل أجنحة الجراد فذلك الفَغَا ، وقد أفغت النخلةُ » . وتعرض الرسالة أيضاً لنعوت النخلة فى طولها وحملها وأجناسها وعذوقها ، والعَذْق القِنْو الذى يقال له الكباسة ، وتنتهى بالعرض لنعوتها فى شربها ونباتها وجماعاتها .

الكرم : وتبدأ الرسالة بالحديث عن العِنَب . قال أبو حاتم السجستانى : « يقال العنب الكَرْمُ والحَبَل والواحدة كَرْمَة وحَبَلَة ، فإذا غُرِس الحَبَلُ أخذت ثلاث نوامى(١٨) طول كل نامية ثلاثة أشبار ثم تُحْفِر حفرةً قدر ذراع فتُثْنِى النوامىَ فى الأرض وتترك منها عينين عينين » .

وهناك حديث عن ضروب العنب . قال أبو حاتم : « وضروب العنب بالطائف الجُرَشِىُّ ، والأَقْمَاعِىُّ العربى والفارسى ، والشوكى ، والرُّغْنَاء ، والرَّازِقِىُّ ، وأم حبيب ، والضُّرُوع ، والنَّوَّاسىّ ... وحَبَلَة عمرو ، والدوالى ،

(١٧) كتاب (النخل والكرم) منشور ضمن مجموعة « البلغة فى شذور اللغة » ص ٦٣ — ٩٨ .

(١٨) النامية جمعها نوامٍ : القضيب الذى عليه العناقيد ، وقيل : هى عين الكرم الذى يتشقق عن ورقه وحبه يقال : أنمى الكرم ؛ إذا خرجت نواميه .

والرَّمادى ، والشآمى ، والغِرْبيب ، والبيضة ، والأطراف ، والحَمْنَان » .
وهذا تعريف بتلك الضروب :

- الجرشى : أبيض صغار الحبّ ، أول العنب إدراكاً .
- الأقماعى العربى : أبيض عظام الحُبَة كثير الماء .
- الأقماعى الفارسى : أعظم حَباً من العربى ، وأقل ماءً ، وأكثر شحماً .
- الشوكى : أبيض قليل الماء نحو من عظم الأقماعى ، ينشقُّ حبه على شجره .
- الرَّازِقىُّ : أبيض داخلته زُرْقة طوال الحب .
- أم حبيب : سوداء زرقاء تعظم عناقيدها ويعظم حبُّها .
- الضروع : أبيض ، وهو أطول العنب حَباً وأقله حُبَةً .
- النَّوَاسى : أبيض مدور الحب متسلسل العناقيد .
- حَبَلَة عمرو : بيضاء محددة الأطراف متداخشة العناقيد .
- الدوالى : أسود يضرب إلى حمرةٍ عظامُ الحبِّ .
- الرمادى : أسود أغبر .
- الشآمى : أبيض فإذا أينع احمارَّ .
- الغِرْبيب : أشد العنب سواداً .
- البَيْضَة : بيضاء عظيمة الحب .
- الأطراف : أبيض طوال رقاق .
- الحَمْنَان : أسود أحمر ، وهو أصغر العنب حباً .

وتعرض الرسالة لأول ما ينبت من الحبة حتى يصل إلى جزء متصل بالحديث عن الكرم وهو العرض للخمر وأسمائها وكيفية صنعها ، مع تعليل هذه الأسماء حتى نصل إلى نهاية هذا الجزء وهو خاص بالحديث عن الخلة وصنعته .

* * *

وبعد هذا العرض لتلك الكتب الثلاثة ، نعود إلى مؤلفيها فنرى أن ما قاله ا‍ﻫ تمقون بخصوص نسبة « الرحل والمنزل » و « النَّعَم » لابن قتيبة ، و « النخل والكرم » للأصمعى تعوزه الدقة والاستقصاء ؛ فهى ليست لهما للأسباب

الآتية :

أولاً : الاضطراب الذى يسود الكتب الثلاثة ، ويظهر هذا فى أن البدايات والحشو داخلها ليست دقيقة ، فكتاب « الرحل والمنزل » يبدأ بالعبارة : « أما حاجات السفر فإذا كان فى رحل الإنسان محلات نزل حيث شاء » ، وليست هذه البداية الطبيعية للكتاب ، كما أن العنوان الموضوع فى بدايته وهو « باب الرحل وآلاته والأوانى فى السفر والحضر والدور والبيوت والأخبية والأبنية » ، يدل على ذلك أيضاً ، ولا نجد فى بقية الكتاب عناوين أخرى .

وفى كتاب « النخل والكرم » نجد اسم الجوهرى (أبى نصر إسماعيل بن حماد المتوفى سنة ٤٠٠ هـ) ؛ بالإضافة إلى الرواية عنه أيضاً . قال : « أكْمَحَ الكرمُ ، إذا تحرك للإيراق » ، وهذا من تزيدات الرواة والنُّسّاخ ؛ لأن الجوهرى من المتأخرين عن زمن الأصمعى وتلاميذه . ويتردد فى الكتاب أيضاً اسم الأصمعى كثيراً ، وهذا عكس ما هو موجود فى رسائله اللغوية كـ« خلق الإنسان » و « الإبل » . بل إن ما فى الكتاب يدل على أن الأصمعى كان واحداً من الرواة الذين اعتمد عليهم صاحب الكتاب ، ومن ذلك : « وكل شجرة زَرَجُونة ، وأما الأصمعى فقال : الزَّرَجُون بالفارسية زَرَقُون ، أى لون الذهب » .

ثانياً : تؤدى مقارنة النصوص دوراً مهماً فى مجال التوثيق اللغوى ، ونعنى بهذه المقارنة هاهنا أن بعض النصوص من الكتب الثلاثة : « الرحل والمنزل » و « النعم » و « النخل والكرم » لها مثيل فى « الغريب المصنف » لأبى عبيد ، وهذه بعض النماذج :

— فى « الرحل والمنزل » : « والرَّبْع هو الدار بعينها حيث كانت ، والمَرْبَع المنزل فى الربيع خاصة ، و [illegible] الدار وسطها وعقرها وأصلها فى لغة الحجازيين . وأما أهل نجد فيقولون عَقْر ، ومنه قيل العَقَار ، والعقار المنزل والأرضَ والضِّياع ، والمنتجع المنزل فى طلب الكلأ ... »[19] . والنص نفسه موجود فى « الغريب المصنف » دون أىِّ تغيير[20] .

---

(١٩) الرحل والمنزل : ص ١٢٨ .

(٢٠) الغريب المصنف : ص ١٥٠

ـــ فى « الرحل والمنزل » : « والزَّحَاليف آثار تَزَلُّج الصبيان من فَوْقُ إلى أسفل ، واحدتها زُحْلُوفة فى لغة أهل العالية »[٢١] . والنص نفسه موجود فى « الغريب المصنف » دون أى تغيير[٢٢] .

ـــ فى « الرحل والمنزل » : « من الأبنية الخباء وهو من وبر أو صوف ، ولا يكون من شَعَر ، والبُرْجُد كساء ضخم فيه خطوط يصلح للخباء وغيره »[٢٣] . والنص نفسه موجود فى « الغريب المصنف » دون أى تغيير[٢٤] .

ـــ فى « النَّعم » : « ومن أسماء خِلْقَتها العجاوة والعجاية ، وهما قدر مضغة من لحم تكون موصولة بعصبة تنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن »[٢٥] . والنص نفسه موجود فى « الغريب المصنف » دون أى تغيير[٢٦] .

ـــ فى « النعم » : « بعير أحمر إذا لم يخالط حمرته شىءٌ ، فإن خالط حمرته قنوء فهو كميت والناقة كميت ، فإن خالط الحمرة صفاء فهو مدمى ، فإن اشتدت الكمتة من الأصل حتى يدخلها سواد فتلك الرمكة ، وبعير أرمك »[٢٧] . والنص نفسه موجود فى « الغريب المصنف » دون أى تغيير[٢٨] .

وهناك نصوص أخرى كثيرة متشابهة بين الكتب الثلاثة و « الغريب المصنف » ؛ بل إن الجزء الخاص بالنخل من كتاب « النخل والكرم » موجود برمته فى « الغريب المصنف »[٢٩] .

ثالثاً : كتب الطبقات والتراجم : وتؤدى تلك الكتب دوراً مهماً فى نسبة الكتب إلى بعض اللغويين من عدمها ، ولكتاب (الفهرست) لابن النديم أهمية

(٢١) الرحل والمنزل : ص ١٢٩ .
(٢٢) الغريب المصنف : ص ١٥١ .
(٢٣) الرحل والمنزل : ص ١٢٥ .
(٢٤) الغريب المصنف : ص ١٥٦ .
(٢٥) النعم : ص ٥١ .
(٢٦) الغريب المصنف : ص ٤٦٨ .
(٢٧) النعم : ص ٨٧ .
(٢٨) الغريب المصنف : ص ٥٠٤ .
(٢٩) السابق : ص ٣١١ ـــ ٣٢٣ .

خاصة فى هذا الصدد ؛ إذ إن مؤلفه تحرى كثيراً من الدقة فى حصر الكتب وجمع أسمائها مع نسبتها إلى مؤلفيها ، وساعده فى ذلك قربه من العهود الأولى للثقافة والفكر العربيين . وقد أدّى هذا الكتاب دوراً مهماً فى حصر الرسائل اللغوية ، على نحو ما أشرنا ، ونعتمد عليه ، مرة أخرى ، فى توثيق نسبة الكتب الثلاثة . ولكن قبل ذلك نرى أن كتاب (النخل والكرم) كتابان ، ويرجع هذا إلى اختلاف المنهج ؛ لأن الجزء الخاص بالكرم حافل بتزيدات الرواة وإضافاتهم ، فى حين أن الجزء الخاص بالنخل أكثر دقة فى هذه الناحية .

وقد نسب ابن النديم كتاباً عنوانه (الكرم) إلى أبى حاتم السجستانى (ــ ٢٥٥ هـ) ، ودفعنا هذا إلى استقصاء ما دار حول هذا الموضوع فى كتاب (النخل والكرم) فوجدنا أن الجزء الخاص بالكرم من تأليف أبى حاتم ، وهذه أدلتنا :

ــ بداية الكتاب : « حدثنا الحسن بن على الطوسى ، قال : حدثنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ببغداد قال : أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد ابن عمر السجستانى قال : ... » ؛ فالرواية تنتهى إليه ، وهذا أول دليل على نسبة الكتاب إليه .

ــ تردد اسمه فى ثنايا الكتاب بطريقة تشير إلى أن أحداً سمع عنه ، ومن ذلك : « ضروب العنب . قال أبو حاتم : ... » .

ــ تردد اسم الأصمعى أستاذ أبى حاتم داخل الكتاب بطريقة تدل على سماعه عنه ، وأخذه معظم مرويات كتابه منه ؛ خاصة ما دار حول الخمر وأسمائها .

هذا بالإضافة إلى اعتماد أبى حاتم على فصحاء الأعراب نتيجة لرحلاته إلى البادية وأخذه عن أهلها .

رابعاً : المنهج : مما يدل على عدم صحة نسبة كتاب (النخل والكرم) إلى الأصمعى طريقته فى حصر الألفاظ وجمعها وشرحها ؛ ففى كتابيه (خلق الإنسان) و (الإبل) نجده معتمداً على البادية بأعرابها ومظاهر الحياة فيها والرواد الأوائل وعلى رأسهم عيسى بن عمر الثقفى (ــ ١٤٩ هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ــ ١٥٤ هـ) أما (النخل والكرم) ففيه أسماء الرواة الذين

عاصرهم أو أتوا بعده كأبى زيد الأنصارى ؛ فإن الأصمعى يجله ويوقره ويعترف بقدره وعلوّ مكانته ، ولكنه لم يكن ليروى عنه .

ومن هنا فإن الاضطراب الذى ساد الكتب الثلاثة ، ومقارنة النصوص بعضها ببعض ، وما أخبرت به كتب الطبقات والتراجم ، ومنهج مؤلفى الرسائل اللغوية فى جمع الألفاظ وشرحها ، قد دفعنا إلى إنكار نسبة الرسائل الثلاث للأصمعى وابن قتيبة ، ودفعنا أيضاً إلى عدّ (النخل والكرم) كتابين ، ونسبة الرسائل الأربع على النحو الآتى :

ـــ الرحل والمنزل لأبى عبيد .
ـــ النخل لأبى عبيد .
ـــ النعم لأبى عبيد .
ـــ الكرم لأبى حاتم السجستانى .

وقبل أن نترك الحديث عن توثيق الرسائل اللغوية لمؤلفيها نشير إلى أن الأب لويس شيخو أورد ملحقاً بكتاب (اللبأ واللبن) لأبى زيد وقدم له بقوله : « فى كتاب الجراثيم المنسوب لابن قتيبة ... فصل شبيه برسالة أبى زيد السابق ذكرها ، ننقله هنا تتمة للإفادة ؛ ليستطيع الأدباء المعارضة بينهما »(٣٠) . وهذا الملحق موجود برمته فى (الغريب المصنف) لأبى عبيد(٣١) .

* * *

---

(٣٠) البلغة فى شذور اللغة : ص ١٤٦ .
(٣١) الغريب المصنف : ص ١٢٠ ـــ ١٢٦ ؛ وانظر : المخصص ٥ /٤١ وما بعدها .

— ٣ —

الخـــيل

وهو من الموضوعات التى لقيت اهتمام أصحاب الرسائل اللغوية ، وقد حصرنا من قبل ما كتبوه حول هذا الموضوع والعناوين التى استخدموها فى مجال التأليف حول الخيل ، وقد كانت مختلفة فهى « خلق الخيل » أو « الفرس » أو « أسماء الخيل » وسواها ، وتهدف إلى العرض الموضوعى للألفاظ الدالة على هذا الحيوان الذى ارتبطت به حياة العربى . ومعظم الكتب التي أشار إليها ابن النديم مفقود ، ووصل إلينا منها اثنان ؛ أحدهما للأصمعى والآخر لأبى عبيدة ، وعنوانهما « الخيل » .

وقد اهتم اللغويان بالمعالجة المعجمية للألفاظ المتصلة بالخيل ، ولكن غلبت على أبى عبيدة الوجهة الأدبية ؛ لذلك عقد فى نهاية كتابه باباً يدور حول ما قالت العرب فى الخيل(٣٢) ، جمع فيه شعراً لامرىء القيس وعدى بن زيد العبادى وعلقمة بن عبدة وعوف بن الخرع التيمى وبشر بن أبى خازم وعروة ابن سنان العبدى وسواهم . وقد جاء كتاب الأصمعى مختصراً بالنسبة لكتاب أبى عبيدة ، وروى أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد (ت حوالى ٢٨٢ هـ) ما يوضح ذلك . قال : « قال الأصمعى : دخلتُ أنا وأبو عبيدة على الفضل ابن الربيع ، فقال : يا أصمعى ، كم كتابك فى الخيل ؟ فقلت : جِلْد ، قال : فسأل أبو عبيدة فقال : خمسون جلداً ، قال : فأمر بإحضار الكتابين وإحضار فرس . وقال لأبى عبيدة : اقرأ كتابك حرفاً حرفاً ، وضع يدك على موضع موضع من الفرس ، فقال أبو عبيدة : لستُ ببيطار ؛ وإنما هذا شيء أخذته وسمعته من العرب ، فقال لى : يا أصمعى قم ، فضع يدك على موضع موضع من الفرس ، فوثبتُ ، فأخذت بأذنى الفرس ، ووضعت يدى على ناصيته ، فجعلت أقول : هذا اسمه كذا ؛ حتى بلغتُ حافره ... »(٣٣) .

وهناك رواية أخرى تدور حول الاثنين معاً تشبه السابقة . قال أبو عثمان المازنى : « سمعت أبا عبيدة يقول : دخلتُ على الرشيد ، فقال لى : يا مَعْمَر ،

---

(٣٢) كتاب الخيل : ص ١٣٦ — ١٧٣ .

(٣٣) نزهة الألباء : ص ١١٩ .

بلغنى أن عندك كتاباً حسناً فى صفة الخيل ، أحب أن أسمعه منك ، فقال الأصمعى : وما تصنع بالكتاب ؟ يُحْضَرُ فرس ، ونضع أيدينا على عضو عضو ، ونسميه ، ونذكر ما فيه ، فقال الرشيد : يا غلام ، أحضر فرسى ، فقام الأصمعى فوضع يده على عضو عضو ، ويقول : هذا كذا ، قال الشاعر فيه كذا ، حتى انقضى قوله . فقال الرشيد : ما تقول فيما قال ؟ قال : قلتُ : قد أصاب فى بعض وأخطأ فى بعض ، والذى أصاب فيه شىء نعلمه ، والذى أخطأ فيه لا أدرى من أين أتى به »(٣٤) .

ورغم ما بين الكتابين من اختلاف فإن الموضوعات التى دارا حولها متشابهة ، وقد اهتم أبو عبيدة بأن يضع لكتابه مقدمة ، تحدث فيها عن صيانة العرب للخيل وإيثارهم لها ، وأشعارهم فى ذلك ، والأمر بارتباطها ، وما ورد فى القرآن الكريم من فضلها ، والحديث الشريف ، والآثار . أما الأصمعى فلم يفعل مثل ذلك ، وهجم على موضوعه مباشرة دون مقدمات . قال : « كل ذات حافر أجود وقت الحمل عليها بعد نتاجها بسبعة أيام ، وحينئذ تكون فريشاً والجماع الفرائش »(٣٥) .

وقدتناول اللغويان أدقّ التفصيلات ، وعرضا لجوانب الموضوع عرضاً شاملاً ؛ فتحدثا عن الخيل وفحولها وإناثها من لدن تستودق إلى أن تنتج ، وحال أولادها إلى أن تنتهى أسنانها . وتحدثا أيضاً عن أجزاء جسم الفرس وما يصيب هذه الأجزاء من أمراض وعيوب ، ومن ذلك قول أبى عبيدة عن الأذن : « كل ما قطع من الآذان فهو جدع ، فإذا قطع أطراف الأذنين ما بينهما وبين أن يبلغ القطع ربع الأذن فهى قصواء ، فإذا جاوز القطع الربع فهى عضباء ، ما بقى من الأذن شىء حتى تصطلم فإذا اصطلمت فهى صلماء »(٣٦) . وفى الكتابين اهتمام بما فى داخل أجزاء جسم الفرس .

وعرض اللغويان لألوان الخيل و « الشيات » وهو كل لون يخالف اللون السائد ، ومنها الغرة وهو بياض الجبهة ، فإذا صغرت فهى قرحة ، فإذا استطالت وانصبت فهى شمراخ ، فإذا انتشرت قيل : غرة شادخة وفرس شادخ الغرة(٣٧) . ومن ألوانها اليعسوب وهو كل بياض يكون على قصبة

(٣٤) السابق : ص ١٠٩ .

(٣٥) الأصمعى : كتاب الخيل ص ٤

(٣٦) أبو عبيدة : الخيل ص ١٩٣

(٣٧) الأصمعى الخيل ص ٦٤

الأنف ثم ينقطع قبل أن يساوى أعلى المنخرين ، وإن ارتفع أيضاً على قصبة الأنف وعرض واعتدل حتى يبلغ أسفل الخليفاء فهو يعسوب قلّ أو كثر ما لم يبلغ العينين »(٣٨) .

وعرضا لصفة مشي الخيل وعَدْوها . قال الأصمعى : « من المشى العَنَق وهو أول المشى ، والتوقص وهو أن ينزو نزواً ويقرمط ، ويقال : مرَّ يتوقص به فرسه ، ومن المشى الدألان وهو مشى يقارب فيه الخطو ويبقى فيه كأنه مثقل من حمل (٣٩) . وتحدث عن الصفات المستحبة فى الخيل والصفات المكروهة فيها ، وذلك خلال جمع الأسماء والمسميات وشرحها شرحاً معجمياً خلال الشعر العربى القديم ، مع اهتمام أبى عبيدة بجمع أكبر قدر من الشعر ، فحول ما يستحب فى الخيل قال : « يُستَحبُّ من الخيل أن يكون الفرس عتيقاً جسيماً معروف الآباء والأمهات منسوباً سليماً من الهجنة ما شابه من العروق من غير العراب ، والدليل على ذلك ما قالت العرب فى أشعارها »(٤٠) . وحول المعنى نفسه قال الأصمعى : « يستحب فى الفرس أن يطول بطنه ، ويقصر ظهره ويشرق حجبتاه ، ويشرق منسجه ، وتعرض أوظفة رجليه ، وتحدب أوظفة يديه ، ويرق زوره وهو الصدر ، وتعظم بركته والبركة هو عظم وما عليه من اللحم وهو ما استقبلك من صدر الفرس . قال الجعدى(٤١) :

ولـوح ذراعيْـهِ فى بـركـةٍ إلى جؤجؤ رهـلِ المنكبِ(٤٢)

وقد كان للكتابين أثر بالغ فى المعاجم العربية لاستقصاء أبى عبيدة والأصمعى ما دار حول موضوعهما .

* * *

(٣٨) أبو عبيدة : الخيل ص ١١٠ .

(٣٩) الأصمعى : الخيل ص ٦٠ .

(٤٠) أبو عبيدة : الخيل ص ٦٥ .

(٤١) ديوان النابغة الجعدى : ص ٢١ .

(٤٢) الأصمعى : كتاب الخيل ص ٥٦ .

— ٤ —

خلق الإنسان

وهذا لون آخر من الموضوعات التي اهتم بها الرواد الأوائل ، وكتبهم فى هذا الموضوع مفقودة ما عدا اثنين منها أحدهما للأصمعى والآخر لثابت بن أبى ثابت ، ويحملان عنواناً واحداً هو « خلق الإنسان » . وقد تأثر ثابت بالأصمعى ؛ لذلك كان كتابه من أهم مصادره .

ولكن ما الجزئيات التى دار حولها هذا الموضوع ؟ لعلّ كتاب الأصمعى يقدم الإجابة عن هذا السؤال ؛ وذلك فى ضوء العناوين التى عقدها ، وهى كما يأتى : :

— ما يُذْكر من حمل المرأة وولادتها والمولود .
— ما يُذْكر من تقلب أحوال الإنسان .
— هذا ما تسمى العرب من جماعة خَلْق الإنسان .

وتحت هذا العنوان الأخير تناول الأصمعى الرأس والأنف والعين والكتف والذراع وسواها من أجزاء الجسم . ونقدم بعض النصوص من كتابى الأصمعى وثابت بن أبى ثابت للتعرف على المعالجة المعجمية لموضوع « خلق الإنسان » .

ونبدأ بالحمل والولادة . قال الأصمعى : « يقال للمرأة فى أول ما تحمل قد نُسِئَتْ وهى نَسْءٌ كما ترى ، فإن اشتهتْ على حملها شيئاً فهى وَحْمَى والمصدر الوَحَم . قال العجاج :

أزْمَانَ لَيْلَى عامَ ليلى وَحَمِى(٤٣)

أى شهوتى ، ووَحْمَى فَعْلَى من الوَحَم ، ويقول : وَحِمَتْ تَوْحَمُ وَحَماً ، ويكون نطفة أربعين يوماً ، وعلقة مثلها ، ومضغة مثلها ، ثم يبعث الله مَلَكاً فينفخ فيه الروح ... »(٤٤) . فإذا استبان حمل المرأة فهى مُتِمٌّ . وقد أتَمَّتْ إتْمَاماً ... ويقال لذات الحافر والسباع : قد أَلْمَعَتْ وهى مُلْمِع ، قال لبيد :

---

(٤٣) ديوان العجاج : ص ٢٩١ . يقول : ليلى هى الشيء الذى تشتهيه نفسي وتريده

(٤٤) خلق الإنسان : ص ١٥٨

أو مُلْمِعٌ وَسَقَتْ لأحقبَ لاحه   طَرْدُ الفحولِ وضربُها وكِدَامُها[٤٥]

والملمع : التى أشرف ضَرْعها للحمل ، ثم تكون حاملاً وحُبْلَى »[٤٦] .

وتوقف ثابت أمام ما يُخْلَق فى الرحم وما يخرج مع الولد ؛ فأشار إلى المشيمة وهى التى فيها الولد . قال جرير :

وذاك الفحلُ جاء بشرٍّ نَجْلٍ   خبيثاتِ المَثَابرِ والمَشِيمِ[٤٧]

وقال أبو زيد : السَّلَى : الجلدة التى يكون فيها الولد . والغِرْس : الذى يخرج مع الولد كأنه مخاط .

وعرض الأصمعى لما يُذْكَر من تقلُّب أحوال الإنسان . قال : « يقال للمولود حينئذٍ وليد ، ثم طِفْل ... ثم شَدَخٌ إذا كان صغيراً رَطْباً ، فإذا سَمِنَ شيئاً قيل : قد تحلَّم وقد اغتال ، فإذا فُطِم فهو فطيم ، فإذا انتفج وارتفع فهو جَفر ، فإذا ارتفع عن ذلك فهو جَحْوَش ، قال المُعْتَرِض الهذلى :

قتلْنا مَخْلَداً وابنىْ حُرَاقٍ   وآخر جَحْوَشاً فوق الفطيمِ

فإذا خدم وقوى فهو حَزَوَّر ... »[٤٨] .

واهتمت كتب خلق الإنسان بصفة الجارية إلى أقصى منتهى الكبر . قال ثابت : « يقال : جارية كاعب ، وذلك حين كَعَّب ثديها ... ثم يقال لها : مُسْلِف ، وذلك فوق الكاعب وأنشد :

فيها ثلاثٌ كالدُّمَى   وكاعِبٌ ومُسْلِفُ[٤٩]

ثم يقال لها : ناهد ، وذلك عند شخوص ثديها ونهوده . ثم يقال لها : مُعْصِر ، وذلك عند دُنُوّ الحيض ، يقال : قد أعصرت الجارية إعصاراً ، قال الراجز :

---

(٤٥) الأحقب : الحمار الذى فى حقيبته بياض ، ولاحه : غيره وأضمره ، والكدام : العض .
(٤٦) ثابت : خلق الإنسان ص ٢ .
(٤٧) السابق : ص ١٢ . والمثابر جمع مثبر وهو الموضع الذى تلد فيه المرأة أو تنتج فيه الناقة .
(٤٨) الأصمعى : خلق الإنسان ص ١٦٠ .
(٤٩) البيت لعمر بن أبى ربيعة : ديوانه ص ٣٥٥ ؛ والمخصص : ١ /٤٩ .

جارية بسَفوان دارُها
قد أعصرتْ أو قد دنا إعصارُها[٥٠]

والعاتق : فوق المُعْصر ، التى قد راهقت العشرين والعانس فوقها . والثُّدِىُّ الفوالك : دون النواهد . والغِرَّة : الحَدَثَةُ التى لم تجرب الأمور ، ويقال لها أيضاً غِرٌّ ، قال الأعشى :

إن الفتاة صغيرةٌ غِرٌّ فلا يُسْرَى بها[٥١]

ويبدأ الأصمعى وثابت الحديث عن « جماعة خَلْق الإنسان »[٥٢] ؛ فاسمُ جماعة خلق الإنسان : الشخص والطلل والآل والسمامة والسماوة . وشخص كل شىء طلله ، وتقول العرب للرجل : حيَّا الله شخصك وطللك وآلك ؛ تعنى الشخص . وتقول العرب : رأيتُ طلل فلان من بعيد ، ورأيتُ آل فلانٍ ، ورأيتُ سَمَامة فلان ... وقد توقف كلااللغويين أمام « الرأس » وفيها الهامة وهى وسط عظم الرأس ومعظمه ، والفروة وهى جلدة الرأس ، وظاهر جلد الإنسان من رأسه وسائر جسده البَشَرَة وباطنه الأَدَمَة .

وفى الهامة اليافوخ ، وهو وسط الهامة حيث التقى عظم مقدمه وعظم مؤخَّره ، وهو الذى يكون ليناً يضطرب من الصبى إذا بكى قبل أن يشتد عظم رأسه .

وفى الرأس أربع قبائل ؛ أى أربع قطع ؛ فمن قبل الجبهة واحدة ، ومن قبل القفا واحدة ، وثنتان فى ناحيتى الرأس . وتجمع بين أعاليهن الشئون ، وهى شبيهة بشَعْب القدح والإناء . ويستمر اللغويان فى تتبع كل ما يتصل بالرأس حتى يصلا إلى الحديث عن ابتداء نبات الشَّعَر وكثرته ؛ فأول ما يبدأ من رأس الصبى من الشعر الزَّغَب ، وهو شعر رقيق لين ... وكذلك هو من الشيخ إذا تساقط شعره فلم يبق فى رأسه إلا شعر رقيق فهو زَغَبٌ ... وقد يكون الزغب فى الفراخ ، ثم يعرض كل منهما لألوان الشعر ، والشيب ونعوته .

وتعرض اللغويان للأُذُن ونعوتها . قال أبو مالك عمرو بن كركرة : « والأذنان يقال لهما الأُنثيان ، قال الفرزدق :

(٥٠) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدى . انظر هامش (خلق الإنسان) لثابت ص ٢٤ .

(٥١) ثابت : خلق الإنسان ص ٢٩ و ٣٠ .

(٥٢) الأصمعى : ص ١٦٣ ؛ وثابت : ٣٦ .

وكُنّا إذا القيسيُّ صعَّر خدَّه   ضربْناه تحت الأُنثيين على الكَرْدِ(٥٣)

... وفى الأذن الصَّمَع ، والخَذَا ، والغضَف ، والسَّكَك ، والقَنَف . فأما الصمع فصغر الأذن واضطمارها ولصوقها بالرأس ... قال طَرَفَة :

لعمرى لقد مرَّتْ عواطسُ جَمَّةٌ   ومرَّ قُبيل الصبح ظَبْىٌ مُصَمَّعُ(٥٤)

وأما الخذا فهو استرخاء الأذن من أصلها وانكسارها على وجهها ... قال ذو الرمة :

فلما لَبِسْنَ الليلَ أو حين نَصَّبَتْ   له من خَذَا آذانِها وهو جانح

وأما الغضفاء فإدبارها إلى الرأس ، وانكسار طرفها نحو الرأس ... وأما السَّكك فصغر الأذن ولصوقها بالرأس وقلة إشرافها ... وأما القَنَف فعظم الأذن وإقبالها على الوجه وتباعدها من الرأس مع تقبُّب فيها » .

ويتوقف اللغويان أمام الوجه ، ويقال لجماعته : المُحَيَّا ، يقال : فلان جميل المحيا ، وقبيح المحيا ، ويقال : إنه لحسن الوجه ، ووسيم الوجه ، وقسيم الوجه ... وفى الوجه الجبهة ، وهى موضع السجود ، والجبينان : ما اكتنفا الجبهة من جانبيها فيما بين الحاجبين مُصْعِداً إلى قُصاص الشعر ، والواحد : جبين .

وفى الوجه الخدان ، وهما ما جاوز العينين إلى منتهى الشِّدْق . ومن الخدود الأسيل وهو السهل الطويل ، ومنها الأسجح وهو ما اتسع من الخدود وسَهُل ، ومنها الريَّان وهو الحسن الذى قد ارتوى ، ومنها المسنون وهو اللطيف الخد الدقيق ، ومنها المختلج وهو الضامر .

وفى الوجه الحاجبان ، وفى الحواجب الطُّرَط وهو دقة الحواجب وقلة الشعر ... ومن الحواجب الأَزَبُّ وهو الكثير شعر الحاجبين ... فإذا قل شعر الحاجب من الأصل فهو أَنْمَصُ .

وتعرض الأصمعى وثابت للعين وأجزائها . قال الأصمعى : « وفى العين المقلة ، وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد ... وفى المقلة الحدقة وهو السواد الذى فى وسط البياض ... وفى الحدقة الناظر والإنسان ... » .

(٥٣) ثابت : خلق الإنسان : ص ٩٢ ؛ وديوان الفرزدق : ص ٢١٠ .

(٥٤) مصمع : صغير الأذن ؛ أى قد التزقت أذنه بقفاه .

وتوقف اللغويان أمام ما استحسن فى العين من الصفات مثل النَّجَل وهو سَعَة العين وحسنها ... والبجج وهو سعة العين أيضاً . قال ذو الرمة :

وَمُختلقٌ للملك أبيضُ فَدْغَمٌ أشمُّ أبجُّ العين كالقمر البدرِ

... والبَرَج وهو سعتها وكثرة بياضها ، وقال ذو الرمة فى ذلك :

كَحْلاَءُ فى بَرَجٍ صفراءُ فى نَعَجٍ كأنها فضةٌ قد مَسَّها ذَهَبُ

وفى العين الحَوَرُ وهو أن تسودَّ العين كلها مثل عيون الظباء والبقر ... » .

ومما يتصل بخلق الإنسان الحديث عن الأنف ، وفى الأنف القصبة وهو عظم الأنف الصلب منه ، وفيه المارن وهو اللَّيِّن إذا عطفْتَه تثنَّى ، وفيه الأَرْنَبَةُ ، وهو طرف الأنف ،قال ذو الرمة :

تُثْنِى الخِمَارَ على عِرْنين أرنبةٍ شَمَّاءَ مارِنُها بالمسك مرثومُ

... وفيه المِنْخَران ... وهما الخَرْقان اللذان يخرج منهما النفس ...

ويتعرض اللغويان للفم وما فيه من الشَّفَةِ والأسنان وغير ذلك ، وذكر ما فى الفم غير الأسنان واللسان ، وقد قال الأصمعى عن الأسنان : « فى الفم الأسنان : الثَّنَايَا والرَّبَاعيَّات والأنياب والضواحك والطواحن والأرحاء والنواجذ ، وهى ست وثلاثون سناً من فوقٍ وأسفلٍ . » . وقال عن اللسان : « وفى الفم اللسان ، وفى اللسان عَذَبَتُه وهو طَرَفُه ... وفيه الأَسَلَة وهو طرفه حيث استدقَّ ورقَّ ، والأسلة والعذبة واحد » .

وتوقف اللغويان أمام الحَلْق وما فيه ، واللحية ، والعنق وما اتصل به من الكتفين وغيرهما ، والعضد والذراع ، والكف . قال ثابت : « ثم الكفُّ ، وفيها الراحة وهى باطن الكف أجمع دون الأصابع ... وفى الراحة الأَسِرَّةُ وهى الخطوط التى فيها ... واليَسَرة أسرار الكف أيضاً ... وفيها الأَلْيَة وهى اللحمة التى فى أصل الإبهام ، وفيها الضَّرَّة وهى اللحمة من الخِنْصر إلى الكُرْسُوع ... وفى الكف الأشاجع وهى العصبان التى على ظهور الكف تتصل بظهور الأصابع حتى تبلغ البراجم السفلى ثم تَغْمُضَ ... » .

وهناك حديث عن الأصابع وهى فى الكف ، وهى الإبهام والسبابة والوسطى والبنصر والخنصر ، وفى الأصابع الأنامل ... قال لبيد :

وكلُّ أناسٍ تدخلُ بينهم دُوَيْهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ

... وفيها الأظفار .

وتوقف الأصمعى وثابت أمام الصدر ، والجنين وما احتزم بهما ، والبطن وما فيه مع الاهتمام بمحاسن البطون وقبحها ، وأدواء البطن وفساده .

ويستمر اللغويان فى حديثهما المعجمى عن خلق الإنسان الذى يعد واحداً من اهتمامات المعاجم الموضوعية .

ـ ٥ ـ

الفَرْقُ

تهتم الرسائل اللغوية التى تدور حول « الفرق » بالتعرف على اختلاف تسمية أعضاء الجسم ووظائفه بين الإنسان والحيوان والطير ، ولعل هذا النص من حديثهم عن « باب الشَّفَةِ » يوضح ذلك : « الشفة من الإنسان ، وهو من الإبل المِشْفَر . ومن ذوات الحافر الجَحْفَلَة . ومن ذوات الظِّلْف المِقَمَّة . ومن الطائر غير الجارح المنقار . ومن الجارح المِنْسَر . ومن الذباب الذُّقْط » . وهناك عدة رسائل لغوية وصلت إلينا وتدور حول الفَرْق ، منها رسالتان للأصمعى وأبى محمد ثابت بن أبى ثابت ، وهما ممن عاشوا إلى ما قبل نهاية القرن الثالث الهجري . وهناك رسالة لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ . وتقدم تلك الرسائل عرضاً دقيقاً من الناحية المعجمية لاختلاف الأسماء والمسميات بين الإنسان والحيوان والطائر ، وتتجاوز ذلك إلى الحديث عن الحركات والأصوات والتكاثر والتوالد وسواها ؛ لذلك إذا كان الإنسان قد اختص بالرجل والقدم فليس المقصود بهذا أن الحيوان لا رجل له أو لا قدم له ؛ بل له معادل ولكنه التسمية تختلف ؛ فالحافر من الفرس فى موضع القدم من الإنسان ، والخُفّ من البعير ، ويقال : الخف للنعامة أيضاً ، والظلف من الشاة والبقر والظباء(٥٥) .

وقد احتفظت العربية الفصحى ، فى كل هذه الأمور وغيرها ، بثروة لفظية

---

(٥٥) انظر كتاب الفرق للأصمعى ص ١٣٦ .

كبيرة ، فحافظت بذلك على إحساس الإنسان الأول ، بأن العضو الواحد ، وإن خُلق لوظيفة معينة ، فى كل من الإنسان والحيوان والطير ، فإن شكله المختلف ، وتكوينه المتباين ، عند كل نوع من هذه الأنواع ، قد كان مبرراً كافياً لدى الإنسان الأول ، ليخالف التسمية باختلاف شكل المسميات(٥٦) .
ونقدم عرضاً لكتاب (الفرق) الذى ألفه ثابت بن أبى ثابت للتعرف على التفصيلات الدقيقة التى يضمها موضوع الفَرْق .

بدأ ثابت كتابه بمقدمة موجزة قال فيها : « هذا كتاب ما خالف فيه تسمية جوارح الإنسان تسمية جوارح ذوات الأربع من البهائم والسباع وغير ذلك وما وافق عن الأصمعى وابن الأعرابى وأبى عبيد وأبى نصر(٥٧) وغيرهم من العلماء » . وبعد تلك المقدمة نجد « باب الفم » ، ويقال : فَمُ الرجل ، وقد رُوِى عن يونس بن حبيب (ــ ١٨٢ هـ) أنه قال : « فَمٌ لكل شىء من الطير وغير ذلك ، قال رؤبة يصف الحوت :

كالحوتِ لا يرويه شىءٌ يَلْهَمُهْ
يصبح ظمآنَ وفى البحر فَمُهْ

وقال حميد بن ثور :

عجبتُ لها أنَّى يكون غناؤها فصيحاً ولم تُفْغِر بمنطقها فَمَا

... فجعلا للحمامة والحوت فماً » .

ويتوقف ثابت ، بعد ذلك ، أمام « باب الشفة » و « باب الأنف » و « باب الظفر » . قال : « يقال لما كان من سباع الطير : مِخْلب ... وما لم يكن من سباع الطير مثل الذ ا . . الحمام والضب والفأر فهو بُرْثُن ، قال امرؤ القيس :

وترى الضبَّ خفيفاً ماهراً ثانيــاً بُرْثُنَــه ما يَنْعفــرْ

وهناك « باب الصدر » و « باب الثدى » و « باب الرِّجل » . قال ثابت : « يقال رِجْل الإنسان وقدم الإنسان وحافر الفرس . يقال ذلك لكل ذى حافر ... » . و « باب فرج الرجل » و « باب فرج المرأة » و « باب الدُّبر »

(٥٦) انظر مقدمتى (الفرق) لثابت و (الفرق) لابن فارس .
(٥٧) أبو نصر هو أحمد بن حاتم (ــ ٢٣١ هـ) .

و « باب قضاء الحاجة » و « باب الغائط وموضع الخلاء » . قال الكسائى : « يقال لموضع الغائط : الخلاء والمذهب والمِرْفق والمرحاض ... » .

ومن الموضوعات التى اهتم بها ثابت حين حديثه عن الفرق بين الإنسان والحيوان والطير « باب خروج الريح من الإنسان » و « باب ما يسيل من أنف الإنسان وغيره » و « باب الشهوة من الرجل وغيره » ؛ فيقال : « شهوة الرجل وشَبَقه وغلمته ... ويقال له من ذى الحافر : استودقت الفرس ... واستعسبت الفرس مثل أودقت ، ويقال فى ذى الخف : اغتلم البعير وقَطِمَ ... » . ونجد ، بعد ذلك ، « باب النكاح » و « باب الحمل » و « باب سقوط الولد لغير تمام » .

ويستمر ثابت فى عرضه حتى نصل إلى آخر أبواب الكتاب ، ويدور حول « نعوت الناس فى السرعة والعدو واختلافه » .

* * *

— ٦ —

الوحـــــوش

من الرسائل اللغوية التى وصلت إلينا حول هذا الموضوع اثنتان ، واحدة لقطرب وعنوانها : « كتاب ما خالف فيه الإنسانُ البهيمةَ فى أسماء الوحوش وصفاتها » ، والأخرى للأصمعى وعنوانها : « أسماء الوحوش وصفاتها » ، وتدوران حول صفات بعض الحيوانات وأسمائها وطباعها وأصواتها ، فقد قال قطرب : « يقال للحمير عير ومسحل وابن مكلاء وللأنثى حمار »[٥٨] . وهذه الأسماء حصرها الأصمعى عند حديثه عن صفة الحمار[٥٩] .

ومن موضوعات كتب الوحوش الحديث عن البقر وصفاتها وأسماء أولادها والظباء وصفاتها ؛ فيقال للذكر الظبى واليعفور ، وللأنثى ظبية ويعفورة ، وجماع اليعفور اليعافير ، والعفر أضعف الظباء عَدْواً ، وإنما يطمع فيها الفهد ،

---

(٥٨) قطرب : الوحوش ص ١٠٦

(٥٩) الأصمعى : الوحوش ص ٧٦

ولا يطمع فى الأدماء لسرعتها ... ومن الظباء المشدن ، وهى التى معها ولد فى شدن ؛ أى قوى وتحرك »[٦٠] .

وقد تتبع قطرب أسماء أصوات بعض الحيوانات . قال : « وأما الحمار فيقال : نهق ... وشحج أيضاً ... إذا أراد أن ينهق ، وعشر الحمار تعشيراً عشر ... الظبى فيقال : بغم يبغم بغاماً ، ونزب ينزب نزيباً ... وفى الأسد زأر يزأر زئيراً »[٦١] .

وعرض الأصمعى لأسماء الأرانب والثعالب والأسود ، مع الاهتمام بالأسماء والمسميات لدى القبائل العربية ، فقد قال : « الهجرس فى لغة أهل الحجاز القرد ، وفى لغة غيرهم الثعلب ، والسرحان فى لغة هذيل الأسد ، وفى لغة غيرهم الذئب ، وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدى :

ترى السرحانَ مفترشاً يديْهِ كأنّ بياضَ لبَّتِه الصديعُ[٦٢]

* * *

— ٧ —

المطـــــر

هناك رسالة لغوية وصلت إلينا حول هذا الموضوع ، وعنوانها : « كتاب المطر » ، وهى لأبى زيد الأنصارى . ونقدم عرضاً لها للتعرف على الجزئيات التى يدور حولها هذا الموضوع .

عالج أبو زيد الحديث عن المطر معالجة لغوية ؛ فهو يقول عن أسمائه : « أول أسماء المطر القِطْقِطُ وهو أصغر المطر ، والرَّذَاذ فوق القطقط . يقال : قَطْقَطَتِ السماء فهى مقطقطة وأرذَّتْ فهى مُرِذَّةٌ إرذاذاً ، ومنه الطشُّ فوق القطقط . يقال : طشَّت السماء تَطِشُّ طشاً ، ومنه البَغْش وهو فوق الطَّشِّ . يقال : بغشت تَبْغَشُ ، والغَبْيَة فوق البَغْشَة ، وكذلك الحَلْبَةُ ، والشَّجْذَة . يقال : أغْبَتْ فهى مُغْبِية إغْبَاءً وحَلَبَتْ تَحْلُبُ حَلَباً وأشجذتْ

(٦٠) السابق : ص ٧٩ .

(٦١) قطرب : الوحوش ص ١١٩ .

(٦٢) الأصمعى : الوحوش ص ١٠٥ .

يُشْجِذُ إشجاذاً وهو فوق البغشة ، ومنه الحَفْشَةُ وهى مثل الغَبْيَة ويقال : حفشت السماء تَحْفِشُ حَفْشاً ... »[٦٣] . ويستمر أبو زيد فى هذا العرض اللغوى لأسماء المطر ، وكان يأتى ــ أحياناً ــ بالشواهد التى تساعد فى المعالجة الدلالية ؛ فإن « الدِّيمَة » المطر الدائم الذى ليس فيه رعد ولا برق أقلها ثلث النهار أو ثلث الليل وأكثرها ما بلغت من العِدّة ، و « التَّهْتَان » نحو الديمة . قال الراجز :

يا حبَّذا تضحكُ بالمشافرِ   كأنَّه تهتانُ يومٍ ماطرِ

ويستمر أبو زيد فى حديثه عن المطر وأسمائه حتى نصل إلى عرضه لأسماء الرعد . قال : « الرعد وجماعه الرعود ، ويقال : رعدت السماءُ فهى تَرْعَدُ رعداً ، وأرعد القومُ إرعاداً إذا أصابهم الرعدُ ، وفى الرعد الإرزام وهو صوت الرعد غير الشديد منه . يقال : أرْزَمَ الرعد إرزاماً ، وفيه التهزُّم وهو أشد صوت الرعد شديده وضعيفه ، وهو الهزيم . ويقال : تهزَّم الرعد تهزُّماً وانهزم انهزاماً ، وفيه القعقعة وهو تتابع صوت الرعد فى شدة وجماعها القعاقع ... » . ويتحدث أبو زيد عن أسماء البرق وأسماء السحاب .

وتوقف أبو زيد أمام أسماء الماء . قال : « الرَّنْقُ من الماء القليل المخلوط بالطين ، والكَدَر مثله . يقال : كَدِرَ الماءُ يكْدَر كَدَراً ، ويقال : نَضَبَ الماء يَنْضُبُ نضوباً مثل النَّشْف ، وبَضَّ الماء يَبِضُّ بضيضاً وهو أن يستجم الماء فيجتمع واجتماعه بضيضه ، ونضَّ الماء يَنِضُّ نضيضاً وهو مثل البضيض . ويقال : ماء عذب ومياه عِذاب وقد عَذُبَ الماء عذوبة ، ومنه الزُّلال وهو أشد الماء عذوبة وأطيبه طعماً ، ومنه النُّقاخ وهو مثل الزلال ، ومنه الفرات وهو العذب ، ومنه الشَّبِم وهو البارد عذباً كان أو ملحاً ، والقارس البارد من كل شراب ... » .

* * *

---

(٦٣) المطر : ص ١٠١ وما بعدها .

— ٨ —

البـــــئر

من الرسائل اللغوية التى وصلت إلينا حول هذا الموضوع « كتاب البئر » لابن الأعرابى الذى أشرنا إليه حين تعرفنا على المعجم الموضوعى : ماهيته ومعناه ، ونقدم عرضاً لهذا الكتاب .

يبدأ ابن الأعرابى حديثه عن البئر بالحفر فى الأرض والأسماء والمسميات الخاصة بذلك ، كما تحدث عن أسماء تراب البئر وهى : النَّجِيثة والنبيثة والنثيلة والثُّلَّة والسُّفاة . قال الهذلى(٦٤) :

وقد أرسلوا فُرَّاطَهم فتأثَّلوا قَلِيباً سَفَاها كالإماءِ القواعِد

وبعض الصفات التى تُطلق على الماء كقولهم : « ماء نَمِير ونَمِر إذا كان يوافق الشاربة ، ويَنْجَعُ فى جلودها وأجسامها ، عذباً كان أو غير ذلك . قال حاتم :

وشربتُ بالماء النَّميـــرِ ولم أُتْرَكْ ألاطِمُ حَمْأَةَ الحَفْرِ

وقال آخر :

قد جعلتْ والحـمدُ لله نَقِرْ
من ماء عَـدٍّ فى جلودها نَمِرْ

وتوقف ابن الأعرابى أمام أسماء البئر وهى : « الرَّكِيَّة والجمع ركايا . والقَلِيب والجمع قُلُب . والفقير وهى التى فُقِرَ جَبَلُها فاتخذت حديثاً . والطوىُّ والجمع أطواء . والبدىُّ وهى الجديد . والحَفَرُ وهى الواسعة الرأس ؛ لأنها ربما تقوضت واتسع رأسها ، وربما كانت غير بعيدة القَعْر . والبدىُّ حين تُبْتَدأ وهى القريح ... » .

واهتم ابن الأعرابى بالألفاظ التى تُطلق على البئر حين وجود الماء فيها . قال : « بئر نضوض وبروض ورشوح ومَكُول : وهى التى يجتمع ماؤها قليلاً

---

(٦٤) أبو ذؤيب الهذلى .

قليلاً ، ويقال : قد اجتمعت فيها مُكلة . وإذا كان لا يُؤخذ ماؤها إلا غرفاً فهى قدوح ... وإذا كانت بأتى ماؤها مرة ويذهب أخرى فهى الظُنُون . وإذا كانت إذا استُقِي ماؤها جَمَّت بماء آخر قيل : بئر لها ثائِب ... وإذا كانت إذا قلت الأمطار قلّ ماؤها قيل : بئر قَطُوع » .

* * *

— ٩ —

الأزمنة وتلبية الجـــاهلية

اهتم بالتأليف تحت هذا العنوان قُطْرب ؛ فقد وصلت إلينا رسالة لغوية عنوانها : « الأزمنة وتلبية الجاهلية » قال فى صدرها : « هذا كتاب الأزمنة فى تسمية سمائها وشمسها وقمرها ونجمها وليلها ونهارها وساعاتها » .

وقد بدأ قطرب حديثه بالتوقف أمام « السماء » من حيث التذكير والتأنيث مع الاهتمام بالأسماء الأخرى التى تطلق عليها نحو « برْقَع » فى قول أمية بن أبى الصلت :

وكأن بِرْقَعَ والملائك حولها سَدِرٌ تواكله القوائم أجْرَدُ(٦٥)

ومن أسماءَ السماء الخلقاء . قال الأعشى :

قد يترك الدهرُ فى خلقاءَ راسيةٍ وَهْياً ويُنْزِل منها الأعصم الصَّدَعَا

والجَرْبَاء . قال الأعشى أيضاً :

وخوتْ جِرْبَةُ النجومِ فما تَشربُ أُرْوِيَّةٌ بمَرْى الجنوب

وهناك أسماءٌ أخرى للسماء ذكرها قطرب ، ثم يذكر بعدها أسماء الشمس وذلك نحو الإلاهة . قال الشاعر :

تروَّحْنَا من اللعْبَاءِ قَصْراً فأعجلْنَا إلاهَةَ أنْ تؤوبَا

والضَّحَ . قال ذو الرمة :

---

(٦٥) برقع : اسم للسماء السابعة ، وسدر : نجر ، وتواكله الناس : أى تركوه بتمايل ، من المواكلة .

ترى صَمْدَه من كل ضيحٌ يعينه   خَرورٌ كتسفاعِ الضِّرام المشعّلِ

وهناك بعض العناوين التى وضعها قطرب ليوضح بها المادة المعجمية التى يعالجها وذلك كقوله : « وهذا مما يذكر من جَرْى الشمس إلى مغيبها » ، و « هذا مما يذكر من القمر وما فيه » ، وقد قال تحت هذا العنوان : « يقال : أَسْفَرَ القمر فى أول ما يرى ضوءه ولمَّا يظهر ، وليل أسفر . وقال الشاعر فى القمراء :

يا حبذا القمراءُ والليلُ السَّاخْ
وطُرُقٌ مثل مُلاءِ النَّسَّاخْ(٦٦)

ومن عناوين قطرب أيضاً « أسماء الليالى فى ابتداء الهلال إلى آخر الشهر » و « هذا مما يذكر من النجوم ومنازل القمر فيها والأزمنة » . قال قطرب : « والأزمنة ستة أزمنة : ثلاثة للشتاء وثلاثة للصيف . فأول الشتوية يقال له : الوسمىّ ، والثانى : الشتوىّ ، والثالث : الربيع . وأول الصيف يقال له : الصيف ، والثانى : الحميم ، والثالث : الخريف . وقال آخرون : السنة عند العرب أربعة أزمنة : فأولها : الوسمى ، والثانى : الربيع ، والثالث : الصيف ، والرابع فى لغة أهل الحجاز : الخريف ، وفى لغة تميم : الحميم » .

وعرض قطرب لمنازل القمر ، وما يذكر من الليل والنهار وساعاتهما ، وما يذكر من تسمية الأيام .

ونصل ، بعد ذلك ، إلى ما ذكره قطرب من « تلبيات العرب » ، وقد بدأ بتلبية النبى ﷺ :« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » . وهذه التلبية هى تلبية التوحيد . وقد أشار ابن عباس — رضى الله عنهما — إلى أن تلبية أهل الجاهلية فى حجهم مختلفة ؛ فإن تلبية قريش هى : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكٌ هو لك ، تملكه وما ملك ، أبو بنات فى فَدَك » .

وقد كان حديث قطرب عما يذكر من الظل الذى يفىء آخر موضوعات الكتاب .

(٦٦) كتاب الأزمنة : ص ١٨

ولعله من المفيد الإشارة إلى كتاب اهتم بالأزمنة عند العرب ، وهو يتصل بالموضوع الذى بين أيدينا ، وهو :

الأنواء فى مواسم العرب : ومؤلفه ابن قتيبة ، وقد عرّف « النَّوْء » فى صدر كتابه قائلاً : « سقوط النجم منها فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق ، وسقوط كل نجم منها فى ثلاثة عشر يوماً خلا الجبهة ، فإن لها أربعة عشر يوماً ، فيكون انقضاء سقوط الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول فى ابتداء السنة المقبلة . وكانت العرب تقول : لا بد لكل كوكب من مطر أو ريح أو برد أو حر ، فينسبون ذلك إلى النجم ، وإذا مضت مدة النوء ولم يكن فيها مطر قيل : خوى نجم كذا وأخوى »(٦٧) .

وتفيد الأنواء فى تحديد مواقع النجوم ومعرفة سقوط الأمطار وتحديد اتجاه الريح ؛ لذلك قال ابن قتيبة فى مقدمة كتابه : « هذا كتاب أخبرتُ فيه بمذاهب العرب فى علم النجوم : مطالعها ومساقطها وصفاتها وصورها وأسماء منازل القمر منها وأنوائها ، وفرق ما بين يمانيّها وشاميّها ، والأزمنة وفصولها ، والأمطار وأوقاتها ، واختلاف أسمائها فى الفصول ، وأوقات التبدى لتتبع مصادر الغيث ، وارتياد الكلأ ، وأوقات حضور المياه ، وما أودعته العرب من أسجاعها فى طلوع كل نجم من الدلالات على الحوادث عند طلوعه ، وعن الرياح وأفعالها ، وتحديد لهابها ، وأوقات بوارحها ، وعن الفلك والقطب والمجرة والبروج ، والنجوم الخُنَّس ، والشمس والقمر ، ودرارى الكواكب ومشاهيرها ، والاهتداء بها ، وعن السحاب ومخايله : ماطره ومخلفه ، والبروق : خُلَّبها وصادقها ، وأمارات خصب الزمان وجدوبته إلى غير ذلك » .

وقد كانت موضوعات ابن قتيبة متصلة كثيراً بعلم الفلك ومواقع النجوم ، ولكن لا نعدم فيه الناحية اللغوية ، وذلك من حيث شرح الألفاظ وبيان معانيها ، مع خلط هذا بالحديث عن النجوم ، يدل على ذلك قوله : « ومن الكواكب التى تُنْسَب إلى الثريا العيُّوق ، وليس منها ولا من ذوات الأنواء ، ولكن يطلع إذا طلعت . قال حاتم طيء :

(٦٧) الأنواء : ص ٦

وعاذلةٍ هبَّتْ بليلٍ تلومُنى وقد غاب عيوقُ الثريا فعرَّدَا[٦٨]

قوله : عردا ؛ أى غاب ، وقد يكون التعريدُ العدولَ والميل ، يقال : عرَّد الرجل ، إذا عدل ليفرَّ . قال ذو الرمة يذكر أصحابه :

نبَّهتُهم من مهجعٍ حــرودِ والنجمُ بين القمِّ والتعــريدِ[٦٩]

يريد بالنجم الثريا ، والقم جمع قمة : الرأس ؛ يريد أنها بين أن تكون فى وسط وبين أن تعدل عن الوسط . ويجوز أن يكون حاتم أراد : وقد عرَّد عيوق الثريا لغاب ؛ أى مال فغاب ، فقلب . والقلب يأتى كثيراً فى كلام العرب والشعر والقرآن . قال الله جل ثناؤه : (ثم دنا فتدلى)[٧٠] ؛ أى تدلى فدنى »[٧١] .

ويعد الحديث عن القمر وأسمائه والكواكب وما يعادلها أكثر من غيره فى الكتاب . قال ابن قتيبة : « أسماء المنازل وهيئاتها : وهذه المنازل الثمانية والعشرون ذات الأنواء هى التى ذكر الله عز وجل فقال : (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)[٧٢] ؛ يريد أنه ينزل كل ليلة منزلاً منها حتى يصير فى آخر ليلة من الثمانى والعشرين كالعذق القديم ، والعذق إذا قدم دقَّ واستقوس ، فشبه القمر به عند استسراره ، وربما كان المنزل منها نجوماً فيسمى كلها نجماً ، وإنما أفردوا وهى عدد لأنهم ذهبوا إلى أنها منزل واحد ، وربما جمعوا على العدد »[٧٣] .

ويستمر ابن قتيبة فى حديثه عن الكواكب والنجوم ، مع المزج بين الفلك واللغة والأدب ، مؤيداً شروحه اللغوية بشواهد من الشعر القديم .

* * *

---

(٦٨) ديوان حاتم : ص ٢٢٩ .
(٦٩) ديوان ذى الرمة : ص ١٥٩ .
(٧٠) النجم/٨ .
(٧١) الأنواء : ص ٢٤ وما بعدها .
(٧٢) يس/٣٩ .
(٧٣) الأنواء : ص ١٦ وما بعدها .

— ١٠ —

كتاب النخـــــل

وقد وصلت إلينا رسالة لغوية لأبى حاتم السجستانى تدور حول « النخل » ، وهى تبدأ بقوله : « النخلة سيدة الشجر ، مخلوقة من طين آدم — صلوات الله عليه — . وقد ضر بها الله — جل وعز — مثلا لقول « لا إله إلا الله » ، فقال — تبارك وتعالى — : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة) وهى قول : « لا إله إلا الله » ، (كشجرة طيبة)(٧٤) وهى النخلة . فكما أن قول : « لا إله إلا الله » سيد الكلام ، كذلك النخلة سيدة الشجر » .

وقد أشار أبو حاتم إلى أن ثمر النخلة سيد كل ثمرة ، وكذلك ثمر الرمان . وقال قوم لا علم لهم بكلام العرب : ليس النخل ولا الرمان من الفاكهة حين سمعوا قول الله عز وجل : (فيها فاكهة ونخل ورمان)(٧٥) فغلطوا . وإنما ذكرهما الله — تبارك وتعالى — فى الجملة ، ثم أفردهما تفضيلاً كما قال : (قل من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال)(٧٦) تفضيلاً لهما على سائر الملائكة ؛ وكما قال تعالى ذكره : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) فأجمل النبيين ، ثم قال : (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم)(٧٧) فأفردهم تفضيلاً لهم على سائر الأنبياء »(٧٨) .

ولم يهتم أبو حاتم بوضع عناوين تنظم المادة المعجمية التى يعرض لها ، ولكنه استرسل فى الحديث عن النخل بعد أن بَيَّنَ ما ورد فى القرآن الكريم والحديث الشريف بشأنه ، وكذلك ماروى عن بعض الصحابة — رضوان الله عليهم — بهذا الصدد . وقد بدأ المعالجة اللغوية للنخل بقوله : « يقال للنواة من كل شجرة عَجَمَة ، والجمع العَجَم ، وكذلك نوى النبق والخوخ والعنب وكل

(٧٤) قال تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء) . إبراهيم /٢٤ .

(٧٥) الرحمن /٦٨ .

(٧٦) البقرة /٩٨ .

(٧٧) الأحزاب /٧ .

(٧٨) كتاب النخل : ص ٤٠ .

شيء ، وقال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

غَزاتُك بالخيل أرضَ العـدو وجُذِعانُها كلقيـط العَجَمْ

... وقال أبو زيد الأنصاري : « القشرة التي على النواة : القِمْطير والفُوفة والجمع الفوف . وقال بعض أهل العلم : فُوفة كل شيء قشره . وقال أبو زيد : والذي في بطن النواة طولاً الفتيل ، قال : والنُّقرة التي في ظهر النواة النقير ، وقد قال الله جل وعز : (ولا يملكون من قمطير)(٧٩) فضربه مثلاً . وقال تبارك وتعالى : (ولا يُظلمون فتيلاً)(٨٠) وقال جل وعز : (فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً)(٨١) والله أعلم بتفسير القرآن ، فإذا كان التفسير على هذا ، فهذه أمثال ضربها الله — تبارك وتعالى — وخص بها نَوى التمر دون سائر النوى » .

وقد خلط أبو حاتم حديثه اللغوي عن النخل ببعض الحكايات الأسطورية كحديثه عن « عين وبار » وهي ماء في موضع للجن لا يُدْرَى أين هو . كما تحدث أبو حاتم عن بعض الأشياء المتصلة بالنخل حديث الخبير العارف بها . قال : « ونوى النخل عظيم البركة جداً ، تُعْلَف الإبل النوى حتى تسمن وتكثر شحومها فربما وجدوا في أبعار الإبل النوى الصِّحاح بالأبطح بعد شهر ونحو ذلك ، وتقوى الإبل بذلك على حمل المحامل الثقال ، وتُعْلَف الصَّنايا من الغنم النوى أيضاً ، فتكثر ألبانها . ويُباع بالبصرة من النوى بمال عظيم جداً لا يُضبَط حسابه . ومنافع النخل لا تُحصَى كثرة ، وإن الكَرْم لكثير المنافع ، وإن لم تبلغ منافعه منافع النخل » .

* * *

---

(٨٠) النساء/٤٩ .

(٨١) النساء/٥٣ .

— ١١ —

النبات والشجر

وحول هذا الموضوع وصلت إلينا رسالة للأصمعى تحمل العنوان نفسه[٨٢] ، وهى مقسمة إلى ثمانية على النحو الآتى :

١ — فصل فى النبات عموماً . وقد بدأ هذا الفصل بقول الأصمعى : « يقال : رأيتُ أرض بنى فلانٍ غِبُّ المطرِ واعدةً حسنةً : إذا رُجِىَ خيرُها وتمامِ نبتها فى أول ما يظهر النبتُ ، ويقال : وَشَمَتِ الأرض : إذا رأيت فيها شيئاً من النبات ... » .

٢ — فصل فى النبت من الأحرار وغير الأحرار . والمقصود بذلك أن أحرار البقول ما رقَّ منها ورطُب ، وذكورها ما غَلُظَ منها وخَشُنَ ؛ لذلك يقول الأصمعى : « أحرار البقل ما رق وعَتُق ، ومعنى عتق : كَرُمَ ، والعِتْق : الرقة ، وذكور البقل ما غلظ منها » ومن هنا فليس المراد بالعتق القدم ، لكن الحسن والكرم .

« فمن الأحرار الذُّرَقُ[٨٣] وهو الحندقوق ، والبقل وهو قَتُّ البر ... ومن النبت غير الأحرار السَّخْبرة[٨٤] ، والنَّدْغَة[٨٥] ... » .

٣ — فصل فى أسماء الذكور : قال الأصمعى فى بداية هذا الفصل : « ومن أسماء الذكور : القُرَّاص ، والخُزَامَى ، والأُقْحُوان ... »[٨٦] .

٤ — فصل فى أسماء النبت غير الذكور : ومنها « الهَيْشَر . قال ذو الرمة :

---

(٨٢) منشورة ضمن مجموعة « البلغة فى شذور اللغة » ص ١٧ — ٤٨ .

(٨٣) الذرق جمع ذُرْقَة : نبات كالفسفسة .

(٨٤) السخبرة : شجرة إذا طالت تدلت رؤوسها ، لها قضب مجتمعة وجرثومة وعيدانها كالكراث فى الكثرة .

(٨٥) الندغة : الصعتر البرى الذى تعسل عليه النحل ، له زهر صغير شديد البياض .

(٨٦) القراص : نبت يطول ويسمو كالجرجير ، له زهرة صفراء ، وهو حار حامض يقرص اللسان والخزامى : عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهور طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج .

كأنّ أعناقَها كُرّاتُ سائفةٍ   طارتْ لفائفُه أو هَيْشَرٌ سُلُبُ[87]

والإسنامة ثمر الحَلِيّ ، والعراجين نبت صغار واحدها عُرْجُون ، ومن النبت الحَبَقُ وهو الفُوذنج ... » .

٥ ــ فصل فى أسماء الحَمْض[88] : ومن أسمائه : « الرِّمث ، والقِضَة ، والدَّغَل ، والقُلاّم ، والهَرْم ... » .

٦ ــ فصل فى ما ينبت فى السهل : قال الأصمعى : « ومما ينبت فى السهل العرفج ، والغضر واحدته الغضرة ، والنُّغض واحدته نُغضَة ... » .

٧ ــ فصل فى ما ينبت فى الرمل من الشجر وغيره : ومن ذلك « الألاء الواحد ألاءة : قال عبد الله بن عنمة الضبى :

فخرّ على الألاءة لم يُوسَّدْ   كأن جبينه سيفٌ صقيلُ

٨ ــ فصل الشجر : قال الأصمعى : « من الشجر العِضاه وهو كل شوك يعظم ، ومن أعرف ذلك : الطلح ، والسَّلَم ، والسَّيال ، والعُرْفُط ، والشَّبَة ، والسَّمُر ، والكَنَهْبل ، وشِكير العضاه ما بدا ورقه صغاراً قبل أن يتم وهذا شجر له شوك » . وهذا الفصل هو آخر فصول كتاب « النبات والشجر » للأصمعى .

* * *

ــ ١٢ ــ

اللِّبَأ واللَّبَن

وهو عنوان رسالة صغيرة لأبى زيد الأنصارى[89] ، ويقصد باللبأ اللبن فى أول النتاج ، وقد استهلها أبو زيد بقوله : « العرب تقول فى صفة اللِّبأ ــ مهموز مقصور ــ اللِّبا ، ولبأتُ الناقة ، وأكثر ما يكون ثلاث حلبات وأقله حَلْبة ، والمفصح يقال : أفصحتِ الناقةُ وأفصح اللبنُ إفصاحاً إذا انقطع

(٨٧) الضمير فى « أعناقها » يعود على فراخ النعام التى يصفها الشاعر ، وقد شبه أعناقها بنبت الكرات النابت فى السائفة وهى الرملة الرقيقة .

(٨٨) الحمض : كل ما ملح من الشجر .

(٨٩) نشرت ضمن مجموعة « البلغة فى شذور اللغة » ص ١٤١ ــ ١٤٥ .

وأخلص وهى الرُّمْثة تنزل فى الضَّرْع بعد الحلب ... » .

وقد اهتم أبو زيد بحصر بعض الألفاظ الدالة على اللبن وأسمائه . قال : « ومنه (يقصد اللبن) النَّسْءُ ... وهو الحليب يخلطه الماء . ويقال : نسأتُ اللبن أنسأه نَسْأً وهو المذيق والسَّمار والضَّيِّح والخَضَار والسَّجاج ، والمفصح الذى قد ذهبت رغوته ، ومنه الغريض وهو مثل الحليب فى السقاء ، ومنه السامط وهو الذى لا يصوِّت فى السِّقاء من طراءته وخثورته وخَثْرِه أيضاً ... ومن اللبن الفائىء ... وهو الذى يغلى حتى يرتفع له زبد وينقطع عن التغيير » .

* * *

ـ ١٣ ـ

الشـــــاء

وهذه رسالة موجزة تدور حول « الشاء » للأصمعى ، وقد استهل حديثه عنها بقوله : « الوقت الجيد فى الشاء أن تخلى سبعة أشهر بعد ولادها فيكون حملها خمسة أشهر فتضع فى كل سنة مرة ، فإن أعجلت عن هذا الوقت حتى يحمل عليها مرتين فى السنة فذلك الإمغال »(٩٠) .

وقد عرض لأنواع الغنم مع حصر الأسماء والمسميات . قال : « من الغنم الفخور ، وهى التى يكثر لحم ضرعها ، ويقلُّ لبنها ، وكذلك من الإبل . ومن عيوب الضــرع الخزب ... وهو أن تصيبه عين أو برد ، فيرم ضرعها ويغلظ فعند ذلك يقال : قد خزبت الشاةُ تخزبُ خزباً » . وعرض أيضاً لأسنانها ؛ فإذا طال بها العمر فذهبت أسنانها قيل : شاةٌ كافٍ ، فإذا ذهبت أسنانها أو أسنانُ الناقة وسال لعابها قيل : ناقة وشاة دلقم » .

* * *

(٩٠) الشاء : ٢ ـ ١٤

— ١٤ —

الإبـــــل

يبدأ الحديث عن الإبل بالتوقف أمام حملها ونتاجها وأجود الأوقات لذلك . قال الأصمعي : « أجود وقت يُحْمَل فيه على الناقة أن تُجَمّ سنة ويحمل عليها في كل عام فذلك الكِشَاف ، يقال : ناقة كَشُوف ، وقد أكشف بنوفلان العام فهم مُكشِفون إذا لَقحت إبلهم على ذلك الوجه . قال رؤبة :

حربٌ كِشَافٌ لَقِحتْ إعْثارا

قال : والإعثار كأنه يُعثر عليها ، وأنشد لزهير :

فتَعْرككم عَرْكَ الرَّحى بثِفالها ... وتَلْقَحْ كشافاً ثم تحملْ فتُتْئِمِ(٩١)

ويتحدث الأصمعي عما تضعه الناقة ؛ فإذا ألقته وقد نبت شَعَرُه قيل : سبَغتْ وسبَّطتْ ، وهي ناقة مسبِّغ ومُسبِّط ، ويقال : ألقتْه مُشعِّراً . ويتوقف أمام الأسماء التي تطلق على ما تضعه الناقة مع تتبع مراحل نموه ؛ فإذا تم رِضاعه سنةً ولزمه اسم الفصيل حُمل على أمه من العام المقبل ، فإذا لَقحت فهي خَلِفة ، والجماع مخاض وبه سُمّي الفصيل تلك الساعة ابن مَخاضٍ ، فلا يزال ابنُ مخاض يجوز في الصدقة حتى تضع أمه فإذا وضعت أمه ، وصار لها لبن من غيره فهو ابن لَبونٍ سنة ، فإذا استحقت أمه حملاً آخر بعد الأول فهو حِقٌّ ، فإذا أتت عليه سنةٌ بعد حِق فهو جَذَع ، يقال : قد أجذع يجذع إجذاعاً ... فإذا تمت سنة وألقى ثنيته فهو ثَنِيٌّ وثِنِيّ ... فإذا ألقى رَبَاعيته فهو رَبَاع والأنثى رَبَاعية ، فإذا ألقى سَديسه فهو سديس وسَدَسٌ ... ويقال : أسدس يُسدِس إسداساً . قال أبو النجم :

نحّى السديسَ فانتحى للمَعْدِلِ ... عَزْلَ الأميرِ للأميرِ المُبْدَلِ

فهذه الأسنان كلها قبل الناب ، فإذا خرج نابُه فقد بَزَلَ وهو بازل ... » .

ويتوقف الأصمعي أمام اللبن والدرة والحلب . قال : « يقال للبعير إذا حَسُنَ غذاؤه : كانت له دِرَّةُ أمّه وعُلالتها وعُفافتها . فأما الدِّرة فما ينزل من

(٩١) الإبل : ٦٧ . وتعرككم : يعني الحرب ؛ أي تطحنكم ، والثفال : جلدة تكون تحت الرحا يقع الدقيق عليها ، وتتئم : تأتيكم بالتئين . انظر شرح ديوان زهير : ١٩ و ٢٠ .

صلبها إلى ضرْنِها ، وأما العُلالة فلبن ينزل بعد لبن ، وأصل ذلك من قولك : نهل البعير وعلِ ، فأما النَّهَل فالشَّرْبة الأولى وأما العَلَل فالثانية ، وأما العُفافة فأن يحلب الرجل الناقة أو الشاة ويلقى ولدها عليها ، فما أنزلت بعد ذلك فهى العُفافة قال الأعشى وذكر ظبية ترضع ولدها :

ما تجافى عنه النهار وما تعجوه إلا عُفافةٌ أو فُواقُ

الفُواق : ما بين الحلبتين ؛ يقال : انتظرته فُواقَ ناقةٍ ... »(٩٢) .

وهناك بعض الأدواء التى تصيب الإبل وغيرها من الحيوانات التى يعتمد عليها العربى فى حياته ، وقد قال الأصمعى عن تلك الأدواء : « الصَّيَد داء يأخذ الأنفَ فيميل منه رأسُ البعير ويسيل منه زَبَدٌ ، فيقال للرجل الذى به كِبْر : أصيد ، فلما كَثُر تشبيههم به قالوا : رجل أصيد وقوم صِيدٌ ... ويقال : الصَّيد والصاد ، ويقال : أخذه صَيَدٌ وصَادٌ ؛ إذا أخذه ورمٌ فى أنفه » .

وقد أراد الأصمعى أن يكون حديثه عن الإبل وحملها ونتاجها وأدوائها تمهيداً لتلك الفصول التى عقدها بعد ذلك ، وهى على النحو الآتى :

١ ــ عزارة الإبل : قال الأصمعى : « يقال : ناقة رُهْشُوشٌ إذا كانت دقيقةً خوَّارة غزيرة ، والغُزْر مع الخُؤورة . قال رؤبة بن العجاج :

أنت الجـوادُ رِقَّةَ الرُّهْشُوشِ

ويقال : ناقة خبْرٌ ، إذا كانت غزيرةً ... وناقة بِرْعِيسٌ ، إذا كانت دقيقةً غزيرة ، ويقال : ناقة صفِىٌّ ، وهى الصَّفايا ، إذا كُنَّ غِزاراً ، وناقة لُهموم إذا كانت عزيرة ، وإبل لهاميم ، وناقة خُنجور ، وهى الغزيرة » .

٢ ــ ما يُذكر به البكْءُ ... وهو قلة الغزر ، يقال : بكُؤت الناقةُ وبكأتْ تَبْكأُ بكْأً ، قال سَلامة بن جندل :

يقال مَحْبِسُها أدنى لمرتعها ولو تُعادَى ببكْءٍ كلُّ محلوب

وناقة بكىءٌ وبكيئة ... السَّماد : المذق القليل الذى قد اخْضرَّ ، يقال : أتانا بسمادٍ ومذْق وضياحٍ ... » .

---

(٩٢) الإبل ٨٢

٣ ــ أسماء الإبل : الذَّوْد : ما بين ثلاث إلى العشر ، ومثل من الأمثال الذود إلى الذود إبل ، والصِّرْمة : قطعة خفيفة قليلة ما بين العَشْر إلى بضع عشرة ، ويقال للرجل إذا كان خفيف المال : إنه لمُصْرِم ، قال المَغْلوط :

يَصُدُّ الكِرَامُ المصرمون سَوَاءَها   وذو الحقِّ عن أقرانها سيحيدُ

أي يصيرون إلى غيرها ، وذو الحق يحيد عنها ؛ وذلك أنها لا يُصاب منها ولا يُقْرَى فيها ضيف ، والقَرَنُ : الحبل يُشَدُّ به القرنيتان ، فإذا قال يصد عن القَرَن عُلِمَ أنه يصد عنها ، والصُّبَّة فوق ذلك ، ويقال : على آل فلان صُبَّةٌ من الإبل وهي من العشرين إلى الثلاثين إلى الأربعين ، قال بعض الشعراء :

إني سيُغنيني الذي كَفَّ والدي   قديماً فلا عُرْيٌ لديَّ ولا فَقْرُ
بصُبَّةِ شَوْلٍ أربعين كأنها   مَخاصِرُ نبعٍ لا شَروف ولا بِكرُ

٤ ــ أدواء الإبل : الغُدَّة : وهي تأخذ في المَرَاقِّ وفي الأَرْفَاغ والآباط واللَّبَّة ، فإذا أخذت في المراق فاستبان حجمها ، فحجمها يسمى الدَّرْء ... ويسمي ذلك الدرء النَّوْطَةَ ... وإذا أخذت البعير الغدةُ قيل : أغدَّ يُغد إغداداً ، وهو جمل مُغِدّ وناقة مغد ، والجمل والناقة فيه سواء ، وإبل مَغَادُّ ، فإذا أخذت الغدةُ في اللَّهْزِمة قيل : نُكفت هذه الناقة ، وهي ناقة منكوفة ؛ وذلك أن أصل اللَّحْي يسمى النكَفَة » .

٥ ــ ما يُذكر من سير الإبل : العَنَقُ الفسيح والمُسْبَطِرُّ ، قال أمية بن أبي عائذ الهذليُّ :

ومن سيرِها العَنَقُ المسبطر   والعجـرفيَّةُ بعد الكَلالِ

فإذا ارتفع عن العنق قليلاً قيل : هو يمشي التزيد ، قال الشاعر وهو الأعشى :

وأتْلَعَ نهَّاضٌ إذا ما تزيدتْ   به مدٌّ أثناء الجديل المُضَفَّرِ(٩٣)

٦ ــ ألوان الإبل : قال الأصمعي : « يقال : بعير أحمر ، وناقة حمراء ، وإذا بُولغ في نعت حُمرته قيل : كأنه عرقُ أرطاةٍ ، ويقال : أجلدُ الإبلِ وأصبرُها الحُمْرُ ، فإذا خلط الحمرةَ قُنوءٌ فهو كُمَيْتٌ ، فإذا خلط الحمرةَ صُفْرَةٌ قيل : أحمر مُدَمًّى . قال حُميد بن ثور :

(٩٣) الإبل : ١٢٣

وصار مُدمَّاها كُميتاً وشُبِّهت قُروحُ الكُلَى منها الوَجَارَ المُهَدَّما

فإذا اشتدت الكُمتة حتى يدخلها سوادٌ فهى الرُّمْكَةُ ، يقال : بعير أرْمَكُ ، وناقة رَمْكَاءُ » .

٧ ــ مما يُذْكَر من أظماء الإبل : الظِّمْء ما بين الشَّربتين ، يقال : زاد الناس فى أظمائهم ، ويقال : ما بَقِىَ من فلان إلا ظِمْءُ حمارٍ ؛ أى قليل ؛ وذلك أن الحمار يشرب كل يوم ، فأول الأظماء وأقصرها الرغرغة ، وهو أن يدعها على الماء تشرب متى شاءت ، وإذا شربتْ كل يوم فهى رافهة ، وأصحابها مُرْفِهون ... فإذا شربت يوماً غُدْوَةً ويوماً عشية فاسم ذلك الظمء العُرَيْجَاء ، فإذا شربت كل يوم نصف النهار فاسم ذلك الظمء الظاهرة ، يقال : إبل بنى فلان ترد الظاهرة ، وهى إبل ظواهر ، والقوم مُظْهِرون » .

٨ ــ المواسم والتَّزنيم : والتزنيم أن تُشَقَّ أُذن البعير ثم تُفْتَل حتى تيبس فتصير معلقة ، قال المسيَّب بن عَلَس :

رأوا نَعَماً سوداً فهمُّوا بأخذها إذا التفَّ من دون الجميع المزنَّمِ

* * *

وفى القرون الثلاثة الأولى ظهرت بعض المعاجم الموضوعية ، أهمها (الغريب المصنف) لأبى عبيد ، و (الألفاظ) لابن السكيت ، وفى الباب الثانى من هذا البحث ، نتوقف أمامهما بالعرض والتحليل .

الباب الثانى

المعجم الموضوعى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى

الفصل الأول

(الغريب المصنَّف) لأبي عُبيد

ونبدأ حديثنا فى هذا الفصل بالتوقف أمام : أبى عبيد ؛ حياته وآثاره ، وذلك قبل العرض التفصيلى لمعجمه الموضوعى (الغريب المُصنَّف) .

أبو عبيد القاسم بن سلام ، كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هراة ، واشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه . وقد وُلد فى هراوة سنة ١٥٤ هـ ، ثم قدم إلى بغداد ، وحجَّ سنة ٢١٤ هـ ، فبقى مجاوراً لمكة ، وتُوفِّى بها سنة ٢٢٣ هـ ، وقيل : ٢٢٤ هـ . وأخذ أبو عبيد عن الكسائى والفراء وأبى محمد اليزيدى وأبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد وغيرهم ، وروى الناس من كتبه نيِّفاً وعشرين كتاباً فى القرآن والفقه واللغة والحديث . وقد ولى القضاء بمدينة طرطوس ثمانى عشرة سنة ، وصحب الشافعىَّ ، وكتب كتبه ، وتفقه على مذهبه . وأدَّب أبو عبيد آل هرثمة ، وصار فى ناحية عبد الله ابن طاهر ، وكان إذا ألَّف كتاباً أهداه إليه ، أو إلى ابنه محمد(١) .

وبعد هذا الحديث عن حياة أبى عبيد نحاول التعريف ببعض الأعمال العلمية التى خلفها الرجل .

١ ــ **كتاب الأجناس** : من كلام العرب ، وما اشتبه فى اللفظ ، واختلف فى المعنى : ويدور هذا الكتاب حول « المشترك اللفظى » أى اللفظ الذى له أكثر من معنى . ولم يتبع أبو عبيد نظاماً معيناً حين جمع الألفاظ ؛ بل اكتفى بحصرها مع بيان المعانى المختلفة التى يقدمها اللفظ الواحد ، يدلنا على ذلك قوله حول « البيض » :

« البيظ : القشر الرقيق الذى يكون داخل قشرة البيضة ، والبيظ : ماء قليل يكون فى النقرة التى تكون فى أسفل البئر ، والبيظ : خيال الوجه فى السيف ، والبيظ : بيظ النمل ، والبيظ : ماء الرجل »(٢) .

---

(١) انظر مراتب النحويين ٩٣ ؛ ومعجم الأدباء : ٦/٢٥٤ ؛ ووفيات الأعيان : ٤/٦٠ ؛ والإنتقاء ١٠٧ ؛ وبغية الوعاة ٣٧٦ ، وتاريخ الأدب العربى : ٢/١٥٥ .

(٢) كتاب الأجناس :

٢ ــ **كتاب الأموال** : وقد قسّمه أبو عبيد إلى مجموعة من الموضوعات التى سماها كتباً ، ويمكن إجمالها فى النقاط الآتية :

ــ كتاب الفىء ووجوهه وسبله .
ــ كتاب سنن الفىء والخمس والصدقة ، وهى الأموال التى تليها الأئمة للرعية .
ــ كتبا نتوج الأرض صلحاً وسننها وأحكامها .
ــ كتاب افتتاح الأرض ملحاً وأحكامها ، وهى من الفىء ولا تكون غنيمة .
ــ كتاب مخارج الفىء ومواضعه التى يُصرف إليها ويُجعل فيها .
ــ كتاب أحكام الأرضين فى أقطاعها وأحيائها وحماها ومياهها .
ــ كتاب الخمس وأحكامه وسننه .
ــ كتاب الصدقة وأحكامها وسننها(٣) .

٣ ــ **كتاب الأمثال** : وقد قال عنها أبو عبيد : « هى حكمة العرب فى الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها ، فتبلغ بها ما حاولت فيها »(٤) . وصنف كتابه حسب الموضوعات ، فبعد أن أورد مجموعة أحاديث للنبى المصطفى ﷺ ، تحدث عن تلك الأمثال التى تقال فى حفظ اللسان والحضّ عليه ، وجناية اللسان على صاحبه ، والرجل يُعرف بالكذب حتى يرد صدقه لذلك وغيرها .

ولقى الكتاب اهتماماً من بعض الذين أتوا بعده ، فلخصه ابن عبد ربه فى عِقْدِه(٥) ، ثم كان من جملة الكتب التى أدخلها أبو على القالى أيضاً إلى الأندلس ، وتلقاه عند تلامذته . ويعد كتاب (فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال) لأبى عبيد البكرى (ــ ٤٨٧ هـ) من أهم الشروح والتعليقات الأندلسية عليه .

وهناك رسالة نُشرت ضمن كتاب (التحفة البهية والطرفة الشهية) تنسب إلى أبى عبيد ، وهى تدور حول الأمثال ، وقد حُشدت دون شرح أو تعليق أو بيان للمناسبة التى قيلت فيها ، وهى تختلف عما فى كتابه الذى شرح أبو عبيد البكرى .

(٣) كتاب الأموال : الفهرست .
(٤) انظر : فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال لأبى عبيد البكرى : ٤ وما بعدها .
(٥) العقد الفريد : ٣ /٦٣ وما بعدها

٤ ــ ما ورد فى القرآن الكريم : من لغات قبائل العربية : وهى رسالة صغيرة جعلها أبو عبيد فى الألفاظ التى وردت فى القرآن الكريم وهى تنسب إلى بعض القبائل العربية ؛ بالإضافة إلى ذلك فقد نسب أبو عبيدة بعض الكلمات إلى لغات أخرى غير العربية كالفارسية والسريانية والقبطية(٦) .

ومن مؤلفات أبى عبيد كتابه (غريب الحديث) ، ولكنه ما يزال مخطوطاً حتى الآن .

وقد نسب إليه بعض المحدثين كتباً مثل (ما خالفت فيه العامة لغات العرب) ، ولكنه جزء من معجمه الموضوعى (الغريب المصنف) .

وبعد هذا التعريف بحياة أبى عبيد وآثاره نتوقف أمام (**الغريب المصنف**) بالعرض والتحليل .

* * *

بدأ أبو عبيد معجمه بالحديث عن « خلق الإنسان » ، وهو موضوع طرقه سابقوه ومعاصروه وبعض تلامذته . وقد نوّع فى الموضوعات التى تناولها خلال حديثه عن خلق الإنسان ؛ إذ توقفَ أمام أسماء النفس ، والألسنة والكلام ، والأخلاق المحمودة فى الناس ، والأخلاق المذمومة ، ثم خَصَّ البخل من بينها ؛ لأن هذه الصفة تجمع تحتها معظم الأخلاق التى يكرهها العربى . وتحدث أيضاً عن الشجاعة ، وشدة البأس ، والجبن وضعف القلب ، وضعف العقل ، والرأى الأحمق . يقول عن أسماء النفس ، نقلاً عن الأصمعى : « سالت قرونه ، وهى النفس ، وقرونته أيضاً . وقال أوس بن حجر :

.... وساحتْ قرونتُه باليَأْسِ منها فعجَّلا(٧)

أبو عمرو : الجرشى على مثال « فِعِلّى » النفس أيضاً ، وهى الحوباء ، وهى القتال والغدير . قال ذو الرمة :

---

(٦) انظر العرض لتلك الرسالة فى كتابنا فقه اللغة وعلم اللغة ص ١٠٨ ــ ١١١ .

(٧) البيت بتمامه فى ديوان أوس ص ٨٦ :

فلاقى امرأ من ميدعان وساحت قرونتــه باليــأس منها فعجـــلا

يدعَنَ الجلسَ نحلاً قتالها[٨]

والذماء : بقية النفس ، وقال أبو ذؤيب :

.... فهارب بذمائه أو باركٌ متجعجعُ[٩]

والحاشة مثل الذماء ، ويقال من الذماء : قد ذمى يذمى إذا تحرك ، والذماء الحركة أيضاً ، والشراشر : النفس والمحبة جميعاً . قال ذو الرمة :

ومن غيَّةٍ تُلْقى عليه الشراشرُ[١٠]

والنسيس : بقية النفس »[١١] .

وتحدث أبو عبيد عن القبيلة والجماعة من الناس ، والفرق المختلفة من الناس ، ومن يطرأ عليك ، وغمار الناس ، وأهل بيت الرجل ، وقبيلته ، والجماعة الطارئة من الناس ، والنازلة على غيرهم . وتوقف أمام النسب فى الأمهات والآباء وغيرهما ، والنسب فى المماليك ، وأسماء القرابة فى النسب والادعاء ، ونزع الولد إلى أبيه ، والصحة فى النسبة .

وللمرأة نصيب فى المعجم ، وقد بدأ أبو عبيد أول عنوان حول « النساء فى أسنانهنَّ » ، مع ملاحظة أنه عقد كتاباً كاملاً لهذا الغرض سماه « كتاب النساء » ، قال فيه : « النساء فى أسنانهن : الكاعب التى كعب ثديها ، فإذا نهد فهى ناهد ، فإذا أعصرت فهى مُعْصِر »[١٢] . وتحدث عن نعوتهن فى أخلاقهن ، وما يستحبُّ منها وما يكره من خلقهن .

ونلتقى بموضوع آخر هو « اللِّباس » ، وقد قال فى بدايته : « ضروب الثياب من البرود والرقيق وغيرها : أبو عمرو : السبوب الثياب الرقاق ،

---

(٨) البيت بتمامه فى ديوان ذى الرمة ص ٥٤٠ :

ألم تعلمى يامىُّ أنى وبيننا مهاوٍ يدعن الجلس نحلاً قتالها

(٩) البيت بتمامه فى ديوان الهذليين القسم الأول ص ٩ :

فأبدهنّ حتوفهن فهارب بذمائه أو بارك متجعجع

(١٠) البيت بتمامه فى ديوان ذى الرمة ص ٣٤٠ :

فكائن ترى من رشدة فى كريهة ومن غية تلقى عليه الشراشر

(١١) الغريب المصنف : ٢٣ .

(١٢) السابق : ٧٣ .

واحدها سبٌّ . والمشبرق : الرقيع والمقطع أيضاً »[13] وتوقف أمام أنواع الثياب . واهتم أبو عبيد بالحديث عن « الأطعمة » وقد أشار إلى أسماء الطعام واللحوم ونعوتها ، واسم قطع اللحم ، وما يقطع عليه ، وطبخ القدور وعلاجها ، وما يعالج من الطعام ويُخلط ، والطعام يعالج بالزيت والسمن ونحوه ، والخبز اليابس ، والطعام يُعجن ويقطع ، وما يُفضَّل على المائدة وفى الإناء من الطعام ، واللبن والأسماء الدالة عليه[14] .

وبعد حديث أبى عبيد عن الأطعمة وما يتصل بها يعقد نوعاً آخر من الأحاديث عن « الأمراض » ، فأشار إلى الحلق وأوجاع البطن ، والوجع فى الجسد ، ووجع العين والعنق ، والوجع من التخمة .

ثم تحدث عن « الدور والأرضين » قائلاً : « نعوت الدور وما فيها : سمعت الأصمعى يقول : الربع هو الدار بعينها حيثما كانت ، والمربع المنزل فى الربيع خاصة ، وحرّ الدار وسطها ... »[15] . ومما يدخل تحت موضوع الدور والأرضين الحديث عن « البناء » . قال ، نقلاً عن أبى عبيدة : « باب البناء وما أشبهه ... البناء المشيد المطول ، والمشيد المعمول بالشيد ، وهو كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط . وقال الكسائى : مشيد للواحد ، وقصر مشيد ، والمشيَّدة للجميع » . وفى باب « الأبنية من الخباء وشبهه » قال أبو عبيد ، نقلاً عن الأصمعى : « من الأبنية الخباء ، وهو من وبرٍ أو صوف ، ولا يكون من شعرٍ ، والطراف من أدم ، والبرجد كساء ضخم فيه خطوط ، تصلح للخباء وغيره ، والسيح مسح مخطط يكون فى البيت يُستتر به ويُفرش » .

وقد أدخل أبو عبيد « الخيل » ضمن موضع « الدور والأرضين » ولم يفردها بكتاب مستقل على نحو ما حدث عند حديثه عن « الأطعمة واللباس » وغيرها ، وذلك على الرغم من أهمية الخيل ، ولكن يبدو أن الذى دفعه إلى ذلك هو اعتبار الخيل ضمن ما يُستعمل فى التنقل من مكان إلى آخر ، وما يستعمل فى هذا التنقل يدخل ضمن « الرحل والمنزل » و « الدور والأرضين » وسواهما .

---

(13) السابق : 91 .
(14) السابق : 120 — 126 .
(15) السابق : 153 — 156 .

وأفرد « السلاح » بكتاب مستقل داخل المعجم أسماه « كتاب السلاح » تحدث فيه عن السيوف ونعوتها قال : « من السيوف الصفيحة ، وهو العرض ، والقضيب ، وهو اللطيف ... »(١٦) ولم يقتصر على السيوف وحدها ؛ بل توقف أمام الرماح والقسى والسهام والنّصال والدروع والبيضة والتروس .

وعقد كتاباً حول « الطير » قال فى أوله : « أسماء الطير وضروبها : سمعت الكسائى يقول : يقال للحمام : هو البرى الذى لا يألف البيوت ، وهذه التى تكون فى البيت هى اليمام ... »(١٧) . وقد كان اسم الطير غير محدد ؛ حيث تحدث فى ضوئه عن العقارب والحيات والقردان والسلاحف والضفادع ، وذلك على نحو ما فى الرسائل اللغوية التى دارت حول « الحشرات » .

واهتم أبو عبيد بالنبات والشجر والنخل ؛ فتحدث عن نعوت سعف النخل وكربه وقلبه ، وحمل النخل وسقوط حمله ، ونعوت النخلة فى طولها ، وعذوق النخل ونعوتها ، ونعوت النخل فى شربها ونباتها(١٨) . ويتصل بالحديث عن النبات والشجر والنخل التعرضُ للسيول والأنهار والآبار ، والسحاب ونعوته ، والسحاب الذى لا ماء فيه ، والذى فيه رعد وبرق ، وتحدث أيضاً عن المطر ، والأيام ، والليالى ، والشهور .

وعقد حديثاً اعتمد فيه على الوزن الصرفى للكلمات ، وسماه « أمثلة الأسماء » ويليه « أمثلة الأفعال » . وخلال هذا الحديث عقد أبو عبيد أبواباً جعل عناوينها بعض الصيغ الصرفية ، وتؤدى تلك الأبواب دوراً مهماً فى ضبط بنية الكلمة ومعرفة وزنها الصرفى ؛ فقد قال عن « باب فَعُولة » : « الأكولة من الغنم التى تُعزل للأكل ، والحلوبة التى يحتلبون ، والركوبة ما يركبون ، والعلوفة ما يعلفون ، والجلوبة ما يجلبون » ، وفى « باب فِعْل وفَعَل » : « مِثْل ومَثَل ، وشِبْه وشَبَه ، وبِدْل وبَدَل ، ونِجْس ونَجَس ، وحِلْس وحَلس ، وقِتْب وقَتَب »(١٩) ، وهى تأتى مستعملة على الصيغتين .

---

(١٦) السابق : ١٧٥

(١٧) السابق : ١٩٩ وما بعدها .

(١٨) السابق : ٣١١ — ٣٢٣

(١٩) السابق : ٣٥٢ .

ونأتى ، بعد ذلك ، إلى « كتاب الإبل » الذى عرض فيه لمعظم ما يتصل بالإبل . واهتم بالغنم والوحوش والسباع وسواها من الحيوانات التى اعتمد عليها العربى فى حياته .

واهتم أبو عبيد بالألفاظ اهتماماً كبيراً ؛ فتحدث عن الأضداد والمقلوب والمبدل من الحروف والمضاعف ، حديثاً تغلب عليه صفة التقرير والوصف والحصر أكثر من الجدل والتعليل . وقد كان « كتاب الأجناس » آخر أبواب (الغريب المصنف) .

* * *

وبعد هذا العرض لموضوعات معجم أبى عبيد ، نتوقف أمام معجم آخر من المعاجم الموضوعية التى ظهرت قبل نهاية القرن الثالث الهجرى وهو (كتاب الألفاظ) لابن السكيت ، وهو موضوع الفصل التالى .

الفصل الثانى

(كتاب الألفاظ) لابن السكيت

نتوقف أمام ابن السِّكِّيت : حياته وآثاره ، قبل الدخول فى العرض لكتابه (الألفاظ) .

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت ، واحد من علماء اللغة القدامى ، وكان عالماً بنحو الكوفيين ، وعِلْمِ القرآن الكريم والشعر ، وقد لقى فصحاء الأعراب ، وأخذ عنهم ، وحكى فى كتبه ما سمعه منهم . وأخذ عن البصريين والكوفيين كالفراء وأبى عمرو الشيبانى والأثرم وابن الأعرابى ، وروى أيضاً عن الأصمعى وأبى عبيدة وغيرهما . وقد سُمِّى أبوه بالسكيت ؛ لأنه كان كثير السكوت ، طويل الصمت .

وكان مؤدِّب ولد جعفر المتوكل على الله ، وتُوفى ابن السكيت عام أربعة وأربعين ومائتين ، وفى رواية أخرى عام ستة وأربعين ومائتين ، وقد بلغ من العمر ثمانية وخمسين عاماً[1] .

وقد ترك ابن السكيت مجموعة متنوعة من المصنفات اللغوية التى حصرها ابن النديم ، وهى : « كتاب الألفاظ ، كتاب إصلاح المنطق ، كتاب الأمثال ، كتاب القلب والإبدال ، كتاب الزبرج ، كتاب البحث ، كتاب المقصور والممدود ، كتاب المذكر والمؤنث ، كتاب الأجناس ، كتاب الفَرْق ، كتاب السرج واللجام ، كتاب فَعَلَ وأَفْعَلَ ، كتاب الأضداد ، كتاب النبات والشجر ، كتاب الإبل ، كتاب النوادر ، كتاب معانى الشعر الكبير ، كتاب معانى الشعر الصغير ، كتاب المثنى والمبنى والمكنى ، كتاب سرقات الشعراء ما اتفقوا عليه ، كتاب الأيام والليالى » .

ومعظم مؤلفات ابن السكيت التى حصرها ابن النديم مفقود ، وقد وصل إلينا بعضها ، وحفظت كتب التراث نصوصاً من بعضها الآخر ، ويلاحظ من

---

(١) انظر : الفهرست : ١٠٨ ؛ ووفيات الأعيان : ٦ /٣٩٥ وما بعدها ؛ وبغية الوعاة : ٤١٨ ؛ ونزهة الألباء : ١٢٢ ؛ وتاريخ بغداد : ١٤ /٧٣ وما بعدها .

عناوين تلك المؤلفات تنوع اهتمامات ابن السكيت . ويمكن حصرها فى النقاط الآتية .

١ــ العناية بجمع الألفاظ جمعاً موضوعياً ، وقد نتج عن ذلك معجمه الموضوعى (الألفاظ) وبعض الرسائل اللغوية كالمذكر والمؤنث ، والنبات والشجر ، والإبل وسواها .

٢ــ العناية بجمع المفردات التى تدور حول ظاهرة لغوية معينة ، وظهر ذلك فى كتب حول الأضداد والأجناس والقلب والإبدال .

٣ــ الاهتمام ببعض الظواهر الصرفية ، وقد وضع فى ذلك رسالتين حول المقصور والممدود ،وفَعَل وأَفْعَل .

٤ــ التوقف أمام بعض الظواهر النحوية كالمذكر والمؤنث وما يتصل بهما من معالجة لغوية من حيث التذكير لما هو مؤنث أو العكس مع التطبيق فى القرآن الكريم والشعر العربى . وتهدف الكتب التى تدور حول تلك الظاهرة إلى جمع الألفاظ الخاصة بها مع بيان استعمالات القبائل لها .

٥ــ لابن السكيت اهتمام خاص بالشعر والشعراء ، وقد تولى شرح دواوين الشعراء كعروة بن الورد العبسى (عروة الصعاليك) ، والحطيئة (جرول بن أوس) ، وقيس بن الخطيم . كما صنف بعض هذا الشعر حسب الموضوعات ، ونتج عن هذا كتابان هما معانى الشعر الكبير ، ومعانى الشعر الصغير ، كما اهتم بسرقات الشعراء .

٦ــ الاهتمام بطبيعة الحياة فى شبه الجزيرة العربية على نحو ما نجد فى الأمثال التى خصَّها بكتاب مستقل . وتهتم الكتب الخاصة بتلك الأمثال بالحديث عنها معجمياً ، مع بيان المناسبة التى قيل فيها المثل .

ونقدم تعريفاً ببعض أعمال ابن السكيت التى وصلت إلينا وسوف نطيل العرض لها لغلبة الطابع اللغوى عليها ، ونبدأ بكتابه :

١ ــ إصلاح المنطق : وليس هذا الكتاب فى « علم المنطق » الذى يُعَرَّف بأنه يعصم الذهن من الخطأ فى التفكير ، ولكنه كتاب تثقيف لغوى ، يهدف من ورائه ابن السكيت إلى جمع بعض المفردات التى تحتمل أكثر من ضبط مما يؤدى إلى اختلاف الدلالة ؛ فإن كلمة « حمْل » معناها ما كان فى بطن أو على

رأس شجرة ، وكلمة « حَمْل » معناها ما حُمِل على ظهر أو على رأس ؛ أى إن الاختلاف فى ضبط الحاء أنتج نوعين من المعنى . و « الغَمْر » الماء الكثير ، و « الغِمْر » الحقد ، و « الغُمْر » الذى لم تحنكه التجارب ؛ أى إن الاختلاف فى ضبط الغين أنتج ثلاثة أنواع من المعنى ... وهكذا .

وهذا الكتاب مناسب لطبيعة العصر الذى عاش فيه ابن السكيت ؛ حيث انتشر اللحن والخطأ بين العامة ، وتعداهم إلى الخاصة ، وقد أراد تقديم عمل يساعد أولئك الذين ضعفت عربيتهم ، ولم يعودوا قادرين على التفريق بين دلالة الألفاظ ، ولا ضبط أصواتها المفردة .

ولقد عرف القدماء قيمة كتاب (إصلاح المنطق) ، وكان الذين يترجمون لابن السكيت يقولون : يعقوب ابن السكيت صاحب (إصلاح المنطق) ؛ أى إنه كان يُقرن به ؛ لذلك قال بعض العلماء : « ما عبر على جسر بغداد كتاب فى اللغة مثل إصلاح المنطق ، ولا شك أنه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ، ولا نعرف فى حجمه مثله فى بابه » . واعتنى بعض اللغويين بهذا الكتاب اختصاراً وشرحاً وإضافة ، مع الاهتمام بشواهده(٢) .

والرأى عندنا أن أهمية كتاب (إصلاح المنطق) أتت من الجوانب الآتية :

أولاً : اهتم ابن السكيت باللهجات العربية ، مع عزوها إلى القبائل ، ومن أمثلة ذلك أن الفعل « صَرَعَ » لمصدره صيغتان :

الصِّرْع ← لهجة قيس
الصَّرْع ← لهجة تميم

وقد تم إنتاج هاتين الصيغتين عن طريق الاختلاف فى ضبط الصاد ؛ أى فاء الكلمة ، لذلك صيغتا « فِعْل » و « فَعْل » معناهما واحد .

وهناك لفظة لها صيغتان هما :

الرَّفْغ ← لهجة تميم
الرُّفْغ ← أهل العالية

ولهما معنى واحد هو الدلالة على أصول الفخذين(٣) .

(٢) انظر : كشف الظنون : ١ /١٠٨ ؛ وروضات الجنات : ٨ /٢١٨ ؛ وجوامع كتاب إصلاح المنطق (المقدمة) .

(٣) إصلاح المنطق : ٣١ و ٩٠ .

وإذا كانت اللهجات السابقة متصلة بالاختلاف فى ضبط بنية الكلمة ، فإن هناك بعض اللهجات التي يتم استعمال صوت مكان آخر ، ومن أمثلة ذلك أننا نقول : « ضارَهُ يضيرُه » ، ولكن الكسائى سمع بعض أهل العالية يقول : « لا ينفعنى ذلك ولا يضُورُنى »[4] . فقد حدث إبدال صوتى بين الياء والواو ، تبعه اختلاف فى ضبط بنية الفعلين :

يَضِيرُ ←——— يَضُورُ (اللهجة)

وهناك بعض المواضع التى أشار فيها ابن السكيت إلى اللهجات ، دون نسبة إلى القبائل ، وكان يكتفى بقوله إنها « لغة » ؛ أى لهجة .

ثانياً : توقف ابن السكيت أمام ما يمكن أن نسميه الاستعمال السياقى للألفاظ والتراكيب النحوية داخل البيئة العربية ، ونقصد بذلك أن الرجل حين يريد توضيح دلالة لفظ من الألفاظ فإنه يأتى به فى سياق مما يدور على ألسنة الفصحاء من الأعراب ، ومن أمثلة ذلك قوله : « يقال : سَرَفَتِ السُّرفَةُ الشجرةَ تَسْرِفُها سَرَفاً إذا أكلت ورقَها ؛ فهى شجرة مَسْرُوفةٌ ، وهى دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر ، تعمل لنفسها بيتاً من دُقاق العيدان ، وتضم بعضها إلى بعض بلعابها ، ثم تدخل فيه . يقال فى مثل : هو أصنعُ من السُّرفَة ، ويقال : سرفتُ الشيء أسْرَفه سَرَفاً ، إذا أغفلتَ وجهلْتَ . وحُكى عن بعض الأعراب ، وواعده أصحابٌ له من المسجد مكاناً ، فأخلفهم ، فقيل له فى ذلك فقال : مررتُ بكم فسرِفْتُكم ؛ أى أغفلتكم . ومنه قول جرير :

أَعْطَوْا هُنيدة يحدوها ثمانيةً ما فى عطائهم مَنٌّ ولا سَرَفُ

أى إغفال . ومنه قول طرفة :

إنّ امرأً سَرِفَ الفؤادِ يرى عسلاً بماء سحابةٍ شَتْمِى[5]

فابن السكيت تتبع فى هذا النص ما يتصل بتلك الدويبة المسماة « السُّرفة » ثم توقف أمام الدلالة التى يمكن التوصل إليها من الجذر المعجمى (س ر ف) ومن بينها الغفلة التى وضحت خلال ما ورد على لسان هذا الأعرابى فى هذا الموقف الذى أشار إليه ابن السكيت ، وهذا ما نقصده بالاستعمال السياقى

(٤) السابق : ١٣٦ .

(٥) السابق : ١٩٢ .

للألفاظ داخل المجتمع اللغوى . ويضاف إلى ذلك توضيح الدلالة لبعض الألفاظ بالنظر إلى استعمال اللغة فى مواقف خاصة كالذى نجده حين تدليل الأم لابنها ؛ فالفعل : زَنَأَ يَزنأ ومصدره : زَنْأ ، معناه : إذا صَعِدَ فى الجبل ، ولبيان تلك الدلالة أتى ابن السكيت برجز لامرأة من العرب وهى ترقص بنيا لها تقول فيه :

أَشْبِهْ أبا أُمِّكَ أو أشبهْ عَمَلْ ولا تكونَنَّ كهِلَّوْفٍ وَكَلْ
يصبح فى مضجعه قد انجدلْ وارقَ إلى الخيراتِ زَنْأً فى الجبل(٦)

ثالثاً : توقف ابن السكيت أمام « اللهجات العامية » ، وما يقع فيه العامة من أخطاءٍ ، وعقد لذلك بعض الأبواب(٧) . واتخذ حديثه عن لهجات العوام عدة اتجاهات منها :

ــ هناك بعض الألفاظ التى وردت فى اللغة مهموزة ، ولكن العامة تركت همزها ، وقد عقد لهذا الغرض باباً عنوانه : « ما يُهمز مما تركت العامَّةُ همزَهُ »(٨) . ومن أمثلة هذا الباب قوله : « هم أزدُ شَنُوءَة على مثال فَعُولَة ، ولا يقال : شَنُوة ، وينسب إليها فيقال شَنَئِيٌّ ، والشنوءة : التقزز . ويقال فيه شنُوءةٌ يا هذا ، قال أبو محمد : أنشدنى أبو الفتح قال : أنشدنى أبو زيد النحوى سعيد بن أوس :

ونحن قتلنا الأزْدَ أزد شنوءة فما شربوا بَعْدٌ على لذةٍ خمرا

ــ تلجأ العامة إلى التغيير فى بنية الكلمة للتخفيف حين النطق ، وقد قدم ابن السكيت نماذج لهذا التخفيف حين الأداء اللغوى ، فهناك منزل من منازل مكة اسمه « العُمَقُ » تنطقه العامة « العُمُق » . وتقول : « على وجهه طَلاوة ، والعامة تقول : طُلاوة » . وتقول : « الجُنْبُذَةُ » وهو ما ارتفع من الأرض ، والعامة تقول : جُنَبِذَة » .

ويبدو من تلك الأمثلة أن العامة تلجأ إلى المماثلة بين الحركات حين النطق ؛ لذلك تحولت فتحة الميم فى « العمق » إلى الضمة على ألسنتهم تماثل الضمة السابقة عليها ... وهكذا .

(٦) السابق : ١٥٣ .
(٧) السابق : ٢٢٥ و ٢٨٤ .
(٨) السابق : ١٤٥ ــ ١٥١ .

ـ هناك بعض الألفاظ التى تضعها العامة فى غير موضعها كقولهم : أكلنا مَلَّةً ، وإنما المَلّة الرماد الحارُّ . قال الشاعر :

لا أشتم الضيف إلاّ أن أقولَ له ... أباتك اللهُ فى أبيات عمّارِ
أباتك اللهُ فى أبيات مُعْتَنِزٍ ... عن المكارم لا عفٍ ولا قارِ
جَلْد الندى زاهدٍ فى كل مكْرمةٍ ... كأنما ضيفه فى مَلّة النارِ[9]

ومما تضعه العامة فى غير موضعه قولهم : خرجنا نتنزه ، إذا خرجوا إلى البساتين ، وإنما التنزه التباعدُ عن المياه والأرياف[10] .

رابعاً عرض ابن السكيت فى كتابه لبعض القراءات القرآنية التى تعد شاهدا على صحة استعمال بعض الأبنية الصرفية الواردة عن العرب ؛ فكلمة « الدرك » فيها وجهان من الضبط :

الدَّرْك ← بسكون الراء
الدَّرَك ← بفتح الراء

قال تعالى : (إنّ المنافقين فى الدَّرْك الأسفلِ من النار)[11] ووردت فى القراءة : (الدَّرَك)[12] .

وقال تعالى : (لا يلتكم من أعمالكم شيئاً)[13] ؛ أى لا ينقصكم . وقرىء : (لا يألتكم) من ألَتَ يألِتُ[14] .

خامساً : تؤدى الآيات الكريمة دوراً مهماً فى الاستشهاد على دلالة الألفاظ . قال ابن السكيت : « تقول : فى العودِ عَوَجٌ ، وتقول : فى دينه عِوَجٌ ، وفى الأرض عِوَجٌ . قال الله جلّ وعزّ : (لا ترى فيها عِوَجاً ولا أمْتاً)[15] ، وقال : (الحمد لله الذى أنْزَل على عبده الكتاب ولم يجعل له

---

(9) السابق : ٢٨٤ و ٢٨٥ .
(10) السابق : ٢٨٧ .
(11) النساء/١٤٥ .
(12) إصلاح المنطق : ٩٧ ؛ وانظر حجة القراءات لابن زنجلة : ٢١٨ .
(13) الحجرات/١٤ .
(14) إصلاح المنطق : ١٣٦ ؛ وانظر حجة القراءات : ٦٧٦ .
(15) طه/١٠٧ .

عِوَجاً . قيِّماً)(١٦) ... يقال : في كل شيء عِوَجٌ إلا قولك : عَوِجَ عَوَجاً ، فإنه مفتوح »(١٧) .

وتقول : هذه ثيابٌ جُدُدٌ ، ولا يقال : جُدَد ، إنما الجُدَدُ الطرائق . قال الله جل وعز : (ومن الجبال جُدَدٌ بِيضٌ)(١٨) ، أي طرائق »(١٩) . ويمكن بيان الدلالة كما يأتي :

جُدُد ← صفة للثياب

جُدَد ← الطرائق

وقال ابن السكيت : « وقد شَرَيْتُ الشيء فأنا أشريه شِرىً وشراءً ، إذا بِعْتَه وإذا اشتريْتَه . قال الله عز وجل : (ومن الناس مَنْ يَشْرِى نفسه ابتغاءَ مرضاةِ الله)(٢٠) ، أي يبيعها . وقال : (وشروْه بثمنٍ بَخْسٍ دراهمَ)(٢١) ، أي باعوه »(٢٢) . ومن هنا فالفعل « شرى » من الأضداد حسب الاستعمال القرآني الكريم .

وقال ابن السكيت : « يقال : قد أُحْصَرَه المرضُ ، إذا منعه من السفر أو من حاجة يريدها . قال الله عز وجل : (فإن أُحْصِرتم)(٢٣) . وقد حصره العدوُّ يحصرونه حَصْراً ، إذا ضيقوا عليه . ومنه قوله : (أوجاءوكم حصِرَتْ صدورُهم)(٢٤) ، أي ضاقت . ومنه :

جَرْدَاءَ يَحْصَرُ دونها جُرَّامُها(٢٥)

---

(١٦) الكهف /١ و ٢ .

(١٧) إصلاح المنطق : ١٦٤ .

(١٨) فاطر /٢٧ .

(١٩) إصلاح المنطق : ١٦٧ .

(٢٠) البقرة /٢٠٧

(٢١) يوسف /٢٠ .

(٢٢) إصلاح المنطق : ٢٠٠ .

(٢٣) البقرة /١٩٦

(٢٤) النساء /٩٠

(٢٥) من معلقة لبيد ، وتمامه :

أسهلتُ وانتصبتْ كجذع مُنيفة   جرداء يحصر دونها جرامها

انظر شرح القصائد السبع : ٥٨٢ .

أى تضيق صدورهم من طول هذه النخلة . ومنه قيل للمَحْبس حصير ؛ أى يُضَيِّق به على المحبوس . قال الله جل وعز : (وجعلنا جَهنَّم للكافرين حصيراً)[٢٦] ؛ أى مَحْبِساً . ومنه رجل حَصور وحصير ، وهو الضيِّق الذى لا يُخْرِج مع القوم ثمناً إذا اشتروا الشراب . وقال الأخطل :

وشارب مُرْبِح بالكأس نادمنى   لا بالحصور ولا فيها بسوّار

أى بمعربد »[٢٧] ولعل هذا النص يوضح اعتماد ابن السكيت على الآيات الكريمة فى شرحه لدلالة الألفاظ .

سادساً : لجأ ابن السكيت إلى « المقابلة » بين بعض الكلمات العربية ونظيرها فى الفارسية ؛ فإن « الخَلْع » معناه أن يؤخذ لحم الجَزور فيطبخ بشحمها ثم يجعل فيه توابل ثم يُفرغ فى هذا الجلد . والخَلع الذى يسمى بالفارسية « أفْسَرْد » ، وهو القريس . قال مُعقِّر بن حمار البارق :

وذُبيانيـــةٍ أوصـــتْ بنيها   بأنْ كَذَب القراطفُ والقُرُوفُ[٢٨]

ويبدو أن الذى ألجأ ابن السكيت إلى ذكر تلك اللفظة الفارسية التأثر والتأثير الذى حدث بين اللغتين نتيجة الاختلاط بين الشعبين ولعله من المفيد الإشارة إلى أن تلك المقابلة هى أساس البحث فى « علم اللغة التقابلى » الذى يعتمد فى منهجه على النظر فى لغتين ليستا من أصل واحد .

ومما يتصل بذلك اهتمام ابن السكيت ببيان ما هو « فارسى معرب » ، ومن ذلك كلمة « البَرَق » التى من بين معانيها « الحَمَل » ، وأصله فارسى معرب عند ابن السكيت[٢٩] .

سابعاً : اتبع ابن السكيت نهجاً محدداً فى جمع ألفاظ اللغة ، يتلخص فى استغلال الصيغ الصرفية لهذا الغرض ، مع جعلها الأساس فى جمع الألفاظ وشرحها ، وكانت تلك الصيغ عناوين لأبواب الكتاب ، وأول باب عنده عنوانه : « باب فَعْل وفِعْل باختلاف المعنى »[٣٠] ؛ أى إن هناك كلمة تحتمل أن تكون على وزن « فَعْل » و « فِعْل » لذلك تحتمل نوعين من الدلالة ؛

(٢٦) الإسراء /٨ .

(٢٧) إصلاح المنطق : ٢٣٠ .

(٢٨) إصلاح المنطق : ١٥ .

(٢٩) السابق : ٤٥ .

(٣٠) إصلاح المنطق . ٣

وذلك نحو « الوَقر » ومعناه ــ حين فتح فاء الكلمة ــ الثقل فى الأذن ، من قول الله تبارك وتعالى : (وفى آذاننا وَقْرٌ)[٣١] . و « الوِقر » ومعناه ــ حين كسر فاء الكلمة ــ الثقل يُحمل على رأس أو على ظهر ، من قوله تبارك وتعالى : (فالحاملاتِ وِقراً)[٣٢]

هذه هى بعض الجوانب التى أكسبت كتاب (إصلاح المنطق) قيمته عند القدماء ، وهناك جوانب أخرى لم نشأ تناولها ؛ لأن هذا الكتاب جدير بدراسة مستقلة تتناوله بطريقة أخرى أكثر تفصيلاً .

٢ ــ **كتاب الأضداد** : نالت ظاهرة الأضداد اهتمام القدماء من حيث حصرما يندرج تحتها من ألفاظ ، ومن أشهر الذين ألفوا حولها قطرب وأبو عبيدة والأصمعى .

وقد وضع ابن السكيت كتاباً حولها ، ولن نعرض له ها هنا ؛ لأننا سوف نتناول ظاهرة « الأضداد » بالدراسة التفصيلية[٣٣] ؛ لأن المعاجم الموضوعية والرسائل اللغوية اهتمت بها .

٣ ــ **كتاب القلب والإبدال** : هناك بعض الألفاظ التى يحدث إبدال بين أصواتها المفردة ، دون أن يتأثر معناها ؛ فالعرب تقول : فرس رِفَلّ ، وفرس رِفَنّ ، وهو الطويل الذيل ؛ فقد حدث إبدال بين اللام والنون دون تغيير فى الدلالة ؛ لذلك يعد هذا الإبدال عند ابن فارس وغيره من سنن العرب فى كلامها[٣٤] ؛ أى إنه يطبع الأداء اللغوى لابن اللغة حين استعمال مفرداتها ، والذى يبيح ذلك وفرة الثروة اللفظية التى يوجد فيها مفردات تتغير أصواتها والمعنى واحد . وقد أفرد « القلب والإبدال » بالتأليف بعض اللغويين القدماء ، وجمع آراءهم أبو الطيب اللغوى فى كتابه (الإبدال) .

وقد قسم ابن السكيت كتابه[٣٥] إلى عدة أبواب ، بدأها بباب « النون

---

(٣١) فصلت /٥ .

(٣٢) الذاريات /٢ .

(٣٣) وذلك فى الباب الثالث من هذا البحث ، حين حديثنا عن « المستوى الدلالى » .

(٣٤) انظر الصاحبى : ٢٠٣ .

(٣٥) نُشر ضمن مجموعة (الكنز اللغوى فى اللسن العربى) بعناية أوغست هفنر .

واللام » . قال – نقلاً عن الأصمعي : « يقال : هتنت السماء تَهْتِنُ تَهْتاناً ، وهتلت تهتل تهتالاً ، وهن سحائب هُتُن وهُتُل ، وهو فوق الهطل ، قال امرؤ القيس فى التهتان

فسحَّتْ دموعى فى الرداء كأنها كُلىً من شَعيب ذاتِ سحٍّ وتهتانِ

... وقال العجاج فى التهتال :

عَزَّزَ منه وهو مُعطى الإسهالْ ضَرْبُ السوارى مَتْنَه بالتهتالْ

ويتضح من هذا العرض الاتفاق فى المعانى التى ذكرها ابن السكيت بين الجذرين (هـ ت ن) و (هـ ت ل) .

واهتم ابن السكيت بالحديث عن الحروف المضاعفة التى تُقلب إلى الياء . قال أبو عبيدة : « العرب تقلب حروف المضاعف إلى الياء ؛ فيقولون تَظَنَّيْتُ ، وإنما هو تَظَنَّنْتُ ... »(٣٦) .

واهتم ابن السكيت فى كتابه أيضاً بالحديث عن الكلمات التى تزاد الميم فى آخرها ، قال – نقلاً عن الأصمعي : « العرب تزيد الميم فى أشياء ، وقالوا : رجل فُسْحُمٌ ، إذا كان واسع الصدر ، وهو من الانفساح ، ورجل زُرْقُم ، إذا كان أزرق ، وسُتْهم إذا كان عظيم الاست ؛ أى أسته ، ويقال : شُدْقم ، إذا كان واسع الشِّدق »(٣٧) . وتزاد النون أيضاً فى بعض الأسماء ، وهى أربعة حسب :

رَعْشَنٌ : للذى يرتعش .
ضَيْفَنٌ : للضيف ، أو الذى يحضر مع الضيف .
خَلْبَنٌ : المرأة الخرقاء .
عِلَجْنٌ : الناقة الغليظة .

فالكلمات الأربع أصولها (ر ع ش) و (ض ى ف) و (خ ل ب) و (ع ل ج) ، وتم زيادة النون آخرها .

وكان « باب إبدال من حروف مختلفة » آخر أبواب كتاب (القلب والإبدال) لابن السكيت .

(٣٦) السابق : ٥٨ .
(٣٧) السابق : ٦١ .

٤ ــ **شروح دواوين الشعراء** : كان لابن السكيت اهتمام خاص بالشعر والشعراء على نحو ما فعل بعض اللغويين كابن قتيبة . وقد تولى ابن السكيت شرح بعض الدواوين ، وهو شرح يغلب عليه الطابع اللغوى والمعجمى ، ومن الشعراء الذين تولى شرح شعرهم عروة بن الورد والحطيئة . ونأخذ نصاً من شرحه لشعر الحطيئة للتعرف على منهجه . قال الحطيئة :

لهم سورةٌ فى المجدِ لو يرتدى بها براطيلَ جوّابٍ نبتْ ومناقرُهْ

سورة : فضل وارتفاع ، وقوله « لو يرتدى بها براطيل » أراد لو يرتدى ببراطيل جواب نبت البراطيل والمناقر ، والبراطيل : جمع برطيل وهو المعول ، والبراطيل أيضاً حجر طويل قدر الذراع ، والمنقار الذى يُنقر به الحجر ، والجواب : الذى يجوب الركايا ؛ أى يحفرها ويخرقها ، قال الله تعالى : (جابوا الصخر بالوادِ)[٣٨] ؛ أى خرقوه ، ويرتدى : من رديت الحجر ، وهو أن تصكه بمعولى أو بصخرة لتكسره ، يقال : رديته وردسته ، ويقال للصخرة التى تكسرها الحجارة مرادة ، ويقال للناقة الشديدة المزاحمة عند الحوض مرادة . نبت : ارتفعت عنها ، ولم تؤثر فيها . وروى غيره : براطيل بالرفع ، قال : وجوّاب ها هنا جبل ، يقول : نبت هذه المعاول عن هذا الجبل ، فلم تعمل فيه ، ويقال : سُورة وسَورة »[٣٩] .

كتب مفقودة لابن السكيت : هناك بعض الكتب التى ألفها ابن السكيت ، ولكنها لم تصل إلينا ، وقد حفظ السيوطى فى مزهره نصوصاً منها ، ونقدم أسماء تلك الكتب مع نصوص منها للتعرف على مضمونها :

كتاب الأصوات : قال ابن السكيت : « الألثغ فى الراء أن يجعل الراء فى طرف لسانه ، وأن يجعل الصاد فاءً ، والأرتُّ أن يجعل اللام تاءً »[٤٠] .

وقال ابن السكيت : « حُكى إنه لصَرَنْقَحُ الصوت ، وصَلَنْقَح الصوت ، بالراء واللام ؛ أى صُلب الصوت »[٤١] .

---

(٣٨) الفجر /٩

(٣٩) ديوان الحطيئة : ١٨٤ ــ ١٩٣

(٤٠) المزهر ١ /٥٦٦

(٤١) السابق ١ /٥٥٩

وقال ابن السكيت : « كل زجر كان على حرفين ، الثانى مهمابهاء فما قبلها مكسور ، مثل هِى هِى ، فإذا قلت : فَعَلْتُ همزت ، فقلت : هأهأت بالإبل ، إلا من ترك الهمز ، فإنه يقول : هاهيت بالإبل ، بغير همز »[٤٢] .

وتوضح تلك النصوص الموضوع الذى دار حوله الكتاب ؛ فهو يهتم بالأصوات من حيث العيوب حين النطق وأمراض الكلام ، وما يستعمل للزجر ، وما يُهمز وما يترك هَمْزُه .

كتاب المثنى والمبنى والمكنى : قال ابن السكيت : « أبو سَعْد : الهَرِم ، وأبو حُباحِب : ما خرج من الحجر من النار إذا قرعه حافر أوصكّه حجر آخر ، وأبو عَسْلة وأبو مَذْقة : الذئب ، وأبو الحِنْبِص : الثعلب ، ويقال للرجل إذا افتضّ المرأة هو أبو عُذْرها ، ويقال للرجل إذا استنبط الشىء : ما أنت بأبى عُذْرة ؛ أى قد سُبِقتَ إليه ، ويقال للخبز : أبو جابر ، وأبو قيس : مكيال ، ويقال للأبيض : أبو الجَوْن ، وللأسود : أبو البيضاء ، وأبو خَدْرَة : طائر بالحجاز »[٤٣] .

وقال ابن السكيت : « أم حُرمان : بركة بطريق حاج البصرة ، وأم حَبَوْكَرَى : أرض ببلاد بنى قشير ، ويقال : وقعوا فى أم حَبَوْكر إذا ضلوا ، وجاء بأم حبوكر يعنى الداهية ، وقعوا فى أَدْرَاصٍ مضلّلة : إذا وقعوا فى أرض مضللة ، ويقال للدنيا : أم خَنُّور ، وأم شَملة ، وأم شملة أيضاً : الشمال الباردة ، وأم الصَّدَى : رميمة صغيرة تكون فى جوف الدماغ ، وأم جِرْذان : نخلة بالمدينة ، ويقال للضبع : أم رشْم ؛ لأنها ترسم الطريق لا تفارقه ، ويقال : وقعوا فى أم خَنُّور ، إذا وقعوا فى خصب ولين من العيش ، وأم عُوَيف : دابة صغيرة مخضرّة لها أربعة أجنحة وهى أيضاً أم عَوْف »[٤٤] .

وقال ابن السكيت : « ابن ذُكاء : الصبح ، وذُكاء هى الشمس ، وابن جلا : الرجل المنكشف الأمر البارز الذى ليس به خفاء ، وأصله الصبح ، ويقال : أنا من هذا الأمر فالج بن خلاوة ؛ أى أنا مُتخلّى برىء منه ، ويقال للخبز : جابر بن حَبّة ، ويقال : هو ابن بُعْثُطِها ؛ أى العالم بها ، وبُعْثُط كل

(٤٢) السابق : ٢ /٩٠ .

(٤٣) السابق : ١ /٥٠٩ .

(٤٤) السابق : ١ /٥١٦ وما بعدها .

شيء وسطه ، وابنا مِلاط : العضدان ، والملاطان : الإبطان وابنا دُخان : غنى وباهلة ، وابنا طِمِرّ : جبلان ، وابنا شمام : جبلان »[٤٥] .

وقال ابن السكيت : « يقال : ضربه حتى ألقى ذا بطنه ؛ أى حتى سلح ، ويقال للمرأة : وضعت ذا بطنها ؛ أى وضعت حملها ، وطيىء تقول : هو ذو قال ذاك · أى هو الذى قال ذاك »[٤٦] .

وقال ابن السكيت : « المَلَوان : الليل والنهار ، وهما الجديدان والأجدّان والعصران ، ويقال : العصران الغداة والعشى ؛ وهما الفتيان والرِّدفان ، والصرعان · الغداة والعشى ، وهما القرّنان والبَرْدان والأبْردان والكرّتان والخفقتان . والحجران : الذهب والفضة . والأسودان : التمر والماء ، وضاف قومٌ مُزَبِّداً المدنى فقال لهم : ما لكم عندى إلا الأسودان ، فقالوا : إن فى ذلك لمقنعاً : التمر والماء ، فقال : ما ذا كم عنيت ، وإنما أردت الحرَّة والليل . والأبيضان : اللبن والماء . وقال أبو زيد : الأبيضان : الشحم واللبن ، ويقال : الخبز والماء . وقال ابن الأعرابى : الأبيضان : شحمه وشبابه . وقد جعل بعضهم الأبيض : الملح والخبز »[٤٧] .

وتوضح تلك النصوص اهتمام ابن السكيت فى كتابه بالكنى وما استعمل من الألفاظ فى حالة التثنية مع دلالته على شيئين ، وقد كان مصدره العبارات الجاهزة أو التراكيب المسكوكة التى لها رواج فى البيئة العربية .

كتاب المقصور والممدود : قال ابن السكيت : « بغلة سَفْواء ، إذا كانت سريعة »[٤٨]

وقال ابن السكيت : « كل ما جاءك فى آخره ألف ، مضموماً أوله ؛ فهو ممدود ، إلا ثلاثة أحرف جاءت نوادر من ذلك : الأُرَبَى (من أسماء الداهية) والأُدَمَى وشُعَبَى (موضعان) »[٤٩] . والكلمات الثلاث على وزن « فُعَلى » .

وقالَ ابن السكيت : « كل مصدر كان على مثال الفِعِّيلِ فهو مقصور لا يمد ولا يكتب بالألف ، نحو : الهِزِّيمى ، والخِطِّيمى ، والرِّثِّيثى ، والرِّدِّيدى .

(٤٥) السابق : ١ /٥١٩ .
(٤٦) السابق : ١ /٥٣٠ .
(٤٧) السابق : ٢ /١٧٣ .
(٤٨) السابق : ١ /٤٤٠ .
(٤٩) السابق : ٢ /٦٤

وزعم الكسائى أنه سمع المد والقصر فى خِصِّيصى ، وأمرهم فيضُوضَى بينهم »[50] .

وبعد هذا العرض لحياة ابن السكيت وآثاره ، نقدم تحليلاً يعرِّف بأهم موضوعات معجمه الموضوعى (**الألفاظ**) .

* * *

يقع هذا المعجم فى مائة وثمانية وأربعين باباً تدور حول الكثير من الموضوعات خلال المعالجة اللغوية لها . ونقدم تعريفاً ببعض الأبواب .

ــ باب الغنى والخصب : وهو أول موضوعٍ عالجه ابن السكيت ، ويبدأ بقوله : « يقال : إنه لمُكثِر ، وإنه لمُثْرٍ يا هذا ، وقد أثرى فلان إذا كَثُرَ ماله يُثرى إثراءً ، ويقال : ثَرَى بنو فلان بنى فلان ، إذا صاروا أكثر منهم مالاً يثرونهم ثروةً » .

ــ باب الفقر والجدب : وهو عكس الباب السابق عليه تماماً ، ويبدأ بقول يونس بن حبيب : « الفقير يكون له بعض ما يقيمه ، والمسكين الذى لا شيء له . قال الراعى :

أمَّا الفقيرُ الذى كانتْ حَلوبتُه وَفْقَ العيال فلم يُتركْ له سَبَدُ

ــ باب الجماعة : ومن نصوص هذا الباب قوله : « خَرَجَ فلانٌ فى قَنِيفٍ من أصحابه ، وهم الجماعة من الرجال ، وجماعة القُنُف ، ويقال : جاء فلانٌ فى ظُهرتِه ، وفى ناهضته ، وهم الذين ينهض بهم فيما يَحزُبُه من الأمور » .

ــ باب الاجتماع : قال الأصمعى : « رأيتهم عاصبين بفلانٍ ؛ أى مجتمعين عليه ، وقد عصبوا به ، وقد استكفوا حوله إذا استداروا » .

ــ باب التفرق : وهو عكس الباب السابق عليه ، وقد بدأ بقول أبى زيد الأنصارى : « يقال : طار القومُ شَعَاعاً ؛ أى تفرقوا ، ويقال : شاع الشيءُ شَيَعَاناً إذا تفرق » .

ــ باب الشُّحِّ : « يقال : رجل شحيح وقوم أشِحَّاءُ وأشِحَّةٌ ... ويقال : رجل ضنين وقم أضِنَّاءُ ... » .

(50) السابق : 2 / 101 .

ـ باب الشجاعة : « النَّهيك من الرجالِ الشجاعُ الشديد القتال ، وقد نَهَكَ نَهَاكَةً ... والرابط الجأش الذى يربط نفسه عن الفرار بكفها لجُرأته ، والمِسْعَر الذى يوقد الحرب ... والباسل الشجاع ، والبسالة الشجاعة ، وتَبَسَّلَ فى وجهه ؛ أى كَرُه منظره ، وإنما قيل للأسد باسل لكراهة وجهه وقبحه » .

ـ باب الجبن وضعف القلب : وهو عكس الباب السابق عليه ، وقد بدأ بقول ابن السكيت : « رجل جبان وقوم جبناءُ ... ويقال للرجل الجبانُ وهو الرجل الذى يهاب المَقْدَم على كل شىء بالليل والنهار ... » .

ـ باب الألوان : « يقال : هذا رجلٌ نَكِعٌ ؛ أى أحمرُ يخالط حمرته سوادٌ ... وامرأةٌ ظمياءُ إذا كانتْ سمراءَ ، ورُمْحٌ أظْمَى إذا كان أسمَر » .

ـ باب صفات النساء : « الخَوْد من النساءِ الحسنةُ الخلق ، والمُبَتَّلَةُ التى ليس خلقُها متراكباً ... والمبتلة التى كل شىءٍ منها حَسَنٌ على حِياله كأنها مُقطَّعَةُ الحُسْنِ ، والبَتْل القطع ... الممكورة هى التامة فى عِظم واستواء ويُشتق المكرُ فى جميع الخلق ... الخَرْعَبَةُ اللينةُ القصبِ الطويلةُ » .

ـ باب العجائز : « يقال للمرأة إذا دخلت فى السن وفيها بقية : إنها لجَلْفَزِيزٌ ... ويقال للمرأة إذا أسَنَّتْ وهى غليظة شديدة : إنها لجَلَنْفَعَةٌ ، والحَيْزَبُونُ العجوز . قال القطامى :

إذا حيزبونٌ تُوقد النارَ بعدما تلفَّعَتِ الظلماءُ من كلِّ جانبِ

... ويقال للمرأة والرجل إذا طعنا فى السن : عَشَبَةٌ وعشمة ، وقال أبو عبيدة يقال : امرأةٌ شَهْرَبَةٌ . قال الراجز :

أُمُّ الحُلَيْسِ لعجوزٌ شهربهْ ترضَى من اللحمِ بعظم الرقبهْ

ـ باب التضييع والإهمال : « يقال : أضاع الشىءَ يضيّعه إضاعةً ، وضيَّعه يضيّعه تضييعاً ، وضاع الشىءُ يضيع ضَيْعَةً وضَيَاعاً ، وساع يسيع فى معنى ضاع » .

ـ باب صفة المتسلح : « يقال : هو رجل شاكى السلاح وشاكُ السلاح ؛ أى سلاحه ذو شَوْكَةٍ ، وأصله شائك فقُلِبَ ... ويقال : هذا رجل كافر إذا لبس فوق درعه ثوباً » .

ـــ باب ما تكلمت به العربُ من الكلام المهموز فتركوا همزه فإذا أفردوه همزوه وربما همزوا ماليس بمهمور : وهو آخر أبواب الكتاب ، ويبدأ بقول ابن السكيت : « قيل لا مرأةٍ من العرب : ما أذْهَبَ أسنانكِ ؟ قالتْ : أكل الحارّ وشربُ القارّ ... » .

* * *

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن هناك عملين دارا حول كتاب (الألفاظ) لابن السكيت ، أولهما لأبي زكريا يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني الخطيب التبريزى (ت ٥٠٢ هـ) وهو عبارة عن شرح لكتاب ابن السكيت ، وقد أطلق لويس شيخو محققُ (كتاب الألفاظ) عليه مع شرح التبريزى اسم : (كَنز الحفّاظ في كتاب الألفاظ) ، وثانيهما (مختصر تهذيب الألفاظ) للأب لويس شيخو الذى أراد من هذا المختصر أن يكون عملاً مدرسياً يساعد في التثقيف اللغوى لطلاب المدارس .

* * *

وبعد هذا العرض لمعجمي أبي عبيد وابن السكيت ، نتوقف أمام منهج (الغريب المصنف) و (الألفاظ) في ضوء علم اللغة الحديث ، وهو موضوع الفصل التالى .

الفصل الثالث

منهج (الغريب المصنف) و (الألفاظ)
فى ضوء علم اللغة الحديث

جمع أبو عبيد وابن السكيت مجموعة ضخمة من ألفاظ اللغة العربية، مشروحة شرحاً معجمياً؛ ثم قسّما تلك الألفاظ حسب الموضوعات التى تنوعت وكانت نابعة من طبيعة الألفاظ المجموعة، وهى تدور حول « خلق الإنسان » و « النبات والشجر » و « الإبل » و « المطر » و « الخيل » وسواها. ولم يصرح أبو عبيد أو ابن السكيت بالدافع وراء اتباع المنهج الموضوعى فى جمع الألفاظ؛ بل لم يصرّحا بطبيعة هذا المنهج الذى سارا عليه بصفة عامة. فمن المعلوم أنه فى القرنين الثانى والثالث الهجريين وضع الخليل ابن أحمد أسس المنهج الصوتى فى جمع الألفاظ على نحو ما نجد فى (كتاب العين)، ووضع أبو عمرو الشيبانى أسس منهج آخر أساسه جمع الألفاظ مع ترتيبها حسب الصوت الأول؛ وذلك على نحو ما نجد فى (كتاب الجيم)[1] أحدِ المعاجم اللغوية التى ظهرت فى بداية القرن الثالث الهجرى. وقد تطور منهج الخليل والشيبانى؛ بالإضافة إلى ظهور مناهج أخرى فى جمع الألفاظ، وذلك فى القرن الرابع الهجرى أهمّ القرون فى وضع المعاجم العربية. ولم يسر أبو عبيد أو ابن السكيت على أساس منهج الخليل أو أبى عمرو الشيبانى فى حصر الألفاظ؛ بل سارا على أساس المنهج الموضوعى؛ ذلك المنهج الذى وضعتْ أسسه الرسائل اللغوية فى الموضوعات.

فقد سبق أن أوضحنا أن تلك الرسائل تدور حول بعض الموضوعات وتجمع ألفاظها وتصنفها بما يكفل الإفادة منها، ولم يجد جامعو اللغة الأوائل منهجاً يناسب طبيعة ما جمعوه من ألفاظ سوى المنهج الموضوعى؛ فقننوا الألفاظ وصنفوها فكانت هناك ألفاظ فى الخيل والمطر والإبل وسواها، وأفردوا تلك الألفاظ فوجدنا كتاب الخيل وكتاب المطر وكتاب الإبل، وداخل تلك الكتب نجد التقسيم الموضوعى لألفاظ الموضوع الواحد؛ ففى كتاب الخَيل نجد ألفاظاً تدور حول عَدْوه ومشيه وألوانه ... وغير ذلك.

(١) انظر العرض الذى قدمناه لهذا المعجم فى كتابنا: فقه اللغة وعلم اللغة ص ٣٣٢ — ٣٤٢.

وانتقل المنهج الموضوعى على نحو ما هو موجود فى الرسائل اللغوية إلى (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ، ويعتمد هذا المنهج فى أساسه على استعمال المتكلمين للغة Language بأصواتها وأبنيتها وتراكيبها ودلالة ألفاظها ، مع التركيز على « السياق » Context ؛ بل السياق هو أهم نقطة تنبه إليها واضعو هذا المنهج . والذى جعلنا نعطى السياق تلك الأهمية أن ما فى المعاجم الموضوعية من سياقات لم تكن نابعة من عبارات المؤلفين أنفسهم ، وإنما تعود إلى الأعراب الفصحاء الذين عاشوا فى البادية ، وعزفوا عن الحضر وما فيه من فساد لغوى وخطل فى استعمال المفرادت ؛ لذلك نجد حكايات تُنسب إلى بعض الأشخاص ، وقد تُورد حكاية من أجل شرح معنى كلمة . وعلى الرغم من أن هذا يعد عيباً فى المعجم حين معالجة المعنى ؛ فإنه يبين حرص الأوائل على تقديم المادة اللغوية على نحو ما سمعوها وأخذوها عن « المصدر » الذى حددوه بدقة ، دون تغيير أو حذف أو تهذيب إلا قليلاً . وبالإضافة إلى الحكايات التى تُنسب إلى الإعراب فإن هناك نوعاً آخر من السياقات المهمة ؛ بل هى أهم السياقات فى المعجم ، ونعنى بها الأمثال التى يطلقها الناس تعبيراً عن حادثة أو أمر من الأمور دون تفكير فيما يستعملون من ألفاظ أو يكونون من تراكيب ، وتحتوى الأمثال على جوانب مهمة تفيد فى الدرس اللغوى للعربية .

وعلى الرغم من أن المعاجم الموضوعية فى القرن الثالث الهجرى اعتمدت على الرسائل اللغوية وعلى مؤلفيها والتحصيل عنهم ؛ فإنها وسعت دائرتها ، ولم تقتصر على موضوع واحد . وقد كانت موضوعات تلك الرسائل محددة بعناوينها ، فما دار منها حول « الخيل » ـــ مثلاً ـــ ظلّ مقصوراً عليه دون أن يتعداه ، فى حين أن المعجم الموضوعى كانت عناوينه تتيح له أن يجمع ألفاظ أكثر من موضوع ؛ فأبو عبيد سمى معجمه (الغريب المصنف) ، ورغم أن تلك التسمية تدل على أنه اقتصر على الغريب اللفظى فإنه وسّع الدائرة وضمّ إلى معجمه كلّ ما فى الرسائل اللغوية ؛ بالإضافة إلى موضوعات أخرى خاصة بالألفاظ نذكر منها الأجناس والأضداد والهمز وسواها . واختار ابن السكيت لمعجمه اسم (الألفاظ) ولم يحدد مقصده من وراء تلك التسمية ، ولا الألفاظ التى سيجمعها ، ومن هنا فإنه عنوان واسع يتيح لابن السكيت جمع كل ما يقع تحت يديه من ألفاظ .

وقد كانت المصادر التى اعتمدت عليها الرسائل اللغوية متصلة بأقرب الناس عهداً باللغة ، ونذكر فى هذا الصدد اعتماد تلك الرسائل على فصحاء الأعراب الذين عاشوا فى الجزيرة العربية . وقد اعتمدت معاجم الموضوعات على الأعراب أيضاً ، ولكن هذا الاعتماد لم يكن بالقدر الذى نجده فى الرسائل التى أرادها مؤلفوها أن تكون مادة أولية أو أساسية فى كل عمل يهتم بالمعجم؛ لذلك نجد الجيل التالى لهؤلاء المؤلفين قد استغل تلك الرسائل ، بل أسرف بعضهم فى ذلك حتى إن ابن دريد قد عقد فى نهاية معجمه (الجمهرة) أبواباً تعادل تلك التى دارت حولها الرسائل اللغوية ، وكان مصدره الأول فيها أبا عبيدة وأبا زيد الأنصارى والأصمعى ومَنْ فى طبقتهم من كبار رواة اللغة وجامعيها فى القرن الثانى والثالث للهجرة .

ويقع (الغريب المصنف) و (الألفاظ) فى المقدمة بالنسبة إلى التأليف الموضوعى وجمع الألفاظ حسب المعنى ، وهما يمثلان المصدر الأول فى دراستنا لمعاجم الموضوعات عند العرب ؛ بل هما المصدر الأول — فى رأينا — فى أية دراسة تهتم بالمعاجم بصفة عامة ، ويرجع هذا إلى أنه فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وهما أهم القرون فى وضع المعاجم ، كانت الشروح التى ضمها هذان المعجمان مما اعتمد عليه واضعو المعاجم العربية فى هذين القرنين ، وقد تردد اسم أبى عبيد فى مواضع كثيرة من (المخصص) لابن سيده ؛ بل يمكننا أن نقول إن منهج أبى عبيد وتقسيم الموضوعات والطريقة التى سار عليها فى جمع الألفاظ هى التى أوضحت معالم الطريق لابن سيده فى صناعة معجمه . وكانت الشروح المعجمية لابن السكيت مما دار أيضاً فى المعاجم العربية بصفة عامة . ومع ذلك فإننا نقرر هنا أن تلك المرويات لم تكن من (الألفاظ) حسب ، ولكن من مؤلفاته اللغوية الأخرى خاصة (إصلاح المنطق) الذى نال تقديراً فى الأوساط الأدبية واللغوية لدقة المنهج الذى اتبعه ابن السكيت فى جمعه للألفاظ على نحو ما رأينا فى الفصل السابق .

ومما جعل هذين المعجمين فى المقدمة أيضاً أن أبا عبيد وابن السكيت قد جمعا مرويات تحتوى شروحاً معجمية للألفاظ تُنسب إلى أهم اللغويين والرواة ، وعلى رأسهم الكسائى وأبو عمرو بن العلاء وأبو عمرو الشيبانى والفراء ؛ بالإضافة إلى الأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد ، وفصحاء الأعراب كأبى الجراح العقيلى . وأبى محمد الفقعسى وأبى هرمز الغنوى وسواهم .

وحفظ المعجمان أيضاً شروحاً معجمية للأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد من رسائل لغوية مفقودة ، ونشير في هذا الصدد إلى أبي عبيدة بصفة خاصة ، فقد وضع هذا الراوية أكثر من رسالة لغوية ، وصلتْ إلينا واحدة حسب هي « الخيل » ، ولكن ما في معجمي (الغريب المصنف) و (الألفاظ) يفيد أن الرجل قد خاض في موضوعات أخرى غير الخيل .

ولقد اختلف جزئيات الموضوعات التي ضمها المعجمان ، فاهتم أبو عبيد ببعض الألفاظ الخاصة بالأضداد والأجناس ومصطلحات العروض والقافية وعقد أبواباً عناوينها بعض الصيغ الصرفية . أما ابن السكيت فقد أهمل مثل تلك الأبواب ، مع أن العنوان الذي اختاره لمعجمه يقتضي العرض لذلك حيث إنها خاصة بالألفاظ . وقد اتفق العملان في حديثهما عن بعض الظواهر اللغوية كالهمز — مثلاً — فعقد أبو عبيد ثلاثة أبواب حوله ، في حين عقد ابن السكيت باباً واحداً . وسمّى أبو عبيد الموضوع باسم « كتاب كذا » ، أما ابن السكيت فسماه « باب كذا » .

هذا عن المنهج الموضوعي في جمع الألفاظ وصلة (الغريب المصنف) و (الألفاظ) بهذا المنهج ، وكيف أنهما يقعان في الصدارة بالنسبة إلى التأليف في معاجم الموضوعات في القرون الثلاثة الأولى .

والمعروف أن علم اللغة Linguistics حين يدرس « اللغة » يتخذ عدة مناهج منها :

— المنهج المقارن	Comparative
— المنهج التاريخي	Historical
— المنهج الوصفي	Descriptive
— المنهج التحويلي	Transformational
— المنهج التقابلي	Contrastive

ولكن هل اتبع أبو عبيد وابن السكيت واحداً من تلك المناهج؟ لننظر في معجميهما مع تطبيق ذلك في الرسائل اللغوية أيضاً باعتبارها المصدر الأول في هذين المعجمين .

جمع أصحاب الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات في القرون الثلاثة الأولى الألفاظ معتمدين « على منهج واقعي واضح ، فقد حددوا البيئة التي يصحُّ أخذ

اللغة عنها ، وذلك بأن حصروها فى المناطق البادية من شبه الجزيرة العربية ؛ معللين ذلك بأن الحواضر وأطراف الجزيرة لا تمثل لغة العرب تمثيلاً صحيحاً ، لتعرضها لمؤثرات أجنبية »[٢] . ثم إنهم حددوا أشخاصاً بأعينهم أخذوا عنهم تلك المادة ، « ونحسب أن ذلك من الخصائص التى يتطلبها الدرس الحديث فيما يُعْرَف الآن باسم informant وهو الشخص الذى يعتمد عليه الباحث فى جمع مادته اللغوية ؛ إذ ينبغى أن يكون من بين الذين يمثلون لغتهم تمثيلاً صحيحاً ، دون تأثيرات خارجية »[٣] ، وجمع المادة اللغوية بالطريقة السابقة هو أساس المنهج الوصفى ، ولقد أخذ العرب بهذا المبدأ الجيد ؛ بل لقد سبقوا العالم فى هذا الشأن ؛ إذ كانت الرحلة إلى مضارب القبائل أمراً ضروررياً ومنهجاً متبعاً لم يختلف عنه أحد من السابقين[٤] .

ومن سمات المنهج الوصفى أنهم بعد جمعهم للغة من بيئتها التى حددوها من مصادرها البشرية صنفوا مادتهم اللغوية على أساس وصفى ؛ نقصد أن الصفة الغالبة على تصنيفهم هى « الصفة التقريرية »[٥] . لذلك نجد فى (الغريب المصنف) و (الألفاظ) الحديث عن بعض الظواهر الخاصة بالألفاظ كالأضداد والمشترك والترادف والمعرب والدخيل والأجناس دون تعليل ، وهما يطبعان ما يقولانه بصفة « التقرير » وهذا نابع من طبيعة اللغة نفسها واختلاف اللهجات Dialects داخلها ؛ فكلمة « لَمَق » تستخدم بمعنى « كتب » و « محا » وهما معنيان متناقضان تماماً ، ولم يشغل أبو عبيد نَفْسَه ولا من كتبوا فى الأضداد بتعليل هذه الظاهرة العربية أو الدخول فى جدل حولها ؛ بل قال أبو عبيد إن استخدام « لمق » على هذا النحو خاص ببنى تميم وعقيل . والأمر نفسه نجده عند ابن السكيت أثناء حصره للألفاظ المترادفة وشرحها معجمياً دون تعليل . ومن هنا فإن كلا المؤلفيْن يسجل ما يصل إليه دون تعليل لما يعرض له من ظواهر سوى ردّ بعض هذه الظواهر إلى الاختلاف اللهجى ، إن كان فى هذا الاختلاف تعليل لها .

ولم تقتصر المادة اللغوية المجموعة فى الأعمال الموضوعية على « مستوى » Level واحد من المستويات اللغوية بل شملت بعض الجوانب الخاصة بالأصوات

(٢) الدكتور عبده الراجحى : فقه اللغة فى الكتب العربية ١٧٩ .
(٣) السابق : ١٨٠ .
(٤) الدكتور كمال بشر : دراسات فى علم اللغة ، القسم الثانى ٦٢ .
(٥) فقه اللغة فى الكتب العربية : ١٨٠ .

والصرف والنحو والدلالة ، ويمكن دراسة تلك المادة اللغوية خلال المستويات . وتبين المادة أيضاً ملامح المنهج الوصفى فى تلك الأعمال الموضوعية ؛ إذ إنهم تحدثوا عن « الهمز » دون دراسة للصوت نفسه . وفى النحو نجد اهتماماً بالمفرد والمثنى والجمع ، والتذكير والتأنيث ، وهذا يسمى فى الدرس الحديث باسم « الفصائل النحوية » Grammatical Categories . أما فى الدلالة فكانت دراستهم تركز على الكلمة Word وما يحيط بها من ظواهر خاصة بالألفاظ ، ولكن تلك الدراسة للكلمة كانت قاصرة ؛ خاصة فيما يعرف بعلم تطور الكلمات وتاريخها Etymology وذلك من حيث استعمالها .

ومن هنا فإن المنهج الوصفى هو الذى يطبع معاجم الموضوعات ، وهو منهج يعتمد على جمع المادة اللغوية من بيئة محددة ومن أشخاص محددين أيضا ، ثم تصنيف هذا المجموع اللغوى على أساس وصفى تقريرى لا يهتم بالجدل أو التعليل قدر اهتمامه بالوصف والتقرير . والذى دفع أصحاب المعاجم إلى اختيار هذا المنهج هو أنه يناسب طبيعة المعجم والغرض من تأليفه وصناعته ؛ إذ إنه عبارة عن قائمة تحتوى الكلمات التى يصعب فهم دلالتها ، مع شرحها وبيان معانيها . كما أنه يناسب طبيعة المعجم الموضوعى على أنه نوع من أنواع المعاجم يهتم كثيراً بالشاهد أياً كان نوعه والعباراتِ التى وردت على ألسنة القدماء من الأعراب ، وخلال هذا يصف المعجم الموضوعى اللغة ويقرر بعض الظواهر الخاصة بها دون تعليل . إن أبا عبيد وابن السكيت ومن كتبوا فى « الأضداد » ــ مثلاً ــ لم يعللوا أسباب وجود تلك الظاهرة فى اللغة ، وإنما ردوها إلى الاستعمال العربى للكلمات فى النصوص ، ونعنى بالاستعمال العربى هنا لهجات القبائل ودورها فى أن يحتمل اللفظ الواحد المعنى ونقيضه . وقد تنبه علماء العربية فى مرحلة تالية لدور الاستعمال فى اللغة ، ولعل خير من يبين ذلك ابن فارس فيما كتبه تحت عنوان (الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها) ، و « سنن العرب فى كلامها » تلك واحدة من أسس الاستعمال العربى للكلمات والجمل . وقلده الثعالبى فى كتاب له وهو فى الوقت نفسه من معاجم الموضوعات التى وُضعت فى القرن الخامس الهجرى ، ونعنى به (فقه اللغة وسر العربية) ، و « سر العربية » أيضاً من أسس الاستعمال العربى للتراكيب النحوية فى النصوص .

وقدمت معاجم الموضوعات خلال المنهج الوصفى بعض التقريرات

اللغوية ، ويمكن أن نمثل لذلك بقول أبى عبيد نقلاً عن أبى عبيدة : « ثلاثة أحرف (أى ثلاث كلمات) تركت العرب الهمز فيها ، وأصلها الهمز : البرية ، هى من برأ الله الخلق ؛ والنبى أصله من النبأ وقد نبأته أخبرت ؛ والخابية أصلها الهمزة من خبأتُ »[6] . هذه الكلمات الثلاث تركت العرب همزها وأصلها الهمز ، ولم يبين أبو عبيد السبب فى ذلك ، وإنما هو الاستعمال العربى للكلمات ، وهذا الاستعمال يحكمون عليه بالجودة أو الرداءة حسب الشمول والعموم ؛ لذلك يقول سيبويه حول همز « النبى » و « البرية » : « وقد بلغنا أن قوماً من أهل التحقيق يحققون نبىء وبريئة ، وذلك قليل ردىء »[7] . والحكم على تحقيق الهمزة فى هاتين الكلمتين « يصفه » سيبويه بالقلة ، وقد دفعته تلك القلة فى الاستعمال إلى أن يحكم عليه بالرداءة ، وهذا حكم « معيارى » .

ولقد قلنا إن أصحاب الأعمال الموضوعية قدموا نصوصاً يمكن دراستها خلال المستويات اللغوية ، ومن هنا فهم يتفقون مع ما قرره المحدثون من ضرورة اشتمال المعجم على خلاصة البحوث المتصلة بالأصوات والأبنية الصرفية والتراكيب النحوية والدلالة . يقول الدكتور كمال بشر : « والمفروض — علمياً — أن تصنف المعجمات بحيث تكون خلاصة البحوث السابقة فى الأصوات والصرف والنحو جميعاً ، ومعناه أن القائمين على صنع المعجمات وتأليفها يلزمهم مراعاة أن يكون المعجم المعين مرشداً إلى النطق الصحيح للكلمات ، ومعيناً على معرفة صيغها ووزنها ، ثم قد يضطره الأمر أحياناً إلى توضيح الكلمة توضيحاً كاملاً بوضعها فى جملة أو عبارة لينبه إلى معانيها الخفية أو المتعددة بتعدد السياق والتراكيب »[8] .

هذا هو التحديد العلمى — فى رأى الدكتور بشر — للمعجم وطريقة تصنيفه وجمع المادة فيه . والحق أن معظم هذا التحديد نجده فيما بين أيدينا من رسائل لغوية وفى (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ، خاصة التوضيح الأخير ؛ إذ إن الأعمال الموضوعية حرصت على أن تضع اللفظ فى سياق أو تركيب نحوى من شأنه المساعدة فى التعرف على معنى اللفظ . وقد حرص أبو

(٦) الغريب المصنف : ٦٥٧ وما بعدها .

(٧) الكتاب : ٣/٥٥٥ .

(٨) دراسات فى علم اللغة : القسم الثانى ١٢ .

عبيد على استغلال بعض الصيغ الصرفية التى لم تعرف الشيوع فى الأوساط اللغوية ، ثم أتى بكلمات على مثالها ، وهذا يفيد فى أمرين يجب توافرهما فى المعجم ، وهما : معرفة الوزن الصرفى للكلمات ، والإشارة إلى النطق الصحيح للكلمات .

وحدد الدكتور كمال بشر وظيفة « علم الدلالة » Semantics وذلك بعد أن أوضح ما يجب توافره فى المعجم قائلاً : « ومهمة السيمانتيك فى الدرس اللغوى البحث فى المعانى ومشكلاتها ، غير أن بعضهم يحدد وظيفته بالبحث فى معانى الألفاظ المفرد على مستوى المعجمات وما إليها ، على حين يوسع آخرون فى دائرة اختصاصه بحيث يقوم بالنظر فى معانى المفردات والجمل والعبارات جميعاً دون تفريق »(٩) . وهذا التحديد تنبه لجزء منه الأولون ؛ إذ إن جل دراساتهم للمعنى كانت على مستوى الكلمة المفردة . وقد وسع آخرون من دائرة علم الدلالة بحيث يمتد إلى النظر فى التراكيب والعبارات والجمل لا من حيث الدراسة اللغوية ، ولكن من حيث النظر فى معانيها بصفة عامة ؛ لذلك يشرح المعجميون بعض الجمل بجمل أخرى ، وهذا من أسس معالجة المعنى فى المعاجم الموضوعية .

ولعله مما يتصل بالحديث عن منهج (الغريب المصنف) و (الألفاظ) التوقف أمام المصادر التى تم الاعتماد عليها فى حشو المعجمين ، مع التطبيق فى الرسائل اللغوية التى تعد الأساس فى صناعة معجمى أبى عبيد وابن السكيت ويمكن بيان تلك المصادر خلال أربعة من الموضوعات نقدمها على النحو الآتى

أولاً : الرحلة إلى البادية ومشافهة الأعراب : هناك عدة عوامل أدت إلى وجود ما يسمى بالرحلة إلى البادية ومشافهة الأعراب نذكر منها ما يأتى

١ ــ كانت الرحلة إلى البادية والإقامة بها من دواعى فخر اللغويين القدماء ، وقد اشتهر بذلك أكثر من لغوى نذكر منهم النضر بن شميل الذى أقام بالبادية أربعين سنة ، وأبا عمرو الشيبانى الذى كتب كثيراً عن الأعراب الفصحاء ؛ وذلك بالإضافة إلى الأصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد ممن اشتهروا بوضع الرسائل اللغوية .

٢ ــ يعد اللغوى الذى اتصل بالبادية وأهلها مفضلاً لدى الخلفاء والأمراء ؛ وذلك لأخذه اللغة عن مصدر أصيل ، وكان الخلفاء والأمراء

(٩) السابق والصحيفة نفسها

يتخذون من أقام بالبادية من اللغويين معلماً لأولادهم .

٣ ــ حين فقد اللغويون الثقة فى الأعراب الرواة اضطروا إلى الرحلة للبادية طلباً للفصاحة فى الاستعمال اللغوى ، وتلمساً للغريب اللفظى ؛ خاصة أن هناك الكثير من القبائل التى ظلت متمسكة بالبداوة ، محافظة عليها ، ولعله من المفيد الإشارة إلى قوم حافظوا على فصاحتهم ، ودافعوا عن لسانهم . يقول ياقوت الحموى عن العكوتين : « وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة فى مناكحتهم ، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه ، وأنهم لا يسمحون للغريب أن يقيم أكثر من ثلاث ليالٍ خوفاً على لسانهم »(١٠) .

٤ ــ أدّى اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب إلى انتشار اللحن ؛ لذلك ظهرت أهمية الرحلة إلى البادية لتحصيل كلام العرب وتدوينه لتنقية اللغة ، وقد عبّر عن ذلك أبو بكر الزُّبيدى حين تحدث عما أصاب الألسنة من لحن حين الإعراب . يقول : « ولم تزل العرب تنطق على سجيتها فى صدر إسلامها وماضى جاهليتها ؛ حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجاً ، وأقبلوا إليه أرسالاً (أى طوائف) ، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة ، واللغات المختلفة ، ففشا الفساد فى اللغة والعربية (أى النحو) ، واستبان منه فى الإعراب الذى هو حَليها ، والموضح لمعانيها ؛ فتفطن لذلك مَنْ نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب ، فعظم الإشفاق من فُشُوِّ ذلك وغلبته ؛ حتى دعاهم الحذرُ من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم ، إلى أن سببوا الأسباب فى تقييدها لمن ضاعت عليه ، وتثقيفها لمن زاغت عنه »(١١) .

هذه هى بعض العوامل التى أدت إلى الرحلة إلى البادية لمشافهة الأعراب ؛ لذلك كان اللغويون يطيلون الاستماع إلى هؤلاء الأعراب ويحاورونهم . يقول أبو عمرو بن العلاء : « لقيت أعرابياً بمكة فقلت له : ممن أنت ؟ قال : أسدى . قلت : ومن أيهم ؟ قال : نهدى . قلت : من أى البلاد ؟ قال : من عمان . قلت : فأنّى لك هذه الفصاحة ؟ قال : إنا سكنا قطراً لا نسمع فيه ناضجة التيار . قلت : صف لى أرضك ، قال : سيف أفيح ، وفضاء

(١٠) معجم البلدان : ٢/٢٠٥ .

(١١) طبقات النحويين واللغويين : ١١ .

صحصح ، وجبل صردح ، ورمل أصبح . قلت فما مالك ؟ قال النخل قلت فأين أنت عن الإبل ؟ قال النخل حملها غداء ، وسعفها ضياء ، وجذعها بناء ، وكربها صلاء ، ونيفها رشاء ، وخوصها وعاء ، وقرؤها إناء »(١٢)

وقد صرح أصحاب الأعمال الموضوعية بالرواية عن الأعراب والأخذ عنهم ، ولكنهم لم يكونوا يصرحون بأسمائهم ، بل يقولون « بعض الأعراب » إشارة إلى الرواية عنهم ، ومن هذا قول أبي عبيدة « وعفاجه (يقصد الفرس) حشوة بطنه وهو قصبه ، وقال بعض الأعراب إن القصب شرائح لحم من صفاته »(١٣) وقال الأصمعي « قال أعرابي والله للحبر أحبُّ إليَّ من ناقة بهية في غداة عرية »(١٤) ، وقال بعض الأعراب عن البدئ من الآبار إنه يحفرها العرب(١٥)

وكانوا يصرحون بمقابلة الأعراب ، فقد قال يونس بن حبيب « قلت لأعرابي أفقير أنت أم مسكين ، فقال لا — والله — بل مسكين » وسأل الأصمعي رجلاً من أهل البادية حول معنى كلمة « جلنفعة » فقال « سمعت شيخاً من خزاعة يقال له يعقوب بن إبراهيم قال لامرأة عرضت نفسها عليه بعد زوجها يا ابنة أمي أراك جلنفعة قد حزمتك الخزائم »(١٦)

ولم يكونوا يروون عن الأعراب حسب ، بل رووا عن الأعرابيات أيضاً ، وأخذوا عنهن مأثور الكلام(١٧) وبعض الشعر أيضاً(١٨)

وساعد هذا الاتصال بالبادية والأعراب على أن يقدم اللغويون المعلومات البكر First hand information

ثانياً رواية اللغة وتعد تلك الرواية للغة المصدر الثاني من المصادر التي اعتمد أبو عبيد وابن السكيت في صناعة (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ، بالإضافة إلى اعتماد الرسائل اللغوية على ذلك

---

(١٢) ذيل الأمالي ٨٦

(١٣) الخيل ٣٣

(١٤) الإبل ٠

(١٥) البئر ٥٨

(١٦) الألفاظ ٥ ، ٣٣٧

(١٧) الخيل ٣٣

(١٨) الألفاظ ٥٩

والحقيقة أن أسلوب الرواية مما يميز المؤلفات العربية بصفة عامة ؛ فإذا أخذنا واحداً من الكتب العربية القديمة وجدنا اللاحق يروى عن سابقيه ، ويصرح بالأخذ عنهم ، وجد أيضاً من تلمذ لبعض اللغويين يروى عنه ، وقد قيل إن سيبويه اعتمد فى تأليف كتابه على أستاذه الخليل بن أحمد . وقد استمر أسلوب الرواية فى المرحلة التالية لنهاية القرن الثالث الهجرى ، واستمر أيضاً أخذ اللغويين عمن تلمذوا لهم ، ومنهم اللغوى الكبير أبو الفتح عثمان بن جنى الذى تلمذ لأبى على الفارسى ، وصرّح كثيراً باعتماده عليه .

وقد احتوت الأعمال الموضوعية على أسماء كثيرين من الأئمة ، وترددت فى الرسائل اللغوية أسماء بعض الرواد الذين سبقوا أبا عبيدة والأصمعى وأبا زيد ؛ ثم إن أولئك أصبحوا من أهم الرواة داخل (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ، وبعد ذلك صار أولئك الثلاثة مع أبى عبيد وابن السكيت من أشهر الرواة الذين أخذ عنهم أصحاب المعاجم اللغوية والموضوعية وكتب المفردات بعد نهاية القرن الثالث الهجرى .

وقد اعتمد أبو عبيدة على الأخبار والروايات فى تحصيل موضوعاته ؛ فقد قال : « أعوج فرس كان لكندة ، ثم صار لبنى سليم ، ثم خرج منهم إلى بنى هلال بن عامر بن صعصعة ، أخبرنى بذلك رجل من بنى عباس بن مرداس السلمى ، وذكر أنه كان فى الأصل لملك من ملوك كندة غزا سليماً يوم علاف فقتلوه ، وأخذوا فرسه أعوج . قال : ثم خرج منّا إلى بنى هلال فذكرته الشعراء ونسبت إليه حيوها قال طرفة :

أعوجيّات طـوال شـــزّب دُوّرِكَ الصنعةِ فيها والضّمر

وقال جرير

إنّ الجياد يبتن حول قبابنا من آل أعوجَ أو لذى العقّال(١٩)

وروى الأصمعىُّ عن أبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفى ، وصرّح كثيراً باسم هذين الرائدين ، واعتمد عليهما فى تحصيل الشواهد الشعرية ، وكان يجلس إلى أبى عمرو لهذا الغرض . قال الأصمعى : « حدثنى أبو عمرو بن العلاء قال : سمعتُ جندل بن الراعى ينشد بلال بن أبى بُردة لأبيه

(١٩) ديوان طرفة ٨٢ ، وديوان جرير ٤٦٨ ، وكتاب الخيل ٦٦

نَعُوسٌ إذا دَرَّتْ جَزُورٌ إذا غَدَتْ   بُوَيْزِلُ عامٍ أو سَدِيسٌ كَبَازِلِ

واعتمد الأصمعى عليهما أيضاً فى شرح معانى الألفاظ ، ومن هذا قوله حول معنى « اليَتْن » : « حدَّثنى عيسى بن عمر قال : سألتُ ذا الرمة عن شىء من الكلام ليس على وجهه فقال : أتعرفُ اليَتْنَ ؟ قلت : نعم ، قال : كلامك يتنٌ ، وأنشد :

فجاءتْ به يَتْناً يجر مشيمةً   تُبادر رجلاه هناك الأناملا

قال : وحدثنا عيسى بن عمر قال : قالتْ أمُّ تأبط شراً لما بكت عليه : واللهِ ما حملته وُضْعاً ، ولا ولدتُه يَتْناً ، ولا أرضعتُه غَيْلاً »[٢٠] .

ولقد اعتمد الجيل التالى على مرويات الأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة ؛ ومن هنا فقد جمع أبو عبيد مرويات أولئك ووضعها فى (الغريب المصنف) بعد تنظيمها وتبويبها ، وهذا يُذكرك من الصفحات الأولى للمعجم . والأمر نفسه ؛ أى الاعتماد على الرواية نجده عند ابن السكيت فى (الألفاظ) .

ثالثاً : الشواهد : يقول أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعينى الأندلسى (ت ٧٧٩ هـ) : « علوم الأدب ستة : اللغة والصرف والنحو ، والمعانى والبيان والبديع ؛ والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب ، دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين ؛ لأنها راجعة إلى المعانى ، ولا فرق فى ذلك بين العرب وغيرهم ، إذ هو أمر راجع إلى العقل ، ولذلك قُبل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحترى ، وأبى تمام ، وأبى الطيب وهلم جراً »[٢١] . ومن هنا فإن علوم اللغة والصرف والنحو شواهدها مأخوذة من كلام العرب ، ولا يجوز الاستشهاد بكلام غيرهم من المولدين ؛ لأن تلك العلوم تتصل بالفصاحة حين الأداء اللغوى ، والابتعاد عن اللحن والخطأ حين استعمال المفردات والتراكيب النحوية ؛ بالإضافة إلى وجود مجموعة من « القوانين » Rules التى توصل إليها اللغويون بناء على استقراء كلام العرب ، وهى تخص اللغة والصرف والنحو . أما علوم المعانى والبيان والبديع التى تشكل علماً واحداً فى النهاية هو « علم البلاغة العربى » فإنه يجوز فيها الاستشهاد والتمثيل بكلام العرب والمولدين ، وهذا راجع إلى

(٢٠) كتاب الإبل : ٧١ و ٨٦ ؛ وخلق الإنسان : ١٥٩ .

(٢١) الخزانة : ١ /٥ .

ما طرأ على الأداء اللغوى من اتساع فى الدلالة ؛ حتى إننا نستطيع التوصل خلال البلاغة العربية إلى ما يمكن أن نسميه « علم الجمال الدلالى » وهو جزء منها ، ومما يطبع هذا العلم الاتساع فى المعانى والتوليد لما هو جديد منها .

ولقد تنوعت الشواهد الموجودة فى الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات ، ونستطيع تقسيمها إلى أقسام : القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر ، والنثر (الأمثال والأقوال المأثورة) .

أما القرآن الكريم فهو كلام الله سبحانه وتعالى ، وكلامه — عزَّ اسمه — أفصح كلام وأبلغه ، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه ؛ لذلك يقول ابن جنى : « غرضنا أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً ، وأنه ضارب فى صحة الرواية بجرانه ، آخذ من سمت العربية مهلة ميدانه »[٢٢] ؛ ويقول الفراء « والكتاب أعرب وأقوى فى الحجة من الشعر »[٢٣] .

وقد كان هناك جدل واسع فى الحياة اللغوية حول الاستشهاد بالحديث الشريف ؛ فقد رفض بعض اللغويين الاستشهاد به ؛ لأن الأحاديث لم تُنقل كما سُمعت من النبى ﷺ ، وإنما رُويت بالمعنى . ولكن هذا الرأى ضعيف ؛ لأن هؤلاء الرواة للأحاديث عاشوا فى عصور الاحتجاج ، وقبل فساد اللغة ؛ بالإضافة إلى ذلك أن الرواة أنفسهم حجة فى اللغة .

وقد توسط بعض العلماء فجوز الاحتجاج بالأحاديث التى اعتُنِىَ بنقل ألفاظها . قال الشاطبى فى شرح الألفية : « لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول ﷺ ، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم ، الذين يبولون على أعقابهم ، وأشعارهم التى فيها الفحش والخَنَى ، ويتركون الأحاديث الصحيحة ؛ لأنها تُنقل بالمعنى ، وتختلف رواياتها وألفاظها ، بخلاف كلام العرب وشعرهم ؛ فإن رواته اعتنوا بألفاظها ، لما ينبنى عليه من النحو ، ولو وقفتَ على اجتهادهم قضيت منه العجب ، وكذا القرآن ووجوه القراءات . وأما الحديث فعلى قسمين : قسم يعتنى ناقله بمعناه دون لفظه ، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان . وقسم عُرِفَ اعتناء ناقله بلفظه لمعنى خاص ؛ كالأحاديث التى قصد بها بيان فصاحته ﷺ ، ككتابه لهمدان ،

---

(٢٢) المحتسب ١ / ٣٢ .

(٢٣) معانى القرآن ١ / ١٤ .

وكتابه لوائل بن حُجر ، والأمثال النبوية ؛ فهذا يصح الاستشهاد به فى العربية »(٢٤) .

والرأى عندنا أنه يجوز الاستشهاد بالحديث سواء أكان النقل باللفظ دون المعنى أم بالمعنى دون اللفظ ؛ لأن رواة الأحاديث عاشوا فى عصور الاحتجاج ، وهم من فصحاء العرب ؛ بالإضافة إلى أنهم حجة فى اللغة على نحو ما أشرنا .

وبعد هذا العرض للاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، نأتى إلى الاستشهاد بالشعر ؛ فنجد اللغويين يقسمون الشعراء أربع طبقات :

١ ــ الطبقة الأولى : الشعراء الجاهليون ، وهم قبل الإسلام ، كامرىء القيس والأعشى وطرفة وزهير وعمرو بن كلثوم .

٢ ــ الطبقة الثانية : المخضرمون : وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كالخنساء ولبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت وكعب بن زهير .

٣ ــ الطبقة الثالثة : المتقدمون ، ويقال لهم الإسلاميون ، وهم الذين كانوا فى صدر الإسلام كجرير والفرزدق والأخطل .

٤ ــ الطبقة الرابعة : المُولَّدون ، ويقال لهم المحدثون ، وبدايتهم فى العصر العباسى كبشار بن برد وأبى نواس .

وهناك إجماع من المشتغلين بالدراسات اللغوية على أن الطبقتين الأولى والثانية يستشهد بشعرهم ، أما الطبقة الثالثة فإن معظم اللغويين يحتجون بشعرها ، فى حين أن الطبقة الرابعة لا يستشهد بكلامها مطلقاً . يقول عبد القادر بن عمر البغدادى (١٠٣٠ ــ ١٠٩٣ هـ) : « فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعاً . وأما الثالثة فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامها . وقد كان أبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن أبى إسحاق ، والحسن البصرى ، وعبد الله بن شبرمة ، يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم ... فى عدة أبيات ، أُخِذَت عليهم ظاهراً ، وكانوا يعدونهم من المولَّدين ؛ لأنهم كانوا فى عصرهم ، والمعاصرة حجاب »(٢٥) .

(٢٤) خزانة الأدب : ١ /١٢ و ١٣ .

(٢٥) الخزانة : ١ /٦ .

وقال ابن رشيق : « كل قديم من الشعراء فهو محدَث فى زمانه بالإضافة إلى مَنْ كان قبله . وكان أبو عمرو يقول : لقد أحسن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره ـ يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق ـ فجعله مولَّداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين ، قال الأصمعى : جلستُ إليه عشر حجج ، فما سمعته يحتج ببيت إسلامى »(٢٦) .

أما الطبقة الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً ؛ وقيل يستشهد بكلام من يُوثَق به منهم ؛ لذلك وجدنا أبا القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ) يستشهد فى تفسيره ببيت من شعر أبى تمام (حبيب بن أوس الطائى) ويعلق على هذا بقوله : « وهو (يقصد أبا تمام) وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه »(٢٧) .

وقد أجمع اللغويون على أن أول الشعراء المحدثين بشار بن برد (ت ١٩٧ هـ) ، ونقل ثعلب عن الأصمعى قال : خُتِم الشعر بإبراهيم بن هَرْمَة ؛ فإنه مدح ملوك بن مروان ، وبقى إلى آخر أيام المنصور(٢٨) .

ولقد تنوعت الشواهد فى الرسائل اللغوية ومعجمى (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ، واهتم بها اللغويون اهتماماً كبيراً حتى إن ابن السكيت ـ مثلاً ـ كان يطيل فى ذكر عدة أبيات من القصيدة التى فيها محل الشاهد ، مع أنه يكفيه أن يورد بيتاً واحداً ، يكون فيه اللفظ الذى يشرحه . وكان يحشد عدة شواهد لبيان معنى كلمة واحدة ، ويطيل فى ذكر بعض القصص والحكايات لشرح لفظ أو صفة معنية ، وخلال هذا يأتى بالعديد من أبيات الشعر . ونجد هذا عند أبى عبيد وفى الرسائل اللغوية السابقة عليه وعلى ابن السكيت .

رابعاً : تحديد القبائل العربية : حدّدت القبائل التى أُخذت عنها العربية فى نص مشهور فى تاريخ الدراسات النحوية واللغوية لأبى نصر الفارابى فى أول

(٢٦) العمدة ١ /٥٦ .

(٢٧) الكشاف ١ /٢٢٠ و ٢٢١ .

(٢٨) الاقتراح للسيوطى ٧٠ ؛ وطبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٠ .

كتابه المسمى بـ (الألفاظ والحروف) يقول فيه : « كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق ، وأحسنها مسموعاً وإبانة عما فى النفس ، والذين عنهم نُقلت اللغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أُخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب ، هم قيس وتميم وأسد ؛ فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمه ، وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى مما كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاور سائر الأمم الذين حولهم .

فإنه لم يؤخذ لا من لخم ، ولا من جذام ؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة ، ولا من غسان ، ولا من إياد ؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام ، وأكثرهم نصارى ، يقرأون فى صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ، ولا من النمر ؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية ، ولا من بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ، ولا من عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ، ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ، ولا من أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم ، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت ألسنتهم .

والذى نقل اللغة واللسان العربى عن هؤلاء وأثبتها فى كتاب وصيرها علماً وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط ، من بين أمصار العرب »[٢٩] .

ويحدد هذا النص القبائل العربية التى روى عنها ، وتلك التى لم يُرْوَ عنها مع التعليل لذلك ؛ بالإضافة إلى عدم الرواية عن أهل الحضر وسكان البرارى ؛ لذلك عقد ابن جنى فى خصائصه باباً[٣٠] عنوانه : « باب فى ترك الأخذ عن أهل المَدَر كما أُخذ عن أهل الوبر » قال فى بدايته : « علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخَطَل . ولو

(٢٩) الاقتراح : ٥٦ و ٥٧ .

(٣٠) الخصائص : ٢ /٥ .

علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر ، وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها ، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها ، وترك تلقي ما يرد عنها » . ومن هنا قال البصريون لعلماء الكوفة : « نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ »(٣١) .

ولقد اهتمت الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات بتحديد بعض اللهجات العربية وبيان الفروق بينها ، ولكن العرب القدماء حين كانوا يشيرون إلى تلك الفروق بين لهجات القبائل لم يستعملوا مصطلح « اللهجة » Dialect على النحو المعروف في الدرس اللغوي الحديث ، وإنما كانوا يطلقون على اللهجة مصطلح « اللغة » أو « اللُّغَيَّة » .

وفي الأعمال الموضوعية ذكر لقبائل كثيرة مع بيان لهجاتها ، والفروق اللغوية بينها ، فهناك هذيل والحجاز ونجد والمدينة وبلحرث بن كعب والطائف وقيس وأسد وبنو إباض وبنو ذبيان وبنو تميم وعقيل وتهامة وعدى الرباب وأهل العالية وأهل مكة وسواها(٣٢) . ولعلنا نشير إلى أن تلك الأعمال الموضوعية لم تكن لتذكرَ القبائل العربية دائماً ؛ بل تقول « العرب » أو « بعض العرب » أو « شيخ من أهل البادية » ... دون تحديد .

وقد ساعدت الرحلة إلى البادية ، ثم التحديد للمكان والزمان على أن يضع أصحاب الأعمال الموضوعية مقياساً صوابياً ، وهو تعود المتكلمين على العبارة واستعمالهم إياها استعمالاً مطرداً(٣٣) ، وهو مقياس اجتماعي يفرضه

---

(٣١) الفهرست ٩٢ . والقول منسوب إلى العباس بن الفرج المعروف بالرياشي (ت ٢٥٧ هـ) أحد علماء البصرة .

(٣٢) انظر الإبل : ٩٢ ؛ والنبات والشجر : ٤٣ و ٤٤ و ٦٥ و ٦٧ و ٧١ ؛ والألفاظ : ٤٠ و ١٩٠ و ٢٧٣ ؛ والغريب المصنف : ٣٧٠ و ٤٠٠ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٦٢٠ و ٦٣١ و ٦٣٨ و ٦٦٩ ، والأيام والليالي والشهور : ٨ و ٩ و ١٣ .

(٣٣) اللغة بين الفرد والمجتمع : ١٢٤ .

(٣٤) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٦٧ .

المجتمع على الأفراد ، وشأن اللغة فى ذلك شأن كل شئون الثقافة ؛ أى العادات والتقاليد واللغة والدين السلوك الاجتماعى ؛ فلكل واحدة من هذه الظواهر مستواها الصوابى الخاص[٣٤] ، ولم يتفق أصحاب مذهب تنقية اللغة حول مقياس محدد يتخذ أساساً للحكم بالصحة أو الخطأ ؛ إذ إن بعضهم سلك مسلكاً يطبعه التشدد والوقوف عند ما سمع وعدم الاعتراف إلا بالأفصح ، وما عداه فهو خطأ . وقد أنكر الأصمعى أشياء كثيرةً فى اللغة[٣٥] ، ولم يقر إلا ما سمعه عن العرب فى البادية واستعمله الشعراء فى شعرهم وذلك فى الألفاظ والصيغ .

* * *

وبعد هذا العرض لمنهج (الغريب المصنف) و (الألفاظ) فى ضوء الدرس اللغوى الحديث ، نحاول التعرف على عيوب المعجم الموضوعى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، وهو موضوع الفصل التالى .

---

(٣٥) الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب : ٢١٦ .

الفصل الرابع

عيوب معاجم الموضوعات حتى نهاية القرن الثالث الهجرى

يعد المعجم الموضوعى واحداً من أهم المجاميع اللغوية التي ظهرت مبكراً فى الحياة الفكرية عند العرب ، وقد اهتم هذا المعجم ، متأثراً فى ذلك بالرسائل اللغوية ، بجمع الغريب من الألفاظ وتصنيفه حسب المعنى ؛ حتى يمكن الإفادة منه فى تفسير آيات الكتاب العزيز ، ومعرفة معانى الشعر العربى القديم وأغراضه الدلالية . والذى دفع اللغويين إلى الاقتصار على « الغريب » من الألفاظ هو « أن هذا النوع من المفردات هو الذى يحتاج ، فى نظرهم ، إلى توضيح وتفسير ، أما المفردات الأخرى فقد كان من السهل على القارىء العادى ، فى رأيهم ، أن يعرف معناها ، أو يستنتجه من سياق الكلام »[1] . وقد نجح أصحاب الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات فيما هدفوا إليه ووضعوه نُصْب أعينهم ، والدليل على ذلك ما وصل إلينا من تلك المجاميع محتوياً على الغريب اللفظى . ولم يكن تحقيق هذا الهدف سهلاً ؛ بل تطلب الكثير من الجهد ، يدلنا على ذلك ما تناقله الرواة من أن أبا عبيد جمع (الغريب المصنَّف) وبوّبه وشرح ألفاظه فى أربعين سنةً . وهذا الجهد الذى بذلوه جعلهم من أهم المصادر التى اعتمدت عليها المعاجم اللغوية والموضوعية فى القديم والحديث .

وعلى الرغم من أن أولئك الروّاد قد بذلوا هذا الجهد من أجل جمع ألفاظ اللغة وشرحها فإنهم لم يسلموا من النقد والتتبع من قبل الجيل التالى لهم ، وهذا كله فى صالح الحياة العلمية . وقد أثار معجم أبى عبيد اهتمام اللغويين ؛ فتناوله بعضهم بالنقد والتحليل ، وتناوله بعضهم الآخر بشرح أبياته . وتعدت شهرة (الغريب المصنف) المشرق إلى المغرب ؛ إذ شرحه أحمد بن محمد المرسى (ت حوالى ٤٦٠ هـ) فى كتاب عنوانه (شرح الغريب المصنف لأبى عبيد) . وتناول أبو عبيد بن عبد الله بن عبد العزيز البكرى (ت ٤٨٧ هـ) أبياته بالشرح والتحليل فى كتاب عنوانه (صلة المفصول فى شرح أبيات

---

(١) الدكتور عبد الله درويش : المعاجم العربية ١ و ٢

الغريب المصنف لأبي عبيد)[٢] . أما كتاب (الألفاظ) لابن السكيت فقد حظه من الشهرة أقل ؛ إذ إن (الغريب المصنف) قد استوفى الغرض قبله من حيث الجمع الموضوعى لألفاظ اللغة ، كما أنه لم يُضف جديداً لما صنّفه أبو عبيد . ويضاف إلى ذلك أن ابن السكيت ألّف كتاباً أهم من معجمه الموضوعى وهو (إصلاح المنطق) ؛ فقد لقى هذا الكتاب تقديراً من اللغويين والأدباء وقرظه غير واحد منهم ، وتناوله بعض اللغويين بالشرح والتحليل والاختصار ، وكان ابن السكيت يُنْسَبُ إلى هذا الكتاب ، فيقال : ابن السكيت صاحب الإصلاح ، أو إصلاح المنطق . ومع هذا فقد اهتم الخطيب التبريزى بمعجمه الموضوعى (الألفاظ) وقدّم شرحاً له ، وزاد عليه بعض الزيادات .

وهناك بعض العيوب الموجودة داخل المعاجم الموضوعية ، والأصل فى ذلك الرسائل اللغوية فى الموضوعات ؛ فقد اعتمدت المعاجم على تلك الرسائل فى تحصيل ألفاظها وموضوعاتها ؛ لأن أبا عبيد وابن السكيت حشدا فى معجميهما ما وصل إليهما من الرسائل المختلفة دون دقة أو إضافة إلا قليلاً ؛ ففى بعض الرسائل — مثلاً — نجد ألفاظاً كثيرة دون شرح أو استشهاد عليها ، ونجد ألفاظاً أخرى يقدمون لها أكثر من شاهد ، وقد انتقل هذا إلى معجمى (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ، وأضافا عيوباً أخرى ، من بينها حشد القصص والحكايات لشرح لفظ واحد . ويمكن أن نلتمس بعض العذر للرسائل اللغوية ؛ لأن الرواد الأوائل عندما جمعوا اللغة من بطون البوادى وألسنة الأعراب حرصوا على تسجيل معظم ما حصلوا عليه من أولئك . وقد أحس الخليل بن أحمد بقيمة تلك الرسائل التى وضعها واحد من أهم الرواة هو الأصمعى ؛ بالإضافة إلى غيره — واستغلها استغلالاً كاملاً فى حشو (كتاب العين) وجمع مادته اللغوية ، بعد أن وضع أسس المنهج الذى سار عليه وهو منهج يعتمد على ترتيب ألفاظ اللغة بالنظر إلى خروج الصوت من الحلق . ولا يقلل هذا الاستعمال للرسائل اللغوية من قدر الخليل وريادته فى علوم اللغة ، وإنما أحس بأنها مصادر مهمة فى تأليف أى كتاب يهتم بجمع الألفاظ ، وقد كان منهج الخليل علمياً ؛ لذلك أحسن استغلال الرسائل اللغوية . وقد استغل أبو عبيد وابن السكيت الرسائل أيضاً ، واعتمدا على مرويات

(٢) فهرسة ابن خير : ٣١٥ — ٣٢٢ .

أساتذتهما ، ولكنهما لم يحسنا هذا الاستغلال ؛ فلو صنَّفا الرسائل بدقة وأضافا إليها بعض الإضافات الخاصة بالشرح والتفصيل لأمكن أن يضع أحدهما أو كلاهما معاً معجماً موضوعياً ضخماً من حيث الاستيعاب والشمول ، ولأمكن كذلك أن نجد معجماً موضوعياً يعادل (المخصص) لابن سيده الذى ظهر فى منتصف القرن الخامس الهجرى .

ويُعدُّ على بن حمزة البصرى واحداً من أهم الذين نقدوا أبا عبيد ومعجمه الموضوعى ، فقد نبَّه على بعض الأخطاء الخاصة بالرواية والتصحيف وشرح الألفاظ ووضع ذلك فى كتابه (التنبيهات على أغاليط الرواة) . أما ابن السكيت فلم يصل إلينا عمل ينقد معجمه ، ولكن المعجم نفسه به بعض الجوانب الخاصة التى لو أزيلت منه لكان أكثر نفعاً وأجدى فائدة ، وسوف نبين عن تلك الجوانب فيما بعد . ونتوقف أمام نقد على بن حمزة لـ (الغريب المصنف) .

لقد كان على بن حمزة متحاملاً على أبى عبيد وبعض أساتذته ، وعلى رأسهم الأصمعى الذى رماه ببعض الصفات غير المستحبة وتتنافى مع خُلُق الأصمعى ؛ بالإضافة إلى استخدامه لبعض العبارات الدالة على التجريح ، مع التحامل الواضح عليه ، ومن ذلك قوله : « وقد كان الأصمعى مع كونه مُجْبَراً شديدَ البغض لأمير المؤمنين علىٍّ عليه السلام ؛ فلذلك كان يَسُبُّ الكميت ، ويقدح فى شعره ، ويضع من قدره ؛ لأن الكميت كان شيعياً . ومما اشتهر من بغض الأصمعى لعلىّ صلواتِ الله عليه أن هارون الرشيد سأله : لِمَ قطع علىٌّ يدَ جدِّك علىِّ بن أصمع ؟ فقال : ظلماً يا أمير المؤمنين ! وكذب عدو الله ! إنما قطعه فى سرقة ... وقال أبو رياش (وهو شيعى زيدى ت ٣٣٩ هـ) : كان الأصمعي مع نَصْبِه كذّاباً ، وإنما كان يظهر التألّه ، ويترك تفسير ما يُسأل عنه من القرآن ، ويُظهر الكراهة لأن يُسأل عن شىء يوافق شيئاً فى المصحف ، ليصدَّقَ فيما يتكذبه ، ولينفى التهمة عنه فيما يتخرصه ، ولقد سمعتُ ابن دريد يقول : سمعتُ عبد الرحمن بن أخى الأصمعى يقول فى خبر حكاه وقد سُئِلَ عن عمِّه : هو جالس يكذب على العرب »(٣) .

والحقيقة أن ما ذكره على بن حمزة تعوزه الدقة والتوجيه ؛ فقد ورد فى

---

(٣) التنبيهات : ٢٤٧ وما بعدها .

(مراتب النحويين) حول خلق الأصمعي : « ولم يَرَ الناسُ أحضرَ جواباً وأتقن ما يحفظ من الأصمعي ، ولا أصدق لهجة منه ، وكان شديد التأله ، وكان لا يفسر شيئاً من القرآن ولا شيئاً من اللغة له نظير أو اشتقاق فى القرآن وكذلك الحديث تحرجاً ، وكان لا يفسر شعراً فيه هجاء ، ولم يرفع من الحديث إلا أحاديثَ يسيرةً ، وكان صدوقاً فى كل شيء من أهل السنة »(٤) . ولذلك يقال : كان أهل العربية كلهم أصحابَ أهواءٍ إلا أربعة ؛ فإنهم كانوا أصحاب سنة وهم أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وعبد الملك الأصمعى(٥) . وقد عاب على أبى عبيدة كتابه (مجاز القرآن) وقال : يتكلم فى كتاب الله برأيه(٦) .

ولقد استخدم على بن حمزة بعض العبارات التى لا تصح فى مجال النقد كقوله « كذب عدو الله » و « كان الأصمعى مع نصبه كذاباً » . وقال إن ابن أخيه عبدَ الرحمن اتهمه بالتزيد وخلق الروايات ، وهذا لا يستقيم مع ما عُرِفَ من سيرة الأصمعى العلمية ؛ فقد كان يجوب البادية لجمع الألفاظ ، ورأينا جهده من قبل فى هذا الصدد ؛ لذلك عَدَّ أصحاب كتب الطبقات والتراجم ما رواه الأصمعى منفرداً فى حكم الذى أجمع عليه أكثر من راوية . ثم إن ابن أخيه عبدَ الرحمن لم يكن ليروىَ شيئاً إلا عن عمه هذا الذى اتهمه بالكذب والخلق والتزيد ؛ فكيف يروى عنه وهو يصفه بتلك الصفات ؟ ! .

وإنما توقفنا أمام ما قاله على بن حمزة عن الأصمعى ؛ لأنه يمس جانباً مهماً من الحياة العلمية ، وهو خاص برواية اللغة ؛ فقد كان الأصمعى واحداً من أهم رواة اللغة ، وله شروح معجمية ما زالت تتداولها المعاجم اللغوية فى عصرنا الحديث . ولو سلمنا بما قاله على بن حمزة على علته لأضعنا كثيراً من التراث القديم الذى وصل إلينا منسوباً إلى الأصمعى ؛ بل إن هناك نوعاً آخر من التراث القديم المنسوب إلى تلامذته كأبى عبيد وابن السكيت وسواهما ،

ولو سلمنا بما قاله علىٌّ أيضاً لوجب أن نرفض ما ألف أولئك من المعاجم وكتب المفردات . ثم إن ما قاله على بن حمزة يمس أبا عبيد من قريب ؛ إذ إنه واحد من أهم تلامذة الأصمعى ، وكان أبو عبيد ذا خلق وورع أجمعت عليه

(٤) مراتب النحويين : ٤٦ .

(٥) كتاب المعارف : ١٨٤ .

(٦) وفيات الأعيان : ٥ /٢٣٧ .

الكتب العربية ، ويبدو أن هذا أثر من آثار الأصمعى فى تلميذه الذى انتقل إليه الزهد والورع والتقوى من أستاذه ، هذا مع علمنا بأنه قد خاض فى كتاب الله العزيز مفسراً أو شارحاً وحاصراً للهجات القبائل فى القرآن الكريم . هذا هو موقف على بن حمزة من الأصمعى ، وقد انعكس هذا الموقف على ما رواه أبو عبيد عنه ، ومع ذلك فإننا فى تعرفنا على نقده لـ (الغريب المصنف) سندع هذا جانباً ، ونجعل المعيار فى الصواب والخطأ للنصوص .

وقد كان أكثر نقد على موجهاً لرواية اللغة ؛ لأن أبا عبيد أخطأ فى نقل بعض الروايات التى أخذها عن القدماء ؛ لذلك فالخطأ يُنْسَبُ إليه لا إلى مَنْ روى عنه . قال على : « وإنما نرد على أبى عبيد فيما لم يضبط عمن رواه عنه ، وإذا لم يضبط ما سمع فهو الغالط لا الذى حكى عنه ، ولسنا ننسب إليه — رحمه الله — كذباً ، ونقول لم يضبط ما سمع »[٧] .

ويعد الأصمعى واحداً من أهم الرواة واللغويين الذين أخذ عنهم أبو عبيد ، وقد نقده على بن حمزة فى عدة مواضع منها :

١ — قال أبو عبيد : قال الأصمعى : وما أدرى ما الحَوَرُ فى العين . والمحفوظ عن الأصمعى أنه قال : الحور صفاء بياض العين وشدة سوادها[٨] .

ولا نعلم من أين أتى علىٌّ بهذا التفسير المعجمى لكلمة « الحور » سوى حفظه ؛ فقد رجعنا إلى (خلق الإنسان) للأصمعى ؛ خاصة ما كتبه عن العين[٩] ولم نجد تفسيراً لتلك الكلمة أو أية إشارة لها ، وفى (خلق الإنسان) لثابت بن أبى ثابت العبارة نفسها التى نسبت إلى الأصمعى عن طريق أبى عبيد[١٠] .

٢ — وقال : الضَّهْيَاء التى لا تحيض ، رواها عن الأصمعى . قال : وقال الكسائى مثله ، وجمعها ضُهْى مثل عُمْى . وإنما الضهياء التى لا يَنْهَدُ ثديها ، فأما التى لا تحيض فهى ضَهْيَاة بالقصر والهمزة وإثبات الهاء ، وأنشد أبو عمرو وغيره :

(٧) التنبيهات : ١٩١ .

(٨) السابق : ١٩٠ .

(٩) الأصمعى : خلق الإنسان ١٨٠ — ١٨٨ .

(١٠) ثابت : خلق الإنسان ١٢٨ .

ضَهْيَأةٌ أو عاقــرٌ جَـمـادُ[١١]

وقد ورد المعنيان فالضهياء التى لا تحيض من الكبر[١٢] ، والضهيأ التى لا تحيض ولا ينبت ثدياها ؛ يقال : امرأة ضهيأة[١٣] . وقال أبو حيان : « الضهياء يمد ويقصر ، فكان الجواب أن ابن الأعرابى قال : الذى حصلته عن الأعراب أن الضهياء الممدودة هى التى لا تحيض ، وأن المقصورة هى الياسمين ، وجمع الأول ضُهْى ، وجمع المقصور ضهايا[١٤] .

٣ ــ وقال أبو عبيد : قال الأصمعى : لا يقال عَنَسَتْ ولا عَنَّسَتْ ، ولكن عُنِّسَتْ فهى مُعَنَّسَة . وكيف يقول هذا وهو ينشد :

والبيض قد عَنستْ وطال جَراؤها　　　ونشأنَ فى قِنٍّ وفى أذواد[١٥]

ولو لم يقولوا عَنَسَتْ لما قالوا عانس ، وهم يقولون امرأة عانس ورجل عانس ؛ وذلك إذا جاوزا وقت التزويج ولم يتزوجا ، قال الشاعر :

فإنى على ما كنت تعهد بيننا　　　وَلِيدَيْنِ حتى أنت أشمطُ عَانِسُ[١٦]

وقد يقال لهما ذلك أيضاً إذا كَبرا . قال كُثَير :

وإنَّ طلابى عانساً أمَّ وِلْدةٍ　　　لمِمَّا تُمنِّينى النفوسُ الكواذِبُ[١٧]

والذى وجدناه فى (خلق الإنسان) : « فإذا قعد (يقصد الرجل) بعد بلوغ وقت النكاح أعواماً لا ينكح فهو عانس ؛ يقال : رجل عانس وامرأة عانس . قال أبو ذؤيب :

فإنى على ما كنت تعهد بيننا　　　وليدين حتى أنت أشمط عانس

ويقال : قد عَنَسَتْ تعنس عنوساً ، وعَنَّست تعنيساً ، وهى امرأة معنسة وعانس »[١٨] .

(١١) الألفاظ : ٤٦٨ ؛ والتنبيهات : ٢٠٢ .
(١٢) الألفاظ : ٣٤٢ .
(١٣) السابق : ٣٦٧ وما بعدها .
(١٤) الإمتاع والمؤانسة : ٢ /١٩٧ وما بعدها
(١٥) البيت فى ديوان الأعشى : ٢٠ .
(١٦) البيت لأبى ذؤيب فى ديوان الهذليين .
(١٧) التنبيهات : ٢٠٣ .
(١٨) خلق الإنسان : ١٦١ .

والنص يبين أن الأصمعي لم ينكر استعمال عَنَسَت وعَنَّسَتْ ، ولكن أبا عبيد هو الذى أخطأ فيما رواه عنه ؛ إذ إن هذا الاستعمال متفق عليه فى المعاجم العربية بأنواعها المختلفة ؛ فيقال : « عنس الرجل : إذا أخذ فى الكهولة ولم يتزوج ، وكذلك عنست المرأة إذا أقامت فى بيت أهلها ودخلت فى الكهولة ولم تتزوج ، فهى عانس »[19] .

٤ ـــ وقال أبو عبيد : قال الأصمعي : حَنَّة الرجل امرأته ، وهى طَلَّته وعِرْسه وقعيدته ورُبْضه وظعينته ، ولا تكاد العرب تقول زوجته ... وقول الأصمعى : لا تكاد العرب تقول زوجته غلطٌ ، وفصحاء العرب يقولون زوج وزوجة . وقد أخذ على بن حمزة يذكر بعض الشواهد على استعمال زوج وزوجة . قال الفرزدق :

وإنّ الذى يسعى ليُفسدَ زوجتى كساعٍ إلى أسدِ الشرى يستبيلُها

وقال الشَّمَّاخ :

آأنْ ضُباع ابتكرتْ على سَفَرْ بانتْ وكانت حرةً ذات خَفَرْ
من العفيفاتِ الجميلاتِ الصُّوَرْ قد أصبحتْ زوجةَ شمّاخ بَشَرْ
فما أنال اليوم منها من خَـبَرْ

والرأى عندنا أن الأصمعي لم ينكر استعمال « زوجة » ، فيقال للرجل زوج وللمرأة زوج ، ومن أهل الحجاز من يقول زوجة ، وفلانة زوجة فلان[20] ، ومن هنا فإن « زوجة » لهجة عربية تنسب إلى أهل الحجاز ، وعندما قال الأصمعى « لا تكاد » فقد قصد أن هذا الاستعمال قليل دون أن ينفيه ؛ لأنه استعمال لهجى .

٥ ـــ روى أبو عبيد رواياتٍ عن الأصمعي لا تناسب المقام نفسه ؛ فقد قال فى باب « الخبز اليابس » ـــ نقلاً عن الأصمعى ـــ يقال : جاء بالخبزة ناسَّةً ، وقد نَسَّ الشيء يَنُسُّ ويَنِسُّ نَساً ، ومنه قول العجاج :

وبلدٍ يُمسى قَطَاه نُسّا

قال : وأخبرنى عيسى بن عمر قال : أنشدنى ذو الرمة :

(١٩) عيسى بن إبراهيم الربعى : نظام الغريب ٣ /٤٤ .

(٢٠) الزجاجى : مجالس العلماء ١٩٥ .

وظاهِرْ لها من يابس الشخت واستعن عليها الصبا واجعل يديك لها سِتْرا

ثم أنشدنى بعدُ : من بائس الشخت ، فقلت : إنك أنشدتنى من يابس ! فقال : اليُبس من البؤس[٢١] . وهذا الذى حكاه الأصمعى عن عيسى بن عمر صحيح ، ولكن ما لإيراد أبى عبيد له فى هذا الباب معنى ، ولا تعلق لليُبس والبؤس بالنَّس[٢٢] .

ولكن علاقة اليبس بالنس أنهما بمعنى وبالبؤس أنه يقاربه ثم إنه مقلوبه ، وهذا صنيع الأقدمين بأسرهم وأبو عبيد منهم .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى ما فى (الغريب المصنف) من « التصحيف » الذى نبه عليه على بن حمزة . قال : « وروى (يقصد أبا عبيد) عن الأصمعى : عفقتُه بالسوط أعفِقُه ، ومتنته بالسوط أمتنه متناً وهو أشد من العَفق . وإنما هو غفقته أغفقه وهو أشد من العَفْق بعين غير معجمة »[٢٣] . ونشير إلى أن اللفظ بالإعجام فى (الألفاظ) نقلاً عن الأصمعى[٢٤] ، ولكن يبدو أن هذا من التصحيفات التى عابت (الغريب المصنف) .

وروى أبو عبيد فى « باب الآنية » ؛ قال الأصمعى : « المنجوب الواسع الجوف . وهذا غلط منه على الأصمعى ، المنجوف من الأقداح الذى نُجف جوفه ؛ أى وُسِّع ؛ فهذا الذى قال الأصمعى ، وهو بالفاء ؛ فأما المنجوب فالذى قُشر نجبه أو الذى دُبغ بالنَّجَب »[٢٥] . ويرجع هذا التصحيف إلى سوء خط أبى عبيد ؛ فقد قال على بن حمزة : « وخبّرنى الخبير بخط أبى عبيد أنه كان خطَّ سوءٍ ، وأنا أظن أن بليَّته منه فى قراءته السين شيناً ، والراء واواً ، والصاد ميماً ، والطاء ظاءً ، والدال ذالاً والعين غيناً »[٢٦] .

ويتصل الاختلاف فى ضبط بنية الكلمة بالتصحيف ؛ فقد قال أبو عبيد : « الفَوْف البياض الذى يكون فى أظفار الأحداث . وإنما هو الفُوف بالضم

(٢١) وردت هذه الرواية فى (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) : ٨١ .

(٢٢) التنبيهات : ٢١٠ وما بعدها .

(٢٣) السابق : ٢٢٠ .

(٢٤) الألفاظ : ١٠٢ .

(٢٥) التنبيهات . ٢٢٤ .

(٢٦) السابق : ٢١٢ .

بإجماع ، والفُوفة القشرة التى النواةُ ملتفة بها ، والجمع فُوف ، قال الراجز : .

وأنتِ لا تُغْنين عنّى فُوفا[27]

وقال أبو عبيد أيضاً : « أعطيته بَضْعة ، يعنى اللحم وجمعها بِضَع » . وقد أساء وإنما جمع بَضْعة بَضْع بإسكان العين . قال الشاعر :

نُدهدِقُ بَضْعَ اللحمِ للطالب القِرَى

وهناك بعض المواضع التى وضع فيها أبو عبيد صوتاً مكان آخر . قال ، نقلاً عن أبى زيد الأنصارى : « المأفوك والمأفون جميعاً الذى لا زَوْرَ ولا صَيُّور ؛ أى رأى يرجع إليه . والزور الصدر ، ولكل أحمق وعاقل زَوْر ، وإنما قال أبو زيد الذى لا زبر له ؛ أى ليس له عقل يرجع إليه ولا ما يعتمد عليه ، والأصل فى هذا زِبْر البئر وهو طيها بالحجارة ، وقال العجاج :

زَبْرُكَ بالكَىّ على الجـزور

وبهذا سموا الرجل زِبْراً ، وصغرو، فسموه زُبَيراً ؛ وقد يجوز أن يكون سُمّيا بزِبْر الكتاب[28]

والحقيقة أن الزَّوْر هو أعلى الصدر ، أما ضم الزاى « الزُّور » فيعنى الذى لا رأى يرجع إليه ، والمعنى الذى أراده أبو عبيد نجده فى مادة (زبر) ، يقال : ما له زَبْر ؛ أى عقل وتماسك[29] .

وقال أبو عبيد وذكر الضعيف اليدين ، قال الأموى : والزنجيل بالنون ، فسألتُ الفراء عنها ، فقال : الزئجيل بالياء مهموز ، وهو عندى على ما قال الفراء بالياء . وليس كذلك القول قول الأموى ، وهو الأشهر ، وإن كان الذى رواه عن الفراء صحيحاً عنه ، وأهل الضبط من الرواة على رواية قول الفقعسى :

لمّا رأتْ بُعَيْلَها زِنْجيلا

بالنون ، هكذا يرويه أبو عمرو وغيره ، زعم الفراء أن أبا محمد (عبد الله ابن سعيد الأموى) أنشده إياه بالياء مهموزاً ، ورَدَّ ذلك عليه[30] . ونشير إلى

(27) السابق : 189 .

(28) السابق : 209 .

(29) الصحاح : مادتا (زبر /زور) .

(30) التنبيهات : 195 وما بعدها .

أن الفراء روى « الزئجيل » مهموزاً . قال : « الزئجيل ، وهو الصواب »[٣١] .

وروى أبو عبيد عن أبي زيد : أتتنا قادِبةٌ من الناس ، وهم أول ما يطرأ عليك ، وعن أبي عمرو : أتتنا قاذية من الناس ، بالذال ، وهم القليل ، قال أبو عبيد : والمحفوظ عندنا قادية بالدال غير معجمة . وحفظ أبي عبيد سهو ، والوجه الذال معجمة كما قال أبو عمرو ، وقد تروى بالدال كما روى عن أبي زيد ، والذال أعلى وأشهر[٣٢] .

ولكن الإعجام ، منسوباً إلى أبي زيد ، عند ابن السكيت يقال : قذت علينا قاذية من بني فلان ... وهو أول ما يطرأ عليك منهم[٣٣] . ولذلك فقد أخطأ أبو عبيد فيما رواه عن أبي زيد .

وروى أبو عبيد : « فإذا انتفخ بطنه (يقصد الإنسان) قيل : قد اطرورى اطريراء . وإنما هو اظرورى بظاء معجمة »[٣٤] .

وقد أورد ابن سيده العبارة السابقة منسوبة إلى أبي عبيد ، وأضاف : « حكى أبو عمرو : اطرورى بالطاء ، ورواية أبي زيد : اظرورى بالظاء ، وأبو عمرو ثقة وأبو زيد أوثق منه ، وقد سألت عنه بعض فصحاء الحجاز فوافقوا أبا زيد فيما حكاه ، وسألت جماعة من الكلابيين عن الظاء فلم يعرفوها »[٣٥] . وأورد ابن السكيت الكلمتين معاً[٣٦] ، ويدل هذا على أن الاختلاف حول إعجام صوت الظاء من عدمه يرجع إلى اختلاف اللهجات .

وقال أبو عبيد : « والضَّفر والأَفْر : العَدْو ، يقال : ضفر يَضْفِر وأَفَر يأفِر . وإنما هو الضَّبْر ضبر يضبر ضبراً ، بالباء ، وهو الوثب ، وليس بالعَدْو »[٣٧] . ونشير إلى أن الضفر مروى فى المعاجم وهو السَّعْىُ ، وقد ضفر

---

(٣١) الألفاظ : ١٤٢ .

(٣٢) التنبيهات : ١٩٩ .

(٣٣) الألفاظ : ٤٠ .

(٣٤) التنبيهات : ٢١٢ .

(٣٥) المخصص : ٥ / ٨٠ .

(٣٦) القلب والإبدال : ٦٤ .

(٣٧) التنبيهات : ١٩٧ .

يضفر ضفراً ؛ أى عدا ، أما الضبر فهو إذا جمع الفرس قوائمه ووثب . قال العجاج يمدح عمر بن عبيد الله بن محمد القرشى :

لقد سما ابنُ معمرٍ حين اعتمـر
مغزى بعيداً من بعيدٍ وضَـبَرْ
تقضى البازى إذا البازى كسـر(٣٨)

ومن هنا فإن اللفظتين مستعملتان ، و « الضبر » خاص بعَدْوٍ معين ، وهو حين يجمع الفرس قوائمه ويثب ، فكأن بينهما عموماً وخصوصاً .

ويتصل بوضع صوت مكان آخر أيضاً قول أبى عبيد ، رواية عن الفراء : « تقعوس الشيخُ كبِر ، وتقعوس تهدم . وإنما تقعوش بالشين معجمة »(٣٩) . ولكن المعاجم تسوّى بين الاستعمالين ؛ فقد أورد ابن سيده كلام أبى عبيد ثم زاد عليه عبارة ابن الأنبارى : « تقعوش كتقعوس »(٤٠) .

وقال : « المشفوعة التى قد أصابتها شفعة وهى العين ، وهذا أيضاً تصحيف ، إنما المسفوعة بسين غير معجمة(٤١) . وما قاله على بن حمزة موجود فى بعض المعاجم العربية ؛ فهو عند ابن السكيت(٤٢) وابن دريد ، فى حين أن ابن سيده روى الاستعمالين معاً(٤٣) . والذى دفع أبا عبيد إلى روايتها بالشين دلالة مادة (شعف) ؛ فالشعف مثل رؤوس الكمأة ، ورؤوس الأثافى المستديرة فى أعاليها . قال العجاج :

دواخِساً فى الأرضِ إلا شَـعَفَا

والشعفة شعفة الجبل ، والجمع شعاف ، وهى أعلاه ، والشعفة أيضاً خصلة شعر فى وسط الرأس ، وفى الحديث : « ضربنى عمر فسقط البُرْنس على رأسى فأغاثنى اللهُ بشعفتين كانتا فى رأسى »(٤٤) . نقول إن دلالة مادة

---

(٣٨) الصحاح : مادتا (ضفر /ضبر) ، وديوان العجاج : ٥٠ .
(٣٩) التنبيهات : ٢٠٠ .
(٤٠) المخصص : ١ /٤٤ ، والقعس ، من عيوب خلق الإنسان . انظر كتاب العين : (قعس) .
(٤١) التنبيهات : ٢٠٢ .
(٤٢) الألفاظ : ٥٤٦ .
(٤٣) الجمهرة : (سعف) .
(٤٤) العين : (شعف) ؛ التاج : (شعف) ؛ اللسان : (شعف) ؛ والنهاية : ٢ /٢٢٥ ؛ وديوان العجاج : ٤٩٠ .

(شعف) تدور حول أعلى الشيء ووسطه ، وقد استعملها أبو عبيد استعمالاً مجازياً .

وقال أبو عبيد فى ذكر السهام : « المُعَصَّل الذى يلتوى فى الرمي . وإنما هو المعضَّل بضاد معجمة ، وهو مأخوذ من قولهم : عضَّلت الدجاجة وغيرها إذا التوت البيضة فى جوفها فلم تخرج ، قال الراجز :

قد عضَّلتْ ببَيْضتها بنت طَبَــقْ فذمّروها خبراً ضخمَ العُنقْ

ومع ذلك فما لأعرف فى السهم العَضِل وهو الأعوج ، إنما أظنُّه أراد ذلك فزاد ميماً »[٤٥] . ولكن الذى يؤيد أبا عبيد فيما قاله أن (عَصَلَ) تدل على الاعوجاج باشتقاقها المختلفة . قال الخليل : « العصل : اعوجاج الناب . قال :

على شــناخٍ نابه لم يعصل

شناخ ؛ أى طويل ، والأعصل من الرجال الذى قد عصلت ساقه فاعوجّت اعوجاجاً شديداً ، ولا يقال : أعصل إلا لكل صبوح فيه صلابة وكزازة » . وقال الثعالبى تحت عنوان : « فى تفصيل هيئات السهم إذا رُمِى به عن الأصمعى وأبى زيد وغيرها : فإذا التوى (يقصد السهم) فى الرمى فهو مُعصَّل »[٤٦] .

وقد نسب على بن حمزة أخطاءً لأبى عبيد تتصل بالصرف والنحو ، ومن هذا قوله : « قال أبو عبيد : قال أبو عمرو : والآفِق مثال فاعل الذى قد بلغ الغاية فى العلم وغيره من الخير ، وقد أفِق يَأْفَق . والمحفوظ عن أبى عمرو الأُفق ؛ وحكى أبو نصر[٤٧] فى الأجناس : الأُفق وزن عُفق للذكر والأنثى بغير هاء ، وأبو نصر ضابط ، ومع هذا فقد قال عروة المُرادى : أنشده أبو عمرو وغيره :

أُرَجِّلُ جُمتى وأجرُّ ذيلى ويحمل شِكَّتى أُفُقٌ كُميتُ

أفترى أبا عمرو ينشد هذا البيت ويقول الآفق على مثال فاعل ؟ لا يكون هذا أبداً ! وأنشد أبو زيد :

---

(٤٥) التنبيهات : ٢١٧ وما بعدها .

(٤٦) العين : (عصل) ؛ وفقه اللغة : ٣٠٥ .

(٤٧) الباهلى (ت ٢٣١ هـ) صاحب الأصمعى . معجم الأدباء : ١ /٤٠٥ .

آسانَ كل أُفُق مشاجرِ(٤٨)

ولكن ورد اللفظان عند ابن دريد . قال : « ورجل أُفُق وآفق : إذا كان جواداً ، ورجل أُفُق فى وزن فُعل ، وآفق فى وزن فاعل » . والغريب أن يذهب على على بن حمزة قول أبى النجم :

بين أبٍ ضخمٍ وخالٍ آفق بين المصلى والجواد السابق

بل الأغرب أن ينكر على ضيفه أبى الطيب :

قُوبِلَ من آفقةٍ وآفق

وهو كـ « فاعل » مضبوطاً فى نوادر أبى مسحل(٤٩) ... ولم يذكر كعنق ألبتة ، وفيه ... جمل آفق : كريم »(٥٠) وفى (الصحاح) : « الآفق الذى بلغ النهاية فى الكرم ، على وزن فاعل . تقول منه : أَفِقَ بالكسر يأفق أفقاً . وفرس آفق قوبل من آفقة وآفق ، إذا كان كريم الطرفين »(٥١) .

وتوقف على بن حمزة أمام تفسير أبى عبيد لمعانى بعض المفردات وخطّأه ؛ فقد قال أبو عبيد : « رجل أَبَدُّ عظيم الخلق ، وامرأة بدَّاءُ ، وأنشد :

ألدُّ يمشى مِشْيَةَ الأبدّ

ويقال : هو العريض ما بين المَنكبين . وهذان الوجهان غلطان ، وإنما الأبد المتباعد ما بين الفخذين من كثرة لحمهما ، والبادّان باطنا الفخذين وكل من فَرَجَ رجليه فقد بدَّهما ، قال الراجز :

جاريةٌ أعظمها أجمُّها
قد سمّنتها بالسويق أمُّها
فبدّتِ الرجلَ فما تضمها

ومن هذا اشتقاق بداد السرج وبداد القَتَبِ ، والرواية فيما أنشده :

بَدَّاء تمشى مشية الأبدّ(٥٢)

---

(٤٨) التنبيهات : ١٩٣ وما بعدها .

(٤٩) نوادر أبى مسحل : ١ /٩٧ .

(٥٠) التنبيهات : هامش ١٩٤ .

(٥١) الصحاح : (أفق) .

(٥٢) التنبيهات : ١٩٠ .

وتفسير على بن حمزة نجده عند ثابت بن أبى ثابت ، فى حين أن أبا عمرو الشيبانى يفسر « البَدَد » بقوله : « البداء من النساء إذا كانت مرتفعة العضدين من كثرة لحمهما »[٥٣] . وكأن أبا عبيد قد فطن إلى هذا التفسير فجعل معنى « البدد » ، وهو معنى جديد ، العظيم الخلق ، ثم أضاف إليه العريض ما بين المنكبين ؛ بالإضافة إلى المتباعد ما بين الفخذين ، والدليل على إدراكه لهذا المعنى رواية ثابت له فى كتابه ، ونحن نعلم اعتماده على أبى عبيد فى صناعة هذا الكتاب الخاص بخلق الإنسان[٥٤] .

وقال أبو عبيد : « القَتَال بقية النفس ، وأنشد لذى الرمة :

ألم تعلمى يامىُّ أنى وبيننا مهاوٍ يدعْنَ الجَلْسَ نَحْلاً قَتَالُها

وإنما القَتال والكَتال بمعنى واحد ، وهما الكِدْنة والغلظ ، يقال : إنه لذو قَتال وكَتال ، وإنه لذو كِدنة وذو جَرَز ، كله بمعنى واحد »[٥٥] . وقد قال ابن السكيت : « إنه لذو قَتال ، إذا كان يبقى منه بعد الهزال غلظ ألواح »[٥٦] . ونقل ابن سيده عن أبى سعيد الضرير قوله : « القَتَال والذماء بقية النفس »[٥٧] . ومن هنا فإن ما فسّر به أبو عبيد معنى « القَتال » صحيح ؛ لأن بعض المعاجم العربية روته .

وقال أبو عبيد : « الأحقُّ الذى لا يعرق من الخيل . وإنما الذى لا يعرق من الخيل الصَّلود والأحق مختلف ، وأجود وجوهه أنه الذى إذا جرى وقعت رجلاه موقع يديه »[٥٨] . وتفسير على بن حمزة هو الصحيح ، أما أبو عبيد فقد أخطأ . قال أبو عبيدة : « فإذا طبق (يقصد الفرس) ووقع حافر رجليه موقع حافر يديه فهو أحق »[٥٩] .

وروى أبو عبيد عن الكسائى : المُغْرِب من الخيل الذى ليس فيه عرق هجين ، والأنثى مُغْرِبة . والذى يرويه أهل اللغة أن المعرِب صاحب الفرس العربى ، وينشدون للجعدى :

(٥٣) كتاب الجيم : ١ /٨٤ .

(٥٤) خلق الإنسان : ٣١٣ .

(٥٥) التنبيهات : ١٩٠ وما بعدها .

(٥٦) الألفاظ : ١٢٩ .

(٥٧) المخصص : ٢ /٦٣ .

(٥٨) التنبيهات : ٢١٦ .

(٥٩) الخيل : ١٢٥ .

وَيَصْهَلُ فى مثل جَوْفِ الطوىّ صـهيلاً يبيّـن للمعـرِبِ

والحقيقة أن العرب لا تنكر استعمال « المعرِبِ » للدلالة على الفرس العربى ، ويحكمون على ذلك بصهيله ، وقد علّق ابن جنى على بيت النابغة الجعدى قائلاً : « أى إذا سمع صاحبُ الخيل العراب صوته علم أنه عربى »[60] .

هذه هى بعض الانتقادات التى وجهها على بن حمزة البصرى لمعجم (الغريب المصنف) ، وقد تبين أنه قد أصاب فى بعضها وأخطأ فى بعضها الآخر .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى كتاب (الألفاظ) لابن السكيت فنشير إلى أنه لم يصل إلينا كتاب تناوله بالنقد اللغوى على نحو ما حدث مع معجم أبى عبيد ؛ لذلك نستطيع أن نقول إن عيوبه ليست وقفاً عليه ، ولكنها تطبع المعاجم العربية القديمة بصفة عامة ؛ وذلك من حيث حشد عدة شواهد لشرح كلمة واحدة ، وفى الوقت نفسه نجد عدة كلمات دونما استشهاد على معانيها . وكان ابن السكيت يطيل فى ذكر أبيات من القصيدة التى فيها محل الشاهد ، مع أنه يكفيه أن يورد بيتاً واحداً يكون فيه اللفظ الذى يشرحه . ولم يهتم ابن السكيت ، فى بعض الأحيان ، بنسبة الشواهد إلى قائليها ، والاكتفاء بجزء من البيت حين الاستشهاد ، وحشد بعض القصص والحكايات لشرح لفظ أو صيغة معينة[61] .

* * *

وبعد هذا العرض للانتقادات التى وجهت لمعجم أبى عبيد وابن السكيت ، نحاول دراسة المادة اللغوية فيهما ؛ بالإضافة إلى الرسائل اللغوية خلال ما تعارف عليه المحدثون باسم « مستويات التحليل اللغوى » ، وهو موضوع الباب التَالى .

---

(٦٠) الخصائص : ١ /٣٧ .

(٦١) هناك عدة أمثلة على ذلك فى كتاب (الألفاظ) . انظر صفحات : ٤ و ٢٥٨ و ٣٧٣ و ٤٤٤ وسواها .

الباب الثالث

دراسة لغوية فى الأعمال الموضوعية

الفصل الأول

المستوى الصوتى

تمهيد : أصوات اللغة العربيه :

احتوى (الغريب المصنف) و (الألفاظ) والرسائل اللغوية على الكثير من الظواهر الصوتية التى تحتاج إلى الشرح والتحليل ؛ فقد توقفت تلك الأعمال الموضوعية أمام « الإبدال الصوتى » ؛ أى استعمال صوت مكان آخر دون أن تتأثر الدلالة كقولهم « مدح » و « مده » . وتوقفت كذلك أمام الإحلال بين « الصوائت القصيرة » Short Vowels : الضمة والفتحة والكسرة والمعنى واحد كقولهم « عَقَام » و « عُقَام » للدلالة على المريض الذى لا يبرأ ؛ فالكلمتان معناها واحد على الرغم من الاختلاف فى ضبط العين ... وهناك ظواهر صوتية أخرى فى الأعمال الموضوعية سنعرض لها بالتفصيل . وقد تطلب هذا العرض أن نمهد له بالدراسة التفصيلية لأصوات اللغة العربية على نحو ما فى كتب علم اللغة الحديث ؛ حتى يمكن أن نفسر فى ضوء تلك الدراسة هذا الإحلال بين الأصوات المفردة ، والصوائت القصيرة .

ولكن ما الصوتُ ؟ إنه الأثر السمعى الذى تحدثه تموجاتٌ ناشئة من اهتزاز جسم ما[1] . والأصوات فى اللغة هى مادة الألفاظ ، وأساس الكلام المركب ، والعمدة فى تلوين الأداء ، وإعطائه رنيناً إضافياً يزيد من وضوح التعبير ، وصدقه فى حمل فكرة المتكلم ، أو التأثير بها فى السامع[2] .

وتنتظم عملية الكلام خمس خطوات أو أحداث متتالية مترابطة ، يقود بعضها إلى بعض حتى تتم الدائرة بين المتكلم والسامع فى أبسط موقف من المواقف اللغوية . وهذه المراحل أو الأحداث ـــ بترتيب وقوعها ـــ هى :

١ ـــ الأحداث النفسية والعمليات العقلية التى تجرى فى ذهن المتكلم قبل الكلام ، أو أثناءه .

٢ ـــ عملية إصدار الكلام الممثل فى أصواتٍ ينتجها ذلك الجهاز المسمى

---

(١) المعجم الوسيط : ١ /٥٢٧ .

(٢) الدكتور حسن ظاظا : كلام العرب ٧ .

جهاز النطق

٣ ــ الموجات والذبذبات الصوتية الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع، بوصفها ناتجة عن حركات أعضاء الجهاز النطقي، وبوصفها أثراً مباشراً من آثار هذه الحركات

٤ ــ العمليات العضوية التي يخضع لها الجهاز السمعي (لدى السامع) والتي وقعت بوصفها ردّ فعل مباشراً للموجات والذبذبات المنتشرة في الهواء .

٥ ــ الأحداث النفسية والعمليات التي تجري في ذهن السامع عند سماعه للكلام واستقباله للموجات والذبذبات الصوتية المنقولة إليه بواسطة الهواء[٣] .

ويصدر الصوت عن جهاز يسمى « جهاز النطق الإنساني » Organs of Speech يشبه الآلة الموسيقية، أو هو أكمل آلة موسيقية من حيث المرونة، ومن حيث الإمكانات؛ أعني من حيث القدرة على إخراج أنواع من الأصوات لا حدّ لها[٤]

ومن المعروف أن ابن جني هو أول من عرض لجهاز النطق فشبهه بالناى وبوتر العود؛ ليقدم صورة عن العملية الطبيعية لإنتاج الكلام، وليوضح تقسيم الاصوات حسب المخارج وتقسيمها إلى أصوات صامتة وأخرى متحركة، وهذه الصورة التي قدمها أبو الفتح تعتبر خطوة متقدمة جداً في الدرس اللغوى، لكنها تمثل لدينا صورة صحيحة للتطور العلمي عند العرب؛ نقصد تطور المنهج لأن البدء كان سليماً؛ إذ كان صادراً عن الاتصال المباشر بالظاهرة اللغوية[٥] يقول ابن جني : « ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم باختلاف مقاطعها، التي هي أسباب تباين أصدائها، ما شبّه بعضهم الحلق والفم بالناى؛ فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجرى الصوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خُروق الناى المنسوقة، وواح بين أنامله، اختلفت

---

(٣) الدكتور كمال بشر علم اللغة العام (الأصوات) ٩

(٤) الدكتور محمود السعران علم اللغة ١٠٣

(٥) الدكتور عبده الراجحى · فقه اللغة ١٣٣

الأصوات ، وسُمِعَ لكل خَرْقٍ منها صوتٌ لا يشبه صاحبه ، فكذلك إذا قُطِعَ الصوت فى الحلق والفم ، باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصواتَ المختلفة » .

« ونظير ذلك أيضاً وَتَر العُودِ ، فإن الضارب إذا ضربه وهو مُرْسَلٌ سمعتَ له صوتاً ، فإن حَصَرَ آخرَ الوتر ببعض أصابع يُسراه ، أدّى صوتاً آخر ، فإن أدناها قليلاً ، سمعت غير الاثنين ، ثم كذلك كلما أدنى أُصْبُعَه من أول الوتر تشكلتْ لك أصداءٌ مختلفة ، إلا أن الصوت الذى يؤديه الوتر غُفلاً غير محصور ، تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور ، أملس مهتزاً ، ويختلف ذلك بقدرة قوة الوتر وصلابته وضعفه ورخاوته ؛ فالوتر فى هذا التمثيل كالحلق ، والخَفْقَةَ بالمِضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق ، وجريان الصوت فيه غُفْلاً غير محصورٍ كجريان الصوت فى الألف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذى يعرض للصوت فى مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا . وإنما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب » وإن لم يكن هذا الفن مما لنا ولا لهذا الكتاب به تعلق ، ولكن هذا القبيل من هذا العلم ، أعنى علم الأصوات والحروف ، له تعلقٌ ومشاركة للموسيقى ، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم »[٦] .

ونتوقف أمام « أعضاء النطق الرئيسية » بالدراسة والتحليل .

* * *

---

(٦) ابن جنى : سر صناعة الإعراب ١ /٩ و ١٠ .

أعضاء النطق الرئيسية

نحاول التعرف ، بإيجاز ، على أعضاء النطق الرئيسية ، ولكن قبل الدخول فى ذلك نشير إلى أن التسمية « أعضاء النطق » تسمية مجازية ؛ لأنه لا يوجد فى الحقيقة أعضاء خاصة بالكلام ، مفردة له ، ومقصورة عليه ، ووظيفتها الأصلية هى الكلام . إن الموجود فعلاً والمستعمل فى عملية الكلام هو أعضاء صالحة اتفاقاً لإنتاج الأصوات الكلامية . فالرئتان ، والحنجرة ، والحلق ، والأنف ، واللسان ، والأسنان ، والشفتان كلها صالحة لإنتاج الأصوات الكلامية ، ولكنها ليست أعضاء أصلية للكلام ، إلا إذا اعتبرنا الأصابع أعضاء وظيفتها الجوهرية هى العزف على « البيان » Piano أو الرُّكَب أعضاء الأصل فيها استخدامها فى الصلاة . إن الوظيفة البيولوجية الضرورية للرئتين هى التنفس ، وللأنف الشم ، وللأسنان كسر الطعام وطحنه قبل إعداده لعملية الهضم . فإذا كانت هذه الأعضاء وسواها تستعمل دائماً فى الكلام فما ذلك إلا لأن أىَّ عضو يخضع للسيطرة الإرادية يمكن أن يستعمل فى أغراض ثانوية . إن الكلام من الناحية الفسيولوجية مجموعة من الوظائف المفروضة على الوظائف الأساسية ؛ إنه يستمد عوناً من أعضاء ووظائف عضلية وعصبية ، تكونت فى أصلها لأداء أغراض غير غرض الكلام ، وهى لا تزال تؤدى هذه الأغراض ، بعد أن استعين بها لإحداث الأصوات الكلامية(١) .

وأعضاء النطق هى :

١ — الحنجرة Larynx : وهى مكونة من عدد من الغضاريف فى نهاية القصبة الهوائية (وهى الممر المؤدى إلى الرئتين) ، وهى أشبه بحجرة ذات اتساع معين ومكونة من عدد من الغضاريف — كما قلنا — أحدها وهو الجزء العلوى منها ناقص الاستدارة من الخلف وعريض من الأمام ، ويُعرف الجزء الأمامى منه بـ « تفاحة آدم » Adam's Apple . ويقع فوق الحنجرة بصورة خاصة نوع من اللسان لحمايتها أثناء عملية البلع ، ولكن لا دخل له فى تكوين أى صوت كلامى ، ويسمى بـ « لسان

---

(١) علم اللغة : ٦٥ .

المزمار « Epiglottis » أو « الغلصمة »(٢)

٢ـ القصبة الهوائية Wind - pipe : ويتخذ الهواء مجراه فيها قبل أن يندفع إلى الحنجرة ، وهي عبارة عن فراغ رنّان يوازى العمود الفقرى .

٣ـ الوتران الصوتيان أو الحبال الصوتية Vocal bands أو Vocal cords : وهما أشبه بشفتين منهما بوترين ، ولكن جرى الاصطلاح على هذه التسمية . وهذان الوتران ممتدان بالحنجرة أفقياً من الأمام إلى الخلف . وهما من أعضاء النطق المتحركة ، ولهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر فى الأصوات الكلامية ، وهذه الأوضاع أربعة هى :

أ ـ الوضع الخاص بالتنفس Breath : قد ينفرج الوتران الصوتيان مفسحين مجالاً للنَّفَس أن يمر خلالهما دون أن يجابهه أىُّ اعتراض ، وهذا يُحدث ما يسمى فى الاصطلاح الصوتى بـ « الهمس » (مقابل الجهر) . وتسمى الأصوات التى تنطق عندما يتخذ الوتران هذا الوضع الأصوات المهموسة voiceless Sounds . ويتخذ لوتران الصوتيان هذا الوضع عند نطق الصوامت Consonants العربية الآتية : التاء ، الثاء ، الحاء ، الخاء ، السين ، الشين ، الصاد ، الطاء ، الفاء ، القاف ، الكاف ، الهاء .

ب ـ وضع الوترين الصوتيين عند إصدارهما نغمة موسيقية : يتضام الوتران الصوتيان بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما أن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة . وهذا يسمى تذبذب الوترين الصوتيين Vibration . هذه الذبذبة تحدث نغمة موسيقية تختلف درجةً Pitch وشدةً باختلاف عدد الحركات الإيقاعية ومداها . هذه النغمة الصوتية تسمى فى الاصطلاح الصوتى بـ « الجهر » Voice ، كما تسمى الأصوات التى تصحبها هذه النغمة الأصوات المجهورة Voiced Sounds والأصوات العربية

(٢) يقول (المعجم الوسيط : ٢ /٦٥٨) عن « الغلصمة » فى الطب : « صفيحة غضروفية عند أصل اللسان ، سرْجية الشكل ، مغطاة بغشاء مخاطى ، وتنحدر إلى الخلف لتغطية فتحة الحنجرة لإقفالها فى أثناء البلع وتجمع على غلاصم »

المجهورة هي « الصوائت » Vowels (أي ما يسميه نحاة العربية « الحركات » و « حروف المدّ واللين » مقصوداً بها الألف والواو والياء في مثل : قال ، صبور ، بديع) و « الصوامت » الآتية : الباء ، الجيم ، الدال ، الذال ، الراء ، الزاى ، الضاد ، الظاء ، العين ، الغين ، اللام ، الميم ، النون ، الواو في مثل « وَجَدَ » ، الياء في مثل « يَرَى »[٣] .

جـ ــ وضع الوترين الصوتين في حالة الوشوشة Whisper[٤] : في حالة الوشوشة تكون الأوتار في وضع يقرب من وضعها حالة الجهر ، ولكن مع فارق مهم ، هو تصلبها وتجمدها بحيث تمنع حدوث أية ذبذبة . والمعروف أن الأصوات المجهورة في الكلام العادى يحل محلها أصوات « مُسَرَّة » في حالة الوشوشة ، على حين تبقى الأصوات المهموسة على حالها بدون تغيير . ومهما يكن من أمر فليس من شأن رجال الأصوات أن يعرضوا للكلام في حالة الوشوشة .

د ــ وضع الوترين الصوتيين عند تكوين همزة القطع Glottal Stop : قد ينطبق الوتران الصوتيان انطباقاً تاماً لفترة زمنية قصيرة ؛ بحيث لا يسمحان للهواء بالمرور من الرئتين أو إليها ، إلى أن يحدث ذلك الانفراج المفاجىء الذى يعقبه أو يصحبه صوت انفجارى نتيجة لاندفاع الهواء . هذا الصوت الانفجارى هو ما نسميه بالعربية « همزة القطع » . ويبدو أن التسمية العربية قد لا حظت تلك السمة البارزة في عملية نطق هذا الصوت ، وهى قطع النَّفَس[٥] .

٤ ــ الحَلْق Pharynx : وهو الجزء الذى بين الحنجْرة والفم ، وهو عبارة عن تجويف أو فراغ يستعمل في تضخيم الأصوات الصادرة عن ذبذبات الوترين الصوتيين ؛ لذلك يسمى بالتجويف الحلقى أو الفراغ الحلقى ، وهو الفراغ الذى يقع بين أقصى اللسان والجدار الخلفى للحلق .

(٣) علم اللغة : ١٤٥ ــ ١٤٧

(٤) تعرف موسوعة « كمبردج » في اللغة الوشوشة بأنها إنتاج الكلام دون تذبذب الوتـــرين الصوتيين كليةً . انظر ص ٤٣٣ من الموسوعة .

(٥) علم اللغة العام (الأصوات) . ٦٨ و ٦٩

٥ــ اللسان Tongue : جسم لحمى مستطيل متحرك ؛ فهو عضو بالغ المرونة قابل للحركة إلى حد كبير ، ولديه القدرة على اتخاذ أوضاع وأشكال متعددة . وللسان دور كبير فى تكوين الأصوات اللغوية ؛ لذلك سُمِّيت اللغات به ؛ فيقال : « اللسان العربى » ؛ بل أطلق على « علم اللغة » اسم « علم اللسان » . وكلمة Language ؛ أى « اللغة » فى الإنجليزية و Le Langage فى الفرنسية مشتقتان من الكلمة اللاتينية Lingua بمعنى اللسان . وقد أشار علماء الأصوات إلى ثلاثة أقسام لها صلة بالنطق هى :

أ ــ أقصى اللسان أو مؤخره Back of the tongue : ويقابل هذا الجزءُ الحنك اللين ، أو ما يسمى بأقصى الحنك .

ب ــ وسط اللسان Front of the tongue : ويقابل هذا الجزء وسط الحنك ، أو ما يسمى بالحنك الصلب .

جـ ــ طرف اللسان Blade of the tongue : وهو الجزء المقابل للثة . ويشمل طرف اللسان على ما يسمى بـ « ذلق اللسان » أو « ذولقه » Tip (or point) of the tongue .

وهناك ما يسمى بـ « أصل اللسان » ويطلق عليه بالإنجليزية Root of the tongue .

٦ــ الحنك Palate : باطن أعلى الفم من داخل ، ويطلق عليه أيضاً « سقف الفم » أو « سقف الحنك » أو « الحنك الأعلى » The roof of the mouth . ويتصلُ اللسان بالحنك فى أوضاع مختلفة ، تؤدى إلى إنتاج أصوات مختلفة بالنسبة إلى أى جزء منه . ويُقسَّم الحنك من وجهة نظر الأصوات اللغوية إلى ثلاثة أقسام هى :

أ ــ مقدم الحنك أو اللثة Gums .

ب ــ وسط الحنك أو الحنك الصلب Hard palate ، ويسميه بعض الدارسين بـ « الغار » .

جـ ــ أقصى الحنك أوالحنك اللين Soft palate ، ويسميه بعض الدارسين بـ « الطبق » .

ومقدم الحنك هو ذلك القسم من سقف الحنك الواقع خلف الأسنان العليا Upper teeth مباشرة وهو محدب ومحزز أما الحد الفاصل بين اللثة وبين ما يليها من الحنك الصلب فهو ذلك الموضع من سقف الحنك الذى ينتهى فيه التحدب ويبدأ التقعر . واللثة من أعضاء النطق الثابتة .

أما بقية الحنك فهو يُقَسَّم — كما ذكرنا — إلى وسط الحنك أو الحنك الصلب وأقصى الحنك أو الحنك اللين .

ويمكن أن يدرك الفارق بين صلابة الجزء الصلب ، وليونة الجزء اللين بالنظر فى مرآة ، أو باللمس باللسان ، أو بالإصبع . الحنك الصلب ثابت لا يتحرك ، أما الحنك اللين فهو قابل للحركة . قد يُرفع الحنك اللين ، وقد يُخفض فإذا رُفِعَ إلى أقصى ما يمكن فإنه يمس الجدار الخلفى للفراغ الحلقى ، وهكذا يمنع مرور الهواء الخارج من الرئتين عن طريق الأنف . وكثير من أصوات اللغة العربية يتكون عندما يتخذ الحنك اللين هذا الموضع ، مثل أصوات الباء ، والتاء ، والسين ، والصاد ... إلخ .

أما إذا خُفِض الحنك اللين فإن الطريق أمام الهواء الخارج من الرئتين يكون مفتوحاً لكى ينفذ من الأنف ، ولا يتم نطق النون والميم العربيتين إلا عندما يتخذ الحنك اللين هذا الموضع .

أما نهاية الحنك اللين فتسمى « اللَّهَاة » Uvula ولها دخل فى نطق القاف العربية[٦] . واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق ، أو الهَنَة المطبقة فى أقصى سقف الحنك ، وتعد صماماً للهواء الخارج من الحنجرة ، فيُعلِّق الهواء عند ارتفاعها لإتاحة الفرصة لدخول الهواء إلى الفم .

٧ــ التجويف الأنفى Nasal Cavity : ممر الأنف ، وهو أحد تجاويف الرنين[٧] التى تساهم فى إنتاج الأصوات الكلامية ، ويندفع الهواء خلال

(٦) الدكتور محمود السعران علم اللغة ١٤٣ ، ١٤٤

(٧) هناك التجويف الفمى ، والتجويف الحلقى ، والتجويف الرئوى

هذا التجويف حين انخفاض الحنك اللين فيفتح الهواء الخارج من الرئتين يمر من طريق الأنف ، ويحدث هذا عند النطق بالميم والنون فى اللغة العربية .

٨ــ الشفتان Lips : الجزء اللحمى الظاهر الذى يستر الأسنان ، وهما شفتان ، وتعدان من أعضاء النطق المتحركة ؛ إذ إنهما تنطبقان فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن ، ثم تنفرجان فيندفع الهواء وينتج صوت انفجارى كما فى صوت الباء ، وتستديران وينتج صوت الضمة .

٩ــ الأسنان Teeth : الأسنان من أعضاء النطق الثابتة ، ويقسمها علماء الأصوات إلى قسمين : أسنان عليا ، وأسنان سفلى . وللأسنان وظائف مهمة فى عدد من الأصوات ؛ فقد يعتمد عليها اللسان مثلاً كما فى نطق الدال والتاء عند بعض الناس ، كما تقع الأسنان العليا فوق الشفة السفلى حال النطق بالفاء .

وهناك عضو آخر تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام ، ونعنى بذلك الرئتين Lungs ؛ فالرئتان لا تقل أهميتهما عن أهمية أى عضو من أعضاء النطق ؛ بل إنهما أهم منها جميعاً . فبغير الرئتين لا تتم عملية التنفس ، ومن ثم لا تتم عملية النطق ؛ بل لا تكون الحياة ذاتها[٨] .

وفيما يلىّ مواضع نطق الأنواع الرئيسية للأصوات الأساسية فى لغات العالم :

١ ــ الشفتان : ويوصف الصوت بأنه « شفتانى » كالميم ، والواو .
٢ ــ الشفة السفلى والأسنان العليا : ويوصف الصوت بأنه « شفوى سنى » كالفاء ، والڤاء .
٣ ــ الأسنان : ويوصف الصوت بأنه « سنى » كالتاء ، والدال ، والنون ، واللام .
٤ ــ ما بين الأسنان : ويوصف الصوت بأنه « مما بين الأسنان » كالثاء ، والذال ، والظاء .
٥ ــ اللثة : ويوصف الصوت بأنه « لثوى » كالراء المكررة .

(٨) انظر : علم اللغة العام (الأصوات) ٧١ و ٧٢ .

٦ ــ اللثة ومقدم الحنك الأعلى : ويوصف الصوت بأنه « لثوى حنكى » كالشين .
٧ ــ مقدم الحنك الأعلى ووسطه : ويوصف الصوت بأنه « حنكى وسيط » كالجيم .
٨ ــ أقصى الحنك الأعلى : ويوصف الصوت بأنه « حنكى قصى » كالكاف ، والخاء ، والغين .
٩ ــ اللهاة : ويوصف الصوت بأنه « لهوى » كالقاف .
١٠ــ الحلق : ويوصف الصوت بأنه « حلقى » كالحاء والعين .
١١ــ الحنجرة : ويوصف الصوت بأنه « حنجرى » كهمزة القطع ، والهاء(١) .

وبعد هذا العرض لأعضاء النطق الرئيسية ، ومواضع نطق الأنواع الرئيسية للأصوات الأساسية فى لغات العالم ، نحاول تقديم وصف دقيق لأصوات اللغة العربية ، ولكن قبل الدخول فى هذا ، نتوقف أمام مكانة « الدرس الصوتى » فى علم اللغة ، بما له صلة بالبحث .

يهتم علم اللغة Linguistics بدراسة أصوات أية لغة خلال عِلْمين :

الأول : ما يطلق عليه مصطلح Phonetics ، ويدرس الصوت اللغوى معزولاً عن بنيته اللغوية التى ورد فيها خلال ما يأتى :

ــ طبيعة الصوت اللغوى .
ــ دراسة الأصوات الكلامية وتحليلها وتصنيفها .
ــ إنتاج تلك الأصوات وانتقالها واستقبالها .
ــ جهاز النطق وحركاته أثناء نطق الأصوات .
ــ تحديد مخارج الأصوات المختلفة ، وبيان الصفات الصوتية التى تتصل بها حين النطق .

ومن هنا فإن مصطلح Phonetics يدرس الأصوات المجردة دون الاهتمام بوظيفتها ؛ فهى دراسة لذاتها ومن أجل ذاتها . ويُترجم هذا المصطلح إلى « علم الأصوات اللغوية » .

---

(١) علم اللغة : ١٩٩ و ٢٠٠ .

الثانى : ما يطلق عليه مصطلح Phonology ، ويهتم بدراسة الصوت اللغوى فى إطار البنية اللغوية التى ورد فيها ، دون أن يكون معزولاً عنها ، وبذلك يكون عكس العلم السابق عليه تماماً . وهناك عدة ترجمات للمصطلح الإنجليزى هى :

ـ علم الأصوات التنظيمى .
ـ علم وظائف الأصوات .
ـ علم الأصوات التشكيلى .
ـ علم الأصوات اللغوية الوظيفى .

ومن هنا فإن Phonology يهتم بتنظيم المادة الصوتية وإخضاعها للتقنين والتقعيد ، ووظائف الأصوات فى اللغة .

وتنقسم الأصوات عند المحدثين إلى قسمين :

١ ـ **الأول** : وهو ما يُعرف بالأصوات الصامتة Consonants ، والصوامت فى اللغة العربية هى : همزة القطع ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و (فى مثل كلمة : ولد) ، ى (فى مثل كلمة : يترك) .

٢ ـ **الثانى** : وهو ما يسمى بالصوائت Vowels ، ويصدق المصطلح على الحركات فى اللغة العربية ، وتسمى بالصوائت القصيرة Short Vowels : الفتحة a ، والضمة u ، والكسرة i . وهناك الصوائت الطويلة ، وهى تنطبق على « حروف المد واللين » ، كالألف فى مثل : « قال » (= فتحة طويلة) ، والياء فى مثل : « القاضى » (= كسرة طويلة) ، والواو فى مثل : « يدعو » (= ضمة طويلة) .

وهناك بعض الملاحظات الخاصة بصوتى الواو والتاء ، نقدمها خلال النقاط الآتية :

١ ـ أن الواو والياء فى نحو « ولد » ، « يترك » من الأصوات الصامتة Consonants بناءً على ما يقومان به من وظيفة فى التركيب الصوتى للغة ؛ بالإضافة إلى وجود بعض الخواص النطقية التى تبعدهما عن الحركات وتقربهما

من الأصوات الصامتة . والتسمية الصحيحة للواو ، والياء عند علماء العربية أنهما حرفا علة فقط (ليستا من أصوات المد واللين) فى هذه الحالة .

٢ ــ أن الواو والياء فى « أدعو » و « أرمى » حركتان خالصتان من ناحية النطق والوظيفة معاً . والواو والياء هنا تسميان حروف المد عند علماء العربية .

٣ ــ الواو والياء فى نحو « حوض » و « بيت » من الأصوات الصامتة أيضاً لأسباب نطقية ووظيفية ، ويسميها علماء العربية فى هذه الحالة أصوات لين .

ومعنى هذا أن الواو والياء فى اللغة العربية من الأصوات الصامتة فى سياقين صوتيين معينين ، هما :

١ ــ إذا أُتبعت الواو والياء بحركة من أى نوع .

٢ ــ إذا وقعتا ساكنتين وقبلهما فتحة .

ولكن يجب ألا ننسى أنهما فى هاتين الحالتين لهما شبه نطقى بالحركات ، كما أن لهما شبهاً وظيفياً بالأصوات الصامتة من جهة أخرى . ولهذا يطلق عليهما العلماء فى هاتين الحالتين « أنصاف الحركات » Semi Vowels . وليس هناك أبداً ما يمنع من تسميتها « أنصاف صوامت » ، ولكن المصطلح الأول أولى لشهرته فى الدارسات اللغوية ، وهو أيضاً ما تعارف عليه الدارسون[1] .

وتنقسم الأصوات الصامتة Consonants إلى مجموعات ، وأساس هذا التقسيم النظر إلى الأوتار الصوتية حين النطق ؛ وذلك من حيث ذبذبتها أو عدم ذبذبتها . فهناك ما يسمى بـ « الصوت المهموس » Voiceless ، وهو الصوت الذى لا تتذبذب الأوتار الصوتية حين النطق به ، وعندما نصفه صوتياً نجد أن الوترين الصوتيين ينفرجان مفسحين مجالاً للنَّفَس للمرور خلالهما دون أى اعتراض ؛ لذلك لا يتذبذب الوتران الصوتيان ، ويسمى الصوت اللغوى فى تلك الحال مهموساً .

والأصوات المهموسة فى اللغة العربية اثنا عشر صوتاً هى : ت ، ث ، ح ، خ ، س ، ش ، ص ، ط ، ف ، ق ، ك ، هـ .

(١) الدكتور كمال بشر : علم اللغة العام (الأصوات) ٨٥ و ٨٦

وهناك ما يسمى بـ « الصوت الجهور Voiced » ، وهو الصوت الذى يقترب الوتران الصوتيان من بعضهما بحيث يؤدى الهواء الخارج من الرئتين إلى ذبذبتهما محدثاً بذلك نغمة موسيقية ، وينتج ما يسمى بالجهر ، ويسمى الصوت اللغوى المنطوق به فى تلك الحال مجهوراً .

والأصوات المجهورة فى اللغة العربية خمسة عشر صوتاً هى : ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ظ ، ع ، غ ، ل ، م ، ن ، الواو (كما فى : ولد ــ حوض) ، الياء (كما فى : يترك ــ بيت) .

وهناك صوت لا هو بالمجهور ، ولا هو بالمهموس ، ويعود السبب فى وصفه بذلك إلى أن الوترين الصوتيين قد ينطبقان انطباقاً كاملاً ، ويؤدى هذا إلى عدم السماح للهواء بالمرور إلى الحلق مدة هذا الانطباق ؛ لذلك ينقطع النَّفَس ، ثم ينفرج هذان الوتران ، وينتج عن ذلك صوت انفجارى لاندفاع الهواء الذى كان محبوساً فى الحلق مدة الانطباق التام .

وهمزة القطع فى اللغة العربية الصوت الوحيد الذى يقال إنه لا هو بالمهموس ولا بالمجهور .

نخرج من هذا العرض إلى أن تقسيم الأصوات الصامتة Consonants هاهنا أساسه النظر فى « المهموس » و « المجهور » من الأصوات المرتبطة بتذبذب الأوتار الصوتية وعدم تذبذبها .

وهناك تقسيم آخر للأصوات الصامتة حسب مواضع النطق Point of articulation المختلفة ، وهى كما يأتى :

١ ــ أصوات شفوية : الباء والميم .
٢ ــ أصوات أسنانية شفوية : الفاء .
٣ ــ أصوات أسنانية ، أو أصوات ما بين الأسنان : الثاء ، الذال ، الظاء .
٤ ــ أصوات أسنانية لثوية : التاء ، الدال ، الضاد ، الطاء ، اللام ، النون .
٥ ــ أصوات لثوية : الراء ، الزاى ، السين ، الصاد .
٦ ــ أصوات لثوية حنكية : الجيم الفصيحة ، الشين .
٧ ــ أصوات وسط الحنك : الياء .
٨ ــ أصوات أقصى الحنك : الخاء ، الغين ، الكاف ، الواو .
٩ ــ أصوات لهوية : القاف فى الفصحى لا العامية .

١٠ــ أصوات حلقية : العين ، الحاء .
١١ــ أصوات حنجرية : الهمزة ، الهاء .

ومن هنا فإن ترتيب أصوات اللغة العربيّة حسب خروجها من أقصى الحلق إلى الشفتين هو : الهمزة والهاء /العين والحاء /القاف /الخاء والغين والكاف والواو /الياء /الجيم والشين /الراء والزاى والسين والصاد /التاء والدال والضاد والطاء واللام والنون /الثاء والذال والظاء /الفاء /الباء والميم .

وأخيراً فإنه يمكن تقسيم الأصوات الصامتة Consonants على أساس حالة الهواء عند مواضع النطق ؛ فهناك أصوات انفجارية ، وأصوات احتكاكية ، وأصوات انفجارية ــ احتكاكية ... وغير ذلك ، وفى الصفحات التالية نقدم وصفاً لأصوات اللغة العربية حسب حالة الهواء عند مواضع النطق .

* * *

(١) الأصوات الانفجارية

حين يُوصف الصوت بأنه « انفجارى » Plosive يكون المقصود بذلك أنه صوت ينحبس معه تيار الهواء الصادر من الرئتين فى موضع من المواضع حبساً تاماً ، ثم ينطلق بشكل انفجارى بعد إطلاق سراح المجرى الهوائى فجأة . ويسوّى المشتغلون بالدراسات الصوتية بين مصطلحى Plosives و Stops حين الحديث عن تلك الأصوات ، ولكن بالنظر إلى الحبس أو الوقف لتيار الهواء يمكن أن نسميها بـ « الوقفات » Stops ، وبالنظر إلى الانفجار يمكن أن نطلق عليها اسم « الأصوات الانفجارية » Plosives .

والأصوات الانفجارية فى اللغة العربية الفصحى هى : ب ، ت ، د ، ط ، ض ، ك ، ق ، همزة القطع . أما المواضع التى يقف فيها مجرى الهواء وقفاً تاماً عند إحداث تلك الأصوات فهى على النحو الآتى :

١ــ الشفتان ، وذلك بأن تنطبقا انطباقاً تاماً ، كما فى حالة نطق الباء .
٢ــ أصول الثنايا العليا ، وذلك بأن يلتقى بها طرف اللسان ، كما فى نطق التاء ، والدال ، والطاء ، والضاد .
٣ــ أقصى الحنك الأعلى ، بأن يلتقى به أقصى اللسان ، كما فى حالة الكاف ،

وفى حالة الجيم القاهرية فى العامية

٤ــ أدنى الحلق بما فى ذلك اللهاة ، بأن يلتقى به أقصى اللسان ، كما فى حالة القاف .

٥ــ الحنجرة ، وذلك حين نطق همزة القطع .

ونتوقف ، الآن ، أمام وصف تلك الأصوات الانفجارية فى العربية الفصحى[١] .

١ ــ **الباء** : حين النطق بالباء يقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفاً تاماً عند الشفتين منطبقتين انطباقاً كاملاً ، ويضغط الهواء مدة من الزمن ، فإذا انفرجت الشفتان أدى هذا إلى اندفاع الهواء من الفم فجأة ، وسمعنا ذلك الصوت الانفجارى المسمى بالباء . ويتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق .

فالباء صوت شفوى انفجارى مجهور .

٢ ــ **التاء** . حين النطق بالتاء يقف مجرى الهواء وقوفاً تاماً عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، ويُرْفَع الحنك اللين فلا يمر الهواء إلى الأنف ، ويضغط الهواء مدة من الزمن ، ثم ينفصل اللسان انفصالاً فجائياً تاركاً نقطة الالتقاء ، ويؤدى هذا إلى إحداث صوت انفجارى . ولا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق .

فالتاء صوت سِنِّى انفجارى مهموس .

٣ ــ **الدال** : وهذا الصوت هو النظير المجهور لصوت التاء ، وهو يتكون بالطريقة نفسها التى يتكون بها التاء ، إلا أن الوترين الصوتيين يتذبذبان أثناء النطق .

فالدال صوت سنى انفجارى مجهور .

٤ ــ **الطاء** : يتكون هذا الصوت كما يتكون التاء ، ولكن شكل اللسان يختلف ، إذ إنه يتخذ مع الطاء شكلاً مقعَّراً (أى إن أقصاه وطرفه يرتفعان مع تقعير وسطه) . وهذا هو ما قصده القدماء من اللغويين العرب بـ « الإطباق » الذى يرادفه « " حيم لذلك يقال إن صوت الطاء هو النظير المفخَّم للتاء .

---

(١) من الأصوات الانفجارية فى الإنجليزية : d, t, g, k, p, b

فالطاء صوت سنى مهموس مفخَّم (أو مُطْبق) مهموس .

٥ ـ الضاد : هذا الصوت هو النظير المجهور للطاء ؛ فلا فرق بينهما سوى أن الضاد مجهور ، والطاء مهموس ، كما أنه لا فرق بين الضاد والدال سوى أن الضاد مطبق (أى مفخم) والدال لا إطباق فيه .

فالضاد صوت سنى مجهور مطبق انفجارى[٢] .

٦ ـ الكاف : يتكون هذا الصوت بأن يعترض الهواء الخارج من الرئتين اعتراضاً تاماً ، وذلك برفع أقصى اللسان تجاه أقصى الحنك الأعلى (أو الحنك اللين) والتصاقه به ، مع ارتفاع الحنك الأعلى هو الآخر ليمنع مرور الهواء إلى الأنف ، ثم يضغط الهواء لمدة من الزمن ، ثم يطلق سراح المجرى الهوائى بأن ينخفض اللسان فيندفع الهواء خلال الفم محدثاً فى اندفاعه صوتاً انفجارياً . ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بالصوت .

فالكاف صوت حنكى مهموس قصى انفجارى .

وهناك صوت يُعرف باسم « الجيم القاهرية » وهو موجود فى بعض العاميات ، وليس من جملة الأصوات المعروفة فى الفصحى ، ويُعدُّ هذا الصوت المقابل المجهور للكاف ؛ لذلك حين وصف « الجيم القاهرية » صوتياً نقول : صوت حنكى مجهور قصى انفجارى .

٧ ـ القاف : يتم نطق هذا الصوت بحبس الهواء الخارج من الرئتين حبساً كلياً ، وذلك برفع أقصى اللسان حتى يلتقى بأدنى الحلق واللهاة مع عدم

---

(١) أطلق على اللغة العربية اسم « لغة الضاد » ، ويرى بعض الباحثين أن السبب فى تلك التسمية تفرد العربية بوجود هذا الصوت فيها دون غيرها من اللغات ، ولكن هذا الرأى غير صحيح ؛ فهو موجود فى الإنجليزية فى كلمات مثل : does و darling وسواهما . والرأى المعتمد فى هذا الشأن أن التسمية ظهرت فى القرن الرابع الهجرى ، وقد قال المتنبى فى إحدى قصائده :

وبهم فَخْرُ كلِّ مَنْ نطق الضادَ   وعَوْذُ الجانى وغـوثُ الطريـد

وهو يشير بذلك إلى الصعوبات التى يعانى منها الأعاجم حين نطق صوت الضاد . وقد لاحظنا أن بعض الطلاب فى البلاد العربية يكتب الضاد ظاءً حسبما ينطق ؛ فيقول مثلاً : فاعل مرفوع بالظمة ، وهو يقصد « الضمة » بطبيعة الحال . انظر كتاب : الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ٥٠ ـ ٦١ ؛ وديوان المتنبى ١ /٣٢٣ .

السماح للهواء بالمرور من الأنف عن طريق رفع الحنك اللين . وبعد ضغط الهواء مدة من الزمن يطلق سراح مجرى الهواء بأن يُخفض اللسان فجأةً فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً . ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بالصوت .

فالقاف صوت لهوى انفجارى مهموس .

أما النظير المجهور للقاف ، الذى يحدث فى الموضع نفسه ، وبالكمية نفسها ، ولكن يتذبذب معه الوتران الصوتيان فهو مسموع فى بعض العاميات ، وخارج عن نطاق الأصوات المنطوقة فى العربية الفصحى . فالنظير المجهور للقاف ، وهو الذى يُرمز إليه كتابة بـ [G] صوت لهوى انفجارى مجهور .

٨ ــ **همزة القطع** : حين النطق بهذا الصوت تُسَدُّ الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين ؛ وذلك بانطباقهما انطباقاً تاماً ، فلا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة ، ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء من بينهما محدثاً صوتاً انفجارياً . وهمزة القطع صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس .

فهمزة القطع صوت حنجرى انفجارى لا هو بالمجهور ولا بالمهموس .

* * *

(٢) الأصوات الاحتكاكية

حين يُوصف الصوت بأنه « احتكاكى » Fricative يكون المقصود بذلك أنه صوت ينتج عن احتكاك الهواء الخارج من الرئتين بجدران الممرات الصوتية نتيجة لإعاقة التيار جزئياً أو لضيق مجرى الهواء ؛ بحيث يُحدث الهواءُ احتكاكاً مسموعاً حين خروجه . وبضيق مجرى الهواء عند نقاط كثيرة متعددة ، تخرج منها الأصواتُ الاحتكاكية و هى : الفاء ، الثاء ، الذال ، الظاء ، السين ، الزاى ، الصاد ، الشين ، الخاء ، الغين ، الحاء ، العين ، الهاء .

ونتوقف ، الآن ، أمام وصف تلك الأصوات الاحتكاكية فى العربية الفصحى .

١ ــ الفاء يتكوّن هذا الصوت بوضع أطراف الثنايا العليا على الشفة السفلى ، بحيث يُسْمَح للهواء أن ينفذ خلالها وخلال الثنايا ، معْ عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف برفع الحنك الأعلى . ولا يتذبذب الوتران الصوتيان حين النطق بالفاء .

فالفاء صوت سنى شفوى مهموس احتكاكى .

ويعد الصوت [V] « الفاء » هو المقابل المجهور لصوت الفاء ، ولكنه ليس من أصوات العربية ، بل هو شائع فى اللغات الأوربية . ويُلاحظ أن بعض العرب ينطق هذا الصوت كنطقه للفاء العربية مهموساً لا مجهوراً كما فى « فيكتور » و « فينا » وهذا خطأ . ومن هنا فالصوت [V] يتكوّن كما يتكون الفاء ، ولكنه مجهور ، بالإضافة إلى أن الوترين الصوتيين يتذبذبان معه حين النطق

٢ ــ الثاء : يحدث هذا الصوت بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى ، بحيث يكون هناك منفذ ضيق يسمح بمرور الهواء خلاله ، مع عدم السماح للهواء بالنفاذ عن طريق الأنف برفع الحنك الأعلى . ولا يتذبذب الوتران الصوتيان حين النطق بالثاء .

فالثاء صوت مهموس ما بين الأسنان احتكاكى .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن صوت الثاء تحوّل فى اللغة العامية إلى التاء كما فى : تمن ، تعبان ، تعلب بدلاً من : ثمن ، ثعبان ، ثعلب . وتحوّل أيضاً إلى السين كما فى : سورة ، سار ، سُمَّ بدلاً من : ثورة ، ثار ، ثُمَّ .

٣ ــ الذال : وهذا الصوت هو النظير المجهور للثاء ، والفرق بينهما أن الوترين الصوتيين يتذبذبان عند النطق بالذال ، إذ إنه مصحوب بما يمكن أن نسميه « نغمة موسيقية » .

فالذال صوت مجهور ما بين الأسنان احتكاكى .

ونشير إلى أن هذا الصوت تحول فى اللغة العامية إلى الدال كما فى : دهب بدلاً من : ذَهَب . وتحوّل أيضاً إلى الزاى كما فى : زَهَبَ بدلاً من : ذهَب .

٤ ــ الظاء . يتكون هذا الصوت بالطريقة نفسها التى يتكون بها الذال ،

ولكنّ شكلَ اللسان مع الظاء يختلف ؛ إذ إن مؤخره يرتفع تجاه أقصى الحنك كما يرجع قليلاً إلى الخلف ، ويؤدى هذا إلى حدوث الإطباق (أو التفخيم) كما هو الحال حين نطق الضاد والطاء اللذين عرضنا لهما ، والصاد كما سيأتى .

فالظاء صوت مجهور مما بين الأسنان مطبق (أو مُفَخَّم) احتكاكى .

ونشير إلى أن هذا الصوت تحوّل فى اللهجة العامية إلى الزاى المفخمة .

٥ ــ **السين** : يُنطَق هذا الصوت بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة ، بينما يُرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى ، مع وجود منفذ ضيق للهواء فيحدث الاحتكاك ، ويُرفَع أقصى الحنك حتى يمنع مرور الهواء من الأنف . ولا يتذبذب الوتران الصوتيان حين النطق بالسين .

فالسين صوت لثوى مهموس احتكاكى .

٦ ــ **الزاى** : وهو النظير المجهور للسين ؛ فالزاى صوت لثوى مجهور احتكاكى .

٧ ــ **الصاد** : ويتكوّن هذا الصوت بالطريقة نفسها التى يتكون بها السين ، إلا أن فى الصاد إطباقاً (أى تفخيماً) نتج عن ارتفاع مؤخر اللسان تجاه الحنك الأعلى ورجوعه إلى الخلف قليلاً .

فالصاد صوت مهموس لثوى احتكاكى مطبق (مفخم) .

٨ ــ **الشين** : يتكوّن هذا الصوت بأن يلتقى طرف اللسان (أى مقدمه) بمؤخر اللثة ومقدم الحنك الأعلى . ويكون الفراغ بين مقدم اللسان ومؤخر اللثة ضيقاً ، ولكنه يسمح بمرور الهواء ، وهذا الفراغ أوسع من الفراغ الكائن فى نطق السين . وفى هذه الحالة يكون الجزء الأساسى كله من جسم اللسان مرفوعاً نحو الحنك الأعلى . ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بالشين .

ونشير إلى أنه حين النطق بصوت الشين لا بد من تقارب الأسنان السفلى والعليا ؛ لذلك لا نستطيع تكوين هذا الصوت إذا اشتدّ انفتاح الفم .

فالشين صوت مهموس لثوى ــ حنكى احتكاكى .

٩ ـــ الخاء : يتكوّن هذا الصوت بأن يقرب أقصى اللسان من أقصى الحنك ؛ بحيث يكاد يلتصق به ، وبحيث يكون هناك فراغ ضيق ليسمح للهواء بالنفاذ محدثاً احتكاكاً . ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بالخاء .

فالخاء صوت حنكي ـــ قصى مهموس احتكاكي .

١٠ ـــ الغين : وهو النظير المجهور لصوت الخاء ؛ لذلك فالغين صوت حنكي ـــ قصى مجهور احتكاكي .

١١ ـــ الحاء : حين النطق بهذا الصوت يضيق مجرى الهواء فى الفراغ الحلقى أعلى الحنجرة ؛ بحيث يؤدى مرور الهواء إلى حدوث احتكاك . ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بالحاء .

فالحاء صوت مهموس حلقى احتكاكي .

١٢ ـــ العين : وهو النظير المجهور لصوت الحاء ، ولكن يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بالعين ، ويؤدى هذا إلى أن تصحبه نغمة موسيقية .

فالعين صوت مجهور حلقى احتكاكي .

١٣ ـــ الهاء : « الهاء هو صوت النَّفَس الخالص الذى لا يلقى مروره اعتراضاً فى الفم . وللسان أن يتخذ ، فى نطق الهاء ، أىَّ موضع من المواضع التى يتخذها فى نطق « الصوائت » (أى الأصوات) ، ومن ثم فمن المستطاع نطق أنواع من الهاء قدر ما يستطاع نطقه من أنواع الصوائت . ولذلك أمكن اعتبار أصوات الهاء صوائت مهموسة ؛ أى صوائت يصحبها همس لا جهر . والهاء العربى يتكون عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق صوت صائت (أى حركة) كالفتحة ـــ مثلاً ـــ ويمر الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصوتيين بالحنجرة محدثاً صوتاً احتكاكياً ؛ يُرفع الحنك الأعلى ، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان »(١) .

فالهاء العربى صوت مهموس حنجرى احتكاكى .

* * *

---

(١) الدكتور محمود السعران : علم اللغة ١٩٥ و ١٩٦

(٣) الأصوات الانفجارية ــ الاحتكاكية
(الأصوات المركبة)

إن كل صوت انفجارى قد يكون له مقابل احتكاكى يتكوّن فى الموضع نفسه الذى يتكوّن فيه الانفجارى ، مع الاختلاف فى طريقة النطق . فالكاف العربى انفجارى ، والمقابل الاحتكاكى له هو الخاء ، وموضع نطق الكاف هو موضع نطق الخاء ، ولكن طريقة نطق الكاف غير طريقة نطق الخاء ؛ ففى الكاف يُرْفَع أقصى اللسان حتى يلتقى بأقصى الحنك بحيث لا يسمح للهواء بالمرور من الفم إلى أن ينفصل العضوان انفصالاً فجائياً (أى بحيث لا يكون فراغ بين أقصى الحنك وأقصى اللسان يستطيع الهواء أن ينفذ منه) . أما فى الخاء فيرفع أقصى اللسان حتى يقترب من أقصى الحنك ؛ بحيث يكون بينهما فراغ ينفذ منه الهواء محدثاً صوتاً احتكاكياً .

وانفصال الأعضاء فى نطق الأصوات الانفجارية يتفاوت فى السرعة والبطء ، فإذا كان انفصالها بطيئاً بحيث لا يحدث انفجار واضح ؛ بل يُسْمَعُ عند إطلاق الوقف صامت احتكاكى ، سُمّى الصوت الذى يتكون بهذه الكيفية « انفجارياً احتكاكياً » . والصامت (الصوت) الانفجارى الاحتكاكى نوع من الانفجارى يحدث فى تكوينه أن يُتبع إطلاق الانفجارى مباشرة بالاحتكاكى المقابل له ؛ أى بالاحتكاكى الذى يتكون فى نفس الموضع الذى يتكون فيه الانفجارى . وهذا الصوت الاحتكاكى الذى يعد جزءاً من الانفجارى الاحتكاكى يُسمع ؛ لأن الأعضاء المشتركة فى نطق الانفجارى تنفصل ببطء .

وعندنا فى العربية صوت واحد يتكون بهذه الطريقة ، هو الجيم الفصيحة ، كما نعرفها نحن اليوم . ويتم نطق هذا الصوت بأن يرتفع مقدم اللسان تجاه مؤخر اللثة ومقدم الحنك ، حتى يتصل بهما محتجزاً وراءه الهواء الخارج من الرئتين ، ثم بدلاً من أن ينفصل عنهما فجأة ــ كما فى نطق الأصوات الانفجارية ــ يتم الانفصال ببطء فيعطى الفرصة للهواء بعد الانفجار أن يحتك بالأعضاء المتباعدة احتكاكاً شبيهاً بما يسمع من صوت الجيم الشامية .

فهذا الصوت مركّب ؛ الجزء الأول منه صوت قريب من الدال والثانى

صوت معطش كالجيم الشامية ، أو الجزء الأول منه صوت قريب بجيم القاهرة ، والثانى يشبه الجيم الشامية . وهذان الافتراضان مبنيان على أساس الاختلاف فى موضع نطق هذا الصوت عند المتكلمين . والاحتمال الأول يفسر نطق هذا الصوت المركب بالدال كما يفعل أهل الصعيد فى نحو « ديش » بدلاً من « جيش » . والاحتمال الثانى يفسر نطق القاهريين له بالجيم الانفجارية الخالصة .

فالجيم الفصحية المعاصرة كما ينطقها القراء اليوم صوت لثوى حنكى مركب (= انفجارى احتكاكى) مجهور[1] .

* * *

(٤) الأصوات المكررة

وهناك صوت واحد فى اللغة العربية يندرج تحت ما يسمى بالأصوات المكررة وهو الراء الذى يتكون بأن تتابع طرقات اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً ، ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر . وهذه الطرقات لا تحدثها حركة عضلية واعية من طرف اللسان ؛ فالذى يحدث أن طرف اللسان يوضع سمحاً فى موضعه المناسب ، ويذبذبه العمود الهوائى . ويحدث الوتران الصوتيان نغمة عند نطق الراء .

فالراء العربى صوت مجهور لثوى مكرر[1] .

* * *

(٥) الأصوات الجانبية

وتسمى أيضاً بالأصوات « المنحرفة » التى تتكوّن بوضع عقبة وسط

(١) علم اللغة للدكتور محمود السعران : ١٨٢ و ١٨٣ ؛ ومناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان : ١٠٣ و ١٠٤ ؛ ودراسات فى علم اللغة (الأصوات) للدكتور كمال بشر : ١٢٥ و ١٢٦ .

(١) علم اللغة : ١٨٧

المجرى الهوائى مع ترك منفذ للهواء عن طريق أحد جانبى العقبة ، أو عن جانبيها ، ومن هنا كانت تسميتها بالمنحرفة (أو الجانبية) . ومن أمثلتها اللام الذى يتكون بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا ؛ بحيث تنشأ عقبة فى وسط الفم مع ترك منفذ للهواء عن إحدى حافتى اللسان ، أو عن حافتيه ؛ يرفع الحنك الأعلى فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف ؛ يتذبذب الوتران الصوتيان .

فاللام العربى صوت مجهور سنى منحرف (= جانبى)(١) .

* * *

(٦) الأصوات الأنفية

وتسمى بالأصوات « الغُنّاء » وتتكون بأن يُحْبَسَ الهواء حبساً تاماً فى موضع من الفم ، ولكن يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف . ومن أمثلة تلك الأصوات الميم والنون .

١ ــ الميم : يحبس الهواء حبساً تاماً فى الفم بأن تنطبق الشفتان انطباقاً تاماً ؛ يُخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من النفوذ عن طريق الأنف ؛ يتخذ اللسان وضعاً محايداً . ويتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بالميم .

فالميم صوت مجهورٌ شفوى (= شفتانى) أغن .

٢ ــ النون : يُوقف الهواء فى الفم وقفاً تاماً بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا ؛ يخفض الحنك اللين وبهذا يتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من أن ينفذ عن طريق الأنف . ولا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق بالنون .

فالنون صوت أسنانى لثوى أنفى مجهور(١) .

* * *

---

(١) علم اللغة : ١٨٥ و ١٨٦ .

(١) علم اللغة : ١٨٤ و ١٨٥ ؛ ودراسات فى علم اللغة : ١٣٠ .

(٧) أنصاف الحركات

وتسمى أيضاً بـ « أشباه الصوائت » Semi - Vowels ، ويطلق هذا المصطلح على تلك الأصوات التى تبدأ أعضاء النطق بها من منطقة حركة من الحركات ، ولكنها تنتقل من هذا المكان بسرعة ملحوظة إلى مكان حركة أخرى . ولأجل هذه الطبيعة الانتقالية أو الانزلاقية ، ولقصرها وقلة وضوحها فى السمع إذا قيست بالحركات الصرفة ، اعتبرت هذه الأصوات أصواتاً صامتة ، لا حركات ، بالرغم مما فيها من شبه واضح بالحركات ، وعندنا فى العربية من هذا النوع صوتان هما الواو والياء فى : ولد ، يترك ، حوض ، بيت .

والحقيقة أن هذه الأصوات من حيث النطق الصرف تقترب من الحركات فى صفاتها ، ولكنها فى التركيب الصوتى للغة تسلك مسلك الأصوات الصامتة ، ومن هنا كانت تسميتها بأنصاف الحركات ، ويجوز تسميتها بأنصاف صوامت ، ولكن المصطلح الأول هو المشهور[١] .

١ ــ **الواو** : تبدأ أعضاء النطق فى اتخاذ الوضع المناسب لنطق نوع من الضمة [U] ثم تترك هذا الوضع إلى وضع صائت آخر . وتختلف نقطة البدء اختلافاً يسيراً فيما بين المتكلمين وحسب الصائت التالى . تنضم الشفتان ، ويرفع أقصى اللسان نحو أقصى الحنك ، ويسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين ، ويتذبذب الوتران الصوتيان .

فالواو [W] شبه صائت مجهور شفوى حنكى قصى .

٢ ــ **الياء** : تتكون الياء بأن تتخذ الأعضاء الوضع المناسب لنطق صائت من نوع الكسرة [i] ثم تنتقل منه بسرعة إلى موضع صائت آخر أشد بروزاً . وهذا الانتقال السريع من الكسرة [i] هو الذى يكوّن الصامت المعروف بالياء .

ونستطيع أن نصف بدء هذا الصوت بأن نقول إن وسط اللسان يرفع عالياً تجاه الحنك الصلب (= وسط الحنك) ، وتكسر الشفتان ؛ يسد الطريق إلى الأنف بأن يرفع الحنك اللين ؛ يتذبذب الوتران الصوتيان .

(١) علم اللغة العام (الأصوات) : ١٣٢ و ١٣٣

فالياء [y] شبه صائت مجهور مكسور (= غير مضموم) حنكى وسيط[٢]

* * *

أعضاء النطق فى كتب خلق الإنسان

بعد هذا العرض الذى قدمناه لما فى كتب علم اللغة من حديث عن « أعضاء النطق » نحاول التعرف على ما كتبه القدماء من أصحاب كتب « خلق الإنسان » حول تلك الأعضاء . ونكتفى بكتاب واحد لثابت بن أبى ثابت ، لأنه جمع معظم ما كتبه السابقون عليه ، واعتمد عليه اللاحقون كابن سيده فى (المخصص) حين عالج ما يتصل بخلق الإنسان .

الأنف : هناك عدة ألفاظ فى اللغة العربية تدل على الأنف مثل : المَعْطِس ، والمَرْسِن ، والمَخْطِم ، والخُرطوم . وجمع القلة للمفرد « آنُف » ، وجمع الكثرة « أنوف » .

ومن بين أجزاء الأنف « القَصَبة » ، وهو عظم الأنف الصُّلب منه . وفيه « المارِن » وهو اللّيِن إذا عطفته تثنّى . وفيه « الأرنبة » ، وهو طرف الأنف ، قال ذو الرمة :

تَثْنى الخِمارَ على عِرْنِينِ أرنبةٍ شَمّاءَ مارِنُها بالمسكِ مرثومُ[١]

وتسمى الأرنبة أيضاً بالرَّوْثة ، قال أبو كبير الهذلى :

حتى انتهيتُ إلى فِراشِ عزيزةٍ سوداءَ روثةُ أنفها كالمِخْصفِ[٢]

وفى الأنف « العَرْتَمَة » وهى الدائرة التى تحت الأنف فى وسط الشَّفة العليا . وفيه « المنخران » وهما الخرقان اللذان يخرج منهما النَّفَسُ ، ويطلق عليهما أيضاً « السَّمَّان » ، قال الكميت يصف فراخ القَطَا :

---

(٢) علم اللغة : ١٩٧ و ١٩٨ .

(١) خلق الإنسان للأصمعى ١٨٩ ؛ والمخصص : ١ /١٢٩ ، والبيت فى ديوان ذى الرمة ٥٧٢ .

(٢) خلق الإنسان للأصمعى ١٨٩ ؛ والمخصص : ١ /١٢٩ ؛ وديوان الهذليين : ٢ /١١٠ .

مثلُ الكُلا غيرَ أن أرؤسها تهتزُّ فيها السُّمومُ والشُّعَبُ(٣)

ومن أجزاء الأنف كذلك « الخِنَّابتان » وهما حرفا المَنخرين من يمين وشمال من عُرض الأنف . وفيه « الوَتَرة » وهو الحاجز الذى يحجز بين المنخرين . وفيه « الغُرْضُوف » وهو بين الروثة والقصبة رقيقٌ ليس بلحم ولا عظم بين ذلك . وفيه « الخياشيم » وهى الغراضيف التى فى أقصى الأنف بينه وبين الدماغ ، ويقال : إن الخياشيم عروق فى باطن الأنف . وفيه « الرقيق » وهو مسترق المنخر حيث لان من جانبيه .

وبعد هذا الحديث عن أجزاء الأنف والتعريف بها ، نتوقف أمام صفات الأنف من حيث الجمال والقبح .

فى الأنف « الشَّمَمُ » وهو أحسن الأنوف ، ويُعرَّف بأنه ارتفاع القصبة مع حسنها واستواء أعلاها وإشراف فى الأرنبة قليلاً ، يقال : رجل أشمُّ ، وامرأة شمَّاء ، قال حسان بن ثابت :

بِيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابُهم شُمُّ الأنوفِ من الطرازِ الأوَّلِ(٤)

وفى الأنف « القَنا » وهو الذى يرتفع وسطُه عن طرفيه وتسيل أرنبته وتَدِقّ ، يقال رجل أقْنَى ، وامرأة قَنْواء . قال كعب بن زهير :

قنواءُ فى حُرَّتيها للبصير بها عِتقٌ مبينٌ وفى الخدين تسهيلُ(٥)

وفيه « الذَّلَف » وهو قصر الأنف وصغر الأرنبة ، يقال : رجل أذلف ، وامرأة ذلفاء ، قال أبو النجم :

لِلشُّمِّ عندى بهجةٌ وملاحةٌ وأُحِبُّ بعضَ ملاحةِ الذَّلْفاءِ(٦)

وفيه « القَعَم » وهو تطامنٌ فى وسطه . وفيه « الخَنَس » وهو تأخر الأرنبة فى الوجه وقصر الأنف . وفيه « الفَطَس » وهو عِرَض الأرنبة وتطامن قصبة الأنف مع انتشار فى مَنْخريْه . وفيه « الخَثَم » وهو عرض الأنف . وفيه « الكَزَم » وهو قصره أجمعَ وانفتاح منخريه .

(٣) المخصص : ١ / ١٣٠ . والسُّموم : ثقوب الآذان والعيون والمناخر ، والشعب : المنافير .

(٤) البيت فى ديوان حسان : ٣١٠ .

(٥) خلق الإنسان للأصمعى ١٨٩ ؛ والمخصص : ١ /٨٢ ، وديوان كعب : ١٣ .

(٦) خلق الإنسان للأصمعى ١٨٩ مع الاختلاف فى رواية الشطر الأول .

وهناك اهتمام بالحديث عما يعترى الأنف من القطع ، ومن الألفاظ الدالة على ذلك « الجَدع » و « الكَشم » وهو قطع الأنف من مقاديمه إلى أقصاه ، قال لقيط بن زرارة :

جدعْنا به أنفَ اليمامةِ كلَّها   فأصبح عِرْنينُ اليمامةِ أجْدَعا

الشفتان : وفيهما الإطاران ، فى كل شفةٍ إطار ، والإطار : الذى يفصل بين الشفة وشعر الشارب كأنه كفاف .

وفى الشفة « الهَذَل » ، وهو ضِخم واسترخاء فيها ، وفيها « الفلح » وهو ضخم فيها واسترخاء وتشقق كشفاه الزنج ، يقال : شَفَة فَلْحاء بيِّنة الفلَح ، قال شُريح بن بَجير بن أسعد التغلبى :

وعنترةُ الفلحاءُ جاء مُلأَّماً   كأنك فِنْدٌ من عمايةَ أسودُ(٧)

وفى الشفة « العَلَم » وهو شق فى الشفة العليا فى وسطها ، و « الشَّنَف » وهو انقلاب الشفة العليا ، و « الكَزَم » وهو قصر الشفة وتقاصيها . وفى الشفة العليا « التِّفِرَةُ » وهى الدائرة فى أصل وترة الأنف .

وفى الشفة « الحُوَّة » وهو أن تضرب إلى السواد ، يقال : شفة حوَّاءُ ، وامرأة حواء الشفة ، والرجل أحوى ، قال ساعدة بن جُؤَيَّة :

رَخصٌ غضيضُ الطرفِ أحورُ شادنٌ   ذو حُوَّةٍ أنُفُ المسارب أخطَبُ(٨)

وفيها « الزُّبْدَةُ » وهى أن تضرب إلى الغُبرة ، و « الحُمَّة » وهى أشد سواداً من الحوة ، و « اللَمَى » وهو سواد ليس بالشديد يكون فى الشفتين واللثات .

ومن الشفاه « اللَّعْسَاء » وهى أشد سواداً من اللمياء . وفى الشفاه « الظَّمَا » وهو اضطمار فيها وسمرة . قال جرير :

تبسّمُ حين تعرفنى وتجلو   بظمياويـن عن بَرَدٍ مذابِ(٩)

(٧) عماية : جبل معروف بالحمى ، وفند : قطعة من الجبل ثابتة .

(٨) غضيض : فاتر ، والشادن : الغزال ، والمسارب : المسايل . والبيت فى ديوان الهذليين : ١ /١٦٨ باختلاف فى الرواية .

(٩) المخصص : ١ /١٤٣ ، والبيت ليس فى ديوانه .

وفى الشفة العليا « الشارِبان » وهما ما عليهما من الشعر من يمين وشِمال ، وفى الشفة السفلى « العَنْفَقَة » وهو ما بين الذقن وطرف الشفة كان عليهما شعر أو لم يكن . وفيها « الصِّماغان » وهما مجتمع الريق الذى يمسحه الرجل إذا تكلم ، و « السِّماغان » حيث يُنتف الشعر ، وهما طرف الشِّدْقين ، قال الراجز :

قد شانَ أبناءَ بنى عتّابِ نَتْفُ السِّماغين على الأبوابِ

الفم : فى الفم « الحَنَكُ » وهو سقف أعلى الفم ؛ حيث يحنِّك البيطار من الدابة ، و « المحارة » الحنك أيضاً ، ويقال له النِّطَع . واللحم الذى فى أسفله إلى اللُّهاة يقال لها الحُفّاف .

وفى الفم « اللِّثَة » وهو اللحم الذى على أصول الأسنان ، يمسك الأسنان .

وفى اللثة « العُمُور » والمفرد « عَمْر » ، وهو اللحم الذى يسيل من اللثات بين الأسنان كالشُّرَف ، وقد يقال له : القيود . قال حسين بن مطير :

لمُرْتَجَّةِ الأرداف هِيفٍ خصورُها عِذابٍ ثناياها لطافٍ قيودها[11]

وفى الفم « اللَّهاة » ، و « الأسالق » وهى أعالى الفم ، قال جرير :

إنى امرؤٌ أحْسِنُ غَمْزَ الفائقِ بينَ اللَّها الداخلِ والأسالقِ[12]

و « الدُّرْدُر » وهو مغارز الأسنان فى العظم .

الأسنان : فى الفمِ الأسنانُ : الثَّنايا ، والرَّبَاعِيَات ، والأنياب ، والضواحك ، والطواحن ، والأرحاء ، والنواجذ ، وهى ست وثلاثون سناً من فوقٍ وأسفلَ .

أربع ثنايا : ثنيتان من فوق ، وثنيتان من أسفل . ثم يلى الثنايا أربعُ رباعَيات ، ثنتان من فوق ، وثنتان من أسفل . ثم يلى الرباعياتِ الأنيابُ ، وهى أربعة : نابان من فوق ، ونابان من أسفل . ثم يلى الأنيابَ الضواحكُ ،

---

(١٠) اللسان (صمغ) .

(١١) المخصص : ١ /١٤٥ ، والبيت فى طبقات ابن المعتز : ١١٧ .

(١٢) المخصص : ١ /١٥٨ .

وهى أربعة أضراس ، إلى كل باب من أسفل الفم وأعلاه ضاحك . ثم تلى الضواحكَ الطواحنُ والأرحاء ، وهى ستة عشر ، فى كل شق ثمانية ، أربعة من فوق ، وأربعة من أسفل ، وقال الراعى يصف السيوف :

إذا استُكرهتْ فى معظمِ الرأسِ أدركتْ مراكيزَ أرحاءِ الضروسِ الأواخرِ(١٣)

ثم يلى الأرحاءَ النواجذُ : أربعة أضراس ، وهى آخر الأضراس نباتاً ، والواحد : ناجذ ، وجاء فى الحديث : « ضَحِكَ رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجذه » . وقال عنترة :

لمّا رآنى قد نزلْتُ أريـده أبْدَى نواجـذَه بغير تبسُّمِ(١٤)

وهناك حديث عن بعض صفات الأسنان ومائها ؛ ففى الأسنان « الظَّلْم » وهو ماؤها الذى يجرى فيها كماء السيف ، قال يزيد بن ضبة :

وهنـدٌ تيّمـتْ قلبـى غداةَ النّحـرِ إذ ترمـى
بوجـهٍ مشـرقٍ صـافٍ وثغـرٍ نائـرِ الظَّلْـمِ(١٥)

وفى الأسنان « الشَّنَب » وهو بَرْدُ الأسنان وعذوبة مذاقها ، يقال : رجل أشنبُ ، وامرأة شنباء ، قال ساعدة بن جُؤيّة :

ومـنصَّبٍ كالأُقحوانِ مُنطَّقٍ بالظَّلْم مصقولِ العوارضِ أشنبِ(١٦)

وقال أبو زيد :

هيفاءُ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً محطوطةٌ جُدِلتْ شنباءُ أنيابا

وفى الأسنان « الغُرّة » ، وهو شدة بياضها ، قال الشاعر :

أغرُّ الثنايا هضيمُ الحشـا إذا مامشـى خَطوةً ينبهرْ(١٧)

وفى الأسنان « الغُروب » وهو تحدُّد الأسنان ودقتها ، أو « غَرْب الفم » : كثرة رِيقه وبلله ، قال عنترة :

---

(١٣) خلق الإنسان للأصمعى ١٩١ ؛ والمخصص : ١ /١٤٧ .

(١٤) البيت فى ديوان عنترة : ٨٢ .

(١٥) خلق الإنسان للأصمعى ١٩١ ؛ والمخصص : ١ /١٤٨ .

(١٦) المخصص : ١ /١٤٨ ؛ وديوان الهذليين : ١ /١٧٥ .

(١٧) المخصص : ١ /١٤٨ .

إذْ تستبيك بذى غُروبٍ واضحٍ   عذبٍ مُقَبَّلُه لذيذِ المطعمِ[١٨]

وفى الفم « الرُّضاب » وهو تقطع الرِّيق فى الفم وكثرة ماء الأسنان . قال عروة بن الورد :

بآنسةِ الحديثِ رُضابُ فِيها   بُعيدَ النومِ كالعنبِ العصيرِ[١٩]

وفى الأسنان « الفَلَج » وهو تباعد ما بين السِّنَّيْنِ ، يقال : رجل أفلج ، وامرأة فلجاء .

اللسان : وفى اللسان « العَذَبَةُ » وهو طرفه ، تقول العرب للرجل إذا وصفت خفة لسانه : ما أرقَّ عذبةَ لسانِه . وفيه « الأَسَلَةُ » وهو طرفه حيث استدقَّ ورقَّ ، والأسلة والعذبة واحد . وفيه عَكَدَتُه وعَكَرَتُه وجَذْره ، وهو أصل اللسان ومستغلِظُه . قال الشاعر :

وقائلةٍ ظلَمْتُ لكم سِقَائِى   وهل يخفى على العَكَدِ الظليمُ[٢٠]

وفيه « الصُّرَدَانِ » وهما عرقان أخضران يستبطنان اللسان قال يزيد بن الصَّعِق مجيباً للنابغة :

وأىُّ الناسِ أغدرُ من شآمٍ   له صُرَدانِ منطلقِ اللسان[٢١]

وفى أصلهما عقدتان يقال لهما العُنْدُبَتانِ .

وهناك حديث عن بعض العيوب التى تصيب اللسان ، سوف نعرض لها فى حين معالجة موضوع « عيوب النطق وأمراض الكلام » .

الحَلْق : وفيه « اللُّغَادِيدُ » وهى كالزوائد من لحم تكون فى باطن الأذنين من داخل ، والمفرد : لُغْدُود ، وبعض العرب يسميها الألغاد ، والمفرد : لُغْد ، قال هِمْيَان بن قحافة السعدى :

ترى اللغاديدَ بها حوابِجَا   نصفين نصفاً خارجاً أو والجا[٢٢]

(١٨) المخصص : ١ /١٤٨ ، وديوان عنترة : ٨٠

(١٩) المخصص ١ /١٤٩ ، وديوان عروة : ٤٦

(٢٠) المعانى الكبير لابن قتيبة ٤٠٤

(٢١) خلق الإنسان للأصمعى ١٩٧ ، والمخصص : ١ /١٥٥

(٢٢) خلق الإنسان للأصمعى ١٩٦

و « النُّغانِغ » لحم متدلّ فى بطون الأذنين ، والمفرد : نُغْنُغَة ونُغْنغ .

و « الغَلْصمة » من الإنسان : متصَّل الحُلقوم بالحلق ، إذا ازدرد الآكلُ لُقمته فزلَّتْ عن الحلق دخلتْ فم الغلصمة ، وفى الغلصمة « الدَّرْدَمَة » وهى تحت الحُلقوم واللسان مركب فى طرفها .

و « الحنجرة » رأس الغلصمة حيث تُحدِّد ، وحدته أنه طرف الحلقوم ، قال أبو الهندى :

من قهوة تنزو جَنَادِيعُها بين لَهَا الحلقومِ والحنجر

وفيها « القَمَع » وهو طبق الحلقوم ، و « البُلعوم » وهو مجرى النَّفس إلى الرئة .

وفى الحلق « المَرِىء » وهو مجرى الطعام والشراب إلى المعدة متصل بالحلقوم .

* * *

الإبدال الصوتى

اهتم القدماء من اللغويين العرب بالتأليف فى « الإبدال » ، وعلى رأسهم ابن السكيت وأبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) ، وقد عرفه اللغويون بقولهم : « إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة » ؛ أى إن الإبدال معناه وجود كلمتين تتحدان فى جميع أصواتهما ما عدا صوتاً ، ومعناهما واحد . وقبل الدخول فى التعليل لوجود تلك الظاهرة فى اللغة نقدم بعض الكلمات التى أصابها هذا الإبدال على نحو ما ورد فى الرسائل اللغوية ومعجمى (الغريب المصنف) و (الألفاظ) .

هتن وهتل : وتدلان على المطر الدائم الذى لا رعد فيه ولا برق . قال الراجز :

يا حبَّذا نضحكُ بالمشافرِ كأنه تهتانُ يومٍ ماطرِ

وقال امرؤ القيس :

فسحَّتْ دموعى فى الرداء كأنها كُلَى من شعيبٍ ذاتِ سحٍّ وتهتان

وقال العجاج :

عزّز منه وهو معطى الإسهال ضربُ السوارى مَتْنَه بالتهتال[١]

أصيلان وأصيلال : وهو الوقت فيما بعد العصر . قال النابغة :

وقفتُ فيها أصيلاناً أسائلها عيَّتْ جواباً وما بالربع من أحدِ[٢]

ممغر ومنغر : قال الأصمعى : « إذا بركت الناقة على بول أو ندى أو أصابتها عين ، فتعقد لبنها فى ضرعها ، فخرج اللبن خاثراً متقطعاً ، كأنه قطع الأوتار وسائر اللبن ماء أصفر رقيق قيل : قد أخرطتْ ناقةُ فلانٍ فهى مخرط ، وهن نوق مخارط ، ولبنها الخَرَط ، والمُنْغِر التى تحلب لبناً خلطه دم ، ويقال : مُمْغِر ومُنْغِر »[٣] .

عشبة وعشمة : وتدلان على الإبل إذا جاوزت السنَّ وضعفت . وتدلان أيضاً على الشيخ اليابس من الهزال[٤] .

القبصَّى والقمصَّى : هو يعدو القبصى والقمصى ، وهو يقال للفرس الذى إذا جرى لم يصب الأرضَ منه إلا أطراف سنابكه . قال الشاعر :

وتعدو القمصَّى قبل عيرٍ وما جرى ولم تدرِ ما خَبْرى ولم أدر ما هِيَا[٥]

يتبوع ويتنوع : قال ابن السكيت : « مرَّ يتبوَّعُ ويتنوَّع : إذا كان يذهب فى هذا الشقِّ مرة وفى هذا مرة . قال ذو الرمة :

ترى كلَّ مغلوبٍ يميدُ كأنه بحبلين فى مشطونةٍ يتنوَّعُ

ويقال : ناع الغصنُ ينوع : إذا تمايل ، وهو نائع ، ومنه : الجائع النائع ؛ أى : متمايل من الجوع[٦] .

---

(١) المطر ١٠٢ ؛ والقلب والإبدال : ٣ وما بعدها ؛ وديوان امرىء القيس : ٩٠ .

(٢) الألفاظ : ٤٠٥ ؛ والأيام والليالى والشهور : ٦٣ ؛ والقلب والإبدال : ٥ ؛ وديوان النابغة : ٣٠ .

(٣) الإبل : ٨٥ .

(٤) الإبل : ٧٨ ؛ والألفاظ : ٣٣٩ .

(٥) الألفاظ : ٣١٣ .

(٦) الألفاظ : ٢٨٢ ؛ وديوان ذى الرمة : ٣٤٨ ؛ ومجمل اللغة مادة (نوع)

قحم وقحر : يقال للرجل إذا جاوز السنّ : قَحْم وقَحْر . قال رؤبة :

رأينَ قحماً شاب واقلحمّا طال عليه الدهـرُ فاسـلهمّا

وقال رؤبة أيضاً :

تهوى رؤوس القاحرات القُحّرِ إذا هوتْ بين اللها والحنجر(٧)

سماوة وسمامة : يقال لشخص الرجل : سماوته . قال الراعى :

كأنّ على أذنابها حين أبصرتْ سماوته فيئاً من الطير وُقّعا

ويقال أيضاً « سمامته » وقد تكون السَّمَامة والسَّماوة شخوصَ غيرِ الآدميين . قال أبو ذؤيب فى السمامة :

وعاديةٍ تُلقِـى الثيابَ كأنما تُزعزعها تحت السمامةِ ريحُ

وقال طفيل الغنوىَ فى السماوة :

سماوتُـه أسمالُ بُرْدٍ مُحبَّـــرٍ وصهوتُه من أتحَمِىٍّ معصَّبِ(٨)

الزَّعر والمَعَر : ويدلان على قلة الشعر والريش . قال طرفة :

من الزَّمِراتِ أسبلَ قادماها وضَـــرَّتُهـــا مركَّـنة درور

وقال الشاعر :

دَعْ ما تقادم من عهد الشبابِ فقد ولّى الشبابُ وزاد الشيبُ والزَّعَرُ(٩)

أوغاب وأوغاد : وهم أنذال الناس وضعفاؤهم . قال الأسود بن يعفر :

أبنـى لُبينـــى إنّ أمّكـــم أمَةٌ وإن أبـــاكم وغـــب
أكلتْ خبيثَ الزاد فاتّخمـت عنه وشـمَّ خمارَها الكلبُ(١٠)

المساناة والمفاناة : قال ابن السكيت : « المساناة والمفاناة : المساهلة . قال لبيد :

---

(٧) خلق الإنسان : ١٦١ ، والألفاظ : ٣٤١ وما بعدها ، وديوان رؤبة : ١٦٥ .
(٨) خلق الإنسان : ١٦٣ ، وخلق الإنسان لثابت : ٣٦ — ٣٨ .
(٩) خلق الإنسان : ١٧٣ ، وديوان طرفة : ٦٦ .
(١٠) الألفاظ : ١٩٦ .

وكائِنْ رأَيْتَ من ملوكٍ وسوقةٍ   وصاحب من وفدٍ كريم وموكبِ
وسانيْتَ من ذى بهجةٍ ورقيْتَه   عليه السموطَ عابسٍ متغضبِ

وقال الكميت :

هل ذائدٌ للهمومِ ذائدها   عن ساهرٍ ليلةً يساورها
أهون منها ذيادُ خامسةٍ   للوردِ أو فيلق يجالدها
تقيمه تارةً وتُقْعِده   كما يفانى الشموسَ قائدُها[١١]

ضبطر وسبطر : وتدلان على الغلظ والشدة . قال العجاج :

حتى يقالَ حاسرٌ وما حَسَرْ   عن ذى حيازيمَ ضبطرٍ لوهَصَرْ

مدح ومده : وتدلان على المدح ، وإن كان الخليل بن أحمد يرى أن « المَدْه » فى نعت الجمال والهيئة ، و « المدح » عام فى كل شىء[١٢] . قال رؤبة :

برّاق أصلادِ الجبين الأَجْلَهِ   للهِ درُّ الغانياتِ المُدَّهِ

وقال رجل من بنى سعد جاهلىٌّ :

حسبُكِ بعضُ القولِ لا تمدهى   غرَّكِ برزاغُ الشبابِ المزدهى[١٣]

الحائر والقائر : وتدلان على الذى يقدر على أهله النفقة . قال الشنفرى :

وأم عيالٍ قد شهدتُ تقوتهم   إذا أطعمتهم أوتحتْ وأقلّتِ[١٤]

الجَلَه والجَلَى : ومعناهما إذا بلغ الشعر النصف . قال رؤبة :

لما رأتنى خَلَقَ المُمَوَّهِ
برّاقَ أصلادِ الجبين الأَجْلهِ
بَعْدَ غُدانىّ الشبابِ الأبلهِ

وقال العجاج :

(١١) السابق : ٧٦ وما بعدها .
(١٢) العين : ١ /٢٨٩ .
(١٣) خلق الإنسان : ١٧٩ ، وإبدال أبى الطيب اللغوى : ١ /٣١٦ ، وكتاب الثلاثة لابن فارس : ٣٩
(١٤) الألفاظ : ٧٢ .

وحِفْظَةً أكنَّهـا ضمـــيرى مع الجَلْى ولائج القتيرِ(١٥)

مملط ومملص : قال الأصمعى : « إذا ألقته (يقصد إذا ألقت الناقةُ ولدها) ولم ينبت شَعَرُه قيل : أملطت وأملصت ، وألقته مليطاً ومليصاً ، وهى إبل مماليط ومماليص ، والناقة مملط ومملص »(١٦) .

عائط وعائص : اعتاطت الناقةُ واعتاصت : إذا ضربها الفحلُ فلم تحمل ، ولا علة بها . ويقال أيضاً : اعتاطت الناقةُ : إذا لم تحمل سنواتٍ وربما كان ذلك من كثرة شحمها(١٧) .

جريح وقريح : يقال : رجل جريح وقريح ، المعنى واحد . قال المتنخل :

لا يسلمون قريحاً حلَّ وَسْطَهم يومَ اللقاءِ ولا يشوون مَنْ قرحوا(١٨)

مرج ومرح : قال ابن السكيت : « قد مرجت العين تمرج : إذا كثر سيلانها بالدمع ، ومرجت المزادة : إذا كثر سيلانها . أبوعمرو : مرحت بالحاء ، وأنشد :

كأن قَذًى فى العين قد مَرِحَتْ به وما حاجةُ الأفرى إلى المرحانِ(١٩)

ويقولون : عين مِمْرَاحٌ : غزيرة الدمع ، ومرَّحْتُ المزادة : ملأتها لتتسربَ وتسيل .

الزحاليق الزحاليف : وهما للدلالة على آثار تزلُّج الصبيان من فوقٍ إلى أسفل . قال امرؤ القيس :

لمن زحلوفـــــــةٌ زُلُّ بها العينـــــان تنهـــــلُّ
ينـــادى الآخِــــرَ الأُلُّ ألاَ حُـلُّـــوا ألا حُـلُّـــوا(٢٠)

عسج ووسج : الوسيج من السير : الشديد ، وكذلك العسيج ، وهو سير صالح فى الإبل . والعَسْجُ : مد العنق فى المشى ، ووردت تلك الدلالة فى قول ذى الرمة :

(١٥) خلق الإنسان : ١٧٩ ؛ وديوان العجاج : ٩٣ .

(١٦) الإبل ٧٠

(١٧) السابق : ١٠٠ وما بعدها .

(١٨) الألفاظ ١٠٥

(١٩) الألفاظ ٦٢٦ ، والبيت للنابغة الجعدى كما فى ديوانه : ٢٤٠ .

(٢٠) الرحل والمنزل ١٢٩ ؛ ومقدمة جمهرة ابن دريد : ١٩ ؛ وديوان امرىء القيس : ٤٧٣ .

والعيسُ من عاسجٍ أو واسجٍ خَبَباً   يَنْحَزْنَ من جانبيها وهي تنسلب[21]

فقح وفتح : يقال : فَقَّحَ الجَرْوُ : فتح عينيه . قال أبو المثلم الهذلى :

وأكحلك بالصابِ أو بالجلا   ففقِّحْ لكحلك أو غمِّضِ[22]

شجرة وشيرة : قال أبو حاتم السجستانى : « كانت أم الهيثم الأعرابية ، واسمها غنية ، تنشد :

إذا لم يكن فيكُنَّ ظِلٌّ ولا جَنَى   فأبعدكُنَّ الله من شِيَراتِ

تريد : من شجرات ، إلا أن لغتها أن تبدل الجيم ياء وتكسر الشين ، فتقول : شِيَرَة . فقلت لها : كيف التحقير (بقصد التصغير) ؟ فقالت : شُيَيْرَة ، وقالت : بالطائف شُيَيرة فيها شفاء من سبعين داءً تسمى الشُّكاعى »[23]

شاء وجاء : قال ابن السكيت : « يقال فى مثل : شر ما أشاءك إلى مخة عرقوب : يعنى أنه ليس فى العرقوب مخ . ويقال : « أجاءك » فى مكان « أشاءك » ... قال الله عز وجل : (فأجاءها المخاضُ إلى جذعِ النخلة)[24] ؛ أى ألجأها »[25] .

تخنظى وتغنظى : استعملهما العرب بمعنى واحد للدلالة على الفحش فى الكذب ، والوقيعة بين الناس . قال الراجز :

قامتْ تخنظى بِكَ بين الحيين   شنظيرةُ الأخلاق جهراء العين

وقال جندل الطهوى :

حتى إذا أجرس كلُّ طائرِ   قامتْ تغنظى بك سَمْعَ الحاضرِ[26]

---

(21) الإبل : 126 ؛ ومجمل اللغة (عسج) .

(22) الإبل : 92 .

(23) النخل : 41 و 42 .

(24) مريم/23 .

(25) الألفاظ : 506 ؛ وانظر المحتسب : 2/39 .

(26) الألفاظ : 263 .

يناديد وأناديد : وهى صفة للطير التى تجىء واحداً من ها هنا ، وواحداً من ها هنا . قال عطارد بن قران الحنظلى أحد اللصوص :

ونحن فى عصبةٍ عضَّ الحديدُ بهم من مشتكٍ كبلَه منهم ومصفودِ
كأنما أهلُ حجرٍ ينظرون متى يروننى خارجاً طير اليناديدِ[27]

وبعد هذا التعريف بالإبدال خلال الأمثلة التطبيقية السابقة نشير إلى أن المعاجم الموضوعية توقفت أمام اختلاف تركيب أصوات بعض الكلمات مع إضافة صوت مكان آخر ، وأن لهذا دلالة خاصة لدى بعض القبائل العربية ؛ فإن بنى أسد يقولون : « كلّمتُ فلاناً فما رأيتُ له زكوة عقلٍ وركزة عقلٍ »[28] ؛ أى ليس بثابت العقل . وقال ابن السكيت : « أصاب المريضَ زعلٌ شديد ؛ يعنون : العَلَز ، وقد زعِل يزعَل زعلاً بمعنى علز »[29] . وتغيير الأصوات فى الكلمة من لهجات تميم أيضاً ، وقد قُرِىءَ قوله تعالى : (من الصواعق)[30] : (من الصواقع)[31] .

ولعلنا نتساءل ، بعد هذا العرض ، عن الأسباب التى أدَّت إلى وجود الإبدال فى اللغة ؟ يمكن بيان تلك الأسباب خلال النقاط الآتية :

١ ــ تؤدى لهجات القبائل دوراً مهماً فى تعليل ظاهرة الإبدال الذى يصيب الألفاظ مع عدم اختلاف الدلالة ؛ فقد أشارت الكتب العربية إلى أن « أجاءك » بالشين دون الجيم لهجة تميم[32] ، وأن الكلمات التى تستخدم بالميم والنون معاً ، نجد أن النون لهجة تميم ، والميم لهجة أسد ، واستدل اللغويون على ذلك بكلمة « الدّندن » وتروى « الدّمدم » أيضاً[33] ، وأشارت تلك الكتب أيضاً إلى أن استخدام الياء مكان الهمزة لهجة تميم ، واستدلت على ذلك بكلمة « العباية » وتروى « العباءة » أيضاً[34] . أما « الزحاليف » فالفاء لهجة أهل العالية ، والقاف لهجة بنى تميم ومن يليهم من هوازن . والكلمتان « نمق »

(٢٧) السابق : ٥٧ .
(٢٨) السابق : ١٩٠ .
(٢٩) السابق : ١١٠ .
(٣٠) البقرة/١٩ .
(٣١) البحر المحيط : ١ /٨٦ .
(٣٢) مجمع الأمثال : ١ /٣٧٢ .
(٣٣) القلب والإبدال : ٢٢ .
(٣٤) السابق : ٥٦ .

و « لمق » دلالتهما واحدة[٣٥] ، واستعمالهما بالنون واللام معاً لهجة عقيل، وباللام حسب لهجة قيس . و « مدح » حين استخدامها بالهاء « مده » لهجة تميم ، و « الحاتر » لهجة عقيل و « القاتر » لهجة بنى كلاب[٣٦] .

٢ ــ ينشأ الإبدال بين بعض الكلمات التى يتحد فيها الصوتان اللذان تم إبدالهما من حيث الخروج من الحلق ؛ ولذلك لا يجد المتكلم أو ابن اللغة أية صعوبة فى نطق هذه الكلمات أو تلك ، ومن أمثلة التقارب الصوتى من حيث الخروج من الحلق ما نجده بين الحاء والهاء فى « مدح » و « مده » ، والنون واللام فى « هتن » و « هتل » ، والباء والميم فى « عشبة » و « عشم » ... وهكذا .

٣ ــ تتعرض أية لغة فى تاريخها الطويل لبعض التطورات الصوتية التى تصيب الكلمات ، ويمكن تعليل الإبدال فى العربية فى ضوء هذا التطور ؛ إذ إن المتكلمين باللغة يجدون أنفسهم أمام الكثير من الكلمات ، بدل ما بينها من التشابه على أن إحداها قد أصابه التطور خلال السنين ؛ لذلك نجد أبا الطيب اللغوى حين نظر فى الكلمتين « البَلَه » و « العَلَه » اعتد قيام العين مقام الباء من باب البدل ؛ أى إن الباء أصابها التطور فتحولت إلى العين ، وهذا ما أدى إلى إنتاج « العله » من الأصل « البله » .

٤ ــ يعد « التصحيف والتحريف » من الظواهر اللغوية التى ابتليت بهما الكتابة العربية منذ القدم ، ويمكن أن يكون لهما دخل كبير فى نشأة الإبدال بين بعض الكلمات ؛ فالكلمتان « الأصلج » و « الأصلخ » بمعنى « الأصم » يمكن أن يكون الإبدال بين صوتى الجيم والخاء قد نشأ بسبب التصحيف والتحريف . وكذلك « الخَنْثِل » و « الخنثل » بمعنى « الضعيف » ... وهكذا . ولعله من المفيد الإشارة إلى اهتمام القدماء من اللغويين العرب بالتنبيه على التصحيف والتحريف ، ومن أولئك أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى (ــ ٣٨٢ هـ) الذى وضع كتاباً بهذا الخصوص ، قال فى مقدمته : « شرحت فى كتابى هذا الألفاظ والأسماء المشكلة التى تتشابه فى صورة الخط ، فيقع فيها التصحيف ، ويدخلها التحريف ، مما يعرض فى ألفاظ اللغة والشعر ، وفى أسماء الشعراء وأيام

(٣٥) وهما بمعنى: حسّن وجوّد ونقش .

(٣٦) الغريب المصنف : ٦٢١ ؛ ومجمع الأمثال : ١ /٢٠٨ .

العرب ، وأسماء فرسانها ووقائعها وأماكنها ، وما يعرض فى علم الأنساب وغيرها من الأشكال فيصحفها عامة الناس ، ويغلط فيها بعض الخاصة ... »[٣٧] .

وبعد هذا العرض نشير إلى أن الإبدال لم يكن متعمداً بين أبناء العربية فى القديم ؛ لذلك قال أبو الطيب اللغوى فى مقدمة كتابه : « ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف ، وإنما هى لغات مختلفة لمعان مختلفة ؛ تتقارب اللفظتان فى لغتين (يقصد لهجتين) لمعنى واحد ، حتى لا يختلفا إلا فى حرف واحد ... والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى ؛ وكذلك إبدال لام التعريف ميماً ، والهمزة المصدرة عيناً ؛ كقولهم فى نحو « أنْ » : « عَنْ » ؛ لا تشترك العرب فى شىء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون »[٣٨] .

* * *

(٣٧) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : ١ .

(٣٨) الإبدال : ١ /٦٩ .

الصوت والدلالة

عقد القدماء من اللغويين العرب صلة بين بعض الألفاظ ومدلولاتها، معتمدين في ذلك على النظر في أصواتها المفردة؛ حتى إن بعضهم جعل من مناسبة اللفظ بأصواته المفردة للمعنى مناسبةً حتمية، ومن الذين عقدوا تلك الصلة عبّاد بن سليمان الصيمرى من المعتزلة الذى ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع هذه اللفظة أو تلك، بإزاء هذا المعنى أو ذاك. وكان بعض من يرى رأى الصيمرى يقول: «إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها؛ فسُئِل ما مُسَمَّى «إذغاغ»، وهو بالفارسية: الحجر، فقال: أجدُ فيه يُبْساً شديداً، وأراه الحجر»[1].

وقد تحدث (الغريب المصنف) و (الألفاظ) والرسائل اللغوية عن هذه الناحية؛ أى دلالة الأصوات على معانى الكلمات؛ فقد أشار ابن السكيت إلى أن كلّ شيء صلب يُقْضَم، وكل شيء لين يُخْضَم[2]. وكأن ابن السكيت يشير إلى ما فى صوت القاف من انفجارية Plosivion، وما فى صوت الخاء من احتكاكية Friction، فكان الخضم للين، والقضم لليابس أو الصلب. وما أشار إليه ابن السكيت بخصوص دلالة «الخضم» و «القضم» فصّل فيه الحديث، فيما بعد، ابن جنى الذى قال: «إنَ كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التى عبر بها عنها؛ ألا تراهم قالوا: قَضِمَ فى اليابس، وخَضِمَ فى الرَّطْب، ذلك لقوة القاف وضعف الخاء؛ فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف»[3].

وما تحدث عنه ابن جنى ورد عند الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه؛ فقد أشار الخليل إلى أن العرب قالوا: «صَرَّ» للدلالة على صوت الجُنْدُبِ الذى وجدوا فيه استطالةً ومداً؛ وقالوا: «صَرْصَرَ» للدلالة على صوت البازى الذى وجدوا فيه تقطيعاً وعدم استمرار. وأشار سيبويه إلى المصادر التى جاءت على وزن «فَعَلان» وعقد مناسبة بين وجود الحركات الكثيرة وهذا

(١) المزهر: ١/ ٤٧.

(٢) الألفاظ: ٨.

(٣) الخصائص: ١/ ٦٥.

الوزن ؛ إذ إن تلك المصادر تدل على الاضطراب والحركة . قال : « ومن المصادر التى جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعانى قولك : النَّزوان ، والنَّقَزان ؛ وإنما هذه الأشياء فى زعزعة البدن واهتزازه فى ارتفاع . ومثله العَسَلان والرَّتكان ... ومثل هذا الغَلَيان ؛ لأنه زعزعة وتحرُّك . ومثله الغَثَيان ؛ لأنه تَجيُّشُ نَفْسِه وتثوُّر . ومثله الخَطَران واللَّمَعان ؛ لأن هذا اضطراب وتحرُّك . ومثل ذلك : اللَّهَبان والصَّخَدان(٤) والوَهَجان ؛ لأنه تحرك الحر وتؤوره ؛ فإنما هو بمنزلة الغليان »(٥) .

نعود إلى ابن جنّى مرة أخرى فنجده يعقد باباً فى خصائصه عنوانه : « باب فى إمساس الألفاظ أشباهَ المعانى »(٦) ، أكّد فيه على تلك المناسبة بين اللفظ والمعنى ، ويمكن توضيح ذلك خلال النقاط الآتية :

١ ــ تأتى المصادر الرباعية المضعَّفة للدلالة على التكرير ؛ نحو : الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة ، والقعقعة ، والصعصعة(٧) ، والجرجرة ، والقرقرة .

٢ ــ تأتى المصادر والصفات الدالة على السرعة على وزن « فَعَلَى » ؛ نحو : البَشَكَى ، الجَمَزَى ، الوَلَقَى . قال رؤبة :

أو بَشَكَى وَخْد الظليم النزّ

وقال أمية بن أبى عائذ الهذلى :

كأنى ورحْلِي إذا هجَّرتُ ... على جَمَزَى جازِىء بالرمال
أو اصحم حامٍ جراميزه ... حَزَابِيَةٍ حَيَدَى بالدِّحال(٨)

٣ ــ يأتى وزن « استفعل » للدلالة على الطلب فى الأغلب الأعم ؛ نحو : استسقى ، استطعم ، استوهب استمنح ، استقدم كقولنا : « استقدم

(٤) اللهبان والصخدان : كلاهما بمعنى شدة الحر .

(٥) الكتاب : ٤/ ١٤ .

(٦) الخصائص : ٢/ ١٥٢ ــ ١٦٨ .

(٧) الصعصعة : التحريك والقلقلة .

(٨) يريد بالجمزى : حمار وحش ، وجازىء : يستغنى بالرطب عن الماء ، والأصحم : من الصحمة وهى سواد إلى صفرة . ويريد به أيضاً حمار وحش ، وجراميزه : جسده ونفسه ، يحميها من الصائد ، حزابية : غليظ ، حَيَدَى : يحيد من سرعته . والدحال : جمع الدحل ، وهو هوة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل .

عمراً » ، واستصرخ كقولنا : « استصرخ جعفراً » . والهمزة والسين والتاء زوائد ، وردت بعدها الأصول : الفاء ، والعين ، واللام ؛ فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك ، وهو الدلالة على الطلب ؛ وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعى فيه والتأتى لوقوعه تقدّمه ، ثم وقعت الإجابة إليه ، فتبع الفعلُ السؤالَ فيه والتسبب لوقوعه . فكما تبعت أفعالُ الإجابة أفعالَ الطلب ، كذلك تبعت حروفُ الأصل (الفاء والعين واللام) الحروف الزائدة (الهمزة والسين والتاء) التى وُضِعت للالتماس والمسألة .

٤ ــ جعل الصرفيون تكرير عين الكلمة فى الوزن الصرفى دليلاً على تكرير الفعل ؛ فقالوا : كسَّر ، قطَّع ، فتَّح ، غلَّق ؛ وذلك أنهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعانى فأقوى اللفظ ينبغى أن يقابل به قوة الفعل ، والعين أقوى من الفاء واللام ؛ وذلك لأنها واسطة لهما ، ومكنونة بهما ؛ فصارا كأنهما سياج لها ، ومبذولان للعوارض دونها ؛ لذلك يصيب الفاء واللام ما يسمى بالإعلال بالحذف ــ مثلاً ــ وقلما تجد الحذف فى العين . ومن هنا فتكرير عين الفعل من مساوقة الصيغة للمعانى .

وهناك ظواهر صرفية أخرى ربطها ابن جنى بالدلالة حتى يؤكد الرأى القائل بالصلة أو المناسبة بين الألفاظ ومعانيها ، وزيادة المبنى لزيادة المعنى[٩] . ومع ذلك فإن تلك الصلة مرفوضة عندالكثيرين، ويرون أن هناك صلة بين الأصوات ومركبات الأصوات فى القدرة التعبيرية[١٠] . وإننا نشك كثيراً فى صحة هذه الرواية الخاصة بتفسير كلمة « إذغاغ » الفارسية بأنها الحجر ، وصدق نظرية عباد بن سليمان الصيمرى ، فإنه لو صحّ ما قاله لا هتدى كل إنسان إلى كل لغة على وجه الأرض . نعم ، قد يحدس الإنسان معنى كلمة من الكلمات فى لغة من اللغات ، بخبراته فى هذه اللغة ، فإن مجرد النطق باللفظ ، يستدعى إلى الذهن أمثاله من الألفاظ ، ويستدعى معها دلالاتها ، ويستوحى المرء من كل هذا دلالة لذلك اللفظ المجهول ، على أساس ما اختزنه فى

(٩) نجد مثل هذا عند علماء البلاغة . يقول ابن الأثير : « اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ، ثم نُقِلَ إلى وزن آخر أكثر منه ، فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً » . المثل السائر : ٢ / ٢٥٠ .

(١٠) فندريس : اللغة ٢٣٥ وما بعدها .

حافظته ، وقد يُوفَّق فى هذا الاستيحاء ، غير أنه كثيراً ما يخيب ، وهنا يؤدى اختلاف الخبرات السابقة إلى اختلاف الحدسات الناتجة .

خذ ـ مثلاً ـ كلمة « عتيد » فإنها بمعنى « المهيَّأ والحاضر » . قال تعالى : (ما يَلْفِظُ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ)(١١) : حاضر . حين تذكر تلك الكلمة أمام من لا يعرف معناها الأصلى فهو لا شك سيقيسها على كلمة « عنيد » إن كانت من حصيلته اللغوية ، فيعطيها نفس معناها ، وهو : جبار أو قوى ـ مثلاً ـ أو يقيسها على كلمة « عتيق » إن برزت له وقتئذٍ من بين خبراته اللغوية السابقة ، فيعطيها نفس معناها ، وهو قديم أو موغل فى القدم(١٢) .

* * *

---

(١١) ق /١٨ .

(١٢) الدكتور رمضان عبد التواب : بحوث ومقالات فى اللغة ١٨ و ١٩ .

عيوب النطق وأمراض الكلام

هناك بعض الصعوبات التى تصادف « ابن اللغة » native - speaker حين نطق الأصوات المفردة أو الكلمات ، وتتفاوت تلك الصعوبات حتى إنها تصبح مرضاً عند بعض الأفراد الذين لا يستطيعون نطق أصوات معينة كالراء — مثلاً — على نحو ما كان من أمر واصل بن عطاء الذى جانب صوت الراء فى إحدى خطبه ، ونوّه بذلك بشار بن برد فى شعره قائلاً :

تكلّفوا القولَ والأقوام قد حفلوا ... وحبّروا خُطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلاً تغلى بداهـتُـه ... كمرجل القين لما حُفّ باللهب
وجانب الراءَ لم يشعر به أحـدٌ ... قبل التصفح والإغراقِ فى الطلب

وعرفت الحياة الفكرية عند القدماء من العلماء العرب الكثير من المصطلحات والعبارات التى حاولوا خلالها تمثيل الحالة المرضية الخاصة بالنطق لهؤلاء الأفراد وتشخيصها . واهتم المحدثون من المشتغلين بالدراسات اللغوية بالعرض لعيوب النطق وأمراض الكلام خلال فرع من فروع علم اللغة هو biological linguistics ، وأشاروا إلى أن تلك العيوب والأمراض من الظواهر العالمية فى اللغات ؛ فما يسمى بالعربية « التأتأة »(١) يسمى فى الإنجليزية Stuttering وفى الألمانية Stottern وفى اليابانية dodum وفى الصينية Na Nawei ... وهكذا . وتلك الألفاظ فى اللغات المختلفة ما هى إلا محاولة تمثيل الأداء الصوتى لمن فى نطقه عيب يتصل بتلك الظاهرة الصوتية .

وإذا كان فى أغلب الثقافات والأمم تأتأة ومتأتئون ، فإن بعض الثقافات لا تعرف هذه الظاهرة أبداً،بل إن لغتها تفتقر إلى كلمة تعبر عن هذا المرض اللغوى كبعض القبائل الهندية القاطنة فى شمال أمريكا كقبيلة بانوك Bannok وقبيلة شوشون Shoshone .

تحدث التأتأة عند الإنسان فى مراحل مختلفة من حياته ، ولكنها تحدث غالباً فى مراحل الطفولة المبكرة ، وهى تحدث عند الذكور أكثر من حدوثها عند الإناث ؛ بل هى أقل صعوبة وتألماً عند الإناث منها عند الذكور . وربما هذا

(١) تأتأ تأتأةً وتأتاءً : ردد التاء عند التكلم ؛ فهو تأتاء . انظر دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدى ، المجلد الثانى ص ٥٢٠ .

ما جعل بعض الباحثين يعتقدون أن التأتأة استعداداً وقابلية جنسية تختلف فى مستوياتها عند الذكور والإناث . وقد علل هؤلاء الباحثون معدل ارتفاع التأتأة عند الذكور بأن هناك ضغطاً اجتماعياً ومسئولية ملقاة على عاتق الذكور أكثر منها على عاتق الإناث . من هنا فإن الباحثين فى هذا الحقل أثبتوا أن هناك عوامل وراثية واجتماعية لظاهرة التأتأة[٢] .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى الحديث عن عيوب النطق وأمراض الكلام عند القدماء من العلماء العرب للتعرف على وجهة نظرهم فى هذا . ولعل خير من يمثلها الجاحظ ؛ لذلك نحاول التعرف على آرائه مع عرضها على كتاب (خلق الإنسان) لثابت بن أبى ثابت[٣] الذى أشار إلى تلك العيوب والأمراض بطريقة تفصيلية أكثر من غيره من أصحاب معاجم الموضوعات والرسائل اللغوية .

توقف الجاحظ أمام « اللُّثْغة » التى هى عبارة عن تحول اللسان من صوت إلى صوت ؛ كقلب السين ثاءً ، والراء غيناً ، وأشار إلى أن هناك أربعة أصوات تدخلها اللثغة هى : القاف ، والسين ، واللام ، والراء ، ثم توقف أمام الشين وما يدخلها من اللثغة ، وأوضح أن هذا شىء لا يصوره الخط ؛ لأنه ليس من الأصوات المعروفة ، وإنما هو مخرج من المخارج ، والمخارج لا تُحصى ولا يُوقف عليها .

واللثغة التى تعرض للسين تكون ثاءً نحو :

أبو يكسوم	←	أبو يكثوم
بسـرة	←	بثرة
بسم الله	←	باثم الله

واللثغة التى تعرض للقاف يجعل صاحبها القاف طاءً كما فى :

قلتُ له	←	طلتُ له
قال لى	←	طال لى

(٢) انظر : قضايا أساسية فى علم اللسانيات الحديث للدكتور مازن الوعر ص ٥٣٦ و ٥٣٧ ؛ وكتاب : The Syndrome of Stuttering .

(٣) البيان والتبيين : ١ /٤٦ وما بعدها ؛ وخلق الإنسان : ١٨٦ وما بعدها

واللثغة التى تقع فى اللام يجعل صاحبها اللام ياء كما فى :

اعتللتُ ← اعتييتُ

جمل ← جمى

وأضاف الجاحظ حول تلك اللثغة قوله : « وآخرون يجعلون اللام كافاً كالذى عرض لعمر أخى هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول : ما العلة فى هذا ؟ قال : ما اكعكة فى هذا ؟ » . واللثغة التى تقع فى الراء تكون عن طريق نطقها ياءً ، نحو :

عمرو ← عمى

أو نطقها غيناً ، نحو :

عمرو ← عمغ

أو نطقها ذالاً ، نحو :

عمرو ← عمذ

أو نطقها ظاءً ، نحو :

مرَّة ← مظَّة

ويقدم الجاحظ تطبيقاً على نطق بعض الناس لكلمة « مرة » فى قول الشاعر :

واستبدَّتْ مرةً واحدةً إنما العاجزُ من لا يستبد

فهى تنطق : مذَّة ، مظَّة ، مغَّة ، ميَّة . وحدد الجاحظ بعض من استمع إليه حين نطق كلمة « مرة » ، ومنهم على بن جنيد بن فريدى ، وهو بمثابة « الراوية » أو « المصدر البشرى » [informant] .

وأشار الجاحظ إلى « اللثغة الخامسة » التى كانت تعرض لواصل بن عطاء ولسليمان بن زيد العدوى الشاعر ، وهى ليس إلى تصويرها سبيل ، وكذلك التى تعرض فى الشين كنحو ما كان لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر ، فإن تلك أيضاً ليست لها صورة فى الخط تُرَى بالعين ، وإنما يصورها اللسان وتتأدى إلى السمع . ويرى الجاحظ أن الشخص قد يُصاب

بأكثر من لثغة كنحو لثغة شوشي صاحبِ عبد الله بن خالد الأموى الذى كان يجعل اللام ياء ، والراء ياء ، قال مرة : موياى وىى ائى ، يريد : مولاى ولى الرى .

وهناك بعض الجوانب المهمة التى أشار إليها الجاحظ حين توقف أمام عيوب النطق وأمراض الكلام ، ومن بينها ما يأتى :

١ — فسّر الجاحظ بعض الألفاظ الخاصة بعيوب النطق ؛ فقد نقل عن الأصمعى قوله : « إذا تتعتع اللسان فى التاء فى تمتام ، وإذا تتعتع فى الفاء فهو فأفاء ، قال رؤبة بن العجاج :

يا حِمْدُ ذاتِ المنطــق التّمتامِ
كأن وســـواسك فى اللّمـامِ
حديثُ شـيطانِ بنى هـمّام

وقال الشاعر :

لستُ بفأفــاءٍ ولا تَمْـتَــامِ ولا كثيرِ الهُجْـرِ فى المنامِ

وقال الشاعر :

إنَّ السّياط تركْنَ لاستِكَ منطقاً كمقالةِ التّمتامِ ليس بمُعربِ

هذا هو ما قاله الجاحظ عن « التمتام » و « الفأفاء » ، وقد عرض لهذا أيضاً ثابت بن أبى ثابت ؛ فقال عن التمتام : الذى فى لسانه تمتمة ، وهو ثِقَل وترديد فى التاء . قال ربيعة الرقى :

ولا يحسب التمتامُ أنى هجوتُه ولكننى فضّلتُ أهلَ المكارمِ

وقال أبو زيد الأنصارى : التمتام الذى يَعْجَلُ فى الكلام ولا يفهمك . أما الفأفاء فهو أن تسبق الرجلَ كلمتُه إلى شفتيه فيردُّها لشفتيه مراراً لا يفصح بها .

ومن الألفاظ المستعملة للإشارة إلى عيوب النطق ما ورد فى قول أبى عبيدة : « إذا أدخل الرجلُ بعضَ كلامه فى بعض فهو ألَفُّ ، وقيل : بلسانه لَفَفٌ . قال أبو الزاحف الراجز :

كأنَّ فيـه لَفَفـاً إذا نَطَـقْ من طولِ تحبيسٍ وهمٍّ وأَرَقْ

كأنه لما جلس وحده ، ولم يكن له من يكلمه ، وطال عليه ذلك أصابه لَفَفٌ فى لسانه . فالجاحظ يرى أن اللغة أساسها الحوار والتواصل الاجتماعى ، وإذا لم يتم التواصل أُصيب اللسانُ باللفف الذى هو ثقل اللسان عند الكلام ، وأيدَّ ذلك بمثالين ، أولهما خاص بيزيد بن جابر قاضى الأزارقة(٤) الذى كان يقال له « الصَّموت » ، لأنه لما طال صمته ثقل عليه الكلام ، فكان لسانه يلتوى ولا يكاد يبين . والآخر عبّر عنه الجاحظ بقوله : « وأخبرنى محمد بن الجهم أن مثل هذا اعتراه أيام محاربة الزُّطِّ(٥) من طول التفكر ولزوم الصمت . قال : وأنشدنى الأصمعى :

حديث بنى زُطٍّ إذا ما لقيتهم كنَزْوِ الدَّبَى فى العَرْفج المتقاربِ(٦)

قال ذلك حين كان فى كلامهم عجلة .

وإذا كان الجاحظ قد أشار إلى التمتام والفأفاء والألف فإنه فسَّر لفظة رابعة تدور فى إطار أمراض الكلام وعيوبه هى « الحُبْسَة »(٧) ، والمقصود بها عنده إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حدَّ الفأفاء ، وفسّر لفظة خامسة هى « اللكنة » والمقصود بها إدخال بعض حروف العجم فى حروف العرب وجذب اللسان العادة الأولى إلى المخرج ، وفسّر لفظة سادسة هى « الحُكْلة » ، فإذا قالوا : فى لسانه حُكْلَة ، فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق ، وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال . ويبدو أن الحكلة قد انتشرت على بعض الألسنة لاختلاط العرب بغيرهم من الشعوب ؛ لذلك وردت على ألسنة الشعراء . قال رؤبة بن العجاج :

لو أننى أُوتيتُ عِلْمَ الحُكْلِ
عِلْمَ سليمانَ كلامَ النَّمْلِ
كنتُ رهينَ هَرَمٍ أو قتلِ

---

(٤) الأزارقة : فرقة من الخوارج ، ورأسهم نافع بن الأزرق .

(٥) الزط : قوم من الهند خرجوا على الناس فى العصر العباسى .

(٦) النزو : الوثب ، والدَّبَى : صغار الجراد ، والعرفج : نوع من الشجر السهلى .

(٧) الحبسة ترجمة عربية لها رواج فى العصر الحديث للمصطلح اللغوى aphasia والمقصود به الفوضى فى استخدام اللغة ، وهى ناتجة عن خلل فى الدماغ ، يؤثر فى مقدرة الشخص على إنتاج التراكيب النحوية والدلالية أو فهمها ، ويعد جزءاً من « علم اللغة البيولوجى » .

وقال محمد بن ذؤيب فى مديح عبد الملك بن صالح :

ويفهمُ قولَ الحكلِ لو أن ذرةً تساور أخرى لم يفته سوادها

وقال الشاعر يهجو بنى تغلب :

ولكنَّ حكلاً لا تبين ودينُها عبادةُ أعلاجٍ عليها البرانسُ

وهناك بعض الألفاظ التى أضافها ثابت بن أبى ثابت للدلالة على ما يعترى اللسان من عيوب حين النطق ؛ وذلك نحو « الطّمْطُمَانى » وهو الذى لا يفصح ولا يبين كلامه ، وكذلك « اللّخْلَخَانى » ، و « اللّجْلاَج » وهو الذى سجية لسانه ثقل الكلام ونقصه ، و « الجَلْجَال » وهو الذى يردد الكلمة فى فِيهِ فلا يخرجها من ثقل لسانه ، و « الألثغ » وهو الذى لا يُتمُّ رفع لسانه فى الكلام ، و « الأبكم » وهو الأقطعُ اللسانِ العَىُّ بالجواب ، قال الراجز :

ياسائقَ الليلِ أما تكلّم أكُلَّ هذا الليلِ أنت أبكم

أى ساكت ، و « الأغنّ » وهو الذى يخرج كلامه من لَهَاتِهِ .

وأشار ثابت إلى « الفَدْم » من الألسنة ، وهو العَىّ اللسان الثقيله ، و « الأَرَتّ » الذى لا تكاد كلمته تخرج من فيه ، وإنما يردد كلامه إلى حنكه . قال العجاج :

حتى ترى البـيِّنَ كالأرتِّ

وفى اللسان « اللّوْث » وهو ثقل فيه لا يكاد يخرج الكلمة إلا بعد جَهْدٍ ، و « العَقَد » وهو انعقادٌ فيه . قال تعالى : (واحْلُل عقدةً من لسانى يفقهوا قولى)[8] ، وأما « الخَرَس » فهوأن لا يتكلم البتة .

وأشار ثابت إلى ما هو عكس ذلك ؛ أى الفصاحة حين الأداء اللغوى ؛ فمن الألسنة الفصيح ، وهو البيِّن اللسان ، وقال بعضهم : البيانُ فى اللسان البلاغةُ ، وقال الشاعر يمدح رجلاً ويذكر المنابر :

خِرْقٌ إذا رَقِىَ المنابر مِصْقَعٌ ويزينها بفصاحةٍ وبيانِ

---

(٨) طه /٢٧

و « الذَّليق » وهو الحديد من الألسنة ، وقد ذَلُقَ اللسانُ يَذْلُقُ ذلاقةً ، والاسم الذلاقة والفصاحة .

٢ ـــ تنبه الجاحظ إلى إمكان علاج بعض عيوب الكلام وأمراضه ، ويكون ذلك عن طريق التدرب على النطق السليم للأصوات التى يعتريها المرض أو العيب ، يدلنا على ذلك قوله : « واللثغة فى الراء إذا كانت بالياء فهى أحقرهن وأوضعهن لذى المروءة ، ثم التى على الظاء ، ثم التى على الذال . فأما التى على الغين فهى أيسرهن . ويقال إن صاحبها لو جهد نفسه جهده وأحدّ لسانه وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها ، لم يكن بعيداً من أن تجيبه الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً . وقد كانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين ، وكان إذا شاء أن يقول « عمر » و « لعمرى » وماأشبهذلك من الصحة قاله ، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك ، فقلت له : إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحداً أن لسانك كان يستقيم » . ويشير النص إلى العلاج بواسطة الشخص المصاب الذى عليه أن يجهد نفسه ولسانه ، ويحاول نطق صوت الراء نطقاً صحيحاً ، وليس بمستبعد أن يتخلص من هذا العيب ؛ بل إن الجاحظ حدّد الوقت الذى يستغرقه التكلف والتتبع لنطق صوت الراء بأنه شهر واحد حسب .

وإذا كان الجاحظ قد حدد فى نصه السابق العلاج لعيوب النطق وأمراض الكلام ؛ فإنه حاول تعليلها وبيان السبب فيها ؛ فقد « زعم ناس من العوام أن موسى صلوات الله وسلامه عليه كان ألثغ ، ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له فى شىء بعينه ، فمنهم من جعل ذلك خلقة ، ومنهم من زعم أنه إنما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأةُ فرعون لفرعون : لا تقتل طفلاً لا يفرق الحجر من التمر ، فلما دعا له فرعون بهما جميعاً تناول جمرة فأهوى بها إلى فِيهِ ، فاعتراه من ذلك ما اعتراه » .

٣ ـــ اعتمد الجاحظ فى وصفه لعيوب النطق وأمراض الكلام على السماع والمشاهدة للخطباء ، بالإضافة إلى نقله عمن سمع أو شاهد ، وقد ذكر بعض العيوب الخاصة بالخطيب ، ومن ذلك ما ورد فى شعر لسُحَيْم بن حفص فى الخطيب الذى تعرض له النحنحة والسعلة ، وذلك إذا انتفخ سَحْرُه ، وكبا زنده ، ونبا حده فقال :

نعوذُ بالله من الإهمـــال
ومن كلال الغــرب فى المقـال
ومن خطيبٍ دائم الســعال[٩]

فإن « السعال » حين الخطابة عيب ربما يؤدى إلى الإبهام على المستمعين وعدم القدرة على فهم المعنى ؛ لأن الجمل والعبارات والمفردات تختلط بالسعال الذى يؤدى إلى هذا الإبهام . وقال بشر بن المعتمر :

ومن الكبائرِ مِقْـوَلٌ متتعتـعٌ جَمُّ التنحنُح مُتعِبٌ مَبْهورُ[١٠]

وقد علق الجاحظ على هذا البيت قائلاً : « وذلك أنه شهد ريسان يخطب ، وقد شهدتُ أنا هذه الخطبة ، ولم أرَ جباناً قطُّ أجرأ منه ، ولا جريئاً قط أجبن منه » .

* * *

---

(٩) الغرب : الحد .

(١٠) ميهور : متحير

الهمـــزة

أشارت الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) إلى بعض الظواهر الخاصة بالهمزة ؛ لذلك أفردناها بالحديث ، ويمكن تقديم ما أشاروا إليه على النحو الآتى :

أولاً : ألفاظ تركت العربُ همزَها وأصلها الهمزُ : قال أبو عبيد رواية عن أبي عبيدة : ثلاثة أحرف (يقصد ثلاث كلمات) تركت العربُ الهمزَ فيها ، وأصلها الهمز : البرية ، هي من برأ الله الخلق ، والنبى ، أصله من النبأ وقد نبأته : أخبرته ، والخابية ، أصلها الهمز من خبأت »[1] . قال سيبويه : « وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة ، وذلك قليل ردىء »[2] . ونحن نرجح أن القبائل الحجازية التى تجنح إلى تحقيق الهمزة هى تلك القبائل التى كانت تسكن أطراف الحجاز مجاورة لأهل البادية من وسط شبه الجزيرة وشرقيها[3] .

وقد ورد همز بعض تلك الكلمات فى القراءات القرآنية . قال تعالى : (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شرُّ البريَّة . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)[4] . فقد قرأ نافع بن أبى نُعَيم (ت ١٦٩ هـ) وعبد الله بن عامر اليحصبى (ت ١١٨ هـ) : (خير البريئة) و (شر البريئة) بالهمز . وحجتهما أنه من « برأ الله الخلق يبرؤهم بَرْءاً » والله البارىء ، والخَلْق يُبْرؤون ، و « البريئة » : فعيلة بمعنى مفعولة كقولك « قتيل » بمعنى مقتول . وقرأ الباقون : (خير البرية) بغير همز ، وهو من « برأ الله الخلق » إلا أنهم خففوا الهمزة لكثرة الاستعمال . يقولون : هذا خير البريّة وشر البرية ، وإن كان الأصل الهمز[5] .

---

(١) الغريب المصنف : ٦٥٧ وما بعدها .

(٢) الكتاب : ٣/٥٥٥

(٣) الدكتور عبده الراجحى : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٠٦

(٤) البينة /٦ — ٧ .

(٥) ابن زنجلة : حجة القراءات ٧٦٩ .

وعن همز كلمة « النبى » فى القراءات القرآنية نتوقف أمام قوله تعالى : (ويقتلون النبيين بغير الحقّ)(٦) ؛ فقد قرأ نافع : (ويقتلون النبئين) بالهمز من « أنبأ » ؛ أى أخبر عن الله ، كما قال جل وعز : (من أنبأك هذا)(٧) ؛ فالنبى ﷺ ينبىء ، أى يخبر عن الله تعالى ، والوزن الصرفى لكلمة « نبىّ » هو « فعيل » مأخوذ من « أنبأ » ، وإنما كان الاسم من هذا الفعل « مُنْبِىء » على وزن « مُفْعِل » ، ولكن تم تحويل الصيغة الصرفية من « مُفْعِل » إلى « فعيل » . ويمكن توضيح ذلك كما يأتى :

نبىٌّ ← فعيل

منبىء ← مُفْعِل

وقد استُدِلَّ على أن أصل الكلمة « النبىء » بما ورد فى قول عباس بن مرداس فى مدح المصطفى ﷺ :

يا خاتَمَ النُّبَّاءِ إنك مُرْسَلٌ بالحقِّ ، خير هدى السبيل هداكا

فقال « النبّاء » وهو جمع على وزن « فُعَلاء » ؛ لأن المفرد مهموز :

نبىء ← نُبّاء

أما جمع « نبى » فهو « أنبياء » .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى (النبيين) بغير همز ، والصيغة مأخوذة من « نبا ينبو » ، إذا ارتفع ؛ فيكون « نبىّ » على وزن « فعيل » كما أشرنا ، من الرفعة ، والنبوة : الارتفاع ، وإنما قيل للنبى « نبى » لارتفاع منزلته وشرفه ، تشبيهاً له بالمكان المرتفع على ما حوله . وقد استدل من قرأ بغير همز بأمرين ؛ أولهما أن كل ما فى القرآن الكريم من جميع ذلك على وزن « أفْعِلاء » نحو قوله تعالى : (قل فِلمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين)(٨) ، وفى ذلك الحجة الواضحة على أن المفرد بغير همز :

نبىَ ← أنبياء

---

(٦) البقرة /٦١

(٧) التحريم /٣ .

(٨) البقرة /٩١ .

والأمر الآخر ماروى من أن رجلاً قال للنبي ﷺ « يا نبيء الله » قال : « لستُ نبيء الله ، ولكني نبي الله » ، كأنه كره الهمز[٩]

ثانياً : قلب الهمزة أو العكس : أشارت معاجم الموضوعات إلى بعض الألفاظ التي تستعمل مهموزةً ، وتكون الهمزة مبدلة عن صوت آخر ، أو العكس ، ومن هذه الألفاظ : أسن ـــ وسن /جفاء ـــ جفال /أَنّ ـــ عَنّ /آخيته ـــ واخيته /الثلاثاءات ـــ الثلاثاوات /الغياَّة ـــ الغياية[١٠] .

وأشارت تلك المعاجم إلى الواو المضمومة التي تُقلب همزة . قال تعالى : (وإذا الرسل أُقّتتْ)[١١] . فقد قرأ أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) بالواو (وُقّتَتْ) على الأصل ، لأنها « فُعّلت » من الوقت مثل قوله تعالى : (ووُفيت كل نفس)[١٢] . وقرأ الباقون (أُقّتت) وحجتهم في ذلك خط المصاحف بالألف . فمن همز فإنه أبدل الهمزة من الواو لانضمام الواو ، وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمةً جاز أن تبدل منها همزة[١٣] ، ولذلك قال بعضهم : « اللهمَّ حيِّ الأُجوه » يريد « الوجوه » ، وقالوا في « الوُجنة » وهي مانتأ من الوجه « الأجنة »[١٤] ، ومن هنا فقد قال ابن جنى إن الواو إذا انضمت ضماً لازماً ، فهمزها جائز[١٥] .

وقد أشار أبو زيد الأنصاري إلى أن استعمال « وسن » بدلاً من « أسن » لهجة بني كلب ، وشذ بعضهم واستعملها بالهمزة ، وأشار ابن جنى إلى أن همز الواو المضمومة لهجة خاصة ببني عكل[١٦] . أما قلب الهمزة إلى العين

(٩) حجة القراءات . ٩٩ و ١٠٠ ؛ وانظر (السبعة في القراءات) لابن مجاهد ١٥٧ وقد نقل البنا الدمياطي هذا الحديث وقال : « أخرجه الحاكم عن أبي ذر وصححه ، وفيه أن الرجل أعرابي ، وأن أبا عبيد علل إنكار النبي بعدول الأعرابي عن الفصحى ، وأن مقتضى ذلك جواز الوجهين لغة » . إتحاف فضلاء البشر : ٥٨ .

(١٠) الألفاظ ذُكرت في : المطر ١١٤ ؛ وكتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري : ٣٠ و ١١٠ ؛ وخلق الإنسان للأصمعي : ١٦٣ ؛ والألفاظ ٤٦٨ وما بعدها ؛ والأيام والليالي والشهور ٣ و « الغياية » : ظل السحابة .

(١١) المرسلات /١١ .

(١٢) آل عمران /٢٥

(١٣) حجة القراءات : ٧٤٢ و ٧٤٣ .

(١٤) الألفاظ : ٦٧٣ ؛ وخلق الإنسان : ١٧٦ .

(١٥) المحتسب : ١ /٤٨ .

(١٦) الخصائص : ٣ /٢٠٧

فتلك لهجة بنى تميم ، وإليها أشار الأصمعى فى قوله : « قال ذو الرمة :

أأنْ ترسَّمْتَ من خرقاءَ منزلةً ماءُ الصبابةِ من عينيك مسجومُ

وبعضهم يرويه : أعَنْ ترسمت ، بقلب الهمزة الثانية عيناً »(١٧) . وأضاف ابن فارس : « وقلب الهمزة عيناً يسمى العنعنة(١٨) وهى لهجة بنى تميم ، يقولون : سمعتُ عَنَّ فلاناً قال كذا ، يريدون : أنَّ »(١٩) .

ثالثاً : مدّ الهمزة وقصرها : توقف ابن السكيت أمام مد الهمزة وقصرها فى ضوء الأقوال والأمثال التى وردت عن العرب ، فقد توقف أمام قولهم : « سِكّة مأبورة ومهرة مأمورة » ، وأشار إلى أن « مأمورة » من أمرها الله ، أى كثرها ، والأكثر « آمرها » ، واستدل على ذلك بالقراءة القرآنية : (وإذا أردْنا أن نُهلكَ قريةً آمَرْنا مترفيها)(٢٠) بالمد فى (أمَرْنا) وهى قراءة يعقوب ابن اسحق الحضرمى (ت ٢٠٥ هـ)(٢١) ، وقرأ الباقون بقصر الهمزة(٢٢) .

رابعاً فى التراكيب النحوية : عقد ابن السكيت باباً عنوانه : « ما تكلمت به العرب من الكلام المهموز فتركوا همزه ، فإذا أفردوه همزوه ، وربما همزوا ماليس بمهموز »(٢٣) ، وقد أقام دراسته فى ضوء الأقوال التى وردت عن الأعراب والأعرابيات مع الاستشهاد بالقرآن الكريم والشعر . وأشار ابن السكيت إلى بعض التراكيب النحوية التى تكلمت بها العرب فهمزوا ألفاظها ؛ لأنها كانت مجتمعة ، وأشار إلى عكس ذلك أيضا ، ومن هذا : « قيل لامرأة من العرب : ما أذهب أسنانك ؟ قالت : أكلُ الحارِّ وشرب القارِّ ، بالهمز ، لأن « الحار » و « القار » اجتمعتا معاً

وهناك كلمات إذا اجتمعت سقط عنها الهمز ، فالعرب تقول : هنانى الطعامُ ومرانى ، ولا يتكلمون بـ « مرانى » إذا كان مع « هنانى » إلا بغير الهمزة ،

(١٧) خلق الإنسان . ١٦٣ ، وديوان ذى الرمة : ٥٦٧ .

(١٨) للتعرف على تلك اللهجة بالتفصيل انظر كتابنا : (فقه اللغة وعلم اللغة) ٢٧٨ — ٢٨٠ .

(١٩) الصاحبى ٥٣ .

(٢٠) الإسراء/١٦

(٢١) غاية النهاية فى طبقات القراء : ٢ /٣٨٦ .

(٢٢) النشر فى القراءات العشر ٢ /٣٠٦ .

(٢٣) الألفاظ ٦٧٢ وما بعدها

فإذا أفردوا قالوا . أمراني ، ولم يقولوا : مراني إلا مع هناني . ويقولون : لك الفدا والحما ، مقصور ، إذا كان مع « الحما » لاغير ، فإذا أفردوها قالوا : فداءٌ لك ، وفداءً لك ، وفداءِ لك .

* * *

تكرار الأصوات المفردة

احتوت الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) على مجموعة من الأمثال[1] والأقوال المأثورة الواردة عن القدماء من العرب . وتعد الأمثال النموذج النثرى الوحيد الذى اطمأن العلماء إليه فى صحة الاستشهاد به ؛ لذلك يعتمد دارسو اللهجات عليها اعتماداً كبيراً ؛ لأنها لغة المتكلم الفطرى الذى يطلقها حين سماع حادثة من الحوادث ، دون أن يفكر فيما يقوله . ومما يتصل بالأمثال ما أفرده العرب بالتأليف تحت عنوان « الإتباع والمزاوجة » ، وسنتوقف أمامه بعد ذلك .

وإذا نظرنا إلى الأمثال العربية القديمة وتدرجنا معها من المثل الطويل المسهب كمثل الخرافة ، إلى الإشارة المَثَلية الموجزة ، وجدنا أن أسلوبها المسهب أميل إلى التسوية والتلاصق ، تكثر فيه الفواصل ، والقفزات السريعة ، والحروف العاطفة الخفيفة كالواو والفاء ونحوها ، ولا يلجأ المثل إلى التركيب إلا فى القليل[2] . ويؤدى التجاور بين الأصوات وتكرار ما هو مفرد منها إلى القوة حين الأداء الصوتى للمثل أو القول المأثور ، كما يمنحه جرساً وموسيقى . ومن هذه الأمثال والأقوال ما يأتى :

١ــ أنا ثَئِق ، وصاحبى مَئِق ، فكيف نتفقُ[3] .

٢ــ سِبَحْلَة ، رِبَحْلة ، تنمى نبات النخلة[4] .

(١) الأمثال جمع « مثل » ، وهو جملة من القول مقتطعة من كلام ، أو مرسلة بذاتها ، تنقل عمن وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير . انظر : المعجم الوسيط ٢ / ٨٥٤

(٢) الدكتور عبد المجيد عابدين : الأمثال فى النثر العربى القديم ٩٩

(٣) الألفاظ : ٧٩ ، ومعنى المثل : أنا ممتلىء غضباً ، وصاحبى سيىء الخلق ؛ فلا اتفاق بيننا . انظر (الفاخر) للمفضل بن سلمة ٣٠

(٤) الإبل : ١١٢ ، والقول لامرأة من العرب تنعت ابنتها

٣ــ اللهمَّ اقتلهم بدداً ، وأحصهم عدداً ، ولا تذر منهم أحداً (٥) .
٤ــ خير النساء البيضاء ، البلهاء ، القعود بالفناء ، الملوء للإناء(٦) .

وفى المثل الأول نجد تكراراً لصوت القاف فى « تئق » و « مئق » و « نتفق » ، ثم صوت الهمزة فى الكلمتين الأولى والثانية . وتكرر هذه الصوت ؛ أى الهمزة فى المثل الأخير . وفى المثل الثانى تكرر صوت اللام ، ثم فى « سبحلة » و « ربحلة » اتفقت الكلمتان فى جميع أصواتهما ما عدا صوتاً ، فكان السين فى الأولى ، والراء فى الأخرى . وتكرر فى المثل الثالث صوت الدال فى « بدداً » و « عدداً » و « أحداً » ، ثم تكرر مرتين فى الكلمتين الأولى والثانية .

وقد قصد العرب إلى أن تتفق الكلمات فى بعض أصواتها ؛ حتى تتحقق للكلام الموسيقى حين الأداء اللغوى له ؛ بل كانوا يبدلون الصوائت القصيرة Short Vowels ويضعون بعضها مكان بعضه الآخر طلباً لتلك الموسيقى ، والدليل على ذلك ما جاء حول المثل : « جاء بالطِّمِّ والرِّمِّ » من أن « الطَّم » البحر ، وإنما كسرت الطاء فى هذ المثل لمجاورة الرِّم(٧) . وكانوا يحولون الفعل من المبنى للمعلوم Active إلى المبنى للمجهول Passive للمحافظة على السجع ، ومن ذلك : « من طابتْ سريرتُه ، حُمِدَتْ سيرتُه » ؛ أى حَمَدَ الناس سيرتَه ، وتم بناء الفعل للمجهول لجلب الضمة لكلمة « سيرة »(٨) .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى ما يسمى عند العرب بـ « الإتباع » ، وقد عرّفه ابن فارس بقوله : « أن تتبع الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويِّها إشباعاً وتأكيداً »(٩) . ومن هُنا فالإتباع أن يكون لدينا كلمتان وفائدة الثانية منهما تزيين اللفظ ، وتوكيد المعنى ، وتثبيت الكلام فى نفس القارىء والسامع ؛

---

(٥) الألفاظ : ٥٨ .

(٦) السابق : ٣٢١ وما بعدها .

(٧) معنى المثل : أتى بالكثير والقليل ، والطم : الماء الكثير وغيره ، والرم : ما كان بالياً مثل العظم وما أشبهه ممائتقمم . انظر الألفاظ : ٩ وما بعدها ؛ ومجمع الأمثال للميدانى : ١ /١٦٨ وما بعدها .

(٨) انظر كتابنا (المبنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن الكريم) : ١٣ .

(٩) الصاحبى : ٢٧٠ .

لذلك رُوى عن بعض العرب أنه قال عن فائدة الإتباع : « هو شيء نَتِدُ (أى نثبّت) به كلامنا »[10] . ويشترط فى الكلمتين الاتحادُ فى الوزن أو الروى حتى يمكن التوصل إلى الإشباع والتأكيد للدلالة .

وبالنظر فى الكلمة الثانية التى تسمى كلمة « الإتباع » نجدها على ثلاثة أقسام :

١ـ أن تكون ذات معنى يمكن التوصل إليه والتعرف عليه ؛ وذلك نحو « مريئاً » فى قولهم « هنيئاً مريئاً » .
٢ـ أن تكون غير واضحة المعنى ولا بينة الاشتقاق ، إلا أنها كالإتباع لما قبلها ؛ وذلك نحو : عطشان نطشان ، حَسَن بَسَنٌ ، شيطان لَيْطان .
٣ـ أن تكون دلالتها مستخرجة بالنظر فى الكلمة الأولى ؛ وذلك نحو : خبيث نبيث[11] .

أما عن ظاهرة الإتباع فقد وردت فى الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) مجموعة من التراكيب النحوية التى تندرج تحت تلك الظاهرة ، ومن ذلك قول الأصمعى : « ماله هُبَع ولا رُبع ، وماله راغية ولا ثاغية ، ولا عاطفة ولا نافطة ؛ فالعافطة الضائنة ، والنافطة الماعزة . ولا سعنة ولا معنة ، أى ماله قليل ولا كثير ، وماله سَبَدٌ ولا لبد . قال الراعى :

أمّا الفقيرُ الذى كانت حلوبتُه وفقَ العيالِ فلم يُترَكْ له سَبَدُ[12]

وعقد أبو عبيد فى (الغريب المصنف) باباً سمّاه « باب الإتباع » جمع فيه ما ورد فيه عن الأئمة . وهذا نص من الباب : « عَيِيٌّ شَيِيٌّ ، وبعضهم يقول شَوِيٌّ ، وما أعياه وأشياه وأشواه ، وجاء بالعيّ والشيّ . وأحمقُ فاكٌّ تاكٌّ . وضالّ تالّ ، وجاء بالضَّلالة والتَّلالة . وهو أسْوان أتْوان ؛ أى حزين .

---

(١٠) الإتباع والمزاوجة : ٢٨ .

(١١) ذكر للغويين بعض المعانى لكلمة الإتباع ؛ أى الكلمة الثانية ؛ فقالوا عن « نطشان » المعنى : قَلِق ، و « ليطان » : أى لصوق لازم للشر . ونشير إلى أن ابن دريد سأل أبا حاتم السجستانى عن معنى « بَسَن » فقال : لا أدرى ما هو .

(١٢) الإبل : ٧٤ وما بعدها

وسليخ مَلِيخ ؛ أى لا طعم له . وماله ثل وغل ، يدعو عليه . وماله عافطة ولا نافطة ؛ فالعافطة : العنز تعفط : تُضرط ، والنافطة إتباع . وحَظِيت المرأةُ عند زوجها وبظيتْ . ورجل حاذق باذق . وشيء تافه نافه ؛ أى حقير . ورجل سَهْدٌ مَهْدٌ ؛ أى حسن . وما به حَبَضٌ ولا نَبَضٌ ؛ أى ما يتحرك ... »(١٣) .

* * *

(١٣) الغريب المصنف : ٦٣٤ وما بعدها .

الإدغام

قبل الدخول فى العرض للإدغام الذى أشارت إليه الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات ، نتوقف أمام مفهومه عند القدماء والمحدثين من المشتغلين بالدراسات اللغوية .

ويعد ابن جنى أفضل من درس الإدغام من اللغويين القدماء[1] ؛ فقد عرّفه بقوله : « هو تقريب صوت من صوت » ، وقسمه إلى قسمين :

أولاً : الإدغام الأكبر : وهو على ضربين :

١ ـــ تقريب صوت متحرك من صوت متحرك آخر ، وذلك على نحو ما يحدث مع كلمة « وَتِد » التى يصيبها الإدغام فى لهجة بنى تميم ، ويتم قلب التاء دالاً مع إدغامها فى الدال الأخيرة فتتحول إلى « وَدّ » .

٢ ـــ تقريب صوت ساكن من صوت متحرك ؛ فالفعل « قطّع » ـــ مثلاً ـــ الطاء المشددة مكونة من : طاء ساكنة تم إدغامها فى الطاء المتحركة بعدها . وكلمة « سُكَّر » الكاف المشددة مكونة من : كاف ساكنة تم إدغامها فى الكاف المتحركة بعدها . ومن هنا فالكلمتان أصلهما :

قَطْطَعَ ← قَطَّع
سُكْكَر ← سُكَّر

ثانياً : الإدغام الأصغر : وعرّفه ابن جنى بقوله : « تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير ادّغام يكون هناك » . أى إن هذا النوع من الإدغام فيه تقريب الصوت من الصوت وإدناؤه منه ، دون أن يكون هناك أىّ خلط أو ممازجة بين صوتين على نحوِ ما كان مع « الإدغام الأكبر » وقد جعل ابن جنى « الإدغام الأصغر » ضروباً :

١ ـــ الإمالة : وهى أن تميل الفتحة إلى الكسرة ، والألف إلى الياء ؛ وذلك نحو : عَالِم ، وكتاب ، وسَعَى ، وقَضَى ، واستقصى ؛ ألا تراك قرّبت فتحة

---

(١) الخصائص : ٢ /١٣٩ وما بعدها .

العين من « عالم » إلى كسرة اللام منه ، بأن نَحَوْتَ بالفتحة نحو الكسرة ؛ فأملتَ الألف نحو الياء . وكذلك : سعى ، وقضى : نحوتَ بالألف نحو الياء التى انقلبت عنها .

٢ ــ ومن ذلك أن تقع فاء « افتعل » صادا ، أو ضاداً ، أو طاء ، أو ظاء ؛ فتقلب لها تاؤه طاء ، وذلك نحو : اصطبر ، واضطرب ، واطَّرد ، واظطلم ؛ فهذا تقريب صوت من صوت من غير إدغام . ومن هنا فإن الفعل « صبر » ــ مثلاً ــ حين صياغة وزن « افتعل » منه يصبح « اصْتَبَرَ » ثم تقلب تاء الافتعال طاءً فيصبح « اصطبر »[2] .

٣ ــ ومن ذلك أن تقع فاء « افتعل » زاياً ، أو دالاً ، أو ذالاً ؛ فتقلب تاؤه لها دالاً كقولهم : ازدان ، وادّعى ، وادّكر واذدكر فيما حكاه أبو عمرو .

٤ ــ ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صاداً ؛ وذلك كقولهم فى سُقت : صُقت ، وفى السوق : الصوق ، وفى سبقت : صبقت[3] .

٥ ــ ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع الأصوات التى تخرج من الحلق ؛ نحو : شِعِير ، وبِعِير ، ورِغيف . وقد أيّد ابن جنى تلك الظاهرة الصوتية بـ « المصدر البشرى informant » الذى اعتمد عليه كثيراً فى خصائصه وهو أبو عبيد الله الشجرى ؛ فقد سمعه غير مرة يقول : زِئير الأسد ؛ يريد : الزَّئير . وحكى أبو زيد الأنصارى قول العرب : الجنة لِمن خاف وعِيد الله .

---

(٢) يرتبط هذا القلب للتاء طاءً بأربعة من الأصوات ، أطلق عليها القدماء من اللغويين العرب مصطلح « حروف الإطباق » . والمقصود بالإطباق : أن ترفع فى النطق طرف اللسان إلى الحنك الأعلى مطبقاً له ، فيفخم نطق الصوت . انظر كتابنا : الصرف التعليمى والتطبيق فى القرآن الكريم) ٣٠٠ .

(٣) هناك سبعة أصوات أطلق عليها القدماء اسم « حروف الاستعلاء » وهى : الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، الغين ، القاف ، الخاء ، ومعنى الاستعلاء أن تصعد إلى الحنك الأعلى ، إلا أن أربعة منها تستعلى بإطباق وهى : الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء . وتلك الأصوات السبعة تمنع الإمالة . انظر : الكتاب : ٤ /١٣٠ ؛ وشرح المفصل : ٩ /٥٩ ؛ وكتابنا : شرح جمل سيبويه : ٤ /٩٣٥ .

٦ ــ ومن ذلك أيضاً قولهم « فَعَلَ يَفْعَلُ » مما عينه أو لامه حرف حلقيّ نحو : سأل يسأل ، وقرأ يقرأ ، وسعر يسعر(٤) ، وسحل يسحل ، وسبح يسبح ، وذلك أنهم ضارعوا بفتحة العين فى المضارع جنس حرف الحلق لما كان موضعاً منه مخرج الألف التى منها الفتحة .

٧ ــ ومن التقريب قولهم : الحمدُ لُلهِ ، والحمدِ لِلهِ .

٨ ــ ومنه تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم فى مصدر : مزدر ، وفى التصدير : التزدير .

٩ ــ ومن ذلك إضعاف الحركة لتقرب بذلك من السكون ؛ نحو : حَيِيَ ، وأُحْيِيَ ، وأُعْيِيَ ؛ فهو ، وإن كان مُخْفىّ ، بوزنه محركاً .

وينهى ابن جنى حديثه عن الإدغام بقوله : « وجميع ما هذه حالة مماقُرِّبَ فيه الصوت من الصوت جارٍ مجرى الإدغام بما ذكرناه من التقريب . وإنما احتطنا له بهذه السمة التى هى الإدغام الصغير ؛ لأن فى هذا إيذاناً بأن التقريب شامل للموضعين ، وأنه هى المراد المبغِىّ فى كلتا الجهتين ، فاعرف ذلك » .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى ما فى علم اللغة الحديث للتعرف على الإدغام . والحقيقة أنه عالج ذلك فى ضوء مصطلح assimilation الذى يُترجم إلى « المماثلة »(٥) ، وهو مصطلح صوتى المقصود به التأثير الذى يحدثه صوتٌ فى نطق صوتٍ آخر حتى يصبح الصوتان أكثر تشابهاً . وهذا التأثير الصوتى له ثلاثة أنواع :

١ ــ تأثر رجعي Regressive أو Anticipatory : وفيه يتأثر الصوت الأول بالثانى ؛ وذلك كتأثير الصوت P فى الصوت السابق عليه T فى قولهم : hot pig . وكذلك قولهم : ten bikes الذى ينطق tem bikes ، وقولهم in + regular الذى تحول إلى irregular .

---

(٤) سَعَرَ النارَ : أوقدها .

(٥) يقترب مفهوم المصطلح من قول ابن جنى الذى عرّف به الإدغام : « تقريب صوت من صوت » . ولقد أدّت المماثلة دوراً بالغ الأهمية فى التطور الصوتى للغة الفرنسية ، وقد عرفها مؤلفا كتاب Grammaire historique de la langue francaise بأنها صوت أكثر قوة يؤثر فى صوت أكثر ضعفاً ، فيجبه شبيهاً به . انظر ص ٤٧ من الكتاب المذكور ؛ وكتاب : أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٢٣٢ .

٢ ــ تأثر تقدمي Progressive : وفيه يتأثر الصوت الثانى بالأول ؛ وذلك كتأثير الصوت D فى الصوت التالى له S فى قولهم : did she . وكذلك قولهم : lunch score الذى يؤثر الصوت H فى الصوت التالى له وهو S .

٣ ــ تأثر تبادلي Coalescent أو Reciprocal : وفيه يحدث تأثر وتأثير بين صوتين ؛ أى إنه تأثير متبادل ، ونجد مثل هذا فى قولهم : don't you .

وقد أشارت الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات إلى بعض الألفاظ التى حدث إدغام فى بعض أصواتها ، وحلّ صوت فيها مكان آخر ، ومن النصوص المهمة التى أشارت إلى تلك الظاهرة قول الفراء : « يقال : يوم وأيّام ، والأصل : أيْوَام ، ولكن العرب إذا جمعت بين الياء والواو فى كلمة واحدة ، وسُبق أحدهما بالسكون ،قلبوا الواو ياءً وأدغموا وشددوا ، من ذلك قولهم : كويْتُه كَيًّا ، ولويْتُه ليًّا . قال الله عز وجل : (ورَاعِنَا ليًّا بألسنتهم)[٦] ولكن العرب أدغمت الواو فى الياء ؛ لأن أحدهما سُبِق بالسكون . وكذلك أمنية وأربية ، والأصل : أمنوية وأربوية » .

« وحكى الفراء عن أبى ثروان عن العرب : عوى الكلبُ يعوى عيّةً ، والأصل : عَوْيَة . وهذا قياس لا انكسار فيه إلا فى ثلاثة أحرف (يقصد ثلاث كلمات) نوادر ، قالوا : ضيون ، وهو السنور البرى ، والجمع الضياون . قال الشاعر :

ثريدٌ كأنَّ السمنَ فى حجراتِهِ   نجومُ الثريا أو عيونُ الضياونِ

وقالوا : رجاء بن حيوة . وقالوا : خيوان ، لحى من همدان . فجاءت هذه النوادر لم يدغموا الواو فى الياء فى هذه الثلاثة الأحرف ، فلا يقولون : ضيّن ، ولا حيَّة ، ولا خيّان »[٧] .

ويدل هذا النص الذى أخذناه عن الفراء على بعض الحقائق الصوتية ، وهى على النحو الآتى :

١ ــ من قواعد الاستعمال الصوتى للكلمات فى اللغة العربية أنه إذا اجتمع الياء والواو فى كلمة واحدة ، وسبق أحدهما بالسكون ، قلبت الواو ياء مع

---

(٦) النساء /٤٦

(٧) الأيام والليالى والشهور : ١ وما بعدها .

الإدغام والتشديد :

أَيْوَام ←—— أَيَّام

٢ — كلمة « أيّام » وما يشبهها تمر بعدة « عمليات صوتية » حتى تصبح كما هى منتشرة على الألسنة ، وتلك العمليات هى : القلب للصوت ، والإدغام ، والتشديد .

٣ — هناك ثلاث كلمات لم يحدث فيها القلب للصوت مع الإدغام والتشديد ، وتلك الكلمات الثلاث هى : ضيون ، وحيوة ، وخيوان ؛ لذلك حكم عليها الفراء بأنها من « النوادر » ، والنوادر من قولهم : نَدَر الشيءُ يندرُ ندوراً ؛ أى سقط وشذّ .

٤ — ويدل عدم الإدغام لتلك الكلمات الثلاث ؛ أى عدم استعمال : ضيّن ، وحيّة ، وخيّان ، على أن الإدغام يرتبط فى بعض جوانبه بالسماع عن العرب .

بقى أن نشير إلى أن الإدغام ينسب إلى تلك القبائل التى كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، ومعظمها قبائل بادية تميل إلى التخفف والسرعة فى الكلام ، كما نستطيع أن ننسب الإظهار إلى بيئة الحجاز المتحضرة ، وهي تميل إلى التأنى فى الأداء ؛ بحيث تُظْهِر كل صوت فيه(٨) .

★ ★ ★

الزيادات فى الأسماء من غير أصواتها

عقد أبو عبيد فى (الغريب المصنف) باباً يدور حول « الزيادات فى الأسماء من غير حروفها » ، أشار فيه إلى بعض الكلمات التى يضاف إليها « صوت النون » ؛ أى إنه « لاحقة » Suffix ، وقد نقل فيه عن الأصمعى قوله : « زادت العربُ النونَ فى أربعة أحرف (أى كلمات) من الأسماء . قالوا : « رَعْشَن » للذى يرتعش ، وللضيف « ضَيْفَن » ، وامرأة « خِلَبْن » وهى الخرقاء ، وليس من الخلابة ، وناقة « عِلَجنْ » وهى الغليظة المستعلجة

(٨) انظر المحتسب : ١ /١٩٨ ؛ واللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس : ٥٦ .

الخلق »[1] . وقد وردت هذه الاستعمالات فى الشعر . قال رؤبة :

وخلّطت كل دلاّثٍ علجنْ تخليطَ خرقاءِ اليدين خلبنْ[2]

وقال الشاعر :

من كلِّ رعشاءِ وناجٍ رعشن يركبْنَ أعضاءَ عتاق الأجفنْ[3]

وقال الشاعر :

إذا جاء ضيفٌ جاء للضيف ضيفنٌ فأودى بما تقرِى لضيوف الضيافن[4]

ويرى الخليل أن إدخال النون فى « رعش » بدل من الألف التى أُخرجت من « أرعش » ، وكذلك « الأصيد » من الملوك يقال له « الصَّيدن » ، ويقال : بل الصيدن الثعلب . والرعشن بناء على حدة على وزن « فَعْلَن »[5] .

* * *

الإحلال بين الصوائت القصيرة

هنا بعض الألفاظ التى يصيبها تغيير فى ضبط أحد أصواتها المفردة ، دون أن يتغير المعنى ، ومن ذلك كلمة « سقط » التى تدل على الولد الذى ألقته المرأة لغير تمام ، وتضبط الكلمة بضم السين وفتحها وكسرها . أى إن السين احتملت ثلاثة من الصوائت القصيرة ، حدث بينها « إحلال » Replacement والدلالة واحدة . ولعله من المفيد الإشارة إلى أن هذا الإحلال يتبعه ــ أحياناً ــ تغير المعنى على نحو ما يحدث فيما اصطلح العلماء على تسميته بـ « المثلث » . فما المقصود بذلك ؟ .

يقصد بالمثلث أن يكون لدينا لفظ تختلف حركة فائه أو عينه أو الاثنين معاً ، وهذا يؤدى إلى إنتاج دلالة جديدة كما فى المثال الآتى :

---

(١) المعرب المصنف : ٦٥٣ .

(٢) ديوان رؤبة : ١٦٢ .

(٣) العين : (رعشن) .

(٤) الألفاظ : ٦١٧ .

(٥) العين : (رعشن) .

١ ـــ الجَنَّة : البستان .
٢ ـــ الجِنَّة : الجِنّ ، أو الملائكة ، أو الجنون .
٣ ـــ الجُنَّة : الدرع ، أو الستر .

وقد عرفه قطرب بقوله : « اسم يُرى فى الكتابة واحداً ، ويُصرف على ثلاثة أوجه »[١] . وعرّفه ابن السِّيد البطليوسى (٤٤٤ ـ ٥٢١ هـ) : « ما اتفقتْ أوزانه وتعادلت أقسامه ، ولم يختلف إلا بحركة فائه فقط ... أو بحركة عينه ... أو كانت فيه ضمتان تقابلان فتحتين وكسرتين ...[٢] » . ولكن هناك بعض الكلمات التى تندرج تحت المثلث دون أن يتغير المعنى ، مثل : البَرْكَة ، والبِرْكَة ، والبُرْكَة ومعناها : جماعة من الناس يسألون فى الدية[٣] . ونحاول تقديم بعض الأمثلة التى يتأثر فيها المعنى باختلاف ضبط الكلمة ، وهى كما يأتى :

١ ـــ الطَّرْف ، الطِّرْف ، الطُّرْف : « الطَّرْف ... مصدر طَرَفَ بعينه يطرف ، إذا حرّك جفنيها ، وتسمى العين نفسها طَرْفاً ، سُمِّيت بالمصدر الذى هو فعلها . قال جرير :

إنَّ العيونَ التى فى طَرْفِها مرضٌ قتلْنَنا ثم لم يحيين قتلانا

والطَّرف : مصدر طَرِفَتْ عينُ الرجل : إذا أصابه فيها شىء فدَمِعَتْ . ويقال : امرأة مطروفة ، بينة الطرف ، إذا كانت تنظر إلى الرجل . قال الحطيئة:

وما كنتُ مثل الهالكىّ وعرسِه بَغَى الوُدَّ من مطروفةِ العينِ طامح

والطِّرْفُ ... الكريم الطرفين من الرجال وغيرهم ، فإذا كان من الرجال جُمِعَ أطرافاً ، وإذا كان من غير الرجال جُمع طروفاً ... قال الشاعر فى الأطراف :

عليهن أطرافٌ من القومِ لم يكن طَعامُهم حباً بزغبة أسمر[٤]

وقال الشاعر فى الطروف :

(١) قطرب : المثلث (المقدمة) .
(٢) ابن السيد : المثلث ١ /٢٩٨ .
(٣) الأمالى : ١ /٥٢ ؛ والتاج : (برك) .
(٤) المقصود بالحب الأسمر : العدس .

أجدهم ليس لهم نصيحٌ من الأقوامِ كان بنا عَرُوفاً
فيخبرهم بأنا قد جنينا عِتاق الخيلِ والنُجب الطروفا

... والطَّرف : الحديث من المال . قال الشاعر :

تلومُ على تركِ الغِنى باهليةٌ زَوَى الدهرُ عنها كلَّ طِرفٍ وتالد

والطَّرف من الرجال : الذى لا يثبت على صحبة أحدٍ لملله . وجمل طِرف : ينتقل من مرعى إلى مرعى . ورجل طِرف : إذا كان حديث الشرف ... .

والطُّرُف ... جمع طِراف ، وهو خِباء من أدَمٍ ... »[٥] .

٢ ــ العَلْمُ ، العِلْمُ ، العُلْمُ : « العَلْمُ ... مصدر : عَلَمْتُ شَفَةَ الرجل : إذا شققتها ... والعِلْمُ.... المعرفة بالشيء ، والعُلْمُ ... جمع الأعلم ، وهو المشقوق الشفة العليا »[٦] .

٣ ــ القَطْفُ ، القِطْفُ ، القُطْفُ : « القَطْفُ ... مصدرِ : قَطَفَ الكرم ، ورؤوس الجراد ، وضربُ الثمار . والقَطْفُ : أن يُقارب الدابةُ خطوها فى المشى مع عجلة . قال الشاعر :

يأيُّها الراكبان الساعيان معاً قُولا لسنبسَ فلتقطفْ قوافيها

والقَطْف أيضاً : الخدش . يقال : قُطِفَ وجهه . قال حاتم الطائى :

فإنك لا تُؤذى بذلكَ جانباً بعيداً ، ولكن وجه مولاك يَقْطِفُ

والقِطْفُ ... ما قُطِفَ من الثمر . والقُطْف ... جمع القطوف من الدواب . والقُطْف أيضاً : أكسية ذات خَمْلٍ ، والواحدة منها قطيفة »[٧] .

ونتعرف على ما فى الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) من الإحلال بين الصوائت القصيرة ، ثم نحاول تعليل وجود تلك الظاهرة فى اللغة .

---

(٥) ابن السيد : المثلث ٢ /٨١ .

(٦) السابق : ٢ /٣٠٥ .

(٧) السابق : ٢ /٣٥٤ .

بين الفتح والكسر :

١ ــ صَرى ، وصِرى : للدلالة على اللبن إذا حفل فى الضرع ، والماء إذا تغير فى القليب ، وقد رُوى قول الراجز :

من كلّ حمراء شــروبٍ للصرّا

بفتح الصاد وكسرها[٨] .

٢ ــ الدَّنى ، والدِّنى : للدلالة على فقار العنق . قال حميد الأرقط :

قد عَضَّ الظِّلــفُ الدَّنيَّـا عضَّ الثِّقافِ الخُرُص الخَطِّىِّ[٩]

٣ ــ المَشْجَر ، والمِشْجَر : خشب الهودج[١٠] .

٤ ــ الحلفاء ، جمع مفردة : حلفة . قال الأصمعى : « حَلِفَة » بكسر اللام ، وغيره بفتحها »[١١] .

٥ ــ رَضَعَ يَرْضَعُ ويَرْضِعُ . قال الأصمعى : « وأنشدنا عيسى بن عمر لعبد الله بن همام السلولى :

وذمُّوا لنا الدنيا وهم يرضَعونها أفاويقَ حتى ما يدر لها ثعلُ[١٢]

٦ ــ المُلْفِج ، والمُلْفَج : الذى قد غلبه الدَّين . قال الشاعر :

ومستلفجٍ يبغى الملاجىءَ نفسَه يعوذُ بجنبىْ مرخة وجلائلِ[١٣]

٧ ــ شَجْعَة ، وشِجْعَة ، جمع مفرده : شجاع . قال طريف بن تميم العنبرى :

حولى فوارسُ من أُسيدٍ شِجعة وإذا حللتُ فحول بيتى خضمُ[١٤]

٨ ــ الحَظلان ، والحِظلان مشى الغضبان . قال الشاعر :

---

(٨) البعر : ٦٧ : ٦٧ ؛ واللبأ واللبن : ١٤٣ ؛ والألفاظ : ٥٣٤ .
(٩) خلق الإنسان : ١٩٨ .
(١٠) الرحل والمنزل : ١٢٣ .
(١١) النبات والشجر : ٥٦ .
(١٢) الإبل : ٨٢ .
(١٣) الألفاظ : ١٨ .
(١٤) السابق : ١٧١ .

تعيّرنى الحِظْلاَنَ أمُّ محلِّمٍ فقلتُ لها : لم تقذفينى بدائيا

وقال المرّار العدوى :

وحشوتُ الغيظ فى أضلاعه فهو يمشى حظلاناً كالنقر[١٥]

٩ ــ طَبِعٌ ، وطَبَعٌ : للدلالة على تلطخ العرض وتدنسه . قال ثابت قطنة :

لا خيرَ فى طمعٍ يدنى إلى طَبَعٍ وغفةٌ من قوامِ العيش تكفينى[١٦]

بين الفتح والضم :

١ ــ الفَوَاق ، والفُوَاق : للدلالة على الدرة بعد الحلب ، وقد جاء فى الحديث أن النبى المصطفى ﷺ قَسَّم الغنائم يومَ بدرٍ عن فُواقٍ . وقال الأعشى وذكر ظبية ترضع ولدها :

ما تجافى عنه النهارَ وما تعجوه إلا عفافةٌ أو فواق[١٧]

٢ ــ الزَّهْو ، والزُّهْو : للدلالة على الحمرة التى تظهر فى النخل[١٨] .

٣ ــ الصَّلْب ، والصُّلْب ، وهو من أجزاء الظهر . قال العجاج :

فى صَلَبٍ العنان المؤدمِ وكفلٍ بنحضه ملكَّمِ

وفى حديث سعيد بن جبير : « فى الصُّلب الدية »[١٩] .

٤ ــ كَثار ، وكُثار ، للدلالة على العدد الكثير من الناس داخل الدار ، وكذلك الكثرة فى الحيوان[٢٠] .

٥ ــ نَمْلَة ، ونُمْلَة : يقال : فيه نملة ونُملة ؛ أى كَذِبٌ . قال أبو الورد الجعدى :

---

(١٥) السابق : ٣٠٤ وما بعدها .

(١٦) السابق : ٤٣٧ .

(١٧) اللبأ واللبن : ١٤٣ ؛ واللسان (فوق) ؛ والإبل : ٨٢ ؛ وديوان الأعشى : ٢١١ .

(١٨) النخل والكرم : ٦٧ .

(١٩) خلق الإنسان : ١٦٥ ؛ وإصلاح المنطق : ٨٦ ؛ وديوان العجاج : ٢٩٢ وما بعدها ؛ واللسان (صلب) .

(٢٠) الألفاظ : ٤٠ .

ألاَ لَعَنَ اللهُ التى رُزِقت به فقد ولدتْ ذا نملةٍ وغوائلِ[٢١]

٦ ــ الطَّنف ، والطُّنف : للدلالة على السقيفة تُشرع فوق الباب . قال الأفوه الأودى :

سُودٌ غدائرُها بلجٌ محاجرها كأنَّ أطرافَها لمّا احتلى الطُّنُفُ[٢٢]

٧ ــ عَقَام وعُقَام: للدلالة على المريض الذى لا يبرأ . قالت ليلى الأخيلية :

شفاها من الداء العُقامِ الذى بها غلامٌ إذا هَزَّ القناةَ تلينُ[٢٣]

٨ ــ وَبَطَ ، ووَبُطَ : للدلالة على الرجل إذا ضعف . قال الكميت :

فأىٌّ ما يكنْ يكُ وهو منّا بأيدٍ ما وَبطْنَ وما يدينا[٢٤]

بين الكسر والضم :

١ ــ بِسْط ، وبُسْط : للدلالة على الناقة إذا تُركت مع ولدها ، ولم تُعطف على غيره . قال أبو النجم :

بلهاء لم تُحفظ ولم تُضيَّع
يدفعُ عنها الجوعَ كلَّ مدفع
خمسون بُسطاً فى خلايا أربع

وقال الشاعر :

متابيعُ بُسطٌ متئماتٌ رواجعٌ كما رَجَعَتْ فى ليلها أمُّ حائلِ[٢٥]

٢ ــ الخِشَارم ، والخُشارم : للدلالة على الصوت[٢٦] .

٣ ــ صِرَاح ، وصُرَاح : للدلالة على الكذب البين الذى يعرفه الناسُ[٢٧] .

---

(٢١) السابق : ٢٦١ ؛ واللسان : (نمل) .

(٢٢) الرحل والمنزل : ١٢٧ ؛ واللسان : (طنف) .

(٢٣) الألفاظ : ١١٣ .

(٢٤) السابق : ١٤٠ .

(٢٥) الإبل : ٨٣ وما بعدها ؛ واللسان (بسط) .

(٢٦) الغريب المصنف : ٢٨ .

(٢٧) الألفاظ : ٢٦١ .

بين التسكين والتحريك والتخفيف والتشديد :

١ — النَّهْر ، والنَّهَر . قال أبو ذؤيب :

أقامتْ به فابتنتْ خيمـــةً على قَصَبٍ وفراتٍ نَهَـــر

٢ — القَشَم ، والقَشْم : للدلالة على البُسْر الأبيض الذى يؤكل قبل أن يدرك ، وهو حلو(٢٨) .

٣ — سَبْط ، وسَبِط : للدلالة على الشعر الجعد الكثيف . قال الشاعر :

ومن يأتِهِ من سائلٍ ذى قرابةٍ يجدْ سَبِطَ الكفّين أروعَ ماجدَا(٢٨)

٤ — العَجْر ، والعُجُر : تعقد العروق والعصب حتى تراها ناتئة من الجسد . قال عنترة :

أبنـــى زبيـــنةَ مالمهــــركم متخدداً وبطـونكم عُجُرُ(٣٠)

٥ — كذب كِذَاباً وكِذَّاباً . قال الأعشى :

فصـدقْتُـــه وكذبْتُـــهُ والمرء ينفـعُـــه كِذَابُـــه(٣١)

٦ — خَوَان ، وخَوَّان : اسم لشهر ربيع الأول . قال الشاعر :

وفى النصفِ من خَوَّانَ ودَّ عدوُّنا بأنه فى أمعاءِ حوتٍ لدى البحرِ(٣٢)

٧ — يقال : وَدَسَت الأرض وَدْساً ، ووَدَّست توديساً حسناً : وذلك فى أول ما يظهر نباتُها . قال الشاعر :

كأنّ قتودى فوق طاوٍ خلاله ببينونةِ القصوى عذابٌ مودِّسُ(٣٣)

٨ — غيث جُوَر وجُوْر : إذا طال نبتُه وارتفع . قال جندل بن المثنى :

يارَبُّ ربُّ المرسـلينَ بالسُّوَرْ
بحكيم الفرقـان تُتلى والزُّبُـــر

(٢٨) مقاييس اللغة (نهر) ؛ وديوان الهذليين : ١ /١٤٦ ؛ والنخل والكرم : ٦٨ .

(٢٩) خلق الإنسان : ١٧٢ .

(٣٠) الغريب المصنف : ٦٣٧ ؛ ومقاييس اللغة : (عجر) .

(٣١) الألفاظ : ٢٦١ ، والبيت غير موجود فى ديوان الأعشى .

(٣٢) الأيام والليالى والشهور : ١٧ وما بعدها .

(٣٣) النبات والشجر : ٢٠ .

لا تسقه صيبَ عزّافٍ جُؤَرْ(٣٤)

٩ ــ الصُّرَب ، والصَّرَب : للدلالة على اللبن إذا حُقن أياماً حتى اشتد حمضه(٣٥) .

١٠ ــ يقال : يوم الجُمْعَة والجُمُعَة(٣٦) .

وبعد هذا العرض لبعض الألفاظ التى عالجها القدماء فى ضوء ما اصطلحوا على تسميته بالمثلثات ، والعرض للألفاظ التى تتفق دلالتها على الرغم من الاختلاف فى ضبط أحد أصواته المفردة نشير إلى أنه يؤدى الاستعمال اللهجى دوراً مهماً فى تعليل الاختلاف فى بنية الكلمة خلال « اللغة المنطوقة » Spoken language ؛ فهناك بعض الكلمات التى استعملها أهل الحجاز بالكسر فى حين أن قيساً وتميماً يستعملونها بالفتح ، فيقول الحجازيون « رَضِع يرضِع » ــ مثلاً ــ ويقول أهل قيس وتميم : « رَضَعَ يرضَعُ » . وكان القيسيون يستعملون الضم فى حين أن سواهم يستعمل الفتح ؛ فيقولون : « فى الدارِ كُثارٌ من الناس ، وغيرهم : كِثار » . وأن أهل الحجاز كانوا يستعملون الضم حين كان الفتح هو لهجة سواهم ؛ فيقال للنخلة إذا ظهرت فيها حمرة : « قد أزهى النخل ، وهو الزَّهْو ، وفى لغة أهل الحجاز : الزُّهْو » . وحول التسكين والتحريك قال ابن جنى : « إن لغة أهل الحجاز فى غير العدد نظير عشرة : عَشِرة ، وأهل الحجاز يكسرون الثانى ، وبنو تميم يسكنونه ؛ فيقول الحجازيون : نَبِقة وفَخِذ ، وبنو . تميم تقول : نَبْقَة ، وفَخْذ » ، وقال أيضاً : لقد رأيت كثيراً من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبداً لولا حرف الحلق ، وهو قول بعضهم : نَحَوَهُ ، يريد : نَحْوَهُ ، وهو ما لا توقف فى أنه أمر راجع إلى حرف الحلق ؛ لأن الكلمة بُنيت عليه البتة »(٣٧) . وكان أهل تهامة يخففون الصوت المشدد ، وقد قُرىء قوله تعالى : (وبشّر الذين

---

(٣٤) السابق : ٢٢ وما بعدها .

(٣٥) اللبأ واللبن : ١٤٧ .

(٣٦) الأيام والليالى والشهور : ٤ .

(٣٧) انظر : الإبل ٨٢ ، والألفاظ : ١٤٠ ، والنخل والكرم : ١٦٧ ، والمحتسب ١ /١٨٥ و ١٤٣ و ١٦٧ .

آمنوا وعملوا الصالحاتِ ﴾[٣٨] بتخفيف (بشّر) ، ونسب أبو حيّان تلك اللهجة إلى أهل تهامة[٣٩] .

ومن هنا فإن تحريك الساكن يُنسب إلى أهل الحجاز وعقيل ، والتسكين ينسب إلى تميم ، وتخفيف المشدد ينسب إلى أهل تهامة .

* * *

وبعد هذا العرض لما فى الرسائل اللغوية ، و (الغريب المصنف) لأبى عبيد ، و (الألفاظ) لابن السكيت من الظواهر اللغوية التى تندرج تحت المستوى الصوتى ، نتوقف أمام ما فى تلك الأعمال من ظواهر تتصل بالمستوى التركيبى ؛ وهو موضوع الفصل التالى .

---

(٣٨) البقرة/٢٥ .

(٣٩) البحر : ١ /٩٨ .

الفصل الثانى
المستوى التركيبى

تمهيد : المقصود بالتركيب فى علم اللغة الحديث :

قبل الدخول فى الحديث عن المادة اللغوية التى اشتملت عليها (الرسائل اللغوية) ، و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ، نتوقف أمام مفهوم مصطلح « التركيب » ، ومن أين أتى ؟ وما الظواهر اللغوية التى تندرج تحته ؟ ويتطلب ذلك أن نتوقف أمام مفهوم ثلاثة من المصطلحات اللغوية التى لها رواج معين فى الدرس الحديث . وتلك المصطلحات هى :

1- Morphology
2- Syntax
3- Grammar

ونبدأ بالمصطلح الأول الذى يترجم إلى « علم الصرف » فنشير إلى أنّ « علم الصرف » **Morphology** يهتم بدراسة بنية الكلمة فى ضوء ما يطلق عليه « المورفيم » morpheme الذى يعد أصغر وحدة صرفية ذات معنى .

وقبل الدخول فى تقديم بعض الأمثلة للمورفيمات فى اللغة العربية ، نتوقف أمام بعض الأمثلة فى اللغة الإنجليزية ؛ لأن الحديث عن المورفيم ثمرة من ثمار الدراسات اللغوية المعاصرة . ويمكن توضيحه خلال الأمثلة الآتية :

unhappiness	un - happi - ness
horses	horse - s
talking	talk - ing
yes	yes

ونلاحظ أن المورفيم يكون كلمة واحدة مثل yes ، أو حرفاً واحداً مثل s فى المثال الثانى ، وقد أدّى هذا الحرف وظيفة نحوية هى الدلالة على صيغة الجمع ، ونلاحظ أيضاً أن للمورفيم بعض الوظائف الدلالية مثل un فى المثال الأول التى أدّت معنى النفى .

وهناك كلمات فى بعض اللغات التى تدل على معنى معين ، ويمكن التعرف على هذا المعنى حين تحليلها إلى المورفيمات التى تتكون منها ؛

فالكلمة angyaghllangyugtuq من لغة الإسكيمو Eskimo تعنى بالإنجليزية he wants to acquire a big boat ، ويؤدى التحليل إلى المورفيمات التى تتكون منها دوراً مهمًّا فى التوصل إلى هذا المعنى . فالجزء angya معناه boat ، و ghlla كلمة تم إقحامها تؤدى إلى الزيادة فى المعنى حسب ، و ng تعنى acquire ، و yug تفيد الدلالة على الرغبة ، و tuq تعنى الشخص الثالث المفرد .

وتحليل الكلمات إلى المورفيمات التى تتكون منها ليس أمراً سهلاً على الدوام ، فالأسماء والأفعال الشاذة يُشكّل تحليلها بعض الصعوبات ؛ فكلمة foot حين الإتيان بصيغة الجمع منها تصبح feet ؛ لذلك من الصعوبة التوصل إلى هذا المورفيم الذى أدّى إلى إنتاج صيغة الجمع feet ؛ لأن المتكلم باللغة الإنجليزية قد اعتاد إنتاج صيغة الجمع عن طريق إلحاق s بالكلمة ، حتى إن هذا الإلحاق أصبح قانوناً قياسيًّا . وهناك بعض الكلمات التى يحدث اتحاد أو ارتباط بين كلماتها ، ويساعد التحليل المورفيمى فى التعرف على ذلك ، ويمكن أن نمثل بالكلمة evinden من اللغة التركية التى تعنى فى الإنجليزية From his / her house ، وهى تتكون من ev ومعناها house ، و evi ومعناها his / her / its house ، و evden ومعناها from the house . ويبدو من هذا المعنى أن i علامة على his / her / its ، و den — تعنى from ، وفى تلك الحال يقال إن الربط بين الكلمات هو الذى أدى إلى إنتاج الكلمة evinden .

وهناك بعض التعقيدات التى تتصل بالمورفيمات ؛ إذ إن بعضها له عدة صيغ صوتية وذلك بالنظر للسياق الذى تقع فيه ، والمقصود بالسياق هنا التأثر والتأثير الصوتى الذى ينتج عن اتصال المورفيم بكلمة من الكلمات ؛ ففى الإنجليزية — على سبيل المثال — المورفيم الدال على الزمن الماضى ed - ، يمكن نطقه بثلاث طرق مختلفة اعتماداً على الأصوات التى سبقته ؛ فإذا كان الصوت t أو d ينطق مورفيم الزمن الماضي id كما فى spotted ، وإذا كان الصوت الذى ينتهى به الفعل صامتاً مهموساً ينطق مورفيم الزمن الماضي t كما فى walked ، وإذا كان الصوت الذى ينتهى به صامتاً مجهوراً ، أو صائتاً ينطق مورفيم الزمن الماضى d كما فى rolled . ولعله من المفيد الإشارة إلى أن تلك الصيغ المختلفة للنطق يطلق عليه allomorphs ، أى إنه التنوع الصوتى للوحدة المورفيمية . وإذا كانت الأمثلة السابقة مع الفعل ؛ فهناك أمثلة للاسم المفرد حين جمعه كما

فى books ، والصوت s وهو مورفيم الجمع لم يتغير نطقه ، ولكنه مع doors ينطق z ، ومع buses ينطق iz ... وهكذا .

بقى أن نشير إلى أن هناك مجالين ينحصر فيهما دور المورفيم فى الجملة ، أحدهما يسمى « علم الصرف التصريفى » Inflectional Morphology وهو الذى يتعامل مع تحويل المفرد إلى الجمع ، والفعل الماضى إلى المضارع ، ويرتبط هذا بطبيعة التركيب النحوى للجملة . والآخر يسمى « علم الصرف الاشتقاق » Derivational Morphology وأساس اهتمامه النظر فى الكلمات التى تم اشتقاقها أو توليدها من كلمات أخرى ، دون تدخل النحو ، وذلك نحو اشتقاق drinkable من drink ، واشتقاق disinfect من infect .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى التطبيق فى اللغة العربية للمورفيم خلال بعض الأمثلة التوضيحية ، ويمكن تقديم ذلك كما يأتى :

١ــ حين صياغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثى كما فى « كتب / كاتب ــ درس / دارس ... » تعد الألف ها هنا مورفيماً أدّى وظيفة تصريفية معينة هى الدلالة على مَنْ قام بالفعل ؛ أى اسم الفاعل

٢ــ أحرف المضارعة الأربعة تعد مجموعة من المورفيمات :

كتب : أكتبُ
كَتب : تكتبُ
كتب : نكتبُ
كتب : يكتبُ

تؤدى وظيفة محددة هى الدلالة على الفعل المضارع الذى يحدد زمانه بأنه الحال أو الاستقبال . ولتلك المورفيمات الأربعة فائدة مهمة فى تحديد ضمير الفاعل المستتر :

أكتب : أنا
تكتب : أنتَ / هى
نكتب : نحن
يكتب : هو

٣ــ حين تعريف « الأفعال الخمسة » نقول إنها كل فعل مضارع اتصلت به ألف الاثنين ، أو واو الجماعة ، أو ياء المخاطبة : يكتبان ، تكتبان ، يكتبون ، تكتبون ، تكتبين ، وتلك العناصر مجموعة من المورفيمات ، وإذا حللنا « يكتبان » نجده مكوناً من الياء مورفيم الفعل المضارع ، وألف الاثنين مورفيم الفاعل الدال على أن الفعل من الأفعال الخمسة ، والنون مورفيم دال على أن الفعل مرفوع ... وهكذا مع بقية الأفعال .

ونكتفى بتلك الأمثلة التى تساعد فى التعرف على بعض أنواع المورفيمات فى اللغة العربية . ولعله من المفيد الإشارة إلى أن هناك بعض المورفيمات التى نجد تعقيداً شديداً حتى يمكن التوصل إليها ؛ فإذا أتينا بصيغة الجمع لكلمة « كتاب » نقول إنها « كُتُبٌ » ، ولا نستطيع أن نتعرف على الأصل المقدر the underlying structure الذى أدّى فى النهاية إلى إنتاج « كُتُب » ، وهذا يشبه ما أشرنا إليه فى الإنجليزية حين الإتيان بـ feet جمعاً لـ foot ؛ لذلك نستطيع أن نقول إن صيغ « جمع التكسير » تحتاج إلى دراسة للتعرف على الطرق التى أدت إلى إنتاج الجمع من المفرد .

ونأتى إلى المصطلح الثانى وهو Syntax ، وهو مأخوذ من الكلمة اليونانية Syntaxis التى تعنى بالإنجليزية arrangement ؛ أى الترتيب أو التنظيم ؛ لذلك يترجم Syntax إلى « النظم » ، وهو يهتم بدراسة تركيب الجملة ، وطريقة بنائها ، وعناصرها النحوية . ولما كانت الجملة هى أساس الحديث عن النظم فإننا نحاول التعريف بها فى ضوء علم اللغة الحديث .

يحدد علم النحو الجملة بأنها التعبير التام عن فكرة واحدة ، ولكن الدراسات الحديثة ترفض مثل هذا التحديد ؛ لأنه من الصعوبة بيان المقصود بتلك الأفكار التى يمكن أن تكون كل واحدةٍ منها جملة . إن قولنا An egg ــ مثلاً ــ يعد تعبيراً عن فكرة ، ولكنه لا يعد جملة تامة . ويعد قولنا I shut the door, as it was cold جملة واحدة فقط ، ولكن من السهل تحليله على أنه جملتان .

وتحدد بعض الأنحاء (جمع نحو) التقليدية الجملة تحديداً منطقيًّا ؛ إذ إن الجملة تحتوى على الفاعل أو المبتدأ Topic ، والمسند الذى يُعرَّف بأنه الحكم الذى نصدره على الفاعل أو المبتدأ . وإذا أردنا استعمال مصطلحات المناطقة

نقول إن الجملة تحتوى على الموضوع والمحمول . وهذا التحديد يتناسب تماماً مع بعض الجمل كقولنا : The book is on the table التى يعد فيها the book هو الذى سنصدر عليه الحكم ؛ أى إنه Topic ، ولكن فى بعض الجمل ليس من السهل تحديد ذلك كما فى : It's raining التى تعد جملة ، ولكن ليست لدينا المقدرة على تحديد الفاعل . وكذلك : Michael asked Mary for a pen من الصعب تحديد الفاعل : هل هو Michael ، أو Mary ، أو a pen ، أو هل الكلمات الثلاث هى الفاعل .

ويعد التوصل إلى تحديد مفهوم للجملة سهلاً فى بعض « اللغات المكتوبة » written languages عن طريق الاستعانة بـ « علامات الترقيم » التى تعلمناها فى مدارسنا ؛ لذلك يقال إن الجملة فى اللغة الإنجليزية هى التى تبدأ بحرف كبير وتنتهى بنقطة ، أو نهاية أخرى من تلك التى تندرج تحت علامات الترقيم مثل علامة التأثر (!) أو علامة الاستفهام (؟) . ولكن هناك مشكلة نابعة من تلك اللغات التى لا تستعمل علامات الترقيم كما فى بعض بلاد قارة آسيا ، وحتى بعض اللغات التى تستعملها لا تعد تلك العلامات مرشداً واضحاً يمكن الاعتماد عليه فى تعريف الجملة الذى يقال فيه إنها تنتهى بنقطة أو نهاية أخرى تشبهها فى الوظيفة لا الرسم الكتابى .

ومن الصعوبة تحديد الجملة فى الكلام المنطوق ؛ لأن الوزن والتنغيم اللذين يعدان من ملامح هذا الكلام لا يتناسب استعمالهما فى المكان نفسه الذى نستعمل معه النقطة فى الكتابة .

وقد لاحظنا خلال ما سبق أن التحديدات السابقة لمفهوم الجملة لم تلق قبولاً لدى اللغويين المحدثين الذين يريدون تقديم تعريف صارم لها ، يؤدى إلى بيان وظيفتها اللغوية ، فى ضوء ما تحتويه من تلك الأصوات المفردة التى تتشكل فيما بينها لتكوّن الكلمة ، ومن مجموع الكلمات تتكون الجملة التى يجب أن يكون لها معنى مفيد ؛ لذلك نستطيع أن نقول إن الجملة أساس اللغة . وقد قدم لها علم اللغة الحديث أكثر من مائتى تعريف ، كلها تهدف إلى تحديد هذا البناء النحوى الذى يعد أساس التواصل بين الناس سواء أكان مكتوباً أم منطوقاً ، وقد انتهى اللغويون إلى القول بأن الجملة أكبر وحدة تُطبَّق عليها قوانين النظم ، وهى وحدة لغوية مستقلة ، ومع ذلك فقد وجهوا إلى هذا

التعريف انتقاداً بأنه واسع بعض الشيء . ولعله من المفيد الإشارة إلى أن تعريف الجملة في العربية لا توجد فيه مثل تلك الصعوبات التي سبقت الإشارة إليها ؛ لذلك يقال إن الجملة عند النحاة والبلاغيين الكلام الذي يشتمل على مسند ومسند إليه ، نحو : العلمُ نورٌ ، ونَجَحَ خالدٌ . وتتعدد أشكال الجملة وأنماطها ومكوناتها النحوية ؛ لذلك عرفت اللغات ما يمكن أن نسميه بـ « الأساليب النحوية » كالتعجب ، والاستفهام ، والنداء ، والمدح والذم ، والقسم وسواها . وإذا نظرنا في أسلوب التعجب في العربية نجد النحاة قد توصلوا ، بناءً على استقصاء الأساليب الرفيعة في الشعر والنثر ، إلى أن له تركيبين أساسيين هما : « ما أَفْعَلَهُ » و « أَفعِلْ به » ، ولا يمكن أن يخرج أي نمط تعجبي عنهما، إلا إذا أدرجنا تحته التعجب بالقرينة؛ إذ إن هناك بعض التراكيب النحوية التي لها الدلالة على التعجب دون أن تكون ضمن التركيبين اللذين أشرنا إليهما. قال تعالى: (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم)[1]، وقال النبي المصطفى ﷺ : « سبحان الله ! إن المؤمن لا ينجس حيًّا ولا ميتاً » ، وقالت العرب : « لله درُّه فارساً » .

نأتي ، بعد هذا العرض لمفهوم الجملة ، إلى الأوجه التي تحلل الجملة في ضوئها ، ونبدأ بما يندرج تحت « التسلسل Hierarchy » ، والمقصود بالتسلسل تصنيف الجمل إلى العبارات والكلمات والمورفيمات ، ويمكن توضيح ذلك خلال الجمل : Hilary couldn't open the windows . إن أول خطوة في تحليل الجملة هو النظر في الكلمات والمورفيمات التي تتركب فيما بينها ، وفي الجملة التي بين أيدينا يمكن تقسيمها كما يأتي :

Hilary / couldn't open / the windows

ويطلق على couldn't open مصطلح « العبارة الفعلية » ؛ لأن الفعل هو أساس تركيبها ، ويطلق على the window مصطلح « العبارة الاسمية » ؛ لأن الاسم أساس تركيبها ، وكلا العبارتين صالح للتحليل إلى الكلمات التي تكون كلاً منهما ، نحو :

couldn't + open   the + windows

---

(١) البقرة / ٢٨ .

ويتم تحليل تلك الكلمات إلى المورفيمات ، نحو :

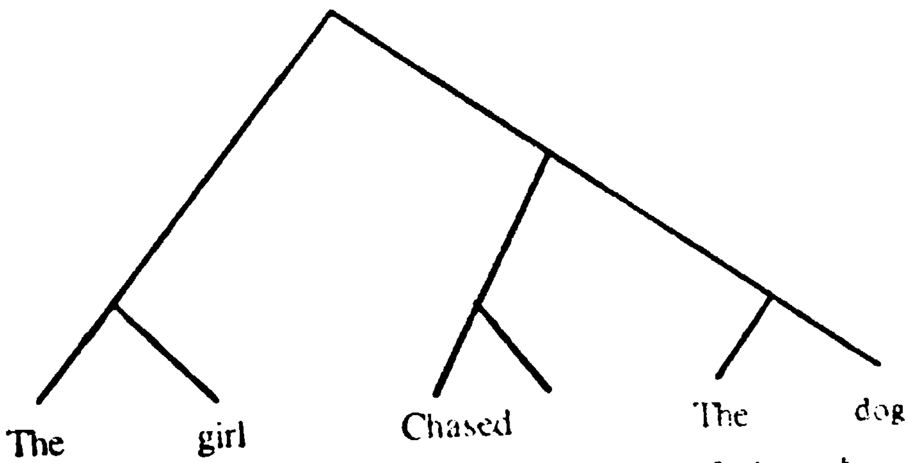
could + n't window + s

ويمكن توضيح التحليل التسلسلى خلال الشكل الآتى :

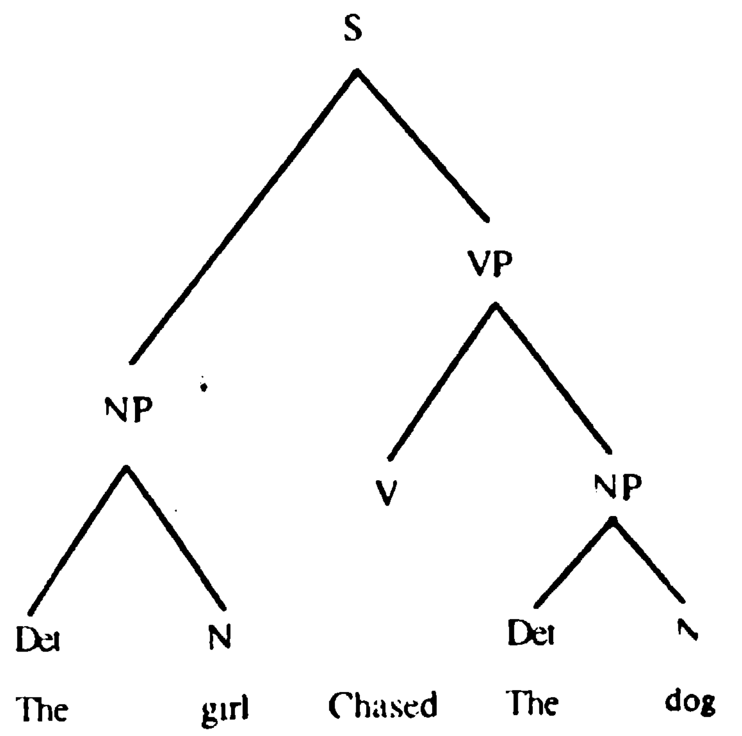
sentences	sentences
are analysed into	are used to build
clauses	clauses
are analysed into	are used to build
phrases	phrases
are analysed into	are used to build
words	words
are analysed into	are used to build
morphemes	morphemes

ويدل هذا الشكل على أن الجملة هى الأساس فى التحليل الذى يتبع التسلسل على أن نبدأ بالجمل حتى نصل إلى المورفيمات التى تعد أصغر وحدة فى التركيب النحوى ؛ لأنها أساساً لا شكل نحوى لها . والجمل هى الوحدات العليا لهذا التحليل ؛ لأنه لا توجد وحدة نحوية أكبر من الجملة .

ومن طرق تحليل الجملة ما يسمى بالتحليل إلى « المكونات الأساسية المباشرة » immediate constituent ، ويعتمد هذا التحليل على استعمال الرسم المشجَّر ويسبق هذا الرسم عدة خطوات يمكن اتباعها للتحليل ؛ فإذا أردنا تحليل الجملة : The girl chased the dog نبدأ بتقسيمها إلى القسمين الجوهريين وهما : The girl ، و chased the dog ، ثم نحاول الاستمرار فى التقسيم لهذين القسمين الجوهريين حتى نصل إلى المكونات الأساسية المباشرة التى تعد الأساس فى بناء تلك الجملة ، ويمكن استخدام الرسم المشجر لتوضيح ذلك :



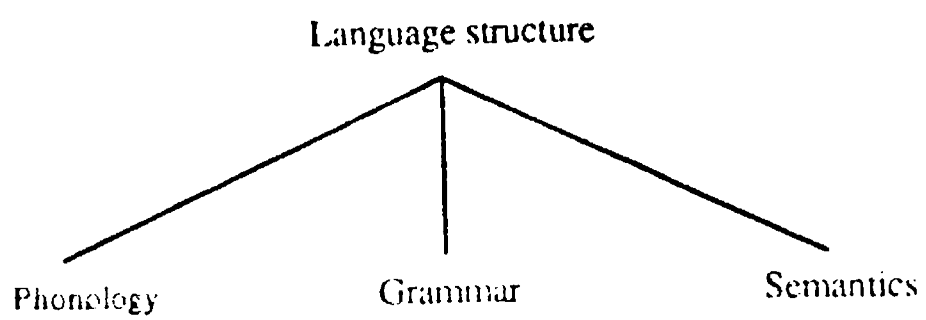
ثم نحاول تحليل العبارات بعد تحليل الجملة ، كما فى الشكل المشجر الآتى :

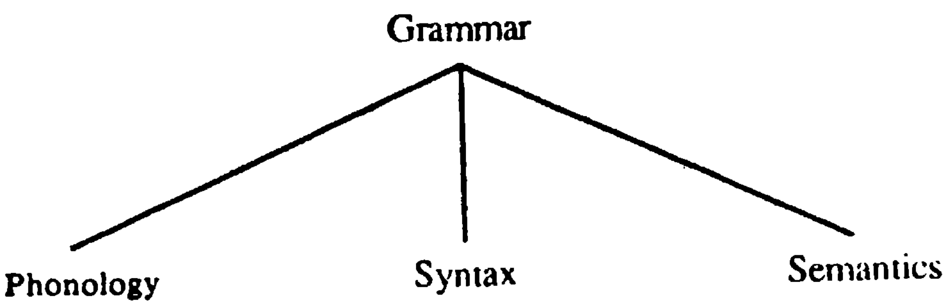


ويمكن صياغة بعض القوانين التي نستخرج من هذا التحليل

S	→	NP + VP
VP	→	V + NP
NP	→	DET + N
V	→	Chased
DET	→	the
N	→	girl و dog

وبعد هذا العرض نتوقف أمام المصطلح الثالث الأخير وهو Grammar فنجده يُحدَّد بأنه يهتم بدراسة تركيب الجملة خلال الإشارة إلى « النظم » و « الصرف » ؛ أى إنه يشتمل على ما يندرج تحت مصطلح Morphology و Syntax اللذين أشرنا إليهما — من تحليل لغوى وحين توقف اللغويون أمام بناء اللغة بصفة عامة أشاروا إلى أنها عبارة عن ثلاثة عناصر الأصوات ، والنحو ، والدلالة ، والنحو ينقسم بدوره إلى ثلاثة عناصر : الأصوات ، والنظم ، والدلالة كما فى الشكلين الآتيين .





ويدل هذا التقسيم على أن بناء اللغة إنما هو النحو ؛ لأن البحث الصوتى ، والبحث الدلالى مشترك بين الاثنين ؛ لذلك يعد النحو أساس أية لغة .

وحين النظر فى مفهوم مصطلح Grammar واستعماله فى الكتب المختلفة نجد أن هناك ستة أنماط أو مباحث للنحو ، نحاول التعريف بها :

١ــ النحو الوصفى Descriptive grammar :

يهتم هذا النحو بوصف التركيب النحوى الذى استُعمل فى اللغة دون تدخل من الباحث وذلك عن طريق بعض الأحكام المعيارية التى تحكم على هذا الاستعمال داخل المجتمع اللغوى بالخطأ أو الصواب . و « المادة اللغوية » corpus التى يصفها هذا النحو مأخوذة من اللغتين المنطوقة والمكتوبة ، ويجب أن يكون الوصف للأنماط التى يتم استخراجها من تلك المادة بالتفصيل .

وقد عرف النحو العربى الكثير من الجوانب الوصفية فى المراحل الباكرة ؛ لذلك كان سيبويه حين يصدر بعض الأحكام يقول : « وهذا أكثر من أن أصفه لك فى كلام العرب »(٢) . وكان يعتمد على السماع حين وصفه لظاهرة نحوية ، أو بيانه لبعض التراكيب ؛ فنجده يقول : « والذى ذكرتُ لك قول الخليل ، ورأينا العربَ توافقه بعدما سمعناه منه »(٣) ، وكان يعتمد على السماع والوصف معاً ؛ لذلك يقول سيبويه : « وجميع ما وصفناه من هذه اللغات سمعناه من الخليل ــ رحمه الله ــ ويونس عن العرب »(٤) .

٢ــ النحو التعليمى Pedagogical grammar :

وهذا النوع من النحو فائدته حين تأليف بعض الكتب المبسطة التى تهدف إلى تعليم قواعد لغة ما لغير أبنائها ، أو تعليمها لأبناء اللغة نفسها بهدف النهوض

(٢) الكتاب : ٢ /١٠٢ .
(٣) السابق : ٢ /١١٧ .
(٤) السابق : ٢ /٢١٤

بمستواهم فى النحو . وقد انتشرت كتب النحو التعليمى فى المدارس انتشاراً واسعاً لأهميتها فى تعليم القواعد للطلاب ؛ لذلك مفهوم مصطلح « النحو » عند مستعملى تلك الكتب لا يتجاوز كونه كتاباً فى النحو دون الدخول فى أية تفصيلات .

والذى يلفت النظر أن القدماء من اللغويين العرب قد تنبهوا لأهمية تلك الأعمال التعليمية التى يكون هدفها الأساسى التثقيف اللغوى ؛ لذلك نجد لغويًّا كبيراً كابن جنى صاحب الموسوعات اللغوية الممتازة يضع عملاً تعليميًّا فى النحو هو (اللّمع) لإحساسه باحتياج الدارسين والمتعلمين لمثل هذا العمل . ونجد الزمخشرى يضع كتاباً موجزاً فى النحو هو (المفصل) ، وجاء بعده ابن يعيش فشرحه فى عشرة أجزاء . وفى العصر الحديث قدم أساتذتنا وباحثونا بعض الأعمال التى تهدف إلى تبسيط قواعد اللغة العربية(٥) .

٣ـ النحو المعيارى Prescriptive grammar(٦) :

وهو عكس النحو الوصفى تماماً ؛ لأنه يفرض مجموعة من القواعد على أبناء اللغة ، ويعد الخروج عنها غير صحيح نحويًّا ungrammatical . وقد انتشر هذا النوع النحوى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى أوربا وأمريكا ، وامتد تأثيره إلى ما بعد هذا القرنين ؛ لذلك وجدنا مجموعة من الأعمال العلمية التى جعلت من إرشادها القارىء للاستعمال السليم للقواعد هدفاً لها .

وإذا كنّا قد أشرنا من قبل إلى وجود الجانب الوصفى فى كتاب سيبويه ؟ فإننا نشير إلى وجود هذا الجانب « المعيارى » أيضاً عنده ، وليس فى هذا أدنى تناقض ؛ لأن النحاة ، وعلى رأسهم سيبويه ، حاولوا التقعيد خلال النظر فى النصوص الرفيعة ، والأساس هو القرآن الكريم ببيانه المعجز ؛ لذلك فرضوا على الجماعة اللغوية استعمالاً محدداً ، وكانوا ينظرون فى الجمل ويجعلونها درجاتٍ من حيث الصحة فى الاستعمال ، والفصاحة فى الأداء اللغوى ؛ لذلك حفل كتاب سيبويه بالعديد من الجمل والعبارات الافتراضية التى أتى بها للإشارة إلى قاعدة من القواعد النحوية ، أو قانون من القوانين الخاصة بتركيب

(٥) حاولنا تقديم قواعد اللغة العربية بطريقة مبسطة فى كتاب عنوانه : (النحو التعليمى والتطبيق فى القرآن الكريم) .

(٦) يمكن ترجمته أيضاً إلى « النحو الفرضى »

الجملة العربية ، ومن بين تلك الجمل والعبارات ما أصدر عليه سيبويه بعض الأحكام ؛ فهى من « المحال » أو « القبيح » أو « الشاذ » أو « الضعيف » أو غير ذلك من الأحكام التى تدل على عدم جواز التكلم بها أو استعمالها[٧] .

٤ــ النحو المرجعى Reference grammar :

وهو كما يتضح من اسمه يحتوى على مجموعة من القواعد التى تُقدَّم لغير علماء اللغة ، حتى تكون مرجعاً لهم عند الحاجة إليها ، ويشبه ذلك القواميس التى تُوضع لغير المتخصصين الذين تصادفهم كلمة لا يعرفون معناها أو استعمالها السياق فيرجعون إلى القاموس للتعرف على ذلك . ومن هنا فإذا كان أحد المشتغلين بالدراسات الفلسفية يكتب مقالاً ويريد التعرف على قاعدة من القواعد النحوية ؛ فإن النحو المرجعى يسعفه فى هذا المجال الذى يجب أن يكون موسَّعاً على قدر المستطاع .

٥ــ النحو النظرى Theoretical grammar :

يهدف هذا النحو إلى وضع القوانين النظرية التى تساعد فى التحليل للجملة ، وتلك القوانين صالحة للتطبيق على أىِّ نحوٍ فى العالم ، وهى ليست وقفاً على لغة دون أخرى ؛ لذلك يقال إن تلك القوانين « عالمية » Universal ومن أمثلة ذلك أننا نستطيع أن نضع قواعد للحذف deletion فى اللغة العربية يمكن تطبيقها على كل اللغات فى العالم ، أو نضع قواعد لـ « إعادة الترتيب » permutation فى اللغة الإنجليزية يمكن تطبيقها أيضاً على كل لغات العالم .

٦ــ النحو التقليدى Traditional grammar :

ويطلق المصطلح « تقليدى » على هذا النحو الذى يرجع إلى الفترة السابقة على ظهور الدراسات اللغوية الحديثة ، والمقصود بالتقليدية هنا طريقة تناول المادة اللغوية ؛ لأن هذا النحو كان يركز على بعض القضايا كأقسام الكلمة والفصائل النحوية وسواهما ، وهى التى رفض علم اللغة بحثها . وتلك الفترة التى أشرنا إليها تعود إلى ٢٥٠٠ سنة وتشمل دراسات الإغريق والرومان وعصر النهضة والقرن الثامن عشر . ولعله من المفيد الإشارة إلى بعض الأبحاث التى اشتمل عليها النحو التقليدى لها نفعها فى الدرس اللغوى الحديث ، ويكفى

(٧) انظر كتابنا : التراكيب غير الصحيحة نحويًا فى (الكتاب) لسيبويه ــ دراسة لغوية .

أن نشير إلى تلك الأهمية الخاصة بالتعرف على أقسام الكلمة وفائدتها فى التحليل النحوى للجملة .

وبعد هذا العرض نشير إلى ما يسمى بـ « النحو التحويلى » Transformational Grammar الذى وضع أسسه ومبادئه العالم الأمريكى نعوم تشومسكى Noam Chomsky حين أصدر أول عمل علمى له عام ١٩٥٧ وهو كتاب (التراكيب النحوية) Syntactic Structures الذى أحدث ثورة فى علم اللغة ؛ لذلك يقال إنه يجب على أى دارس للغة أن يحدّد ما يبحثه فى ضوء الفكر اللغوى لتشومسكى(٨) .

ويوصف هذا النحو بأنه « تحويلى » ، والمقصود بالتحويل Transformation وجود بعض العمليات النحوية التى تتبع لإنتاج جملة استفهامية من جملة خبرية ، أو إنتاج جملة منفية من جملة مثبتة ... وهكذا ؛ لذلك يُوصف هذا النحو بأنه « توليدى » Generative ؛ أى إنه نستطيع إنتاج جملة صحيحة نحويًّا بعد تطبيق بعض القوانين اللغوية بطريقة تسلسلية ، ومن هنا فإن بعض العلماء يطلق عليه اسم « النحو التحويلى التوليدى » .

وهناك عدة أبواب فى النحو العربى يمكن تطبيق التحويل عليها ، مع بيان مفهومه ؛ فالجملتان :

ما جاء الطالب (منفية)
أجاء الطالب ؟ (استفهامية)

لها جملة « نواة » Kernel هى : جاء الطالب . وقولنا :

علىٌّ يَحْمَدُ الناسُ خُلُقَهُ

يمكن تحويلها إلى :

على يُحمد خلقه
على محمودٌ خلقه

وهذا يتصل بالمبنى للمعلوم Active والمبنى للمعلوم Passive . ولا نريد

(8) Sampson: Schools of Linguistics p. 130.

الخوض فى الحديث عن التفصيلات التى دار حولها النحو التحويلى لوجود عدة دراسات حوله يمكن الرجوع إليها[٩] .

وقد أحدث تشومسكى أثراً واسعاً فى الدرس اللغوى فى أنحاء العالم كافةً ؛ لذلك ظهرت أعمال علمية تتبنى وجهة نظر تحويلية فى أمريكا وفرنسا وإنجلترا وألمانيا ، وفى الوطن العربى أيضاً ؛ بالإضافة إلى وجود بعض الأعمال العلمية التى تناولت مبادئه وأسسه النظرية بالنقد والتحليل ، وأدّى هذا كله إلى إنتاج بعض أنواع من البحث فى النحو ، من بينها ما يأتى :

١ــ نحو الحالة Case Grammar :

وقد وضع أسسه اللغوى الأمريكى فلمور Charles Fillmore وهو نظرية عمادها دلالة الحالات الإعرابية التى تؤخذ من العناصر المتصلة ببناء الجملة . ولا يعنى فلمور بالحالة الإعرابية المفهوم القديم للتعبير الذى يشير إلى ما يطرأ على الاسم من التغيرات الصرفية عند وقوعه فاعلاً أو مفعولاً به ؛ بل هو يقصد مجموعة المفاهيم التى تمكن الإنسان من إصدار بعض الأحكام المختلفة عما يدور حوله من أحداث كمعرفة من يقوم بعمل ما ، ومن يقع عليه حدث ما ، وما الذى حدث ، ومتى وقع ذلك الحدث ، وأين ... إلخ . ويعطى فلمور الأمثلة التالية على جمل يشعر الإنسان أنها متشابهة فى المعنى ، رغم اختلاف تركيبها الخارجى :

١ــ فَتَحَ على البابَ
٢ــ فتح المفتاحُ البابَ
٣ــ انفتح البابُ على يدىْ علىٍّ
٤ــ فتح على البابَ بالمفتاح
٥ــ استخدم على المفتاحَ لفتح البابِ

أما فى الجملة الأولى فإن الفاعل الظاهرى هو « على » ، ولكنه « المفتاح »

(٩) من أمثلة تلك الدراسات : النحو العربى والدرس الحديث للدكتور عبده الراجحى ، وفى علم اللغة التقابلى للدكتور أحمد سليمان ياقوت ، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة للدكتور نايف خرما ، ونظرية تشومسكى اللغوية للغوى جون ليونز (ترجمة د. حلمى خليل) ، وقضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين للدكتور محمود سليمان ياقوت ، وفى النحو التحويلى لموريس قراس ... وسواها .

فى الجملة الثانية و « الباب » فى الجملة الثالثة ، إلا أن العلاقة الحقيقية لكل من هذه الأسماء الثلاثة بالفعل تختلف من جملة إلى الأخرى ، ففى الجملة الأولى نرى أن « عليًّا » هو الفاعل الحقيقى ، وفى الجملة الثانية « المفتاح » هو الأداة التى فتح بها الباب ، أما فى الجملة الثالثة فإن « الباب » هو الذى وقع عليه الحدث بالفعل . والسؤال الذى يطرح نفسه هو : هل أثرت الأشكال الخارجية المختلفة للجمل الثلاث على العلاقات المعنوية بين الأسماء الثلاثة وبين الفعل المستعمل فى كل منها ؟ مادام ذلك لم يحصل ، فإن الأمر الذى يبدو مهمًّا وجديراً بالدراسة هو هذه العلاقات المعنوية الأساسية فى الجمل ، ولذلك يجب أن تصبح هذه العلاقات هى النقطة المركزية التى يجب أن يعالجها التحليل اللغوى ويعمل على تفسيرها . ويعتقد فلمور بأن هذه العلاقات العميقة تكوّن نظاماً عامًّا ينطبق على جميع اللغات بغض النظر عما إذا كان الفاعل الشكلى فى إحدى اللغات كالإنجليزية مثلاً يسبق الفعل ، بينما هو يتبع الفعل كما فى اللغة العربية وغيرها من اللغات .

وقد أشار فلمور فى نظريته الخاصة بنحو « الحالة » إلى أننا لابد أن نبدأ ب « المعنى » والوظيفة المحددة ، ثم نحاول إيجاد الطرق اللغوية المختلفة للتعبير عنها ؛ فإذا أردنا أن نطلب من شخص ما بطريقة لطيفة أن يفتح النافذة مثلاً ـــ بإمكاننا أن نعبر عن ذلك بالطرق التالية ، التى يمكن أن يضيف إليها القارىء عباراتٍ أخرى من عنده :

ـــ هل تسمح بفتح النافذة ؟
ـــ هل يضايقك أن تفتح النافذة ؟
ـــ أتحبُ أن تفتح النافذة ؟
ـــ هلاّ تكرمْتَ (أو تلطفت) بفتح النافذة .
ـــ أيضرُك أن تفتح النافذة ؟
ـــ هل تستطيع أن تفتح النافذة ، من فضلك ؟
ـــ افتح النافذة من فضلك .
ـــ هل تمانع فى أن تفتح النافذة ؟
ـــ هل لك أن تفتح النافذة ؟
ـــ الجوُ خانق داخل الغرفة ، والنافذة مغلقة .

ـــ الجو جميل فى الخارج ، والنافذة مغلقة .
ـــ إنْ فتحت النافذة تجدد الهواء فى الغرفة .
ـــ أتمنّى أن تفتح النافذة .
ـــ ربما كان بإمكانك أن تفتح النافذة .
ـــ هل لى أنْ أزعجك بطلب فتح النافذة .
ـــ ليتك تفتح النافذة .
ـــ أكون شاكراً (أو ممتناً) لو فتحت النافذة .

كما أن ما تجدر الإشارة إليه هنا أن الطلب يدخل عادة فى القواعد التقليدية تحت باب « الأمر » ، بينما لم نستعمل فى الجمل السابقة إلا جملة واحدة فعلُها فى صيغة الأمر ، أما باقى الجمل فبعضها استفهامى وبعضها الآخر خبرى من حيث التركيب الخارجى . ألا يحفزنا هذا على التفكير بأن المعانى هو فى الواقع أساس ما يجب دراسته فى اللغات ، أما الأشكال الخارجية فما هى إلا اللباس الذى ترتديه تلك المعانى أو المفاهيم[١٠] .

٢ـــ النحو العلاقى Relational Grammar :

ويركز هذا النحو فى التحليل على عنصرين أساسيين هما : الفعل والفاعل ؛ لأنهما أهم ما تتكون منه الجملة ، ويخالف أصحاب « النحو العلاقى » ما فى النظرية التحويلية من التركيز حين التحليل على « العبارة الاسمية » و « العبارة الفعلية » .

٣ـــ النحو الوظيفى Functional Grammar :

يعتمد هذا النحو على بعض المبادىء المنهجية العامة ؛ فيرى أن الوظيفة الأساسية لـ « اللغات الطبيعية Natural Languages » هى التواصل ، وأن موضوع الدراسة اللسانية وصف القدرة التبليغية للمتكلم ـــ المخاطب ، وهناك مصطلح متداول بين المشتغلين بالنحو الوظيفى هو Pragmatics ، والمقصود به دراسة العوامل التى تؤثر فى اختيار الشخص للغة ، مع الاهتمام بالعوامل السياقية فى الاتصال الكلامى بصفة عامة . ويتعامل النحو الوظيفى مع ثلاثة مستويات من التحليل ، لكل واحد منها مجاله ومصطلحاته ، ويرى سيمون

(١٠) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ص ٣٠٩ وما بعدها .

ديك Dik[11] وهو أحد أبرز منظّرى الاتجاه الوظيفى وكُتّابه أن جملة مثل « أكل محمد الفتاحة » يمكن تحليلها خلال ثلاثة مستويات هى :

(أ) **المستوى النحوى** : الذى يهتم بتحديد الفعل والفاعل والمفعول .

(ب) **المستوى الدلالى** : الذى يهتم بالفعل والعامل والهدف .

(جـ) **المستوى البراجماتى** : الذى يهتم بالمسند والمتمم ، أو الموضوع Topic والبؤرة Focus .

٤ـ النحو العام لتركيب العبارة Generalized Phrase Structure Grammar :

وتلك النظرية النحوية لا تركز على التحويل الموجود فى النحو التوليدى ، وإنما تجعل هدفها الأساسى تتبع ما يطرأ على تركيب العبارة من تغيرات مع تحليلها نحويًا خلال النظر فى الفاعل والمسند ، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل حين تحليل جملة The girl chased the dog .

٥ـ نحو مونتاجو Montague Grammar :

منسوب إلى عالم المنطق الأمريكى ريتشارد مونتاجــو Richard Montague (١٩٣٠ـ١٩٧٠ م) ، وقد اهتم فيه بدراسة اللغات فى ضوء المنطق ، وأشار إلى وجود علاقة بين الفصائل التركيبية وعلم الدلالة .

وبعد هذا العرض لمفهوم المصطلحات الثلاثة نشير إلى أن أية دراسة لغوية تجمع بين Morphology و Syntax هى دراسة تندرج تحت مصطلح Grammar ؛ فهو يجمع بين الاثنين معاً . وهذا الفصل الذى نحاول فيه التعرف على ما فى « الرسائل اللغوية » و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) من ظواهر تركيبية ، نجمع فيه بين الصرف والنظم ؛ فهو من قبيل دراسة الـ Grammar .

* * *

ونبدأ فى دراسة ما فى الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) من موضوعات تتصل بالمستوى التركيبى .

---

(11) Functional Grammar, p. 13.

الفصائل النحوية

اهتم المحدثون من المشتغلين بالدراسات اللغوية بالبحث في « الفصائل النحوية » Grammatical Categories لدورها المتميز في النظام النحوى للجمل والعبارات ، ومن أهم الموضوعات التى بحثها اللغويون في إطار تلك الفصائل الجنس Gender ، والعدد Number ، والزمن Tense . وتختلف اللغات فيما بينها اختلافاً واسعاً حين استعمال تلك الفصائل ، ويمكن أن نمثل لذلك بفصيلة « الجنس » ؛ إذ إن اللغات تختلف من حيث معاملة بعض الكلمات حين التذكير والتأنيث ، حتى إن علماء اللغة انتهوا إلى القول بأن الجنس يجرى على منطق خاص به ؛ أى إن الاصطلاح وحده هو الذى جعل كلمة « الهواء » مذكراً ، و « السماء » مؤنثاً . ونقدم ، فيما يلى ، بعض الموضوعات التى تبحثها الفصائل النحوية مع بعض الأمثلة التطبيقية[1] .

١ــ هناك فصيلة خاصة بالأفعال يُطلق عليها مصطلح aspect ، الذى يُترجم إلى الوجهة أو الصيغة ، وموضوعه دراسة التام أو الناقص من الأفعال ، مع الربط بين استعمال الأفعال بصفة عامة والدلالة ؛ فينظر فيما يدل منها على الاستمرار وتأثيره في المعنى ، وكمية الصوت duration ؛ أى طول الوقت الذى يتم استغراقه في تكوين الصوت أو المقطع الذى هو أساس الفعل ، وما يوجد بين بعض الأفعال من عدم المماثلة بين أصواتها ... وهكذا .

٢ــ تهتم الفصائل النحوية بالحديث عن « الحالة » Case الخاصة بالأسماء والضمائر والصفات ، والتغييرات الذى تطرأ عليها للدلالة على الوظيفة النحوية في الجملة ، والمقصود بذلك أن الاسم ــ مثلاً ــ تصيبه بعض التغييرات المطابقة لوظيفته فيكون فاعلاً ومفعولاً ومنادى وغير ذلك ، ويجب أن يكون هناك تطابق بين تلك التغييرات والوظيفة النحوية في الجملة . فإذا قلنا :

جاء خالــدٌ
رأيتُ خالــداً

(١) للتوسع في دراسة هذا الموضوع انظر ما كتبه Palmer في كتابه Grammar ، ص ١٩٥ــ٢٢٠ عن « الفصائل النحوية في الإنجليزية » ، و Carroll في كتابه The study of Language ، ص ٤٢ ، ، Bloomfield في كتابه Language ، ص ٢٦٠ــ٢٦٣

مررتُ بخالــدٍ
ياخالــــدُ

نلاحظ أن الاسم تغير شكل آخره لتصرفه فى التركيب النحوى فى الجمل الأربع .

٣ــ تختلف اللغات فيما بينها حين معاملة الكلمات من حيث التذكير أو التأنيث ، وتختلف أيضاً فى الأقسام المتصلة بالجنس gender ؛ فاللغة الألمانية الجنس فيها ثلاثة : المذكر والمؤنث والمحايد neutral . ولا يوجد أى ارتباط أو علاقة متبادلة بين الجنس النحوى والنوع من حيث الذكورة أو الأنوثة مثلاً ، وهناك الكثير من الأمثلة التى تدل على أنّ الجنس يجرى على منطق خاص به ؛ فالكلمات الدالة على بعض الأدوات التى تستخدم لتناول الطعام فى الألمانية تختلف من حيث التصنيف ؛ فتعامل كلمة « الملعقة » der Löffel على أنها مذكر masculine ، وكلمة « شوكة الطعام » die Gabel على أنها مؤنث feminine ، وكلمة « السكين » das Messer على أنها محايد neutral ؛ بل إن اللغة الألمانية تعامل كلمة « الفتاة » حين تصنيفها من حيث الجنس النحوى على أنها محايد das Mädchen . وهناك بعض اللغات التى يختلف فيها تصنيف الكلمة حسب المفرد والجمع ؛ فالكلمة الفرنسية amour الدالة على « الحب » حين تستخدم مع المفرد تكون مذكراً ، وحين تستخدم مع الجمع تكون مؤنثاً .

٤ــ تهتم الفصائل النحوية بالحديث عن « صيغة الفعل » mood التى تتعدد حسب التركيب ، وهذا يؤدى إلى اختلاف الدلالة ؛ لذلك تكون تلك الصيغة دالة على الإخبار ، والشرط ، والاحتمال ، والافتراض ، والتمنى حسب العلاقات السياقية كما فى الأمثلة الآتية :

ما أجملَ السماءَ ! (التعجب)
ما أهملَ الطالبُ (النفى)
ما أحسنَ خالدٌ ؟ (الاستفهام)

وهكذا . وقد تعددت وجوه « ما » فى التراكيب السابقة ؛ لذلك تأثرت دلالة الأفعال الثلاثة ، وهذا يوضح الصلة بين الصيغة والمعنى .

٥ــ من الفصائل النحوية المهمة « العدد » number الذى يتضح دوره حين استعمال الأسماء والأفعال والحروف ، ويكون العدد دالاً على المفرد والمثنى dual والجمع . وتختلف اللغات فيما بينها حين استعمال العدد ؛ فالعدد بأقسامه الثلاثة السابقة معروف على هذا النحو فى اللغة العربية ، فى حين أن اللغة الإنجليزية تستعمل كلمة two للدلالة على التثنية ؛ فإذا كنا نقول فى العربية « كتابان » فالإنجليزية تقول two books ؛ لذلك نجد عدة ألفاظ فى الإنجليزية للدلالة على العدد ، نحو : one ، two ، more than one ، more than two ، more than three ، ولكنها تدور فى النهاية فى إطار الإفراد والتثنية والجمع .

٦ــ مما يُدرس فى إطار الفصائل النحوية « الشخص » person ، وهو من سمات الضمير الذى يدل على الشخص الأول first person (المتكلم) ، أو الشخص الثانى second person (المخاطب) ، أو الشخص الثالث third person (الغائب) مثل: we ، you ، they على التوالى. ولعله من المفيد الإشارة إلى أن تلك الضمائر قد يحدث بينها إحلال تبعاً للموقف أو الحدث الكلامى؛ فضمير الشخص الأول we ربما يُستعمل مع المخاطب كقول الطبيب المعالج للمريض: ? How are we today، وضمير الشخص الثالث ربما يشير إلى النفس؛ وذلك كأن تقول زوجة من الزوجات: ? How's my husband؛ ويرد الزوج بقوله He's hungry... وهكذا. ومما يتصل بهذا أن هناك باباً واسعاً فى البلاغة العربية يسمى « الالتفات »، ومن بين المباحث التى تندرج تحته الحديث عن التحويل فى استعمال الضمائر، والإحلال فيما بينها لغرض دلالى أو بلاغى.

٧ــ يعد « الزمن » tense من الفصائل النحوية التى اهتم بها المحدثون ، وقد أشاروا إلى أن الزمن ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الماضى ، والحاضر ، والمستقبل ، وتلجأ بعض اللغات إلى تلوين الأداء اللغوى الخاص بالزمن داخل الجملة ، وذلك عن طريق التفريق بين دلالتى كل من tense و time ؛ فالجملة : I'm leaving tomorrow عبارة عن present tense و future time . والجملة : John will keep phoning us every day عبارة عن future tense و past time . ومن هنا فإن مصطلح tense حين استعماله ينصرف معناه إلى بيان صيغة الفعل داخل التركيب النحوى للجملة ، أما time فيدل على الوقت بصفة عامة .

٨ــ مما يندرج تحت الحديث عن الفصائل النحوية ما يسمى بالإنجليزية voice التى تفيد الدلالة على صيغة المعلوم أو المجهول نحو :

كَتَبَ خالدٌ الدرسَ (معلوم)
كُتِبَ الدرسُ (مجهول)

ودراسة « المبنى للمعلوم » active voice و « المبنى للمجهول » passive voice من أهم المباحث المندرجة تحت مصطلح voice ؛ بالإضافة إلى دراسة « المتعدى » causative من الأفعال . وهناك بعض الظواهر المشتركة بين بعض اللغات يمكن بحثها فى ضوء فصيلة voice من أهمها وجود بعض الأفعال التى وردت فى حالة البناء للمجهول دون أن يكون لها مقابل مبنى للمعلوم ، ومن أمثلة ذلك : حُمَّ ، جُنَّ ، شُدِه ... . وهناك عدة أفعال فى الإنجليزية مبنية للمعلوم وليس لها مقابل مبنى للمجهول ؛ فالجملة : she has a car لا يمكن تحويلها إلى A car is had by her ، وكذلك هناك ما هو مبنى للمجهول لا يمكن تحويله إلى مبنى للمعلوم نحو : He was said to be angry التى لا تُحوَّل إلى : Someone said him to be angry*(١) .

* * *

وبعد هذا العرض للموضوعات اللغوية التى تدرس فى إطار الفصائل النحوية ، نحاول دراسة ما فى الأعمال الموضوعية من ظواهر تندرج تحتها ، ونبدأ الحديث بـ :

التذكير والتأنيث :

نال التأليف فى « المذكر والمؤنث » اهتمام القدماء من اللغويين العرب ، وقد وصلت إلينا عدة كتب ورسائل لغوية تحاول معالجة الظاهرة وبيان ما يندرج تحتها من ألفاظ حدث اختلاف فى تذكيرها أو تأنيثها ، ومن أهم ما وصل إلينا ما يأتى :

١ ــ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) : المذكر والمؤنث .
٢ ــ أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى (ت ٢٥٥ هـ) : التذكير والتأنيث .

---

(١) تشير تلك العلامة * إلى أن الجملة غير صحيحة نحويًّا ungrammatical . انظر موسوعة كمبردج فى اللغة ص ٩٣ .

٣ ــ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) : المذكر والمؤنث .

٤ ــ المفضل بن سلمة (ت حوالى ٣٠٠ هـ) : مختصر المذكر والمؤنث .

٥ ــ أبو موسى سليمان بن محمد الحامض (ت ٣٠٥ هـ) : ما يذكر ويؤنث من الإنسان واللباس .

٦ ــ أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ) : المذكر والمؤنث .

٧ ــ أبو الحسين سعيد بن إبراهيم بن التُّسْتَرِىّ (ت حوالى ٣٦١ هـ) : المذكر والمؤنث .

٨ ــ أبو الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ) : المذكر والمؤنث .

٩ ــ أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) : المذكر والمؤنث .

١٠ــ أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ) : البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث .

وحين درس القدماء من العلماء العرب تلك الظاهرة اللغوية لم يهتموا كثيراً بتقديم التعليلات لها ؛ لذلك اعتمدوا على منهج « وصفى » حين الدراسة لإحساسهم بأن التذكير والتأنيث من أغمض أبواب النحو ، ومسائلهما عديدة مشكلة ، ومن هنا فإن ابن التسترى يقول : « إنه ليس يجب الاشتغال بطلب علامة تميز المذكر من المؤنث ؛ إذ كانا غير منقاسين ، وإنما يعمل فيهما على الرواية ، ويرجعان فيما يرجعان عليه إلى الحكاية »(٢) .

وقد ربط القدماء التذكير والتأنيث بالنحو والإعراب ، ومن أولئك أبو بكر الأنبارى الذى قال فى مقدمة كتابه : « إن من تمام معرفة النحو والإعراب معرفةَ المذكر والمؤنث ؛ لأن من ذكَّر مؤنثاً أو أنَّث مذكراً كان العيب لازماً له كلزومه من نصب مرفوعاً أو خفض منصوباً »(٣) .

وقد أشارت الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات إلى الكثير من الألفاظ التى يمكن استعمالها وهى فى حالة التذكير أو التأنيث ، ومن أمثلتها ما يأتى :

---

(٢) المذكر والمؤنث : ٥٦ ؛ وانظر التطور النحوى لبرجشتراسر : ١١٣ وما بعدها .

(٣) المذكر والمؤنث : ٥١/١ .

١ــ يرى يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) أن « سماء البيت » يجوز فيه أن يذكر ويؤنث . وكان أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) يقول : السماءُ سقف البيت . قال ذو الرمة :

وبيتٍ بموماةٍ خرقتُ سماءه إلى كوكبٍ يزوى له الوجه شاربه

وكلمة « السماء » مؤنثة ، وقد وردت فى بيت من الشعر وبها تاء التأنيث « السماءة » ، وهو قول رجل من بنى سعد :

زهرٌ تتابعَ فى السماء كأنما جِلْدُ السماءة لؤلؤٌ منثورُ

وفعل ذلك أيضاً جندل بن المثنّى الطهوى ، قال :

يارَبِّ رب الناس فى سَماتِه

وقد استعملها مقصورة « سما » وأدخل عليها تاء التأنيث « سماة » ، ثم أضافها إلى الضمير « سماته »[٤] .

٢ــ يقال : ناقة نزوع ، وجمل نزوع ، الذكر فيه والأنثى سواء ، وهو الذى يطرب إلى بلاده ، فينزع إليها ، واسم ذلك النزاع . قال الراعى :

واستقبلتْ سربَهم هيفٌ يمانيةٌ هاجتْ نزاعاً وحادٍ خلفهم غردُ[٥]

٣ــ يقال للمذكر والمؤنث : زوج ، وقد يقولون : زوجة . قال الفرزدق :

وإنّ الذى يسعى ليفسدَ زوجتى كساعٍ إلى أسد الشَّرى يستبيلُها[٦]

٤ــ « السبيل » : يُذكّر ويُؤنّث . قال تعالى : (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله)[٧] فأنّثَ ، وقال تعالى : (وإنْ يَرَوْا سبيلَ الرشدِ لا يتخذوه سبيلاً وإنْ يروا سبيلَ الغَىِّ يتخذوه سبيلاً)[٨] . ووردت « السبيل » مؤنثة فى قول

(٤) الأزمنة وتلبية الجاهلية : ١١ و ١٢ ؛ والمذكر والمؤنث للفراء : ١٠٢ ؛ والأزمنة والأمكنة للمرزوقى : ٢ /٢ ؛ وديوان ذى الرمة : ٨٥٢ .

(٥) الإبل : ٩٦ .

(٦) الألفاظ : ٤٨١ ؛ وديوان الفرزدق : ٦٠٥ .

(٧) يوسف / ١٠٨ .

(٨) الأعراف / ١٤٦ . وقد وردت القراءة بتأنيث السبيل ، فقرأ ابن أبى عبلة : (لا يتخذوها) ←

الشاعر :

فلا تجزعْ فكلُ فتى أناسٍ ... سيصبح سالكاً تلك السبيلا

وقوله :

يانفسُ إن سبيلَ الرشدِ واضحةٌ ... منيرةٌ كبياضِ الفجرِ غرَّاءُ(٩)

٥ــ « العنكبوت » : تذكر وتؤنث . قال تعالى : (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً)(١٠) ، وقال الهاشميُّ في التأنيث :

وكّلَ اللهُ للضِّياعِ فضاعوا ... أهلَ بيتٍ تسوسُه العنكبوتُ(١١)

وقال الكميت بن زيد الأسدى :

ومنهلٍ أقفرَ إلا العنكبَا ... فقد هتكْنا بيتها المُطنَّبا(١٢)

وقال الشاعر في التذكير :

على هطّالهم منهم بيوتٌ ... كأن العنكبوتَ هو ابتناها(١٣)

٦ــ « الخمر » : تذكر وتؤنث ؛ يقال : هى الخمر ، وهو الخمر . قال الشاعر في تأنيثها :

هى الخمرُ تكنى الطلاء ... كما الذئبُ يكنى أبا جَعْدة

وربما ذُكِّرت . قال الشاعر ذو الرمة :

وعينانِ قال اللهُ كُونا فكانتا ... فعوليْنِ بالألبابِ ما يَفعَلُ الخمرُ

وقد أشار أبو حاتم السجستانى إلى أن الخمر مؤنثة ، وربما يذكرها بعض

و (ينحلوها) . انظر البحر المحيط : ٤ /٢٩٠ ، وقد علّق أبو حيان على القراءة بأن « السبيل » تذكر وتؤنث .

(٩) المبرد : المذكر والمؤنث ١١١٥ والمخصص : ١٧ /١٧ ؛ وإصلاح المنطق : ٣٦١ ؛ وأبو بكر الأنبارى : المذكر والمؤنث ٤٢٣ و ٤٢٤ .

(١٠) العنكبوت / ٤١ .

(١١) الضياع : بفتح الضاد مصدر « ضاع » ، وبكسرها جمع « ضيعة » وهى الحرفة أو العقار أو الأرض المغلّة .

(١٢) المطنب : يقال : مشدود بالأطناب وهى الحبال .

(١٣) قال ياقوت : « المطّال ... من هطل الغمام إذا سحّ : اسم جبل » . معجم البلدان : ٥ /٤٠٨ .

الفصحاء ، وأنه سمع ذلك ممن يثق به منهم ، وكان الأصمعى ينكر التذكير ، فأنشده أبو حاتم قول الأعشى :

وكأنّ الخمرَ المدامَ من الإسفِنطِ ممزوجةً بماءِ زُلالِ

فأنكره ؛ لأن اللغة المشهورة المعروفة تأنيثه(١٥) .

٧ــ « المال » : يذكر ويؤنث ، وقد جمع حديث للنبى المصطفى ﷺ بينهما . قال : « المالُ حُلوةٌ خَضِرةٌ ، ونِعْمَ العونُ هو لصاحبه » . وقال الشاعر فى تأنيثها :

المالُ تزرى بأقـوامٍ ذوى حسبٍ ... وقـد تسوِّدُ غيـرَ السيـدِ المالُ(١٥)

هذه هى بعض الكلمات التى أشارت إليها الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات ، ويجوز فيها أن تستعمل فى حالتى التذكير أو التأنيث . ولعله من المفيد الإشارة إلى أن أصحاب الأعمال الموضوعية لم يكونوا ليكتفوا بذلك ، وإنما كانوا يدرسون بعض الشواهد ويوضحون جوانب التذكير والتأنيث مع الاهتمام بالتأويل ، والدليل على ذلك قول أبى حاتم السجستانى : « إذا كانت النخلة غزيرة كثيرة الحَمْلِ ، قيل : نخلة خَوَّارة ، كما يقال للشاء والنوق ، وأنشد الأصمعى :

أديـنُ ومـا دَيْنِـى عليكـم بمَغْـرمٍ ... ولكن على الشُّمِّ الجِـلادِ القـراوِح
على كل خوَّارٍ كأنّ جذوعهـــا ... طُلين بزفتٍ أو بحمـــأةِ سابـــج

فقد شبهوا النخل بالنوق والغنم . وقلتُ (أبو حاتم) للأصمعى : لِمَ قال « خَوّار » فذكّر ؟ قال : أراد العَذْق أو الجذع ، ثم أنث فقال « كأن جذوعها » فرجع إلى النخل ، والنخل فى لغته مؤنثة »(١٦) . ومن هنا فقد استعمل الشاعر « خوّار » فى حالة التذكير ؛ لأنه أراد العذق أو الجذع ، وكلاهما مذكر ، وحين قال « جذوعها » فالضمير « ها » عائد على النخل

(١٤) أبو البركات الأنبارى : البلغة ٥٩ ؛ والنخل والكرم : ٩٠ ؛ والخصائص : ٣ /٣٠٢ ؛ وديوان ذى الرمة : ٢١٣ ؛ وديوان الأعشى : ١٨ .

(١٥) المخصص : ١٧ /١٩ ، والمذكر والمؤنث لأبى بكر الأنبارى : ١ /٤٥٦ ؛ وانظر الهامش الذى كتبه محقق الكتاب حول الحديث الشريف

(١٦) النخل ٨٧ و ٨٨

وهو مذكر ، ولكن الكلمة فى لهجة الشاعر مؤنثة ؛ لذلك كان الضمير العائد عليها مؤنثاً .

ولقد أشار أصحاب الأعمال الموضوعية إلى بعض اللهجات التى توضح أن الاختلاف حين استعمال بعض الكلمات من حيث التذكير أو التأنيث يُردّ إليها ؛ فالألفاظ : الطريق والصراط والسبيل والسوق والزقاق ألفاظ مؤنثة عند أهل الحجاز ، مذكرة عند بنى تميم[١٧] . ولفظ « الهدى » المذكر فى معظم اللهجات العربية يؤنثه بعض بنى أسد ، فيقولون : هذه هدى حسنة[١٨] . وقال أبو حاتم السجستانى : « النخيل مؤنثة ، لا اختلاف فى ذلك ، وأما النخل فيذكر ويؤنث ، ويؤنثه أهل الحجاز ، ويقال : « نخل كريم ، ونخلة كريمة »[١٩] . و « درع الحديد » مؤنث ، وقد ذكّر قومٌ فصحاءُ من بنى تميم الدرع[٢٠] .

وقد اهتم أصحاب الأعمال الموضوعية ببيان دلالة الألفاظ وتحديدها مع بيان ما يطلق على المذكر والمؤنث ؛ بالإضافة إلى الإشارة إلى بعض الألفاظ التى تصلح لهما معاً حين عدم معرفة النوع ، يدلنا على ذلك قول الأصمعى : « إذا وضعت الناقةُ فولدها ساعة تضعه سليل ، قبل أن يُعلم أذكرٌ هو أم أنثى . فإذا عُلِم فإن كان ذكراً فهو سَقْبٌ ، وأمُّه مُسْقِب ، وقد أذكرتْ فهى مُذْكِر . فإن كانت أنثى فهى حائل ، وأمُّها أمُّ حائل . قال الشاعر :

فتلك التى لا يبرحُ الدهرَ حبُّها ولا ذكرُها ما أرزمتْ أمُّ حائلِ

وهى مؤنث ، وقد آنثتْ : جاءت به أنثى . وإن كان من عادتها أن تلد الإناث قيل : مِئناث ، وإن كان من عادتها أن تلد الذكور فهى مِذْكار »[٢١] . ويدل النص على أن كلمة « سليل » تصلح لأن تطلق على ما تضعه الناقة دون أن يُعرف نوعه ، ثم بعد ذلك يطلق على الذكر اسم « سقب » ، وعلى الأنثى اسم « حائل » .

---

(١٧) المزهر : ٢ /٢٢٥ ؛ والبحر المحيط : ١ /٢٥ .
(١٨) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١ /١٦٠ .
(١٩) النخل : ٨٩ .
(٢٠) المخصص : ١٦ /٨٢ .
(٢١) الفرق : ٦٨ .

وتنبه أصحاب الأعمال الموضوعية إلى ما يعترى ظاهرة التذكير والتأنيث من التطور اللغوى ، ومن بين هذا حديثهم عن بعض اللغات أو اللهجات التى ذهبت واندثرت وحلّ محلّها غيرُها ؛ فكلمة « الأسد » تقع على المذكر والمؤنث . يقال : أسد ذكر ، وأسد أنثى وربما أدخلوا التاء فقالوا : أسد وأسدة ، ويقال للأنثى : اللَّبُؤة . ويرى أبو حاتم السجستانى أن إلحاق التاء أنهم ألحقوا التاء بكلمة « اللبؤة » ؛ لأنه كان يقال للأسد « اللَّبُؤ » فذهبت هذه اللغة ودرست[٢٢] .

وتوقف أصحاب الأعمال الموضوعية أمام بعض الألفاظ مع بيان دور « السماع » و « القياس » فى تذكيرها أو تأنيثها ؛ فإن « النخل » يذكر ويؤنث . قال تعالى : (تنزِعُ الناسَ كأنهم إعجازُ نخلٍ منقعرٍ)[٢٣] مذكر ، وقال تعالى : (والنخل ذات الأكمام)[٢٤] مؤنث . وقال زهير :

وهل يُنبتُ الخطىَّ إلا وشيجُه ... وتغرسُ إلا فى منابتها النخلُ[٢٥]

وقد أشار أبو حاتم إلى أن تأنيث « النخل » سماع لا قياس[٢٦] .

* * *

المفرد والجمع :

وهذا موضوع آخر من الموضوعات التى يندرج تحت الحديث عن « الفصائل النحوية » ، وقد نال اهتمام الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ، ولم يكن هذا مقصوراً على تلك الأعمال ، بل اهتمت المعاجم العربية ــ بصفة عامة ــ بالمفرد والجمع ؛ لأن اللغويين عدوا بيان صيغ الجمع مما يجب توافره فى المعجم . ونحاول التعرف على ما يتصل بالمفرد والجمع فى الأعمال الموضوعية ، وذلك خلال النقاط الآتية :

أولاً : من أكثر الظواهر اللغوية شيوعاً بيان جمع ما هو مفرد أو العكس ،

(٢٢) المخصص : ٨ /٥٩ .
(٢٣) القمر / ٢٠ .
(٢٤) الرحمن / ١١ .
(٢٥) ديوان زهير : ١١٥ ، والخطى : الرماح ، والوشيج : القنا .
(٢٦) النخل : ٩٠ .

نحو :

ــ الخِلَل : جفون السيوف ، والواحدة خِلّة .

ــ الوشيج : الرماح ، واحدتها وشيجة .

ــ قال أبو الصلت الثقفى :

يرمون عن عَتَلٍ كأنها غُبُطٌ ... بزمجرٍ يُعجل المرمىَّ إعجالا

العَتَل : القِسِىّ الفارسية ، واحدتها عَتَلَة ، والغُبُط : جمع غبيط الإبل .

ــ ريش السهام يقال له : القُذَذ ، واحدتها قُذّةٌ .

ــ الأنباط ، الواحد منها نَبط ، وهو ما استنبطتَ من الماء ، يقال : وجدتُ نَبطَ مائه قريباً .

ــ حين جمع كلمة « الخميس » تكون على وزن « أفْعِلَة » : تقول : ثلاثة أخمسة ؛ كما قالوا : جريب وأجربة ، وكثيب وأكثبة ، ورغيف وأرغفة .

ــ فى الرأس الكُعْبُرَةُ ، والجميع كعابر ، وقد يقال : كُعبورة ، والجمع كعابير ، وهو كل مجتمع مكتل(٢٧) .

ثانياً : اهتم المعجميون ببيان الألفاظ التى تستعمل بصيغة واحدة فى حالتى الإفراد والجمع ، يدلنا على ذلك قول الأصمعى : « وفى الإبل التليد ، وهو الذى اشتُرِى منذ حين ، فتلد عندهم ؛ أى طال مقامه ، والتلاد الذى وُلِدَ عندهم ، والتلاد : الواحد والجميع فيه سواء . قال الشاعر :

أخذتُ الدينَ أدفعُ عن تلادى ... وأخذُ الدين أهلكُ للتِّلادِ(٢٨)

ومن ذلك أيضاً قول ابن السكيت : « هى المنون ، وتكون المنون واحدة وجمعاً ، قال أبو ذؤيب فى توحيدها :

أمن المنونِ وريبها تتوجَّعُ ... والدهرُ ليس بمعتبٍ من يجزعُ

وقال عدىٌّ فى جمعها :

---

(٢٧) انظر : كتاب السلاح ١٩ ، ٢٥ ؛ والأزمنة : ٢٨ ؛ وخلق الإنسان لثابت : ٥٦ .

(٢٨) الإبل : ٦٦ .

من رأيت المنـــون عرّيـــن أمْ ذا عليـــــه من أن يُضامْ[٢٩]

ثالثاً : أشار المعجميون إلى الصيغ المختلفة التي تستعمل حين جمع بعض الكلمات . يقال : هو عبد ، والجمع القليل : أعْبُد وأعابد ، وفى الكثير : عباد ، وعبيد ، وعِبدان ، وعُبدان ، وعبدّى ، ومعبوداء . قال أبو دؤاد :

لهقٌ كنارِ الرأس بالصلياءِ تذكيها الأعابد

وقال الحصين بن القعقاع بن المعبد بن زرارة ، يخاطب الجراح بن الأسود ابن يعفر :

تركتَ العبدّى يعبثون بأمرِهـــا كأن غراباً فوق أنـــفِك واقـــعُ

وقال الشاعر :

عَلامَ يعبـدنى قومى وقـد كثرتْ فيهم أباعرُ ما شاءوا وعِبـدانُ[٣٠]

وتجمع كلمة « زوجة » على أزواج وزوجات . قال تعالى : (يأيها النبىُّ قل لأزواجِك)[٣١] ، وقال أبو الجراح العقيلى :

سقيــاً لعهـــدِ شبـــابٍ كان يأدمُ لى زادى ويذهبُ عن زوجاتى الغضبُ[٣٢]

رابعاً : اهتم المعجميون بالإشارة إلى « القياس » حين الحديث عن جمع القلة والكثرة ، ومن ذلك قول قطرب : « إذا جمعت « السبت » قلت لأدنى العدد إلى العشرة : ثلاثة أَسْبُتٍ ، على أفْعُلٍ ، وإذا جاوزت العشرة قلت : سُبوت وسُبات كثيرة ، على فُعُول وعلى فِعَال ، هذا الأكثر ، والقياس مثل : فَرْخ وأفْرُخ وفِراخ وفروخ ، وكعب وأَكْعُب وكِعاب وكعوب . قال قطرب : هذا ليس بمسموع من العرب ، ولكنه قياس »[٣٣] .

وبعد هذا العرض لما يتصل بالمفرد والجمع نشير إلى أن كثرة جموع التكسير يُردُّ إلى اختلاف اللهجات. يقول الدكتور إبراهيم السامرائى: « وربما دلت كثرة الجموع فى العربية على اختلاف اللهجات، ولاسيما جموع التكسير،

(٢٩) الألفاظ : ٤٥٤ وما بعدها ؛ وديوان الهذليين : ١ / ١ .

(٣٠) الألفاظ : ٢٧٥ وما بعدها .

(٣١) الأحزاب / ٢٨ .

(٣٢) الألفاظ : ٤٨٢ .

(٣٣) الأزمنة : ٣٣

ويعنى هذا أننا نجمع كلمة واحدة على عدة صيغ من صيغ الجمع.. فالشيخ يُجمع على شيخة، ويجمع على شُيوخ بضم الشين، وعلى شِيوخ بكسر الشين، وعلى أشياخ.. ومثل هذا كثير فى اللغات (اللهجات) العربية، وهو دليل على أن الجمع لم يستقر على حال، وأنه يشير إلى المرحلة التى كانت فيها اللغة غير مستقرة على صيغ ثابتة. من أجل هذا حدثت هذه الكثرة فى الصيغ، وسبب هذه الكثرة راجع إلى اختلاف الأقوام واختلاف الجهات »[٣٤].

* * *

(٣٤) التطور اللغوى التاريخى : ٧٢ .

فى تحليل التراكيب النحوية

احتوت الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) لأبى عبيد و (الألفاظ) لابن السكيت على بعض الظواهر التى يمكن دراستها فى ضوء « التحليل النحوى » ، ومن ذلك بيان أصل بعض الأمثال والأقوال المأثورة نحو « لبَّيْكَ وسعديْكَ » الذى توقف أمامه ابن السكيت مبيناً أصله المقدر معتمداً فى ذلك على الخليل بن أحمد . وقبل الدخول فى دراسة ما فى الأعمال الموضوعية من ظواهر تتصل بالتركيب وتحليله نشير إلى أن هناك بعض « الظواهر العالمية » Universals المتصلة بالتركيب تشترك فيها اللغات جميعاً ، ونحاول التعرف على المقصود بالعالمية وبيان أهم الظواهر التى تشترك فيها اللغات[1] .

إن هناك بعض القواعد والعناصر التى يمكن القول بوجودها فى لغات العالم كافةً ؛ لذلك يحاول دارسو اللغة البحث عن تلك القواعد والعناصر للتوصل إليها وتحديد طرق استخدامها فى الجملة ؛ فاللغات تشترك فى احتوائها على الأسماء والأفعال والحروف ، وتشترك أيضاً فى لجوء « ابن اللغة » native - speaker إلى التصرف فى تركيب الجملة كاستعماله للحذف deletion ، أو الزيادة addition ، أو التقديم والتأخير permutation أو غير ذلك ، وهذا التصرف يصيب اللغتين المنطوقة spoken والمكتوبة written ، وليس وقفاً على لغة دون أخرى . ومما يتصل بالعالمية فى الدرس اللغوى :

١ــ البحث عن أبجدية عالمية Universal alphabet : تكون معروفة فى العالم كله ، وتصلح لأن تكتب بها اللغات جميعا .

٢ــ البحث عن لغة عالمية تصلح لأن يستعملها الناس جميعاً ، وقد بدأت محاولات لذلك مثل لغة Esperanto التى وضعها Ludwig Lazarus Zamenhof (١٨٥٩ــ١٩١٧ م) ، ومع ذلك فإن معظم المشتغلين بالدراسات اللغوية يرون أن هذا الاتفاق والتوصل إليه حلم من الأحلام التى تراوض البشرية .

٣ــ البحث عن علم عام للدلالة Universal semantics يحتوى على العناصر الدلالية التى تشترك فيها اللغات جميعاً كالأضداد والترادف والمشترك اللفظى وسواها .

---

(١) يعد البحث فى الظواهر العالمية من أهم الأبحاث فى علم اللغة ، وقد تنبه إلى ذلك جيل من كبار اللغويين ، فعُقدت المؤتمرات لمناقشة تلك الظواهر ، وصدرت عدة دراسات من أهمها ←

نأتى ، بعد ذلك ، إلى محاولة تقديم بعض الظواهر الخاصة بتركيب الجملة وتشترك فيها معظم اللغات ، ولا نقول كل اللغات ، ومن أهم تلك الظواهر مايأتى :

١ــ يرى أصحاب النحو التحويلى أن كل لغة لها بنيتان هما : « البنية العميقة » deep structure و « البنية السطحية » surface structure ، وتأتى الثانية من الأولى عن طريق عدة عمليات تسمى « التحويل » . ومن أمثلة ذلك فى العربية ما هو منصوب على « الاختصاص » ــ مثلاً ــ ؛ فحين يقول الشاعر :

لنــا معشرَ الأنصارِ مجدٌ مؤثّــلٌ   بإرضائنـــا خيــرَ البريــةِ أحمدا

نجد أن « معشرَ الأنصار » بنية سطحة ، بنيتها العميقة هى : « أخُصُّ معشرَ الأنصار » ؛ لذلك يرى اللغويون أن البنية السطحية هى التى تساوى الكلام المنطوق أو المكتوب ، فى حين أن العميقة هى المعنى الذى نبحث عنه .

٢ــ الحذف deletion من الظواهر العالمية التى يلجأ إليها « ابن اللغة » native - speaker لرغبته فى سرعة توصيل المعنى ، ولإحساسه بأن ما هو محذوف يمكن الاستدلال عليه مما هو مذكور ؛ لذلك إذا سألنى أحدٌ : ما اسمك ؟ لا أقول : اسمى محمود ، ولكننى أذكر الاسم فقط ؛ لوجود قرينة يمكن التوصل خلالها إلى التعرف على العناصر المحذوفة .

٣ــ تلجأ بعض اللغات إلى « الاتساع » expansion حين التعبير؛ لذلك يُعرَّف الاتساع بأنه إضافة عناصر جديدة لبناء الجملة حتى يمكن توضيح المعنى وتقريبه إلى ذهن القارىء والسامع؛ ومن هنا فإنه يمكن النظر إلى بعض الجمل على أنها أتت من عنصر أساسى أُضيف إليه بعض الكلمات والعبارات؛ وذلك كقولنا: cars، the cars، the big cars، all the big cars، all the big cars in the garage[٢].

=

- Bach & Harms (editors): Universals in Linguistic Theory.
- Greenberg (editor): Universals of Languages.

(٢) للتعرف على مفهوم « الاتساع » عند اللغويين العرب انظر كتابنا : قضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين ١٠٧ــ١١١ .

٤ــ التقديم والتأخير من الظواهر المتصلة بالأداء اللغوى ، وهما يدرسان فى الإنجليزية تحت مصطلح Permutation الذى يُترجم إلى « إعادة الترتيب » ، وقد أشار أصحاب النظرية التحويلية إلى وجود تلك الظاهرة فى معظم اللغات . ولعله من المفيد الإشارة إلى أن التقديم والتأخير يطبع الأسلوب القرآنى العظيم ، والحديث الشريف ، والشعر العربى بأنواعه المختلفة وفنونه المتنوعة على مر العصور . وقد لقى اهتمام النحاة وعلماء البلاغة والمفسرين وسواهم .

وهناك ظواهر أخرى كثيرة ، ولكن نكتفى بالأمثلة السابقة ، لعلها توضح المقصود بالعالمية حين النظر فى تركيب الجملة . ولعله من المفيد الإشارة إلى أن موسوعة كمبردج فى اللغة(٣) أوضحت أن هناك ثلاثة أنماط تتصل بالعالمية هى :

١ــ نمط اسمى Substantive :

وهو عنصر جوهرى يُعتمد عليه حين تحليل المعطيات data التى تقدمها اللغة ، وهذا العنصر يكون كلمة ، أو عبارة ، أو جملة تعمل عملَ الاسم فى إحدى الجمل ، وهو يتضمن مجموعة من الفصائل نكون فى حاجة إليها لتحليل لغة ما كالاسم والسؤال ، والشخص الأول ، والتضاد antonym وسواها . وهناك بعض التساؤلات التى أثيرت من بينها : هل تحتوى كل اللغات على أسماء وصوائت ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال بالإيجاب ، ولكن هناك فصائل معينة يظن بعض الدارسين أنها توجد فى أغلب اللغات ، وهذا غير صحيح ؛ فحروف الجر والزمن المستقبل ــ مثلاً ــ ليس موجوداً فى بعض اللغات . وهناك تساؤل آخر يبدو غريباً وهو : هل تحتوى كل اللغات على كلمات ؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل تعتمد أساساً على البحث عن تعريف صارم للكلمة(٤) .

٢ــ نمط شكلى Formal :

وهو ملمح إجبارى فى البناء النحوى أساسه مجموعة من الحالات النظرية

(٣) انظر ص ٨٥ من تلك الموسوعة التى وضعها دافيد كريستال .

(٤) انظر فى تعريف الكلمة كتب التراث النحوى .

المجردة تحكم الطريقة التى يمكن خلالها تحليل اللغة . إن هناك بعض العوامل التى تحدد الطريقة التى تتكوّن الجمل فى اللغات خلالها ، وعلى سبيل المثال تشترك اللغات فى الإجابة عن السؤال فى « الجملة الاستفهامية » ، وكذلك صياغة السؤال نفسه من العناصر المذكورة ؛ فلو قلنا : The car is ready ، نقول : Is the car ready ? ... وهكذا .

٣ــ نمط تضمينى Implicational :

والمقصود به أن هناك بعض الكلمات تتضمن جملة من المعانى أو الأشياء التى تندرج تحتها ؛ فكلمة « شجرة » ــ مثلاً ــ تستدعى بالضرورة كلمة « نبات » . وقد قدّم اللغوى الأمريكى Joseph Greenberg وُلد سنة ١٩١٥ م) بعض الجوانب التى يشملها التضمين ، من بينها الترابط بين الفاعل أو المفعول مع الفعل الذى يتطلب الترابط مع الصفة من حيث نوع الاسم ؛ لذلك نقول : يذهب الطالبُ المجتهدُ إلى الجامعة ؛ بالترابط بين الفاعل « الطالب » والصفة « المجتهد » ؛ ونقول : سلمتُ على الطالبةِ المجتهدة ، بالترابط بين الاسم « الطالبة » والصفة « المجتهدة » .. وهكذا . ومن الترابط ما يوجد بين الفصائل الخاصة بالأسماء والضمائر ؛ فإذا كانت لغة ما بها توافق بين الاسم والجنس فهذا يتضمن التوافق بين الضمير والجنس ؛ لأننا نعلم أن الضمير يصلح لأن يحمل محل الاسم .

وبعد هذا العرض للمقصود بمصطلح universal فى الدراسات اللغوية المعاصرة ، نتوقف أمام ما أشار إليه أصحاب الأعمال الموضوعية من ظواهر تتصل بالتركيب النحوى وتحليله ، ونبدأ بالأمثال والأقوال المأثورة .

من التراكيب المتداولة فى البيئة العربية قولهم « لبّيْكَ وسَعْدَيْكَ » ويطلق عليها اسم « المصادر المثناة » ؛ أى حين إعرابها نقول : مفعول مطلق لفعل محذوف منصوب وعلامة نصبه الياء ؛ لأنه مثنى حُذفت نونه للإضافة ، وهو مضاف والكاف ضمير متصل مبنى على الفتح فى محل جر مضاف إليه . إن هذا الإعراب الذى نقوله فى قاعات الدرس يقدم وصفاً دقيقاً لما طرأ على المصادر المثناة من عمليات تحويلية ، قبل أن نكشف عنها نقدم ما قاله الخليل بن أحمد حولها . قال : « أراد : أجبتك ولزمت طاعتك فيما دعوتنى إليه ، وإنما

ثنّى كأنه أراد : إجابةً بعد إجابةٍ ، كأنه قال : « كلما أجبتُك فى أمر فأنا مجيبٌ فى غيره ... ومعنى « لبيك » أنا معك ، و « سعديك » أنا مُسْعِدُك . وقولهم « لبيك » مأخوذ من قولك : لبَّ بالمكان وألبَّ : إذا أقام به ... وكان أصله « لبَّبْكَ » فاستثقلوا ثلاث باءات ، فقلبوا إحداهن ياءً . و « سعديك » معناه أسعدك إسعاداً بعد إسعادٍ »[٥] .

وقد احتوى هذا النص على عدة عمليات تحويلية ، يمكن بيانها فى النقاط الآتية :

١ــ اهتم الخليل بإيضاح البنية العميقة أو الأصل المقدر the underlying structure لقولهم « لبيك وسعديك » ، ومن عباراته الدالة على ذلك قوله « كأنه أراد » و « كان أصله » .

٢ــ ومن المعروف أن تلك البنية هى التى توضح المعنى أو الدلالة ، وقدّم الخليل عدة تراكيب تفيد ذلك هى :

ــ أجبتك ولزمت طاعتك فيما دعوتنى إليه
ــ معنى لبيك : أنا معك
ــ معنى سعديك : أنا مسعدك
ــ أسعدك إسعاداً بعد إسعاد

٣ــ وتجاوز الخليل ذلك إلى ربط التثنية للمصدر بالدلالة ، يدلنا على ذلك قوله : وإنما ثنى كأنه أراد : إجابة بعد إجابة ، كأنه قال : كلما أجبتك فى أمر فأنا مجيب فى غيره .

٤ــ قولهم « لبيك » الياء فيه ليست من أصل بنية المصدر ، ولكن أصلها باء : « لبَّبْك » ، ونحن نعلم أن هناك ظاهرة صوتية تطبع الأداء اللغوى للجملة العربية وهى الابتعاد عن توالى الأمثال ؛ لأنه يؤدى إلى الصعوبة فى النطق ، و « لبيك » عبارة عن ثلاث باءات ؛ لذلك تم قلب الأخيرة ياءً .

بقى أن نشير إلى رأى الفراء الذى أوضح أن تلك المصادر لم يرد المفرد منها . قال : « ولم نسمع لشىء من هذا بواحد » ، ثم درس معنى

(٥) الأنماط : ٤٤٧ ، والمقاحر : ٤ وما بعدها

« حنانيْكَ » ؛ أى حناناً بعد حنان ، والحنان : الرحمة ، وقد ورد فعل له فى قول الشاعر :

تحنَّنْ علــىَّ هداك المليــك   فإنّ لكــل مقــام مقــالا

و « دواليْكَ » ؛ أى دولةً بعد دولةٍ ، قال سحيم عبد بنى الحسحاس :

إذا شُقّ بُرْدٌ شُقّ بالبردِ برقــعٌ   دواليْكَ حتى كلنا غير لابس[6]

وهناك الكثير من الظواهر اللغوية التى طبعت الأمثال العربية القديمة التى احتوت عليها الأعمال الموضوعية ، ومن تلك الظواهر مايأتى :

١ـ استعمال صيغة « أفعل من » للمبالغة فى التشبيه ، وهذا النوع عبارة عن شيئين ؛ الأول منهما متغير ولا يُعْرَف إلا باستخدام المثل ، يوضعان فى عبارة تشبيهية باستخدام وصف ما فى صيغة « أفعل التفضيل » ، وبهذا التشبيه يكتسب الشىء الأول هذا الوصف بالمبالغة ، فى حين أن هذا الوصف فى الثانى ، وهو فى العادة شىء متناهٍ ، وهذا التشبيه يوحى بالمبالغة ؛ بل بالغرابة أحياناً لأن الوصف المختص بشىء لا يسمع بالتصاعد فيه مطلقاً[7] . ويرى برجشتراسر أن صيغة « أفعل من » ليس لها نظير فى العبرية والآرامية والحبشية والعربية الجنوبية القديمة[8] ، بل هى من خصائص التعبير فى العربية ، ومن أمثال العرب فيها وأقوالهم مايأتى :

ـ والله للخبزُ أحبُّ إلىَّ من ناقة نهية فى غداةٍ عرية[9]
ـ هو أمضى من خازق[10]
ـ لأنت أجبن من المنزوفِ ضرطاً[11]

---

(٦) همع الهوامع : ١ /١٨٩ ؛ وديوان سحيم : ١٦ .
(٧) رودلف زلهايم : الأمثال العربية القديمة ٣١ .
(٨) التطور النحوى للغة العربية : ١٠١
(٩) الإبل : ١٠٦ ، والناقة النهية : الممتلئة .
(١٠) الألفاظ : ١٧٥ ، والخارق : السنان .
(١١) السابق : ١٧٨ . وقد شرح ابن السكيت أصل المثل بقوله : « هذا رجل فزعه نساء حيّه بالخيل ، وكان نائماً فانتبه ، فجعل يقول : الخيل الخيل ، ولا خيل هناك ،ويضرط حتى مات ، فضُرِبَ به المثل » .

وقد يستعملون صيغة « أفعل » دون حرف الجر ، ومن هذا قول أحد الأعراب : « أطيبُ مضغةٍ أكلها الناسُ صيحانيةٌ مصلّبةٌ »[١٢] .

٢ــ استعمال « ما » النافية لنفى دلالة صفات معينة ، ومن ذلك ما ورد فى التراكيب الآتية :

ــ مالك علىَّ قاهٌ[١٣]

ــ والله ما حملته وُضْعاً ، ولا ولدتُه يَتْناً ، ولا أرضعته غَيْلاً[١٤]

فقد أدت « ما » وظيفة دلالية محددة هى نفى القاه (السلطان) ، وثلاث صفات فى التراكيب التى احتواها القول الثانى وهى الحمل وضعاً ، والولادة يتناً ، والرضاعة غيلاً .

٣ــ استعمال أسلوب القسم لغرض دلالى محدد هو تأكيد الكلام ، ومن هذا :

ــ أمَا والله لأقيمنَّ صَعَرَكَ[١٥]

ــ هى والله فى البُهمة الصمعاء الحبشية[١٦]

بالإضافة إلى « والله ما حملته ... » .

٤ــ استعمال الدعاء خاصة فى الجانب المجازى ، ومن ذلك قول ابن السكيت : « سمعتُ الكلابى يقول : يقال للرجل يُدْعَى عليه : أرقأ الله به الدمَ ؛ أى ساق الله إليه قوماً يطلبون قومه بقتيل ، حتى يرقىء الله به دمَ غيره »[١٧] .

وقالوا : « بالرِّفَاءِ والبنين » وهو مأخوذ من شيئين : من رفأْتُ الثوبَ ،

(١٢) الألفاظ : ٥٥٦ ، والصيحانية المصلبة : المتينة الصلبة .

(١٣) الغريب المصنف : ٦٣١ ، والقاه : السلطان فى لهجة بنى أسد .

(١٤) خلق الإنسان لثابت : ٣ ، والوُضْع : الحمل فى آخر قرء بالمرأة عند مُقبل الحيض ، وهو مذموم مكروه ، واليتن : أن تخرج رجلا الجنين قبل رأسه فى الولادة ، والغيل : شراب نصف النهار . والعبارة لأم تأبط شرًّا .

(١٥) خلق الإنسان للأصمعى : ٢٠١ ، والصعر : الميل .

(١٦) النبات والشجر : ٢٠ ، وتفيد الحبشية الدلالة على شدة خضرة النبات .

(١٧) الألفاظ : ٥٧٢ .

كأنه قال : بالاجتماع والالتئام ، وقد يكون من رفوئه ، إذا سكنته ، كأنه قال : بالسكون والطمأنينة »[١٨] .

وقالوا : « جَعَلَ الله رزقَك فوتَ فمِك » ؛ أى تنظر إليه قرب ما يفوت فمك ولا تقدر عليه[١٩] .

٥ـ استعمال « ما » الكافة ملحقةً بالحرف الناسخ « إنّ » ، وتعد « إنما » من أهم حروف الحصر فى اللغة العربية ، وتقع فى أول الجملة ، وهى تأكيد للجملة أو جزء الجملة المتأثرة بها[٢٠] . ومما ورد على البناء السابق :

ــ إنما أنت على حندرة عينى[٢١]

ــ إنما امرأةُ فلانٍ المبشرة المُؤدمة[٢٢]

٦ــ استعمال « إن » مع إلحاق اللام بخبرها ، وفائدتها توكيد مضمون الجملة ، ولهذا زحلقوها فى باب « إن » عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين[٢٣] ، وقد ورد ذلك فى الأمثال الآتية :

ــ إنه لغيرُ ذى جولٍ : والمثل يقال للرجل إذا كان يُحمَّقُ أو قليل العقل[٢٤] .

ــ إن ابن آدم ومتاعه لعلى قَلَتٍ إلا ما وقى الله : والقول منسوب إلى شيخ من بلعنبر ، والقلت : الهلاك[٢٥] .

ــ إن فلاناً لحسنُ الوجهِ ، حليف اللسان ، طويل الأمة[٢٦] .

وهناك استعمال لـ « إنّ » وحدها دون إلحاق « ما » بها ، أو اللام بخبرها ، ولكنه قليل ، ومن ذلك قولهم : اطرى إنك ناعلةٌ[٢٧] .

(١٨) السابق : ٥٧٢ وما بعدها .

(١٩) السابق : ٥٧٢ وما بعدها .

(20) Wright, A grammar of Arabic Language, VII, p. 362.

(٢١) الغريب المصنف : ٤ ، ويراد بالعبارة أنك على ناظرى فلستُ أقدر أن أتأملك .

(٢٢) خلق الإنسان : ١٦٥ ، ويراد بالعبارة المرأة التامة فى كل وجه .

(٢٣) المغنى : ١ /٢٢٨ .

(٢٤) البئر : ٥٥ .

(٢٥) الإبل : ٩٢ ؛ والألفاظ : ٣٣٤ و ٤٥٩ .

(٢٦) خلق الإنسان : ١٦٤ .

(٢٧) الألفاظ : ٨٦ ؛ ومجمع الأمثال : ١ /٤٤٤ .

٧ــ هناك تطور يصيب المثل فى مبناه ومعناه ، فقد يعتور المثل فى أثناء تناقله على الألسنة فى خلال العصور بعض التغير فى مبناه ، أو معناه ، أو فى كليهما معاً ، وقد يصيب المثل التغيير بالتطويل والتقصير[٢٨] . ومن هذا « شَوَلان البروق » فقد ورد عند المفضل الضبى (ت ١٧٠ هـ) على النحو السابق[٢٩] ، فى حين أصابه التطويل فأصبح عند الأصمعى : « لستُ من تكذابك وتأثامك شولان البروق »[٣٠] .

وبعد هذا العرض لما يتصل بالأمثال والأقوال المأثورة ، نتوقف أمام بعض الجوانب الأخرى المتصلة بالتحليل النحوى ومن ذلك ما كتبه قطرب[٣١] عن استعمال « أمس » فى الجملة العربية . ويمكن تنظيمه على النحو الآتى :

١ــ رأيته أمسِ ، فهو ظرف مبنى على الكسر دون تنوين ، وهذا أشهر استعمالاته فى الجملة .

٢ــ رأيتُه أمسٍ ، وهذا الاستعمال بالكسر والتنوين يُحمل على قولهم : قال الغرابُ غاقٍ ، وذلك حين حكاية صوته ، والأصل « غاقِ » .

٣ــ ذَهَبَ أمْسُ بما فيه ، وهذا الاستعمال بالرفع دون تنوين لهجة خاصة ببنى تميم ، ويُعلل المنع من الصرف بهذا التغيير الذى لحق « أمس » حيث تحوّل من البناء على الكسر إلى الرفع دون تنوين . قال الراجز :

لقــد رأيتُ عَجَبــاً مُذْ أمْسَا   عجائـزاً مثـلَ الأفاعــى خمْسَا

فـ « أمس » أضيف إلى « مذ » أو جُرَّ بها وعلامة جره الفتحة ، والألف للإطلاق .

٤ــ رأيتُه الأمسَ ، وهذا الأستعمال بالنصب مع إدخال الألف واللام لهجة عربية . قال الراجز :

غُضْفٌ طواها الأمسَ كَلّابىُّ

---

(٢٨) الدكتور عبد المجيد عابدين : الأمثال ٨٦ .
(٢٩) أمثال العرب : ١٧ .
(٣٠) الإبل : ١١٤ .
(٣١) الأزمنة وتلبية الجاهلية : ٣١ــ٣٣ .

٥ــ رأيتُه الأمسِ ، وهذا الاستعمال بالكسر مع إدخال الألف واللام لهجة عربية . قال نُصَيْبٌ :

وإنى حُبِسْتُ اليــومَ والأمسِ قبلَــــه ببابِك حتى كادت الشمسُ تغْرُبُ(٣٢)

هذه هى طرق استعمال « أمس » فى الجملة العربية ، وقد أشار الخليل أن الأصل المقدر لـ « أمسِ » بالكسر دون تنوين أصله : رأيتُه بالأمسِ ، وتم حذف حرف الجر ؛ فأصبح التركيب : رأيته الأمسِ ، وتم حذف الألف واللام ؛ فأصبح التركيب : رأيته أمسِ . ويمكن تنظيم تلك التراكيب كما يأتى :

(١) رأيته بالأمسِ
(٢) رأيته الأمسِ
(٣) رأيته أمسِ

وهذا التصرف يشبه ما فى قولهم : « خيرٍ ، عافاك الله » يريدون : بخيرٍ ؛ فحذفوا حرف الجر وأعملوه ، وقولهم : « لاهِ أبوك » يريدون : لله أبوك . قال ذو الإصبع :

لاهِ ابــنُ عمِّك لا أفضلْتَ فى حَسَبٍ دونى ولا أنت ديّانى فتخــزونى(٣٣)

وقال الآخر :

طال الثواءُ وليس حين تقاطُــعٍ لاهِ ابنُ عمِّك والنــوى تعــدوه

ويجمع « أمس » على « آماس » ؛ أى إنه على وزن « أفْعَال » ، ويجمع أيضاً على « أُمُوس » ؛ أى إنه على وزن « فُعُول » . قال الراجز :

مرَّتْ بنــا أول من أُمُــــوسِ تميسُ فينــا مِشيــةَ العــــروسِ

وقد وردت التثنية فى قول أحد الأعراب :

مرَّتْ بنــا أولَ من أمْسَيْنَــــه تَجُــرُ فى مَحْفلهــا الرجلينــه

* * *

(٣٢) ديوان نصيب : ٦٢ .
(٣٣) ديوان ذى الإصبع : ٨٩

متفرقات تركيبية

هناك الكثير من الجوانب الصرفية والنحوية التى أشارت إليها الأعمال الموضوعية ، ولكن كانت تلك الإشارات موجزة دون عمق فى الدراسة أو استقصاء فى البحث والتحليل ، ونجمع فى تلك الصفات أهم الظواهر الصرفية والنحوية التى وردت فى الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) وهى على النحو الآتى :

أولاً : الاهتمام ببيان صيغ المبالغة ، والاستشهاد على تلك الصيغ بنصوص من الشعر ، من شأنها أن توضح استخدام تلك الصيغ فى مصادرها الأولى ، يدلنا على ذلك قول ابن الأعرابى : « يقال :ماء نمير و نَمِر ، إذا كان يوافق الشاربة وينجع فى جلودها وأجسامها عذباً كان أو غير ذلك . قال حاتم :

وشربتُ بالماءِ النمير ولم　　　أترك ألاطم حمأة الحُفَرْ

وقال آخر :

قد جعلتْ والحمدُ لله تقر　　　من ماء عدٍّ فى جلودها نَمِر [1]

وربما تنسب الرسائل اللغوية اختلاف صيغ المبالغة إلى اللهجات ، ولكن دون تحديد للقبائل ، وكان الأصمعى يطلق كلمة « لغة » إشارة إلى ذلك . قال : « إذا ألقى سديسه (الناقة) فهو سديس وسدس لغتان ... قال أبو النجم :

نحىّ السديسَ فانتحى للمعدل　　　عزلَ الأميرِ للأميرِ المبدلِ[2]

وهناك اختلاف فى ضبط الصوت الأول من بعض صيغ المبالغة ، ومن هذا ما يتصل بكلمة « سدوس » التى تضبط بضم السين وفتحها . قال الأفوه الأودى :

والليل كالدأ ماءِ مستشعر　　　من دونه لوناً كلونِ السدوسِ

قال ابن الكلبى : « سدوس التى فى طيىء بضم السين ، والتى فى ذهل بن ثعلبة بفتح السين »[3] .

(١) البغر : ٥٧ .

(٢) الإبل : ٧٦ .

(٣) الغريب المصنف : ٢٦٩ وما بعدها .

ثانياً : نال المصدر عناية أصحاب المعاجم الموضوعية ، حيث نجد ذكراً للمصادر المختلفة ، مؤيدةً بشواهد من النصوص اللغوية . ولقد كان أصحاب المعاجم ، بصفة عامة ، حريصين على ذكر صيغ المصدر وذلك بعد إيرادهم للمادة المعجمية التى يشرحونها ، وكان هذا موجوداً منذ (كتاب العين) حتى مشروعات مجمع اللغة العربية . وقد عقد أبو عبيد فى معجمه[٤] عدة أبواب حول المصدر هى :

- باب مصادر الأفعال بالجسد من ضرب وغيره
- باب أسماء المصادر التى لا تشتق منها أفعال
- باب المصادر فى العدد
- باب المصادر التى على مثال « فعلت فَعَلا » .

واعتمد أبو عبيد فى تلك الأبواب على رواد الجمع اللغوى كالكسائى وأبى زيد وأبى عبيدة والأصمعى ، وكان ذكره للمصادر يعادل ما فى الرسائل اللغوية ؛ فقد نقل عن أبى زيد قوله : « رأستُ الرجلَ وغيره أرأسه رَأساً إذا أصبت رأسه ، وقلبته أقلبه ، وبطنته أبطنه ... قال الكسائى : هو رجل بيّن الرجولة ، وراجل بين الرُّجْلة ، وحر بين الحرية والحرورية »[٥] . وكان أبو عبيد مهتمًّا باشتقاقات المصادر وبيان الأفعال التى يشتق منها أكثر من مصدر .

وأيدت معاجم الموضوعات صيغ المصادر بشواهد من الشعر . قال ابن السكيت :

« ولع الرجلُ يلعُ ولعاً وولعاناً : إذا كذب ... وأنشد :

لخلّابةُ العينين كذابةُ المنى ... وهُنَّ من الإخلافِ والولعانِ

وقال كعب بن زهير :

ياويحها خلة لو أنها صدقتْ ... موعودها أو لو انَّ النصحَ مقبولُ
لكنها خلةٌ قد سيط من دمها ... فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلُ[٦]

والحق أن الاختلاف فى صيغ المصادر قد أتى من ناحيتين ؛ الأولى :

---

(٤) السابق : صفحات ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦١ ، ٦٦٣ .
(٥) السابق : ٦٥٨ وما بعدها .
(٦) الألفاظ : ٢٥٨ ؛ وديوان كعب : ٧ وما بعدها .

اختلاف صيغ الأفعال . قال الأصمعي : « إذا ضربها (أي الناقة) الفحلُ قيل : قد قاع عليها وقعاً ، والمصدر القياع ، ومن قال : قَعَا ؛ فالمصدر القَعْو . يقال : قاع يقعو قعوًا ، وقاع يقعو قياعاً . قال العجاج :

ولـو نقـولُ دربخوا لدربخـوا
لفحلنا إنْ سرّه التنوُّخُ
قاعَ وإن يُترك فشولٌ دوّخُ[7]

وقال ابن السكيت : « يقال : أضاع الشيءَ يضيعه إضاعةً ، وضيّعه يضيعه تضييعاً ، وضاع الشيءُ يضيعُ ضيعةً وضياعاً »[8] . وتشديد الفعل لهجة أهل نجد ، وتخفيفه لهجة أهل العالية[9] .

والناحية الثانية هي اختلاف اللهجات ، ويشير إليها استخدام الفعل مخففاً أو مشدداً الذى يؤثر فى إنتاج صيغة المصدر ، ويشير إليها أيضاً قول يونس بن حبيب حول المصادر فى الأعداد : « أهل العالية يقولون : الوَتْر فى العدد ، والوِتْر فى الذَّحْل ، وتميم تقول : الوِتْر فى العدد وفى الذَّحلِ ، سواء »[10] . وقال الكسائى : « من العرب من يقول : أقرضْته قِرْضاً بكسر القاف ، وقَرْضاً »[11] .

ثالثاً : نال التصغير عناية أصحاب الرسائل اللغوية ؛ بالإضافة إلى (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ، وهو أحد أبواب الصرف التى لها صلة مباشرة بالدلالة ؛ لأن العلماء أشاروا إلى أن التصغير له خمس فوائد : أحدها تحقير شأن الشيء وقدره نحو : رُجَيْل وزُيَيْد ، تريد تحقير قدره والوضع منه . الثانى : التقليل ، إما لذاته نحو : كليب ، أو لكميته نحو : دريهمات . الثالث : التقريب ، إما لمنزلته نحو : صُدَيّقى ، أو لزمانه ومسافته نحو : قُبَيْل وبُعَيْد وفُويق وتُحيت ودُوَين . الرابع : التعطف نحو : يا أُخَيّ، ياحبيبى . الخامس : التعظيم ، أثبته الكوفيون ، واستدلوا بقوله :

---

(7) الإبل : ٦٩ ؛ وديوان العجاج : ٤٦٢ .
(8) الألفاظ : ٥٣٧ .
(9) الغريب المصنف : ٤٢٥ .
(10) إصلاح المنطق : ٣٠ .
(11) السابق : ٣١ .

وكل أناسٍ سوف تدخـــلُ بينهم   دويهيةٌ تصفـرُّ منها الأنامـــلُ(١٢)

وقد أشار ابن السكيت إلى تصغير التعظيم ، واستشهد ببيت الشعر السابق وهو لطرفة(١٣) ، وأشار أيضاً إلى التصغير على غير القياس . قال : « يقال : أتيتُه أصيلالاً وأصيلاناً . قال الأصمعى : وهو تصغير على غير القياس ، كما صغروا عشيّة : عُشيشية ، وكما قالوا : لقيتُه عند مُغيربان الشمس . جمعوا أصيلاً على أُصْلان ، كما قالوا : بعير وبُعْران ، ثم صغروا أصلاناً فقالوا : أُصَيْلان ، ثم أبدلوا بنونٍ لاماً ، فقالوا : أُصيلال »(١٤) .

وتوقف الأصمعى وأبو حاتم السجستانى أمام بعض الأمثال والأقوال المأثورة التى وردت عن العرب ، مع بيان ما فيها من التصغير ؛ فقد ورد عن العرب قولهم : « أنا عُذَيْقُها المُرَجَّبُ ، وجُذَيْلها المحَكك » الذى قال عنه الأصمعى : « صغر العَذْق ؛ يعنى النخلة ، ولم يقصد التصغير ، وإنما أراد التقريب ، مثل قولهم : فلان خُوَيْصَتى ، وأُخَىُّ وصُدَيْقى ، وبُنَىّ ، ومنه قولهم : يا أخىَّ ، يريد التقريب له منه ، وقالوا : فلان فُرَيْخ القوم ، وأرادوا التقريب »(١٥) .

ولقد تنبه المعجميون لظاهرة على قدر كبير من الأهمية هى الدور الذى يؤديه التصغير فى ردِّ الأشياء إلى أصولها ؛ فقد قال الأصمعى عن الشفة : « هى من الإنسان الشَّفَةُ ، وكان ينبغى أن تكون شَفَهَة ؛ وذلك أنهم إذا صغروها قالوا : شُفَيْهَة ، فيردونها إلى أصلها ، ويجمعون فيقولون : شِفَاه كثيرة »(١٦) . ويعد هذا الحديث مبحثاً مهمًّا فى النظرية التحويلية ؛ إذ إن هناك ظاهرة لغوية لها اهتمام خاص هى « الأصل والفرع » ، وقد تنبه لأهميتها اللغويون العرب حين قالوا إن المذكر والمفرد والنكرة أصول ، والمؤنث والجمع والمعرفة فروع لها(١٧) .

* * *

(١٢) همع الهوامع : ٢ /١٨٥

(١٣) القلب والإبدال : ١١ .

(١٤) الألفاظ : ٤٠٧ .

(١٥) النخل : ٨٨ .

(١٦) الفرق : ١٨ .

(١٧) انظر الفصل الذى كتبناه عن « الأصلية والفرعية » فى كتابنا : قضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين » ، ٢٥٥ـ٢٧٦ .

وبعد هذا العرض للظواهر اللغوية التى تندرج تحت المستوى التركيبى ، نحاول دراسة الظواهر لدلالية فى الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ، وهذا موضوع الفصل التالى .

* * *

الفصل الثالث

المستوى الدلالى

تمهيد : علم الدلالة فى الدراسات المعاصرة :

يُطلق على « علم الدلالة » باللغة الإنجليزية المصطلح Semantics[1] ، ويُعرَّف بأنه العلم الذى يدرس معانى الكلمات ، وهو أحد فروع علم اللغة ، ويعد قمة الدراسات التى يدور حولها هذا العلم ؛ لذلك يقال إن دراسة المعنى meaning الغاية التى نحاول التوصل إليها فى ضوء الأبحاث الصوتية والصرفية والنحوية ، وتلك الأبحاث تمهيد أو مدخل نستطيع خلاله التوصل إلى المعنى . ولم يكن مصطلح Semantics منتشراً بصورة واسعة إلا فى أوائل القرن العشرين ، ومع ذلك فإن الموضوعات التى عالجها قديمة جدًّا ، تعود إلى كتابات أفلاطون وأرسطو ومن عاصرهما .

وتتعدد استخدامات الفعل mean والاسم meaning فى اللغة الإنجليزية ، وهذا يؤدى إلى إنتاج دلالات مختلفة ؛ فإننا إذا قلنا : Mary means well دل الفعلُ على أن مارى لا تقصد السوء . وإذا قلنا : The red flag means danger دل الفعل على أن العَلَم بلونه الأحمر ما هو إلا رمز يشير إلى أن البيئة المحيطة بنا بها خطر من أى نوع كان؛ فإذا كان العلم موضوعاً على شاطىء البحر فهو رمز يدل على أن الاستحمام ها هنا خطر. ودلالة اللون الأحمر عرفية توارثتها الحضارات المختلفة عبر الأجيال ؛ لذلك إذا قلنا: Smoke means fire الدلالة هنا طبيعية يستطيع الإنسان التوصل إليها للارتباط الموجود بين الدخان والنار. ومن هنا فإن الأستاذين Richards, Ogden فى كتابهما The meaning of meaning الذى نُشِرَ عام ١٩٢٣م قَدَّما ستة عشر سياقاً للفعل mean والاسم meaning من بينها ما يأتى:

1- John mean to write.

وهو هنا بمعنى « نوى » أو « عقد العزم » .

---

(١) من الخطأ ترجمة المصطلح الإنجليزى إلى « علم المعانى » الذى هو أحد علوم البلاغة العربية ، ويُعرَّف بأنه « علم يعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يطابق مقتضى الحال » .

2- A green light means go.

وهو بمعنى « يشير إلى » أو « يدل على » ..

3- Health means everything.

وهو يدل على أهمية الصحة فى حياة الإنسان ؛ فهو كل شيء بالنسبة إليه .

4- His look was full of meaning.

وهو يدل على أن نظرته تحمل الكثير من المعنى والأهمية ، ولكنها فى النهاية أهمية خاصة ، عكس السابقة عليها ؛ لأن الصحة وأهميتها أمر عالمى ليس وقفاً على إنسان دون آخر .

5- What is the meaning of life ?

وهو يدل على السؤال عن الغرض من الحياة وقيمتها ومعناها .

6- What does capitalist mean to you ?

وهو يتطلب تحديد مفهوم الرأسمالية بالنسبة إليك .

7- What does corned mean ?

وهو هنا إشارة إلى مفهوم « القرنية » بالنسبة إلى أى فرد فى العالم .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى التعرف على المعانى التى يدور فى إطارها « الجذر المعجمى » lexical root (ع ن ى) فى اللغة العربية ، ويمكن تقديمها خلال السياقات الآتية :

١ ــ عُنِىَ بالأمر ، واعتنى بالأمر ، عُنِىَ بالقضية ، عُنِى بالحديقة ، عنى بتربية أطفاله : اهتمَّ بما أولاه عنايته .

٢ ــ عنيتُ بكلامى كذا : أردتُه وقصدتُه .

٣ ــ ترك ما لا يعنيه : ما ليس من شأنه . قال الرسول ﷺ : « من حُسْنِ إسلام المرء تركُ ما لا يعنيه » .

٤ ــ عَنِىَ فى إعدادَ كتابه أشدَّ العناءِ : تعب وأصابته مشقة .

٥ ــ عانى الفقرَ : قاساه وكابده .

٦ ــ أعناه الأمرُ : أهمَّه وأتعبه .

٧ ــ تعنَّى الرجل من أجل تحقيق أحلامه : تعب ونَصِبَ .

٨ ــ قال الرسول ﷺ : « عودوا المريضَ وفكوا العانى » . الأسير والذليل .

٩ ــ وصلت العناية الطبية فى هذا البلد إلى مستوى رفيع : الاهتمام والرعاية .

١٠ــ العناية الإلهية : تدبير الله تعالى للأشياء .

١١ــ غرفة العناية المركزية فى المستشفى : حجرة مخصصة لمراقبة المريض الذى فى حالة خطرة مراقبة مستمرة(٢) .

وبعد هذا العرض نشير إلى أن اللغويين قد بذلوا جهوداً ضخمة فى مجال دراسة المعنى ، وقدموا الكثير من النظريات اللغوية التى تندرج تحت التحليل الدلالى ؛ لذلك ظهر ما يسمى بـ « علم الدلالة اللغوى » الذى يهتم بدراسة جميع أنواع المعنى والأشكال التعبيرية المختلفة التى يُرْمَز إليها على نحو نظامى فى « اللغات الطبيعية » natural languages ؛ لذلك يدرس هذا العلم التعبير بالإشارة وملامح الوجه والحركة الجسمية وسواها من أشكال التواصل اللغوى . أما « علم الدلالة » فيركز فى دراسته على الكلمات التى يفترض أنها لا تمتلك معانىَ مسبقةً ؛ بل استعمالات ، ومعانى الكلمة ما هى إلا مجموع استعمالاتها ؛ لذلك يتحدد معنى الكلمة فى ضوء السياق أو الخطاب الذى تقع فيه .

وهناك ما يسمى أيضاً بـ « علم الدلالى الشكلى » Formal semantics وهو يحاول تحليل الأنظمة الشكلية للجملة دلاليًّا ، ولكن هذا التحليل ضيق إلى حد ما ؛ لأن هذا العلم يتعامل مع الجملة من حيث المعنى على أنها محتوى لقضية معينة ؛ لذلك فشل فى تحديد بعض الظواهر اللغوية كالزمن اللغوى وصيغته ونمط الجملة ؛ فالدلالة الشكلية لم تستطع ــ مثلاً ــ التفريق بين Some و Any وما يشتق منهما مثل Some one و Any one و Some thing و Anything وسواها دلاليًّا .

وقد ظهرت نظريات فى تحليل المعنى ، سوف نعرض لبعضها خلال التطبيق فى الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات وذلك مثل نظرية « المجالات الدلالية » Semantic fields التى ترتبط ارتباطاً مباشراً من حيث مفهومها بتلك الرسائل والمعاجم، أما بعض النظريات الأخرى فنتوقف أمامها، ونبدأ بالحديث عن:

---

(٢) انظر فى تلك المعانى مادة (ع ن ى) فى : المعجم الوسيط .

معنى الجملة :

كانت معظم الدراسات فى علم الدلالة تقليدية ؛ لأنها انصبت على المفردات ومعانيها ، على الرغم من أن دراسة المعنى ـــ بصفة عامة ـــ تتصل بالجوانب اللغوية كلها دون وجود أىّ خط فاصل بين تلك الجوانب ؛ فلا نستطيع التعرف على معنى أية جملة دون التوقف أمام أصواتها وأبنيتها الصرفية وتراكيبها النحوية . وهذه بعض الجوانب التى يمكن التعرف على معنى الجملة فى ضوئها :

١ـ المعنى التنغيمى Prosodic meaning :

ويتصل هذا المعنى بالطريقة التى تُنطق بها الجملة ، وهو ذو صلة وثيقة بالأصوات المفردة والمقاطع التى تؤثر طريقة نطقها فى الدلالة . ونقدم جملة من اللغة الإنجليزية تتأثر دلالتها بالنبر stress الذى سوف نُظهره بواسطة كتابته بأحرف كبيرة :

1- John's bought a red CAR

إن النبر لكلمة car يفيد الدلالة على أن جون قد اشترى عربة ، وليس دراجةً ، مع التأكيد على تلك الدلالة دون سواها .

2- John's bought a RED car

إن النبر لكلمة red يفيد الدلالة على أن جون قد اشترى عربة حمراء اللون ، وليست خضراء ، مع التأكيد على تلك الدلالة دون سواها .

3- JOHN's bought a red car

إن النبر لكلمة John يفيد الدلالة على أن جون دون سواه هو الذى اشترى العربة .

والنبر أو الضغط أو الارتكاز على كلمة دون غيرها ، أو صوت دون غيره لا يخضع لمزاج الشخص الذى يستعمل اللغة ، ولكنه يرتبط بالموقف نفسه ؛ ففى الجمل الثلاث السابقة كان النبر لكلمة Car ـــ مثلاً ـــ ردًّا على شخص ليس متأكداً مما اشتراه جون ، والنبر لكلمة red لهذا الذى يجهل اللون ، والنبر لكلمة John لهذا الذى كان يظن أن Micheal هو الذى اشترى العربة .

ويؤدى الأداء الصوتى دوراً مهمًّا فى تحديد الدلالة فى اللغة العربية ، ويمكن بيان ذلك خلال بعض الأبيات التى أصابها الحذف لعنصر من عناصرها النحوية ، ولا نستطيع التوصل إليه إلا فى ضوء « التنغيم » intonation ، ومن أمثلة ذلك قول عمر بن أبى ربيعة (ت ٩٣ هـ) :

بدا لى منها معصمٌ حين جمَّرتْ ... وكفٌّ خضيبٌ زُيِّنتْ ببنانِ
فوالله ما أدرى وإنْ كنتُ دارياً ... بسبعٍ رَمَيْنَ الجمرَ أم بثمانِ ؟

لقد لجأ الشاعر إلى حذف همزة الاستفهام ؛ لأن التقدير « أبسبعٍ » ، ولكن لا نستطيع التوصل إلى معرفة هذا الحذف دون التنغيم الذى يرتبط باللغة المنطوقة . ومثل بيت عمر قولُ الكميت بن زيد الأسدى (ت ١٢٦ هـ) :

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ... ولا لعباً منِّى ، وذو الشيب يلعبُ ؟

وتقديره «أوذو الشيب يلعب». وقول أبى الطيب المتنبى (ت ٣٥٤ هـ):

أحيا ، وأيسرُ ما قاسيتُ ما قتلا ... والبينُ جار على ضعفى وما عدلا

وتقديره « أأحيا » . وقد اختلف النحاة فى تقدير المحذوف فى بيت لعمر بن أبى ربيعة ، وهو قوله :

ثم قالوا : تحبُّها قلتُ : بهراً ... عددَ الرملِ والحصى والترابِ

هل التقدير « أتحبها » فتكون الجملة استفهامية ؟ أو « أنت تحبها » فتكون الجملة خبراً لهذا المبتدأ المحذوف « أنت » . وفى رأينا أن الاختلاف فى التقدير راجع إلى أن النحاة لم يسمعوا الشاعر حين أنشد هذا البيت .

ويؤدى التنغيم دوراً مهمًّا فى « المعنى النحوى » للجملة ، يدلنا على ذلك ما أشار إليه القدماء من أن النابغة الذبيانى كان كثير « الإقواء » فى شعره ؛ لذلك كان يرفع بيتاً ويجر آخر ، ومن ذلك قوله :

زعمَ البوارحُ أن رحلتنا غداً ... وبذاك خبَّرنا الغرابُ الأسودُ
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به ... إن كان تفريقُ الأحبةِ فى غدِ

فلما لم يفهم النابغة ما بين كلمتى « الأسود » و « غد » من اختلاف فى الضبط أتوا بمغنية فغنته :

من آل ميــــةَ رائــــحٌ أو مغتــــدِ   عجــــــــــــلانَ ذا زادٍ وغير مزوَّدِ

ومـدّت الـوصل وأشبعتـه، ثم قالت:

وبـذاك خبرنـا الغـرابُ الأسودُ

ومطلت واو الوصل ، فلما أحسه عرفه واعتذر منه وغيّره ــ فيما يقال ــ إلى قوله :

وبـذاك تنْعَـابُ الغـرابِ الأسـودِ

وقال دخلتُ يثرب وفى شعرى صنعة ، ثم خرجتُ منها وأنا أشعر العرب[٣] .

٢ــ المعنى النحوى Grammatical meaning :

يؤدى التحليل النحوى دوراً مهمًّا فى التوصل إلى العناصر الأساسية التى تتكون منها أية جملة ، ويمكن النظر فى تلك العناصر خلال التحليل الدلالى أيضاً . وبذلك يتم المزج بين النحو والمعنى ؛ فالجملة John read a book yesterday حين وصفها نحويًّا نجدها مركبة من الفاعل John والفعل read والمفعول a book والظرف yesterday ، ولكن يمكن النظر إليها فى ضوء الدلالة على أنها مكونة من عامل ينتج الحدث على هدف فى وقت محدد .

ومما يتصل بالمعنى النحوى الدور الذى تؤديه « فصيلة العدد » فى تحديد الدلالة ؛ فالمفرد فى نظام ثنائى ؛ أى فى لغة تحوى مفرداً وجمعاً فقط ، له معنى نحوى مخالف للمفرد فى نظام ثلاثى العدد (مفرد ومثنى وجمع مثلاً) ، أو رباعى العدد مثل اللغة الفيجية Fijian[٤] التى يمكن أن نميز فيها : المفرد والمثنى والجمع الصغير والجمع الكبير . ومعنى الاسم فى نظام نحوى أقسام الكلام فيه ثلاثة مثلاً : الاسم والفعل والحرف ، مختلف عن معنى الاسم فى نظام من خمسة أنواع ؛ حيث يمكن التمييز بين الصفة والضمير وبين الاسم والفعل والحرف[٥] .

(٣) الخصائص : ١ /٢٤٠ ؛ والموشح : ١١ وما بعدها .

(٤) للتعرف على تلك اللغة انظر : موسوعة كمبردج فى اللغة ٣١٩ .

(5) Firth: Papers in Linguistics, p, 225.

وكتاب الدكتور محمد أحمد أبو الفرج : المعاجم اللغوية ص١

وقد اهتم القدماء من اللغويين العرب بالعرض للمعنى النحوى فى الجملة ، ولكن بطريقة غير مباشرة ، يدلنا على ذلك ــ مثلاً ــ حديثهم عن الصلة بين الحركة الإعرابية والمعنى . يقول أبو القاسم الزجاجى (ت ٣٣٧ هـ) : « إن الأسماء لما كانت تعتورها المعانى ، فتكون فاعلة ، ومفعولة ، ومضافة ، ومضافاً إليها ، ولم تكن فى صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعانى بل كانت مشتركة ، جُعلت حركات الإعراب فيها تنبىء عن هذه المعانى ، فقالوا : ضَرَبَ زيدٌ عمراً ، فدلوا برفع « زيد » على أن الفعل له ، وبنصب « عمرو » على أن الفعل واقع به . وقالوا : ضُرِبَ زيدٌ ، فدلوا بتغيير أول الفعل ورفع « زيد » على أن الفعل ما لم يسمَّ فاعله ، وأن المفعول قد ناب منابه . وقالوا : هذا غلامُ زيدٍ ، فدلوا بخفض « زيد » على إضافة الغلام إليه ، وكذلك سائر المعانى جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا فى كلامهم ، ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك ، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون الحركات دالة على المعانى »(٦) . ومن هنا فقد اتفق القدماء من النحاة العرب على أن « حركات الإعراب » تدل على بعض المعانى النحوية التى تختلف تبعاً لاختلاف تلك الحركات ، ومن النصوص المهمة فى هذا الصدد : « فأما الإعراب فبه تميز المعانى ويوقف على أغراض المتكلمين ؛ وذلك أن قائلاً لو قال : « ما أحسن زيد » غير معرب لم يوقف على مراده ، فإذا قال : ما أحسنَ زيداً ، أو : ما أحسن زيدٌ ، أو : ما أحسنُ زيدٍ ، أبان بالإعراب عن المعنى الذى أراده . وللعرب فى ذلك ما ليس لغيرها ؛ فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعانى »(٧) .

وبعد هذا العرض نستطيع أن نقول إن هناك الكثير من المعانى نستطيع التوصل إليها خلال العناصر التركيبية ، ومن الصعوبة الفصل بين النحو والدلالة .

٣ ــ المعنى البراجماتى Pragmatic meaning :

قبل الدخول فى العرض لما يتصل بهذا المعنى نتوقف أمام المقصود بالبراجماتية ، وترجمة المصطلح إلى ما يقابله باللغة العربية .

(٦) الإيضاح فى علل النحو : ٦٩ و ٧٠ .

(٧) أسرار العربية : ٢٤ و ٢٥ وشرح المفصل : ١ /٧٢ .

هناك تعريف للمصطلح Pragmatics باللغة الإنجليزية[٨] واضح ودقيق يقول :

The study of the factors influencing a person's choice of language.

أى إن « البراجماتية » علم يهتم بدراسة العوامل التى تؤثر فى اختيار الشخص للغة ، وتأثير هذا الاختيار فى الآخرين . إننا نستطيع من حيث الناحية النظرية استعمال ما يحلو لنا من ا لألفاظ والعبارات والجمل ، ولكن من حيث الناحية العملية نجد أنفسنا مقيدين بالعديد من القوانين الاجتماعية التى تحكم هذا الاستعمال ، ومن أمثلة ذلك أن الإنسان يجد المتعة فى أن يحكى للآخرين قفشة أو نكتة ولكن ليس من المستحب أن يفعل ذلك حين يكون فى تشييع جنازة ، لأن الموقف لا يحتمل مثل هذه الأشياء . وتؤثر العوامل البراجماتية دائماً فى اختيارنا للأصوات ، والأبنية النحوية ، والمفردات وذلك من المنابع المتصلة باللغة الأم . والدليل على ذلك أن هناك فرقاً بين استخدام كلمات من نحو Please و Thank you و merci حين الإجابة عن بعض الأسئلة فى المناسبات الاجتماعية المختلفة ؛ فإذا قيل لك وأنت فى زيارة أحد الأصدقاء : Would you like some more cake ? وأجبت بقولك Thank you فهذا معناه yes ؛ أى أريد المزيد من الكعك ، بينما الإجابة عن السؤال نفسه بالفرنسية merci معناه no ؛ أى لا أريد المزيد .

وهناك عدة علوم لغوية وغير لغوية تشترك فيما بينها حين دراسة ما يتصل بالتحليل البراجماتى ، من بينها :

ـــ علم الدلالة	Semantics
ـــ علم الأسلوب	Stylistics
ـــ علم اللغة الاجتماعى	Sociolinguistics
ـــ علم اللغة النفسى	Psycholinguistics
ـــ تحليل الخطاب	Discourse analysis

ومن هنا نستطيع أن نقول إن البراجماتية « اتجاه فى دراسة اللغة يشارك فى تنمية البحث فيه دارسون مختلفون ، وتتلاقى فيه على وجه معين ميادين من

(٨) انظر كتاب Pragmatics لمؤلفه Levinson ، وموسوعة كمبردج فى اللغة ص ١٢٠ وما بعدها ، وكتابنا : العلامة فى النحو العربى ص ١٧ وما بعدها

المعرفة مختلفة أهمها علم اللغة الخالص والبلاغة والمنطق وفلسفة اللغة وكذلك علم الاجتماع وغيرها من العلوم المهتمة بالجزء الدلالى من اللغة . ولقد سميناها اتجاهاً ؛ لأن الدارسين وإن جمعتهم بعضُ القضايا ، فقد اختلفوا فى تناولها وطريقة توظيفها بحسب اختلاف مشاغلهم ، وبحسب تعقد ما انشغلوا به . والجامع بينهم أنهم على صور مختلفة يجاوزون بعض المفاهيم اللغوية التى سادت الدراسات اللغوية فى الفترة الواقعة بين دروس سوسير وكتابات تشومسكى ؛ ذلك أنهم ينكبون على الأشكال الدلالية مقابل انكباب البنيويين والنحاة التوليديين على الأشكال الدالة ، ويعتبرون المقام اللغوى فى مقابل اهتمام الدراسات السابقة بالنظام اللغوى ، وينظرون فى القول بعد أن كان النظر اللغوى يبحث عن الجهاز المختفى وراء القول ، ويتساءلون عن علاقة اللغة بالكلام ، وجدوى التفريق بينهما ، بعد أن كان اللغويون جازمين فى إبعادهم — إنجاز الكلام — عن الدراسة العلمية »(٩) .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى ترجمة المصطلح للغة العربية ، فنجد المشتغلين بالمنطق والدراسات اللغوية فى بلاد المغرب العربى يترجمونه إلى « التداولية » . وهناك منْ يسوّى بين Pragmatics ومصطلح Semiotics الذى يعنى « علم الرموز » وهو يختص بدراسة الرموز سواء أكانت لغوية أم غير لغوية . وقد دفع هذا الاختلاف فى الترجمة الدكتور عبده الراجحى إلى تفضيل تعريب اللفظة فى الوقت الحالى على الأقل « البراجماتية » خشية اللبس ، وهى — أى اللفظة — معناها دراسة العوامل السياقية فى الاتصال الكلامى(١٠) .

وهناك الكثير من النصوص التى وردت عن القدماء من العلماء العرب التى يمكن دراستها فى ضوء هذا « المعنى البراجماتى » ؛ خاصة علماء البلاغة الذين ربطوا بعض القصائد والأبيات بعادات العرب وتقاليدها ؛ بحيث إن الإلمام بها يؤدى إلى التوصل إلى الدلالة التى أرادها الشاعر ؛ فمن عادات العرب أنها تمسك عن بكاء قتلاها حتى تطلب بثأرها ، فإذا أدركته بكت حينئذٍ قتلاها ، وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ ... فليأتِ نسوتنا بوجه نهارِ

(٩) انظر المقال الذى كتبه الدكتور محمد صلاح الدين الشريف تحت عنوان : تقديم عام للاتجاه البراجماتى . وهو منشور فى كتاب أهم المدارس اللسانية . ص ٩٥ وما بعدها .

(١٠) مجلة عالم الفكر . مجلد الثامن عشر . العدد الثانى . ١٩٨٧ . الكويت

يجد النساء حواسراً يندبْنه ... يلطمن أوجههن بالأسحارِ
قد كُنَّ يكنُنَّ الوجوه تستراً ... فالآن حين برزن للنظّارِ

يقول : من كان مسروراً بمقتل مالك فليستدل ببكاء نسائنا وندبهن إياه على أنّا قد أخذنا بثأرنا وقتلنا قاتله . ومن عادات العرب ، كذلك ، أنه إذا أحبَّ الرجلُ من العرب امرأةً وأحبته فلم يشق برقعها وتشق هي رداءه ، تحكم العرب على هذا الحب بالفساد ، وإذا فعلا ذلك دام أمرهما ، وقد عبَّر عن هذا المعنى سحيم عبد بنى الحسحاس بقوله :

فكم قد شققْنا من رداءٍ محبَّرٍ ... ومن بُرقعٍ عن طفْلةٍ غير عانس
إذا شُقّ بردٌ شُقّ بالبرد مثله ... دواليْك حتى كلنا غير لابس

وهناك الكثير من الظواهر الدلالية التى لا يمكن التوصل إليها دون الإلمام بالعادات والتقاليد العربية[11] .

٤ـ المعنى الاجتماعى Social meaning :

وهو هذا المعنى الذى يفهمه الفرد فى المجتمع من ألفاظ لغته ، ويتفق معه على هذا الفهم بقية أفراد المجتمع ، ويتعلمه الأطفال إلى أن يكبروا فيفهموا لغة مجتمعهم[12] . ويتأثر اختيار الفرد للغة تأثراً مباشراً بالعلاقات الاجتماعية بين المشاركين ؛ لذلك حين قال الأخطل فى مدح عبد الملك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهم ... لأبيض لا عارى الخِوانِ ولا جدب

عابوه ، وقالوا هذا مما لا يجوز أن يُمدح به خليفة ، ويجوز أن يُمدح به غيره كقول الآخر :

إلى امرىءٍ لا تخطّاه الرفاق ولا ... جدبِ الخوانِ إذا ما استنشىءَ المرقُ[13]

فإن « لا عارى الخوان ولا جدب » لا يجوز أن يمدح به خليفة من الخلفاء ولكن يجوز مع غيره ؛ لذلك لم يراع الأخطل « حال الممدوح » ، والمقصود بحاله مكانته الاجتماعية والسياسية .

---

(١١) انظر عيار الشعر ٥١ و ٥٢ ؛ ونهاية الأرب : ٣ /١٢٢ ؛ والحيوان ١ /٧
(١٢) الدكتور محمد أبو الفرج المعاجم اللغوية ١٨
(١٣) الشعر والشعراء ١ /٤٨٧

وقد تجاوز النقاد والبلاغيون العرب حال الممدوح إلى الحديث عن أهمية مراعاة الشاعر لحاله الجسمية والخلقية حين المدح ، ويدللون على ذلك بأرجورة أبي النجم التي أنشدها هشام بن عبد الملك والتي أولها :

الحمــدُ لله الوهــوبِ المجــزلِ

وهي أجود أرجوزة للعرب ، وهشام يصفق بيديه من استحسانه لها ؛ فلما بلغ قوله في الشمس :

حتى إذا الشمسُ جَلاّها المجتلي
بين سماطَيْ شَفَقٍ مُرَعْبَلِ
صفواء قد كادت ولمّا تُفعَلِ
فهي على الأفق كعين الأحولِ(١٤)

أمر هشام بوجأ رقبته(١٥) وإخراجه ، وكان هشام أحول(١٦) .

وقد اهتمت المعاجم العربية بالمعنى الاجتماعي اهتماماً بالغاً ؛ لذلك يقول الدكتور إبراهيم أنيس : « والمعاجم قديمها وحديثها تتخذ من الدلالة الاجتماعية للكلمات هدفاً أساسيًّا ، وتكاد توجه إليها كل عنايتها ؛ فلا غرابة إذن ألا يفرق بعض اللغويين بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية ، وهذا ما ارتضيناه وقنعنا به ، فكلما ذكرنا الدلالة المعجمية لا نعني بها سوى الدلالة الاجتماعية »(١٧) .

ولعله من المفيد الإشارة إلى الدور الذي يمكن أن تؤديه الجملة في التوصل إلى بعض القيم والمعتقدات الاجتماعية نحو اللطف والكياسة والتهذيب والبدائية والتحفظ والبرود وسواها ، وهذا كله يؤثر في حكمنا على بعض الأشياء داخل المجتمع ، ومن أمثلة ذلك وجود سؤال يُتداول بطريقة لافتة للنظر حين الحوار بين بعض الأشخاص وهو : ما الذي تعنيه بمخاطبتك لي على هذا النحو ؟ ويستعمل هذا السؤال حين يلتبس على الإنسان بعض القيم أو المعتقدات الاجتماعَية التي تتخلل لغة الحوار .

---

(١٤) السّماط : الصف . والمرعبل : المقطّع أو الممزق . وصفواء : مائلة للغروب ، يقال : صفت الشمس والنجوم : مالت للغروب .
(١٥) وجأ فلان يجؤه وجأ ووجاء : دفعه بجمع كفه في الصدر أو العنق .
(١٦) الشعر والشعراء ٢ : ٦٠٤ .
(١٧) دلالة الألفاظ ٥١ .

٥ـ المعنى الملائم أو المناسب Propositional meaning :

من أهم الاتجاهات التى ظهرت فى الفترة الأخيرة فى علم الدلالة دراسة معنى الجملة فى ضوء بعض المفهومات المتصلة بالفلسفة والمنطق ، والمقصود بذلك النظر فى المعنى على أساس الصدق والكذب ، وما فيه من الصفة التقريرية وغير ذلك . إننا حين نقول : العلم نور ، أو الصدق محبوب ، أو تشرق الشمسُ صباحاً ... يجب بحث تلك الجمل فى ضوء العالم المحيط بنا من حيث صدقها أو كذبها ، ومع ذلك فإنه من الضرورى وضع حد فاصل بين تلك الأفكار المأخوذة من المنطق والفلسفة ، والجمل التى هى عبارة عن مجموعة من الوحدات المعجمية حتى لا يطغى جانب على آخر ويضيع البحث فى الدلالة . ولعل هذا يذكرنا بقول البحترى :

كلِّفتمونا حدودَ منطقكم والشعر يغنى عن صدقه كذبُهْ
ولم يكن ذو القروح يلهجُ بالمنطق ما نوعُه وما سببُهْ(١٨)

الذى يشكو فيه من طغيان الفلسفة اليونانية بأفكارها ومبادئها وأسسها ، والمعايير اليونانية للبلاغة التى جُعلت مقياساً فى تقديم الإبداع الأدبى عند العرب والكشف عما فيه من بيان .

وهناك الكثير من الروايات التى وردت عن العرب ، وتوضح نظرهم فى المعنى خلال حسن تقسيمه وما فيه من الصفة التقريرية ؛ فحين استمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ لقول زهير :

وإنَّ الحقَّ مَقْطعُــــه ثلاثٌ يميــنٌ أو نِفـــارٌ أو جِلاءُ(١٩)

أخذ يردّد البيت متعجباً من علم زهير بالحقوق وتفصيله بينها وإقامته أقسامها . وكذلك حين استمع لقول عبدة بن الطبيب :

والمرءُ ساعٍ لشىءٍ ليس يدركــه والعيشُ شُحٌّ وإشفاقٌ وتأميــل

قال عمر متعجباً : والعيش شح وإشفاق وتأميل ، يعجّبهم من حسن ما قسّم وفصّل(٢٠) .

---

(١٨) ذو القروح : هو الشاعر المعروف امرؤ القيس .
(١٩) النفار : المنافرة إلى حكم يقضى بينهم .
(٢٠) انظر البيان والتبيين : ١ /٢٤٠

وبعد فهذا عرض لمعنى الجملة ، والجوانب التنغيمية والنحوية والبراجماتية والاجتماعية وسواها التى تؤثر فى هذا المعنى .

نظريات تحليل المعنى

لقى البحث فى معانى الكلمات اهتمام علماء اللغة الذين قدموا عدة طرق يمكن خلالها التوصل إلى دلالة الألفاظ ؛ بالإضافة إلى وضعهم لمجموعة من النظريات المتكاملة التى تهدف إلى تحليل المعنى ، ومن أهمها :

- سياق الحال Context of situation
- المجالات الدلالية Semantic fields
- التحليل التكوينى Componential analysis للمعنى .

وحين نظر اللغويون فى دلالة الألفاظ قدموا ثلاث طرق لدراسة معانى الكلمات ، وقد ظهرت تلك الطرق فى فترات متعاقبة ، ويمكن تقديمها على النحو التالى :

١ــ تقوم تلك الطريقة على تصور وجود علاقة بين الكلمات والأشياء ، أو الألفاظ والمسميات ، ويمثلون لها بالشكل :

words → things

أى إن الكلمات تستدعى الأشياء التى تُطلق عليها :

الكلمات ← الأشياء

إن هناك مقولة تعود إلى أفلاطون ترى أن الكلمات تسمّى الأشياء أو تشير إليها مباشرة ، ومن هنا فإننا إذا قلنا : القاهرة ، أو خالد ، أو أخضر ... دلّت تلك الكلمات على المسمّى لوجود علاقة بينهما . ومع ذلك فإن هناك قدراً كبيراً من الكلمات التى نجد صعوبة كبيرة فى التوصل إلى التحديد الدقيق لما تشير إليه من الأشياء ، ويمثلون لها ببعض الأفعال والصفات والأسماء فى اللغة الإنجليزيّة ؛ فالأفعال نحو ask و find ، والصفات نحو difficult و popular ، والأسماء نحو consistency و tradition ؛ لذلك يقولون إنه من الصعوبة القول بأن الكلمات لديها المقدرة التامة على تحديد ما تدل عليه تحديداً مباشراً .

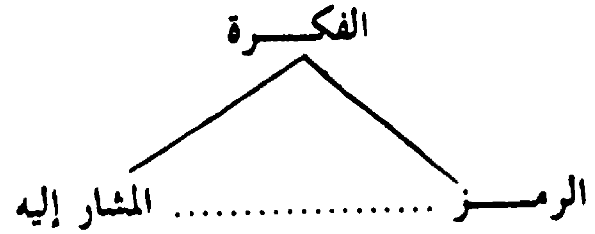
٢ــ تقوم تلك الطريقة على أساس أن الكلمات تستدعى الأفكار أو المفهومات التى تدل على الأشياء كما فى الشكل الآتى :

words → concepts → things

ويمكن ترجمته إلى :

الكلمات ← الأفكار ← الأشياء

وتقوم تلك الطريقة على إنكار وجود أية علاقة مباشرة بين الكلمات والأشياء ، والعلاقة الوحيدة بينهما نستطيع التوصل إليها عن طريق العقل فقط ؛ لأن كل كلمة لها تصور أو فكرة تصاحبها دائماً . وقد استطاع الأستاذان Ogden و Richards تمثيل تلك العلاقة فى مثلثهما المشهور(١) :



والنقطة الجوهرية فى هذا الرسم البيانى هى أنه ليست هناك علاقة مباشرة بين الكلمات والأشياء ، ومن ثم وُضِعت النقط لتدل على علاقة مفترضة إذ لا يوجد طريق مباشر قصير بين الكلمات وبين الأشياء التى تدل عليها هذه الكلمات ؛ فالدورة يجب أن تبدأ عن طريق الفكرة أو الربط الذهنى ؛ أى عن طريق المحتوى العقلى الذى تستدعيه الكلمة والذى يرتبط بالشيء(٢) .

وقد وُجِّه انتقاد مهم لهذا المبحث وهو أنه لا يذلل الصعوبة التى أشرنا إليها من قبل ، وهى تتصل بعدم مقدرته على تحديد دلالة بعض الألفاظ مثل لفظة tradition ؛ بالإضافة إلى أن هناك ألفاظاً يمكن استدعاء صورتها إلى الذهن أو العقل حين سماعها ، ولكن لا نستطيع أن نقدم تصوراً أو مفهوماً لألفاظ اللغة كلها يمتاز بالدقة والوضوح .

٣ــ تقوم تلك الطريقة على أساس أن المثيرات تستدعى الكلمات التى تؤدى إلى إيجاد ردود الأفعال كما فى الشكل الآتى :

Stimuli → words → responses

(1) The meaning of meaning, p. 99.

(٢) دور الكلمة فى اللغة : ٧١ .

ويمكن ترجمته إلى :

المثير ← الكلمات ← ردود الأفعال

ويعود الفضل فى الحديث عن تحديد دلالة الألفاظ بتلك الطريقة إلى ليونارد بلومفيلد (١٨٨٧—١٩٤٩ م) Leonard Bloomfield وذلك خلال وجهة النظر السلوكية التى تبناها فى كتابه (اللغة) Language ؛ إذ يرى أن المعنى يمكن دراسته والتوصل إليه فى ضوء الموقف الذى تم استعمال الكلام أثناءه ، وقد مثّل له بالشكل الآتى :

S - - - - - → r .... s - - - - - → R

وتلك الرموز أصولها هى :

— S يشير إلى المثير أو المنبّه

— r يشير إلى الاستجابة البديلة

— R يشير إلى رد الفعل أو الاستجابة

— s يشير إلى المثير اللغوى الناتج عن رد الفعل

وهناك قصة مشهور فى تاريخ الدراسات اللغوية طبق عليها بلومفيلد دراسته للمعنى ، وهى تدور حول شخصين هما « جاك » Jack و « جيل » Jill ؛ فقد كانت « جيل » جائعة فشاهدت تفاحة على شجرة ؛ لذلك سألت « جاك » أن يأتى إليها بتلك التفاحة ، وهذا السؤال هو المثير اللغوى الذى قاد « جاك » إلى ردّ الفعل ؛ أى إحضار التفاحة . وحين شرح الرموز السابقة نجد مايأتى :

— S تشير إلى رؤية التفاحة ، وهى بمثابة المثير أو المنبه .

— r تشير إلى طلب « جيل » من « جاك » إحضار التفاحة .

وهذا الطلب يعد دافعاً بديلاً ؛ لأنها لم تلجأ إلى إحضار التفاحة بنفسها لوجود « جاك » معها الذى تسلق الشجرة لإحضار التفاحة .

— s تشير إلى المثير اللغوى الذى دفع « جاك » لإحضار التفاحة .

— R تشير إلى رد الفعل الناتج عن المثير اللغوى .

— تشير النقط r .... s إلى الحدث الكلامى وهو الذى يملأ الفراغ

الواقع بين جسمى المتكلم والسامع[٣] .

وقد وجّه بعض اللغويين الانتقادات لما قدمه بلومفيلد منها :

(أ) إذا كان « جوع » « جيل » يمكن أن يترجم إلى تقلص لعضلاتها ، وإفراز لمعدتها ، ورؤيتها للتفاحة يمكن أن تُحلّل على أساس من موجات الضوء التي انعكست من التفاحة إلى عينيها ، والتفاحة نفسها يمكن أن تعطى تصنيفاً نباتيًّا ... فإنه بالنسبة للأغلبية العظمى من الكلمات لا يمكن القيام بمثل هذا التحليل العلمى فالحب والكراهية ليس طيعة للتعرف عليها على أساس فيزيقى بخلاف الجوع كذلك يصعب — بنفس الطريقة — تحديد معالم كلمات مثل : حسن ، قبيح

إن هذا المنهج يملك جدارة محاولة دراسة المعنى على أسس قابلة للملاحظة . ويمكن أن نعترف بأن بعض الجوانب المهمة لكلمات مثل : كرسى ، كتاب ... يمكن أن تحصر داخل مجال المثير والاستجابة عن طريق بيان كيف أنهما جاء ليرتبطا مع طبقات معينة من الأشياء القابلة للملاحظة فى البيئة ، وأن معنى الكلمات ذات الخصائص القابلة للملاحظة مثل شكلها ولونها ووزنها ... يمكن أن تعالج — بكفاية — بهذا الطريق . ولكن كلمات كثيرة لا تدل على أشياء أو خصائص قابلة للملاحظة ولذا لا تملك السلوكية شيئاً مفيداً لتقوله عنها ، ولذا فإن زعم السلوكيين أنهم وضعوا العلاقات بين الكلمات والأشياء داخل حدود مناهج العلوم الطبيعية لا يسلم لهم ، وهو شيء يُدَّعى تحقيقه قبل الأوان .

(ب) كذلك إذا افترضنا أن رد الفعل عند « جاك » كان قوله : لا يمكن أن تكونى جائعة ، فقد فرغنا توًّا من تناول غذائنا ، أو قوله : هل أنتِ متأكدة أنك تريدين التفاحة ؟ أنتِ تعلمين أنها تسبب لك عسر هضم !! فهل نقول إن الموقف الذى أدى إلى منطوق « جيل » ورد فعل « جاك » يجب أن يكون مختلفاً فى الحالات الثلاث على أساس أن رد فعل « جاك » جاء مختلفاً ؟ وهل نقول إن منطوق « جيل » يملك معانى مختلفة فى الحالات الثلاث ؟ لأن معنى المنطوق قد عرّف — كما يجب أن نتذكر — على أساس من رد الفعل الذى

(٣) انظر كتاب Language لبلومفيلد ، صفحات ٢٠ و ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ . وكذلك كتاب An introduction to general linguistics ٢٤٠ وما بعدها .

يثيره ، بالإضافة إلى المثير الذى حرك الفعل(٤) .

ولهذا يقول Alston : لكى تستخدم هذه النظرية لابد أن يكون هناك ملامح مشتركة وخاصة بكل المواقف التى يُنْطَق فيها حدث معين بمعنى معين . ولابد أن يكون هناك ملامح مشتركة ، وخاصة بكل الاستجابات التى تترتب على نطق أى تعبير معين بمعنى معين . وهذا يبدو أنه ليس هو الوضع .

(جـ) أن هذه النظرية قامت على أسس تجارب أُجريت على تعلم السلوك فى الحيوانات الدنيا ، ثم نُقِلَت النتائج إلى الحيوان البشرى فى استعماله للرموز النطقية ، وهذا من أكبر الخطأ ؛ إذ إن ما ينطبق على الحيوانات الدنيا قد لا ينطبق على الإنسان(٥) .

وهناك بعض النظريات التى وضعها المحدثون لدراسة المعنى ، وبيان العناصر الدلالية فى التركيب النحوى ، ونحاول التعرف على نظرية « المجالات الدلالية » و « التحليل التكوينى للمعنى » مع التطبيق فى الرسائل اللغوية ومعجمى (الغريب المصنف) و (الألفاظ)(٦) .

تعد نظرية « **المجالات الدلالية Semantic fields** » من أهم النظريات التى فرضت نفسها على تحليل المفردات خلال بعض الحقول أو المجالات المتصلة بالمعنى . وقبل الدخول فى ذكر المزيد من التفصيلات المندرجة تحت تلك النظرية نقدم مثالاً يوضحها . من المعروف أن الدرجات الجامعية هى : معيد ، مدرس مساعد ، مدرس ، أستاذ مساعد ، أستاذ . إن تحليل كلمة « معيد » — مثلاً — يتم فى إطار مجالها الدلالى الخاص بالدرجات الجامعية ؛ لأننا لو انتزعناها منها لكان معناها — مثلاً — مَنْ يعيد الثانوية العامة ؛ وتحليل كلمة « مدرس » تدل فى الحياة الجامعية على مَنْ يحمل شهادة الدكتوراه ، فى حين أنها فى مجال دلالى آخر تشير إلى من يعمل بالتدريس فى مراحل التعليم العام ... وهكذا .

---

(٤) انظر كتاب علم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر ص ٦٢ وما بعدها ، وكتاب Semantics لمؤلفه John Lyons ١ /١٢٧ وما بعدها

(٥) علم الدلالة ٦٣

(٦) من النظريات المشهورة فى الدرس الدلالى « سياق الحال » context of situation التى وضعها فيرث J R. Firth (١٨٩٠—١٩٦٠ م) . وقد عرضنا لها بالتفصيل مع ربطها بالتراث العربى فى كتابنا فقه اللغة وعلم اللغة . ٢٣٥—٢٤٤

ومادمنا بصدد الحديث عن الحياة الجامعية فإن كلمة « عميد » ـــ مثلاً ـــ لها دلالة مخالفة لما تعنيه فى القوات المسلحة والشرطة ، أو حين نقول عن طه حسين : « عميد الأدب العربى » ..

نعود إلى التعريف بأصول نظرية المجالات الدلالية ومفهومها ،فنجداللغويين يرون أن الجذور المعجمية لأجزاء جسم الإنسان ـــ مثلاً ـــ كالرأس والرقبة والمنكبين وسواها تكوّن مجالاً دلاليًا ، والأمر نفسه بالنسبة للجذور المعجمية المتصلة بالألوان والفواكه ووسائل النقل وغير ذلك . وتُعدّ الموسوعة المعجمية التى وضعها بيتر مارك روجت Peter Mark Roget (١٧٧٩ـــ١٨٦٩ م) فى عام ١٨٥٢ م الأصل الذى تمخض عنه الحديث فى المجالات الدلالية ؛ لأنه قسم مفردات اللغة إلى ستة مجالات رئيسية :

١ـــ المجردات abstract

٢ـــ الفضاء space

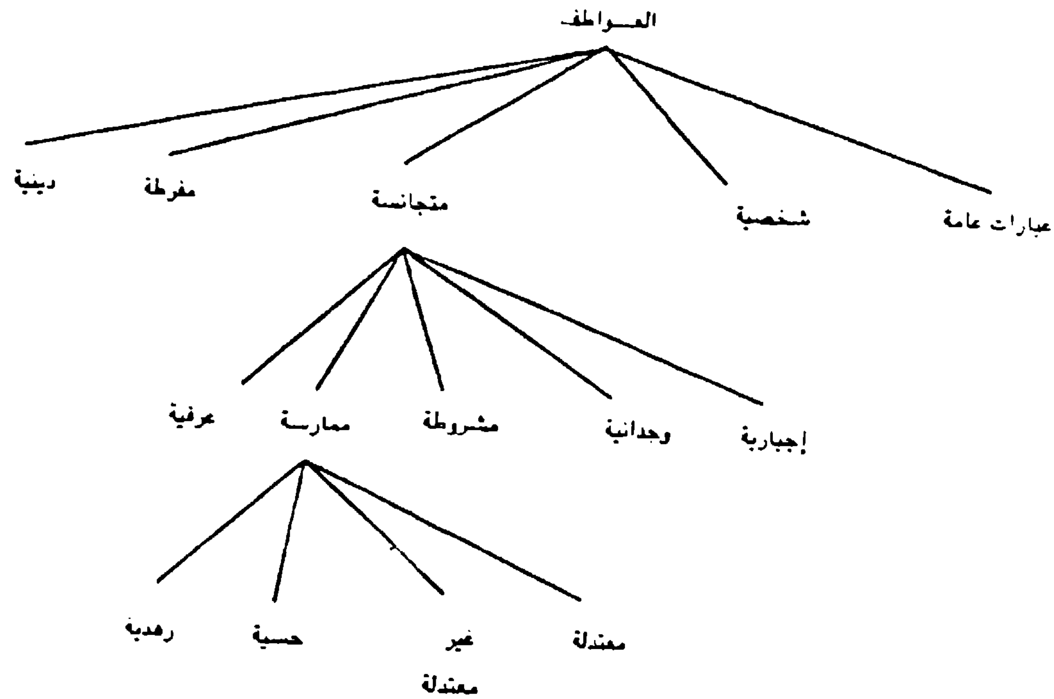
٣ـــ الأحداث matter

٤ـــ الذكاء intellect

٥ـــ الإرادة volition

٦ـــ العاطفة affection

وبعد ذلك أخذ روجت يقسم تلك المجالات الستة إلى ما يندرج تحتها من المعانى ، فمجالات « العاطفة » يمكن توضيحها فى الشكل الآتى :



وقد تطور البحث فى المجالات الدلالية بفضل الجهود التى بذلها علماء اللغة فى ألمانيا ، وعلى رأسهم ترير J. Trier ، وتم وضع تحديد دقيق للمجال الدلالى والمقصود به ؛ فهو عبارة عن مجموعة من ألفاظ اللغة التى بينها ارتباط فى المعنى ، ويتم تحديد دلالة الألفاظ خلال المجموعة الدلالية التى تقع فى إطارها ، دون عزل لفظة عن أخرى عملاً بالمبدأ الذى يرى وجود علاقة بين الكلمات داخل العائلة اللغوية . وهناك مجموعة من الأسس التى اتفق أصحاب نظرية المجالات الدلالية عليها ، منها مايأتى :

١ـ لا تقع « الوحدة المعجمية » lexemes فى أكثر من مجال دلالى .

٢ـ تنتمى جميع مفردات اللغة إلى مجال معين ؛ حتى إننا نستطيع أن نقول إن هذا الانتماء للمجال الدلالى بمثابة قانون إجبارى .

٣ـ يؤدى السياق الذى تقع فيه الكلمة دوراً مهمًا فى تحديد دلالتها ؛ لذلك لا يمكن عزلها عنه .

٤ـ ومادمنا قد أكدنا على دور السياق فإنه من الأهمية أيضاً دراسة الكلمة فى ضوء التركيب النحوى ؛ لأنها عنصر من العناصر الأساسية المباشرة immediate constituents التى يتكون منها .

وسوف يتضح ، فيما بعد ، أن تلك الأسس التى اتفق عليها العلماء موجودة عند أصحاب الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) خلال التطبيق فى مفردات اللغة العربية .

وهناك حقيقة نريد التأكيد عليها هى أن نظرية المجالات الدلالية بالمفهوم السابق الذى بسطناه إنما هى ذات أصول عربية ، ويتضح ذلك فى المنهج الذى اتبعه أصحاب الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات فى جميع ألفاظ اللغة التى تندرج تحت معنى واحد ، وهذا يدل على أصالة التأليف المعجمى عند القدماء ، وعلى دقة الدرس اللغوى وعلميته ؛ لأن العرب تنبهوا قبل نهاية القرن الثالث الهجرى إلى أن « ابن اللغة » native - speaker ربما يكون لديه معنى فى ذهنه يريد لفظة واحدة تعبر عنه ولا يسعفه محصوله اللغوى ؛ لذلك يأتى المعجم الموضوعى ويقدم له هذا اللفظ الخاص بالمجال الدلالى الذى يبحث عنه .

ونقدم ، فيما يلى ، جزءاً من المعالجات المعجمية التى قدمها القدماء من

اللغويين العرب للمجالات الدلالية لكل من :

١ــ خلق الإنسان

٢ــ مشى الإنسان وعَدْوُه

للتعرف على طريقتهم فى تلك المعالجة .

المجالات الدلالية فى موضوع « خلق الإنسان » :

نتخذ من كتاب (خلق الإنسان) للأصمعى وثابت بن أبى ثابت مجالاً للتطبيق :

١ــ حمل المرأة :

امرأة نَسْءٌ : أول ما تحمل .
امرأة مُرْءٍ : استبان حملها .
امرأة مثقل : عَظُمَ ما فى بطنها .

٢ــ ما فى بطن المرأة :

نُطفة : مدة أربعين ليلة .
عَلَقَة : مدة أربعين ليلة .
مُضْغَة : مدة أربعين ليلة .

٣ــ مراحل الولادة وحالة المولود :

الطَّلْق : وجع الولادة .
المخاض : للناس والبهائم .
السِّقْط : المولود لغير تمام .
مُخْدِج : إسقاط الجنين تمام شهوره ، وهو ناقص .
خديج : الولد قبل تمام شهوره ، وهو تام .
نُفَساء : المرأة التى وضعتْ .
منفوس : الولد مادام صغيراً .
مُطَرِّق : إذا نشب الولد فى الرحم وقد خرج بعضه قيل : امرأة مطرق .
مُعَضِّل : إذا اعترض الولد فعَسُرَتْ ولادتها قيل : امرأة معضّل .
المُتِمّ : التى ولدت تمام .

السَّـــرِح : الذى وُلِدَ سهلاً .
الـــحَسّ : الألم بعد الولاد .
رَحُــــوم : إذا اشتكت المرأة بعد الولاد .
مُتْئِـــــم : إذا وضعت المرأة اثنين فى بطن قيل : امرأة متئم .
مُذْكِـــر : التى ولدت ذكراً .
مِذْكـــار : التى من عادتها ولادة الذكور .
مُؤْنِـــث : التى ولدت أنثى .
مِئْنـــاث : التى من عادتها ولادة الإناث .
السَّـــرَر : ما انقطع من السُّرَّة .
السُّـــرَّة : ما بقى من السُّرة .

٤ـ ما يُخلَق فى الرحم وما يخرج مع الولد :

المشيمـــة : هى التى فيها الولد .
السَّلَـــى : الجلدة التى يكون فيها الولد .
الغِـــرْس : الذى يخرج مع الولد كأنه مخاط .
الحُـــوَلَاء : الماء الذى يكون فى السَّلَى .
السَّابيـــاء : الماء الذى يكون على رأس الولد .
الماسكـــة : القشرة تكون على وجه الصبى .
السُّقْـــيُ : جلدة فيها ماء أصفر تنشقُّ على رأس الولد عند خروجه .

٥ـ أسماء الصغير إلى أقصى منتهى الكِبَر :

غـــلام : طفـــل .
الشَّدَخ : الصغير إذا كان رطباً .
تحلَّـــم : إذا نما شيئاً وظهر سِمَنُه ، ويقال : تضبَّبَ أيضاً .
جَفْـــر : إذا ارتفع شيئاً وانتفخ وأكل وصار له بُطَيْن ، والأنثى جفرة .
فطيم : الذى قُطِع عنه اللبن .
جَحْـــوَش : إذا ارتفع عن الفطام ؛ فهو فوق الفطيم .
حَـــزَوَّر : إذا قَوِىَ وخَدَمَ ، وهو دون المراهق .
يافـــع : الغلام اليافع الذى ارتفع ولم يبلغ الحُلُم، ويقال كذلك: مراهق وكوكب.

مُخلِــف : إذا شكّ في احتلام اليافع .
مُختَلِـم : إذا احتلم ، ويقال : حالم أيضاً
الناشــئ : ما بعد المحتلم .
طـــارّ : إذا خرج وجهه .
مُحمّـم : إذا اسودّ شعر وجهه وأخذ بعضه فوق بعض .
الشــاب : وهو الفتى .
مُجتمِــع : إذا التف وجهه ولم يكن في الشعر مزيد وشاب بعض الشيب .
صتْــم : إذا بلغ أقصى الكهولة ، وهو التام .
صُمُــل : إذا تمت شدته
عانــس : إذا قعد بعد بلوغ النكاح أعواماً لا ينكح ؛ أي لا يتزوج .
أشْــيب : إذا رأى البياض ، وهو أشمط كذلك
شيــخ : إذا استبانت فيه السنّ .
مُسِــنّ : إذا ارتفع عن الشيخوخة ، وهو مهشل أيضاً
قَحْــم : إذا ارتفع عن ذلك ، ويقال : قحر أيضاً .
دالــف : إذا قارب الخطو وضعُف .
عشمــة : إذا ضمر وانحنى ، وهو عَشَبَة أيضاً .
مُفنّــد : إذا أكثر الكلام واختلف قوله .
خرف : إذا ذهب عقله .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن بعض العرب صوّر المراحل المختلفة السابقة بقوله :

« مادام الولد في بطن أمه فهو جنين ، فإذا ولدته سُمّي صبيًا مادام رضيعاً ، فإذا فطم سُمّي غلاماً إلى سبع سنين ، ثم يصير يافعاً إلى عشر سنين ، ثم يصير حَزَوَّراً إلى خمس عشرة سنة ، ثم يصير قُمُدًّا إلى خمس وعشرين سنة ، ثم يصير عَنَطْنَطاً إلى ثلاثين سنة ، ثم يصير صُمُلاً إلى أربعين سنة ، ثم يصير كهلاً إلى خمسين سنة ، ثم يصير شيخاً إلى ثمانين سنة ، ثم يصير بعد ذلك هِمًّا فانياً كبيراً » .

٦ــ صفة الجارية إلى أقصى منتهى الكبر :

كاعــب : الجارية حين كعَب ثديها .

مُسْلِف : الجارية فوق الكاعب .
ناهد : الجارية عند شخوص ثديها «نهوده
مُعْصِر : الجارية عند دُنُو الحيض .
عاتق : فوق المعصر ، التى قد راهقت العشرين .

وبعد الحديث عن حمل المرأة، وما فى بطنها، ومراحل الولادة وحالة المولود، وما يُخْلق فى الرحم وما يخرج مع الولد ، وأسماء الصغير إلى أقصى منتهى الكبر ، وصفة الجارية إلى أقصى منتهى الكبر ، نقول يعد هذا الحديث مدخلاً للعرض لما يتصل بـ « خلق الإنسان » ؛ لذلك نجد فى كتاب ثابت عنواناً هو « هذا ابتداء وصف خلق الإنسان » ، ونقدم المجال الدلالى للحديث عن :

العين :

المُقْلة : شحمة العين التى تجمع البياض والسواد .
قَلْتُ العين : موضع الحدقة .
الحدقة : السواد الذى فى وسط البياض .
الناظر : من أجزاء الحدقة ، ويسمى أيضاً الإنسان والذُّباب ، وهو موضع البصر منها ، الذى تراه كأنه صورة وليس بخلق مخلوق ، وإنما العين كالمرآة ، إذا استقبلها شيء رأيتَ شخصه فيها ؛ لشدة صفاء الناظر .
الناظران : عرقان فى العينين يسقيان الأنف ، كل واحد ناظر .
الجفنان : غطاء المقلة من أعلاها وأسفلها .

الحماليق : باطن الأجفان المحمرة ، إذا قُلبت للكحل بدت حُمرتها .
الأشفار : حروف الأجفان وأصول منابت الشعر فى الجفن التى تلتقى عند التغميض ، وليست الأشفار من الشعر فى شيء .
الهُدْب : الشعر الذى ينبت على الجفون .
المَحْجَر : فجوة العين وما بدا من البرقع والنقاب ، أو : ما دار بالعين من أسفلها من العظم الذى فى أسفل الجفن .
المؤق : طرف العين الذى يلى الأنف ، وهو مخرج الدمع من العين ، فى كل عين مُؤْقانِ .
اللّحاظ : مُؤْخِر العين .

البَخْصَة : شحمة العين من أعلى وأسفل .
الطَّرْف : تحرك الأشفار .
الجحَاظ : خروج المقلة وظهورها .
الشُّوص : شدة الجحاظ حتى لا يتلاقى عليها الجفنان .

هذه هى المجالات الدلالية الخاصة بالعين وأجزائها وما فيها من العيوب على نحو ما ورد فى كتب خلق الإنسان ؛ خاصة ما كتبه الأصمعى وثابت بن أبى ثابت .

وننتقل إلى الحديث عن موضوع آخر وهو :

المجالات الدلالية لمشى الإنسان وعَدْوِه :

تهتم الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات بالتوقف أمام ترتيب مشى الإنسان وتدريجه إلى العدو ، قبل الدخول فى التفصيلات الدقيقة ، وهذا الترتيب يجمعه قولهم : « الدبيب ، ثم المشى ، ثم السعىُ ، ثم الإيفاض ، ثم الهرولة ، ثم العَدْوُ ، ثم الشدُّ » . أما التفصيلات الخاصة بالمشى وعدوها فيمكن تقديمها على النحو الآتى :

الدُّرَجان : مشية الصبى الصغير .
الحبو : مشى الرضيع على استه .
الحجلان : أن يرفع الغلام رجلاً ويمشى على أخرى ، ومثله الرديان .
الخَطَران : مشية الشاب باهتزاز ونشاط .
الدَّليف : مشية الشيخ رويداً ومقاربته الخطو .
الهدجان : مشية المثقل ، ومثله الدَّرَمان .
الرَّسَفان : مشية المقيد .
الـدَّألان : مشية النشيط .
الـذألان : مشية خفيفة .
الوكبان : مشية فى درجان ، ومنه جاء قولهم : الموكب .
الاختيال : مشية الرجل المتكبر والمرأة المعجبة بجمالها وكمالها ، ومثلها : التبختر ، والتهبيس .
الخيزلى : مشية فيها تبختر ، ومثلها : الخيزرى .
الخَزَل : مشية المتحرك فى مشيه كأن الشوك شاك قدمه .

المطيطـاء : مشية المتبختر .
الحيكـال : مشية يحرك فيها الماشي أليتيه ومنكبيه .
القهقـرى : مشية الراجع إلى خَلف .
العشـزان : مشية المقطوع الرجل .
القَـزَل : مشى الأعرج .
التخلُّـج : مشية المجنون فى تمايله يَمْنة ويَسْرة .
الإهطـاع : مشية المسرع الخائف .
الهرولـة : مشية بين المشى والعدو .
النـألان : مشية الذى كان ينهض برأسه إذا مشى يحركه إلى فوق مثل الذى يعدو وعليه حمل ينهض به .
التهـادى : مشية الشيخ الضعيف والصبى الصغير والمريض والمرأة السمينة .
الرَّفْـل : مشية من يجر ذيوله ويركضها بالرِّجْل .
الرَّمـل : مشية تعادل الهرولة ، ويقال لها : الرَّملان أيضاً
الهَيْدَبـى : مشية بسرعة .
التدعُلـب : مشية فى استخفاء .
الخندفـة : أن يمشى مفجًّا ويقلب رجليه ، كأنه يغرف بهما . وهى من التبختر ، ومثلها : النَّغْثلة .
التَّرهـوك : مشية الذى يمشى كأنه يموج فى مشيه .
الحَتْـك : أن يقارب الخطو ويسرع .
الـزوزأة : أن ينصب ظهره ويقارب الخطوة .
الضَّكْضكَة : الإسراع فى المشى ، ومثلها : الانكدار ، والانصلات . والانسدار ، والإزراف ، والإهراع .
الأئـلان : أن يقارب خطوه فى غضب
القطـو : أن يقارب خطوه فى نشاط
الإحصاف : أن يعدو عدواً فيه تقارب .
الإحصاب : أن يثير الحصباء فى عدوه .
الكردحـة : عدو ا [illegible] ير المتقارب الخطو ، ومثله : الكمترة
الهوذلـة : أن يضطرب فى عدوه .
اللَّبطـة : عدو الأعرج ، ومثله : الكَلطة .

هذه هى المجالات الدلالية لمشى الإنسان وعدوه على نحو ما ورد فى الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات ، ولعله من المفيد الإشارة إلى اهتمام العلماء بالمشى والعدو لمختلف ضروب الحيوان ، وكانوا يقدمون للحديث بالتوقف أمام تقسيم المشى على ضروب من الحيوان ، مع اختيار أسهل الألفاظ وأشهرها ، يدلنا على ذلك قولهم : « الرَّجُل يسعى ، والمرأة تمشى ، والصبى يَدْرُجُ ، والشاب يخطر ، والشيخ يَدْلِف ، والفرس يجرى ، والبعير يسير ، والظليم يهدج ، والغراب يحجل ، والعصفور ينقر ، والحية تنساب ، والعقرب تَدِبُّ » .

وبعد هذا العرض نتوقف أمام الأسس التى قال بها المحدثون لنظرية المجالات الدلالية للتعرف عليها خلال التطبيق فى الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات . ويمكن تقديمها خلال النقاط الآتية :

١ــ تنبّه القدماء إلى أهمية وضع الكلمة فى حقل دلالى معين ، وإذا حدث وأتت كلمة ما فى حقل آخر فهذا نابع من التوسع فى الدلالة الذى تتصف به اللغات بصفة عامة ، والعربية بصفة خاصة ؛ فكلمة « الأنف » لها عدة مترادفات ، من بينها المَخْطِم والخرطوم ، وقد أشار الأصمعى إلى أنهما يستعملان فى غير الناس ؛ أى إنه توسع فى المعنى الذى يُضاف إليه الاستعمال المجازى للألفاظ داخل السياقيات والتراكيب النحوية ؛ فالأنف يقال له : الفِرْطِيسَة ؛ وذلك عند الشتم للرجل ، وإنما الفرطيسة للخنزير ، والفنطيسة أيضاً مثله .

٢ــ أشار القدماء إلى وجود كل مفردات اللغة فى المجالات المتصلة بها ، ولكن بطريقة غير مباشرة ، والدليل على ذلك أن موسوعة ابن سيده (المخصص) التى تعد أشمل المعاجم الموضوعية وأوسعها على الإطلاق قد استوعبت معظم مفردات الغة فى موضوعاتها أو حقولها أو مجالاتها الخاصة ، ولم نقل كل مفردات اللغة ، لأن التعميم فى تلك المسائل غير مستحب .

٣ــ اهتم القدماء بتقديم معانى مفردات اللغة خلال حقلها الدلالى فى ضوء الشواهد والأمثلة والأقوال المأثورة ، وهذا يدل على إدراكهم لأهمية السياق والدور الذى يؤديه فى معاجم الموضوعات ، وهذه بعض الأمثلة التى توضح ذلك :

(أ) الحدقة ــ كما قلنا ــ السواد الذى فى وسط البياض ، وجمعها حَدَق

وحِذاق : قال أبو ذؤيب :

فالعينُ بَعْدَهُمُ كأنّ حِذاقَها ... سُمِلَتْ بشَوْكٍ فهي عُورٌ تَدْمَعُ

وقال ابن ميادة فى الحَذَق :

فما الشئون إذا جادتْ بباقيةٍ ... ولا الجفونُ على هذا ولا الحدقُ

(ب) فى الحدقة الناظرُ ، ويجمع على نواظر . قال الأعشى :

ورجراجةٍ تُغْشِي النواظرَ فخمةٍ ... وجُرْدٌ على أكتافهنّ الرحائلُ

ويطلق على الناظر أيضاً اسم « الإنسان » . قال الأعشى فى إنسان العين أيضاً :

وقلّبتْ مقلةً ليستْ بفاحشةٍ ... إنسانَ عَيْنٍ ومُوقاً لم يكن قمِعَا

(جـ) إذا كان حمل المرأة فى آخر قَرْءٍ بها عند مقبل الحيض فهو الوُضْعُ ، وبعض العرب يقول التُّضْع ، وهذا الحمل مذموم مكروه عندهم ، وقد قالت أم تأبط شرًّا تصف ولدها : « والله ما حملته وُضْعاً ، ولا ولدته يَتْناً ، ولا أرضعته غَيْلاً ، ولا حرمته قَيْلاً ، ولا أبَتُّه على مَأْقَةٍ » .

وهناك جوانب أخرى سوف نتوقف أمامها حين الحديث عن معالجة المعنى فى الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات ، ولها صلة بالشواهد والسياق .

٤ ــ هناك عبارات تدل على إدراك القدماء لأهمية معالجة دلالة الألفاظ فى ضوء الكلمات السابقة عليها ، والواقعة بعدها ؛ فهناك مِشْية يطلق عليها اسم « الهرولة » حين عرفها المعجميون قالوا إنها بين المشى والعَدْو ؛ أى إنها تقع بينهما ، ولا نستطيع التوصل إلى معناها إلا بالنظر فى معنى المشى والعدو من حيث نوعهما ودرجتهما والحركة الخاصة بهما ؛ لأنهما مرحلة وسطى بينهما . وحين توقف المعجميون أمام ترتيب أحوال العليل قالوا عن « الحرِض » أو « المُحْرِض » إنه هو الذى لا حَيٌّ فيُرْجى ولا ميت فيُنْسى .. وهكذا .

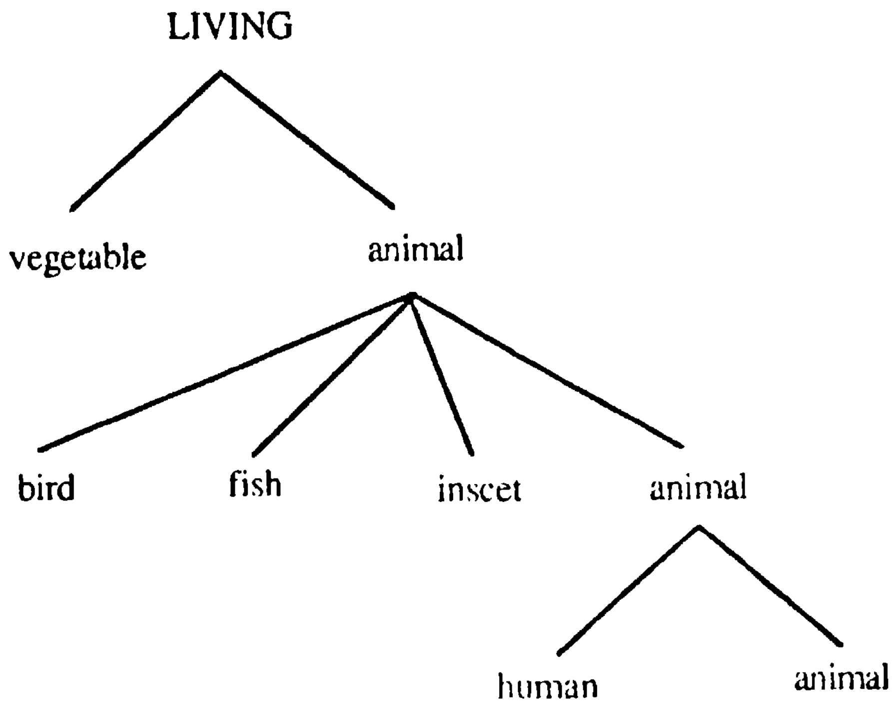
وبعد هذا العرض لما يتصل بالمجالات الدلالية ، نشير إلى أن هناك بعض اللغات تعانى حين تصنيف الكلمات المتصلة ببعض المجالات ، ومن ذلك كلمة animal وما يندرج تحت المملكة الحيوانية من مفردات . إن تلك الكلمة فى اللغة الإنجليزية تقع فى ثلاثة مستويات :

١ــ إنها تستخدم حين تصنيف الأشياء الحية ؛ فهى مع كلمة vegetable عبارة عن قسمين للأحياء ، ويندرج تحت animal الطير ، والسمك ، والحشرات ، والحيوانات .

٢ــ يتم انتزاعها من الأشياء الأربعة : الطير والسمك والحشرات والحيوانات إلى قسمين : إنسانى وحيوانى .

٣ــ وهى تقابل ما يتصل بالإنسان .

والشكل الذى يعبر عن هذا كله بألفاظه الإنجليزية نجده كما يأتى :



وبعد هذا العرض نشير إلى نظرية لها صلتها بالمجالات الدلالية يطلق عليها اسم :

التحليل التكوينى للمعنى :

يعود الحديث عن « التحليل التكوينى » Componential analysis المعنى إلى المقال الذى نشره اللغويان Fodor و Katz عام ١٩٦٣ تحت عنوان : The structure of semantic theory ، وهو يشير إلى منهج فى الدرس الدلالى للمفردات أساسه تحليلها إلى مجموعة محددة من العناصر الأساسية التى تكونها ،

ويؤدى هذا التحليل دوراً مهمًا فى تحديد العلاقات الدلالية القائمة بين الوحدات المعجمية عن طريق تتبع التسلسل القائم بين تلك الوحدات من العام إلى الخاص . وقد طبقا التحليل على كلمة bachelor التى لها المعانى الآتية :

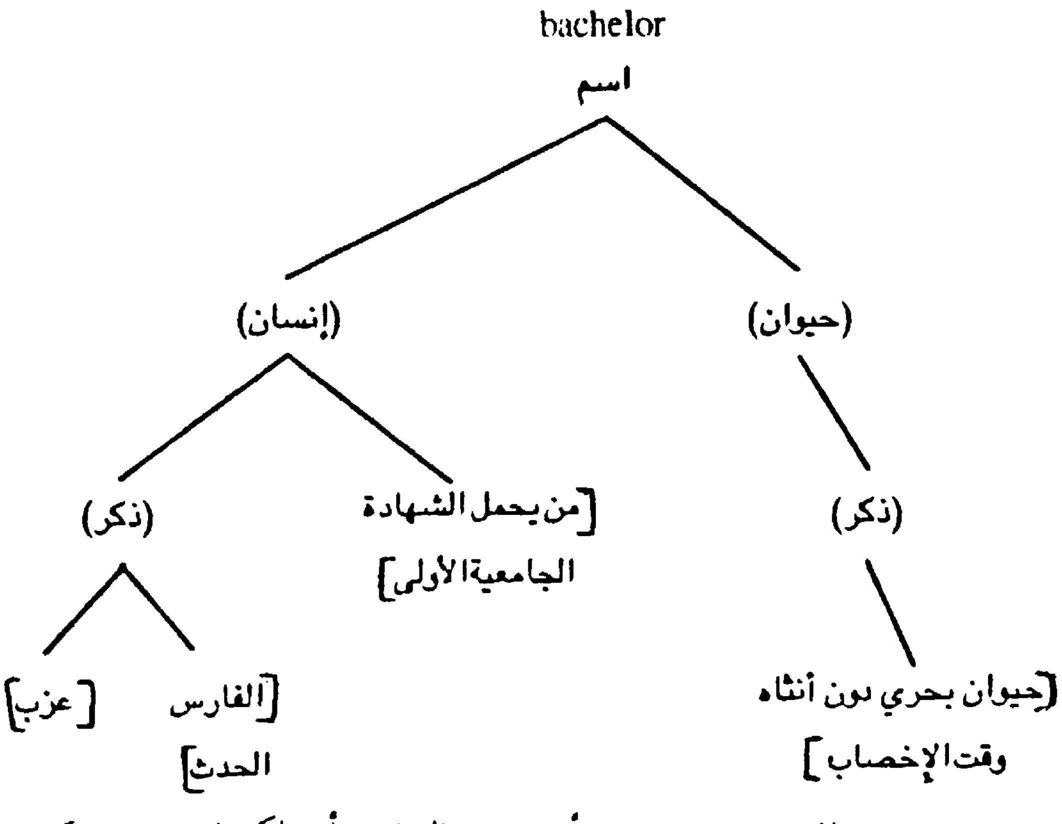
ــ الفارس الحَدَث ؛ أى إنه فارس طرىُّ العود يخدم تحت لواء فارس آخر .

ــ حامل البكالوريا ؛ أى الشهادة الجامعية الأولى .

ــ العَــزَب .

ــ حيوان بحرى دون أنثاه فى مرحلة إعادة الإخصاب .

وقد قدّم « فودر وكاتز » تلك المعانى فى الرسم المشجر الآتى[٢٢] :



وهذا الرسم الذى قدماه به ثلاثة أنواع من العناصر أو المكونات ، وهى كما يأتى :

ــ **الواسم النحوى Grammatical marker** : وهى كلمة « اسم » ، ويمكن التعرف عليه خلال عدم وضعه بين الأقواس فى الرسم السابق . ونشير

(٢٢) الدكتور أحمد مختار عمر : علم الدلالة ١١٥

إلى أن الواسم النحوى عندهما عنصر أو مكوّن غير أساسى .

ـ **الواسم الدلالى Semantic marker** : ويمكن التعرف عليه فى الرسم السابق خلال وضعه بين القوسين الهلاليين (   ) ، وهو خاص بالكلمات : إنسان ، حيوان ، ذكر . والواسم الدلالى له دوره المهم فى تحليل الكلمات بصفة عامة ؛ لأنه مشترك بين الكثير من الوحدات المعجمية .

ـ **المميِّز Distinguisher** : ويمكن التعرف عليه فى الرسم السابق خلال وضعه بين القوسين المعقوفين [   ] ، وهذا المميز يقدم المعانى النهائية أو المستنبطة . ونلاحظ فى الرسم السابق وجود المعانى الأربعة للكلمة bachelor بين هذين القوسين .

إن تحليل المكونات وسيلة نظامية واقتصادية تؤدى دوراً مهمًّا فى تمثيل العلاقات الدلالية القائمة بين الوحدات المعجمية فى لغة معينة ، وقد برز هذا التحليل فى الأبحاث العلمية الحديثة التى تدور فى إطار علم الدلالة ، وتم تأصيله بواسطة علماء الأنثربولوجيا باعتباره وسيلة من وسائل تأصيل المفردات بين الحضارات المختلفة ، وقد نما هذا البحث بواسطة علماء الدلالة الذين رأوا فيه وسيلة من وسائل تحليل المعنى ؛ لذلك هناك بعض الخطوات الإجرائية التى يجب اتباعها حين التحليل التكوينى وهى :

١ـ اختيار مجموعة من المعانى التى تشترك فى بعض الملامح أو العناصر التكوينية ؛ بحيث يمكن أن تؤلف مجالاً دلاليًّا وَقْفاً عليها دون غيرها . ومن أمثلة ذلك أن الألفاظ الدالة على « القرابة » نحو : أب ، أم ، ابن ، ابنة ، أخ ، أخت ، عم ... وسواها بينها صلة مشتركة ، وهى صلاحية تعيين الكائنات البشرية التى توجد بينها علاقة ارتباط عن طريق الدم أو الزواج .

٢ـ يتم اختيار كلمة محددة لتكون الأساس الذى نصف على هَدْى منه الكلمات الأخرى ؛ ففى ألفاظ القرابة نستطيع اختيار كلمة « أب » التى تسمح بتشخيص الكلمات الأخرى التى تقع فى إطار القرابة .

٣ـ هناك بعض الملامح أو المكونات التى تكون فى كلمة واحدة أو أكثر ، وليس كل الكلمات ؛ لذلك يجب تحديد تلك الملامح أو المكونات ، حتى نستطيع أن نقول إن الكلمات التى تندرج تحت معنى القرابة بها ما يشترك فى

التأنيث : أم ، ابنة ، أخت ، عمة ...، وبها ما يشترك فى التذكير : أب ، ابن ، أخ ، عم ... ويؤدى هذا فى النهاية إلى القول بأن هناك ملامح مميزة تدور فى إطار الجنس (التذكير والتأنيث) ، والجيل (فروق الأعمار) والنسب المباشرة ، وقرابة العصب (الدم) التى تقابلها علاقات المصاهرة .

٤ــ تحديد المكونات أو الملامح التشخيصية لكل معنى على حدة فى ضوء الاستقراء للسياقات المختلفة التى ورد بها ؛ لذلك حين نصف كلمة « أب » نقول : النوع الذكر ــ جيل واحد منحدر ، نسب مباشر ... وهكذا بالنسبة للألفاظ السابقة يكون الوصف منفرداً لكل منها .

مثال للتوضيح : بعد هذا العرض للخطوات التى يتم اتخاذها على أنها إجراءات للتحليل التكوينى للمعنى ، نقدم مثالاً للتوضيح .

إن الكلمات : ولد ، بنت ، رجل امرأة تشير كلها إلى كائنات بشرية ؛ أى إن هناك عاملاً مشتركاً بينها وهو « بشرى » human .

وتشترك الكلمتان : ولد ، رجل فى أن كلاً منهما « ذكر » male .
وتشترك الكلمتان : بنت ، امرأة فى أن كلاً منهما « أنثى » female .

وتشترك الكلمتان : رجل ، امرأة فى أن كلاً منهما « بالغ » adult ، فى حين أن كلاً من : ولد ، بنت « غير بالغ » . وهكذا نستطيع أن نصل إلى الوصف الدلالى للكلمات الأربع السابقة وهو :

رجل = بشرى + ذكر + بالغ
امرأة = بشرى + أنثى + بالغ
ولد = بشرى + ذكر + غير بالغ
بنت = بشرى + أنثى + غير بالغ

وهذا مثال آخر ، ولكنه باللغة الإنجليزية ، يحتوى على وصف للأفعال الدالة على الحركة[١] .

---

(١) انظر : موسوعة كمبردج فى اللغة ١٠٧ .

	Natural	Hurried	Forward	One foot always on ground
walk	+	−	+	+
march	−	+	+	+
run	−	+	+	−
limp	−	−	+	+

* * *

وبعد هذا العرض الخاص بنظريات تحليل المعنى وما يتصل بالرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) ، و (الألفاظ) نحاول التعرف على « المعنى المعجمى » ليكون مدخلاً للحديث عن معالجة المعنى فى الرسائل ومعاجم الموضوعات ، وهو الموضوع التالى .

المعنى المعجمى

يؤدى المعنى الدور الرئيسى فى الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات ؛ حتى إن الأخيرة تسمى بـ « معاجم المعانى » أيضاً ؛ إذ إن هذا النوع من المعاجم يلجأ إليه الباحث عندما يستعصى عليه لفظ لمعنى فى ذهنه ، ثم إنها مرتبة حسب المعنى ؛ فنجدها مقسمة إلى مجموعة من الكتب التى تدور حول موضوعات متنوعة .

ولقد بذل العرب الأوائل الذين ألفوا فى المعاجم مجهودات طيبة من أجل إيضاح المعنى وشرحه وتفسيره ، لذلك رحلوا إلى البادية لمقابلة فصحاء العرب ومشافهتهم ، وأخذوا عنهم الشروح المعجمية واللغوية للألفاظ . ونظر العرب فى ألفاظ اللغة ومعانيها ، وفى الصيغ والتراكيب ، وخلفوا لنا فى ذلك كله آثاراً جليلة ، وتراثاً لغويًا عملاقاً يستحق من الباحث المعاصر الثناء والتقدير . ولعله إذا نظرنا فى أحد المعاجم العربية لتبين الجهد الذى بذله مؤلفه من أجل شرح الألفاظ ؛ لذلك يقال عن (لسان العرب) الذى وضعه ابن منظور إنه موسوعة لغوية ، عرض فيها صاحبها للكثير من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ؛ بالإضافة إلى خوضه فى الفقه والأدب والقراءات القرآنية وشرح آيات القرآن الكريم ، وتفسير الأحاديث الشريفة ، لذلك نستطيع أن نقول إن قراءة « مادة معجمية » فى (لسان العرب) بالنسبة لأى مشتغل بالدراسات اللغوية وعلوم العربية قمة الإمتاع العقلى .

ولكن ما المقصود بـ « المعنى المعجمى Lexical meaning » ؟ إنه المعنى أو الدلالة التى يقدمها المعجم أو القاموس Dictionary لمفردات اللغة . ولقد رمى العلماء والباحثون المعاصرون المعاجم بأنها قاصرة وغير قادرة على تحديد معانى الألفاظ ، وهى ليست كل شىء فى التوصل إلى الدلالة ؛ فنجد الدكتور تمام حسان يسوق بعض الأمثلة التى يشتمل كل منها على كلمة « صاحب » وهى : صاحب الفضيلة ، وصاحب البيت ، وصاحبى ، وصاحب المصلحة ، وصاحب الحق ، وصاحب رسول الله ، وصاحب نصيب الأسد ؛ ثم يعلق على تلك الأمثلة بقول : « فالصاحب الأول ملقّب ، والثانى مالك ، والثالث صديق ، والرابع منتفع ، والخامس مستحق ، والسادس معاصر ، والسابع مقتسم . وسوف لا يأتى المعجم بكل تفصيلات الكلمة على هذا النحو ، ولكن سيأخذ منها القاسم المشترك ، فيجعله معنى معجميًّا للكلمة ، وسيشغل نفسه أحياناً ببعض مشتقات المادة عن مشتق بعينه »[1] . ومن هنا فإن المعنى المعجمى ظهر قصوره من حيث عدم استقصاء المعانى والاكتفاء بمعنى واحد ، أو أكثر قليلاً ، فى رأى الدكتور تمام حسان .

ونجد باحثاً آخر يتوقف أمام الدلالة التى يقدمها المعجم لكلمة « أم » وينتهى به المطاف إلى اتهام المعاجم بصفة عامة بأنها تجمد الألفاظ . يقول شارلتون : « وأفتح المعجم لأعلم ما اللفظ فإذا هو صوت أو مجموعة أصوات تواضع الناس على أن تكون جزءاً من الحديث ؛ لتنقل بينهم فكرة من الأفكار . كلاً ! لا تحدد نفسك بأوضاع المعاجم ، فللألفاظ مهمة أخرى غير هذه التى يعرفها لنا المعجم ؛ بل ليس ما يعرف به المعجم اللفظ إلا أقل جوانب اللفظ شأناً ... خذ لذلك مثالاً لفظة « أم » فهى عند المعجم دالة على فكرة مجردة لوالدة مجردة ، لا تستطيع أن تصورها لنفسك فى « أم » من لحم ودم ؛ فتقف إزاء المعنى المعجمى جامد العاطفة بارد الشعور ؛ لأنه لا يعطيك إلا شبحاً خافتاً لأم تصلح لكل إنسان ، وهى لهذا نفسه لا تصلح أمًّا لإنسان ، لكنك إذ تستخدم فى حياتك الخاصة لفظ « الأم » تجده فى ذهنك كائناً حيًّا ، وترى هذا الهيكل البارد الذى قدمه إليك المعجم منذ حين قد انتفض فى قلبك نابضاً يتدفق عاطفة ويفيض شعوراً »[2] .

(١) مناهج البحث فى اللغة : ٢٤٤ ؛ واللغة العربية ؛ معناها ومبناها : ٣٢٤ .

(٢) فنون الأدب : ٤ و ٥

ولسنا فى معرض الدفاع عن المعنى المعجمى ، ولكن نشير إلى أن شارلتون فى نصه السابق ينظر إلى اللفظ نظرة أدبية ، فهو يستخدم العاطفة والشعور والأحاسيس ، ومع ذلك فإنه إذا كان يتهم المعجم بأنه يجمد الألفاظ ويحيلها إلى أشباح خافتة فهذا الجانب — أى تجميد الألفاظ — لا تقع مسئوليته على المعجم ؛ بل هو راجع إلى استخدام الألفاظ وأن الإثارات المختلفة المصاحبة للفظ « أم » قد أتت فى النهاية من المعجم نفسه ؛ فإنه عندما يشرح معانى اللفظ لا يقدمها مجردة من الشواهد والعبارات الافتراضية التى تحرك اللفظ وتبعث فيه الحياة ؛ بل سيفعل ذلك بطبيعة الحال ، ومن هنا فإن المعجم نفسه هو الذى حرك اللفظ ولم يجمده .

ويتوقف الدكتور محمود السعران أمام « المعنى القاموسى » أو « المعنى المعجمى » ويرى أنه ليس كل شىء فى إدراك معنى الكلام ؛ فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير فى تحديد المعنى ، بل هى جزء أو أجزاء من معنى الكلام ، وذلك كشخصية المتكلم ، وشخصية المخاطب ، وما بينهما من علاقات ، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به ، كالجو — مثلاً — أو الحالة السياسية ... الخ . ومن حضور غير المتكلم وغير المخاطب وعلاقتهم بهما .

إن عبارة مألوفة مثل « صباح الخير » قد يكون لها من المعانى عشرة أو أكثر إذا نظرنا إليها من حيث السياقات التى تقع فيها[١]؛ أى إذا أدخل الدارس فى اعتباره العناصر الاجتماعية غير اللغوية التى أشرنا إلى بعضها .

وكل هذا لا يتضح على أجلى وجه إلا فيما يسمى « الكلام الحى » الذى نستطيع أن نسجل فيه نطق الكلام ، والذى تتضح فيه خصائصه البارزة مثل « التنغيم » و « الارتكاز » والذى نستطيع معه أن نتحقق من شخصيتى المتحادثين أو من شخصيات المتحادثين ، وأن نحدد ما بينهما أو ما بينهم من علائق ، وأن ندرك الظروف الملابسة للكلام .

وخير ما يوضح لنا ارتباط الكلام بما أشرنا إليه من الشخصية والملابسات هو « لغة المسرح » ؛ فنحن نرقب الأحداث وهى تتتابع ، وكل شخصية أمامنا واضحة المعالم محددة مما يتيسر معه أن نفهم معنى كل قول على خير وجه

وأدقة : قد يستقبل الخادم سيده محيياً « صباح الخير » وينطقها بحيث نفهم من نطقه ومما سبق ذلك من أحداث أنه يشير إلى تلك الطامة الكبرى التى توشك أن تصيب سيده ، أو ذلك الموقف الحرج الذى يوشك أن يقيد به نفسه .

وقد تصدر هذه العبارات نفسها من خادمة لسيدها ، ويصحب نطقها الناعم اللين المنغم على وجه خاص حركات من جسمها تفصح عن الرغبة والإغراء ، فلهذه العبارة فى هذا الحال معنى غير معنى التحية ؛ إنها دعوة الجنس واشتهاؤه .

وقد يوجه هذا التحية رئيس لمرؤسه متأففاً متسخطاً ؛ لأنه تأخر عن عمله ، وكان تأخره سبباً فى خسارة جسيمة ؛ وهكذا من عشرات المعانى التى يحددها مثل ما ذكرنا .

فأين أى معنى من هذه المعانى التى أوضحناها من « المعنى القاموسى » (المعنى المعجمى) ؟ إن القاموس يعرفنا أن « صباح الخير » هى تحية الصباح ، وقد يحدد زمان استعمال هذه التحية إن لم تكن مستعملة فى تاريخ اللغة من أوله إلى لحظة الدرس ، وقد يزيد فيحدد مكان استعمالها ، إن كانت مستعملة فى بيئة دون بيئة من البيئات الكلامية التى تستعمل هذه اللغة . إن القاموس بطبيعته لا يستطيع أن يحصر جميع السياقات التى تقع فيها هذه العبارة ، وكل عبارة ، وكل كلمة من كلمات اللغات وعباراتها . وإن فصّل فهو لا يفصل إلا فى إيراد أنواع من دلالات الكلمة أو العبارة ؛ وهكذا يظل تحديد معنى الكلام محتاجاً إلى مقاييس وأدوات أخرى غير مجرد النظر فى القاموس(٣)

نأتى ، بعد ذلك ، إلى موقف علم اللغة الحديث من دراسة المعنى المعجمى ، فنرى أن هناك ثلاثة من الفروع المندرجة تحته تهتم بدراسة هذا المعنى ، وتلك الفروع هى :

١ــ علم الدلالة Semantics

٢ــ علم المفردات Vocabulary

٣ــ علم المعاجم Lexicology

(٣) علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى : ٢٨٨ وما بعدها

أما « علم الدلالة » فإن بعض علماء المعاجم يعرفونه بأنه ذلك الفرع من علم اللغة الذى يقوم بدراسة المعنى المعجمى ؛ أى إنه يختص بدراسة الألفاظ المفردة دون القضايا أو النظريات المختلفة التى قد يتناولها علماء اللغة عند دراستهم لعلم الدلالة . ويدل على ذلك ما يشعر به علماء المعاجم من وجود هوة عميقة تفصل بين النظريات اللغوية التى تتصل بدراسة المعنى ، والتى ظهرت حديثاً ، والتطبيقات المعجمية التى مازالت حتى الآن تعتمد على تقاليد قديمة العهد ، وذلك على الرغم من إدراكهم لأهمية الاطلاع على هذه النظريات الحديثة فى علم الدلالة لمعرفة طبيعة الدلالة اللغوية وجهاتها المختلفة ، إلا أنهم فى نفس الوقت يترددون كثيراً فى الاعتماد على الأسس غير المؤكدة للدراسات الحديثة التى تدور حول طبيعة المعنى ؛ لأن هذه الدراسات أوسع بكثير من الحدود التى يعمل فيها المعجميون Lexicographers . وعلى ذلك فإن علماء المعاجم يضيقون من دائرة علم الدلالة ويجعلونه مقصوراً على دراسة المفردات وحدها دون النظريات الأخرى المتصلة بالمعنى ، حتى أصبح هذا العلم عندهم يعنى دراسة المعنى المعجمى وحده .

وأما «علم المفردات» Vocabulary فهو علم يعترف ضمناً بالوجود المستقل والمتميز للكلمة، إلا أن هذا المصطلح قد استقر فى علم اللغة للدلالة على عدد من الموضوعات، كلها تتصل بالمفردات وطرق دراستها؛ فهو يدل على:

١ــ حصيلة المفردات التى يتصرف فيها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر .
٢ــ مقدار الثروة اللفظية فى لغة معينة .
٣ــ عدد الكلمات المستعملة فى لغة معينة .
٤ــ مجموعة المصطلحات التى تستعمل فى دائرة علمية أو فنية محددة .
٥ــ إحصاء الكلمات المستعملة فى عدة لغات مختلفة ومقارنتها طبقاً لاحتياجات المتكلمين بها ، وأنواع المعاجم المستعملة فى كل لغة ، وغالباً ما يستعمل هذا العلم الإحصاء اللغوى وسيلة من وسائله .

ونظراً لأن الكلمات تختلف فيما بينها أثناء الاستعمال من حيث النشاط والركود ؛ فإن هذا العلم يستعمل مصطلحين للدلالة على ذلك هما :

١ــ المفردات النشطة Active vocabulary
٢ــ المفردات الخاملة Passive vocabulary

وذلك لكى يميز بين المفردات التى يستعملها المتكلم عادة ، وتلك التى يستطيع إدراك دلالاتها ، ولكنه لا يستعملها . كما يدخل أيضاً فى دائرة هذا العلم جمع مفردات اللغة وتصنيفها وتنظيمها سواء فى معاجم لغوية عامة أم متخصصة . وقد قامت عدة محاولات أخرى فى نطاق علم المفردات لعمل مجموعات من الكلمات فيما بينها بفكرة محددة ، أو تعبر عن نشاط إنسانى ثابت لا يتغير بتغير اللغات مثل المفردات الدالة على « خلق الإنسان » The body parts أو التى تدل على « الأعداد » أو « الألوان » ؛ لأن مثل هذه المفردات عادة ما تكون ثابتة ومستقرة خلال التطور التاريخى لأية لغة . ومن ثم فهى تصلح للإحصاء المعجمى أو دراسة الدلالة المقارنة ، كما تساعد على استنباط قوانين دلالية عامة تخضع لها دلالات الألفاظ فى كل اللغات فيما يطلق عليه الآن فى علم الدلالة المعاصر Universal semantics . يضاف إلى ذلك كله أن دراسة معانى المفردات ، أو بمعنى أدق ، المعنى المعجمى للمفردات يدخل أيضاً فى دائرة هذا العلم .

وأما علم المعاجم Lexicology فهو فرع من فروع علم اللغة يقوم بدراسة مفردات أية لغة وتحليلها ؛ بالإضافة إلى دراسة معناها أو دلالتها المعجمية بوجه خاص ، وتصنيف هذه الألفاظ استعداداً لعمل المعجم وهنا لابد أن نفرق بين هذا العلم ، وبين الفرع التطبيقى له وهو Lexicography أى علم المعاجم التطبيقى الذى يختص بدارسة صناعة المعجم والأسس التى يقوم عليها ، وأنواع المعاجم ؛ أى إن علم المعاجم Lexicology هو علم نظرى يدرس المعنى المعجمى وما يتصلُ به من قضايا دلالية ، أما علم صناعة المعاجم Lexicography فهو علم تطبيقى عملى يختص بصناعة المعجم(٤) .

وهناك بعض الأسباب التى دفعت المحدثين إلى رمْى المعنى المعجمى بالقصور وعدم مقدرته على تمثيل معانى الألفاظ تمثيلاً صادقاً على نحو ما أشرنا من قبل ، ويأتى على رأس تلك الأسباب ما يتصل بـ « اللغة الجانبية » Paralanguage لذلك نبدأ بالعرض لما يتصل بها .

اللغة الجانبية : نحن نعلم أن اللغة Language أصوات يعبر بها كل قوم عن

(٤) الدكتور حلمى خليل . الكلمة ، ٩٩ وما بعدها

أغراضهم ، أما مصطلح « اللغة الجانبية » فيستخدم فى الدراسات المعاصرة للإشارة إلى الجوانب الصوتية المصاحبة لعملية النطق أو الكلام ، وهى تتصل بدرجة النغم أو طبقة الصوت Pitch وارتفاعه وسرعته والتناغم بين المكونات الصوتية التى تؤدى فى النهاية إلى التأثير فى الدلالة . ويمكن استخدام بعض أعضاء النطق كاللسان والحنجرة والأنف ... لكى تؤدى دورها فى النغمات أو طبقة الصوت ، ويشار إلى تلك التأثيرات الصوتية على أنها أجراس صوتية أو كمية صوتية ، وهى تدرس تحت مصطلح Paralanguage كما أوضحنا .

وهناك بعض الموازين التى تتكون منها اللغة الجانبية ، وهى تؤثر فى الدلالة وتضيف إليها إضافاتٍ كثيرةً ، وقد تؤدى إلى عكس ما تؤديه الألفاظ المنطوقة نفسها . وقد حدد الدكتور عبده الراجحى أهم تلك الموازين ، وهى كما يأتى :

١ــ ميزان جهارة الصوت Volume scale :

ونعنى به الميزان الذى تتحدد به درجة ارتفاع الصوت أو انخفاضه عند نطق معين ؛ فكل موقف كلامى يكتسب فى المجتمع درجة معينة من ارتفاع الصوت ، والناس يلتزمون هذه الدرجة عند هذا الموقف ؛ فإذا تغيرت الدرجة ارتفاعاً أو انخفاضاً عما ينبغى أن تكون عليه من موقف معين ، فإن السامع يدرك أن شيئاً ما قد تغير ، وقد يفهم من ذلك معنى مغايراً للمعنى اللغوى . وبعض الناس يعرفون فى بيئتهم بانخفاض أصواتهم ، وحين نسمع شخصاً يغير درجة صوته عما هو معروف عنه فإننا ندرك أن عاملاً جديداً قد طرأ على الموقف الكلامى عنده . وارتفاع الصوت أو انخفاضه قد يكون خصيصة ضرورية لبعض أنماط التوصيل ؛ فالصوت المنخفض انخفاضاً كبيراً قد يهدف إلى الإحساس بالشك ، أو إلى نقل الحرص على كتمان الحديث ، أو غير ذلك مما يضيفه الصوت المنخفض إلى الكلام ، والارتفاع الكبير فى الصوت ضرورى لمقدم الألعاب فى السيرك ــ مثلاً ــ كما هو ضرورى فى مواقف أخرى كثيرة .

٢ــ ميزان طبقة الصوت Pitch scale :

وهو ميزان آخر غير ميزان الارتفاع والانخفاض ؛ إنه الطبقة الصوتية التى يُنطق بها كلامٌ معين ، والمعروف أن بعض الأغراض تقتضى طبقات صوتية

خاصة ؛ فالفرح والبهجة والحزن والضيق وخيبة الرجاء كل أولئك يعبر عنه الناس بطبقات صوتية مختلفة . وبعض الناس يُعرفون بطبقة صوتية معينة بحيث يؤدى تغيرها إلى أن يدرك السامع أن شيئاً ما قد حدث ، فيفهم من ذلك شيئاً لا تحمله الألفاظ وحدها .

٣ــ ميزان الصوت المنفتح Openness scale :

وأنت تجد هذا الميزان فى ألوان معينة من الكلام كتلك التى يقدمها الدعاة الدينيون أو رجال السياسة حين يخطبون فى الجماهير ، وبخاصة فى الأماكن المفتوحة ، أو الساحات العامة . وأنت تلحظ هنا أنهم لا يستعملون كلمات أو تركيبات مباشرة تدل على المقصود دلالة دقيقة ، وإنما يميلون فى الأغلب إلى استعمال ألفاظ أو تعبيرات رنانة ، ألفاظ تحمل أصواتها أصداء جانبية حتى تؤثر التأثير المنشود . وقد كان العرب يصفون الخطيب البليغ بأنه مُفوّهٌ لا تُؤكل الألفاظ بين أسنانه أو تموت فى جانب من جوانب فمه ، وإنما هى تملأ هذا الفم فتخرج قوية واضحة بما يُؤدّيه انفتاح الفم واتساعه

٤ــ ميزان البطء والسرعة Drawlling-clipping scale :

لكل كلام درجة معينة من السرعة ، وبعض الناس يعرفون بأن نطقهم بطىء أو سريع ؛ بحيث يختلف عما هو مألوف فى المجتمع ، ولكن المهم أن تغيير سرعة النطق فى موقف كلامى معين قد يضيف إلى معنى الألفاظ شيئاً ، وقد يقلب المعنى إلى نقيضه ، فنحن نلحظ أن السرعة الزائدة تدل فى الأغلب على الحدة والغضب أو الرأى القاطع ، ويمكن أن ننظر فى مثل : فوراً ، امشِ ، لا ، حين تنطق نطقاً سريعاً . أما النطق البطىء المقطّع فالأغلب أنه يشير إلى السخرية أو عدم الرضا أو عدم التصديق ، وذلك فى مثل : هـ ــ ا ــ ى ــ ن ، أو ف ــ ع ــ ل ــ ا ، أو : مع السلامة حين تنطق نطقاً بطيئاً(٥) .

وبعد فإن هذا العرض الذى قدمناه يوضح الدور الذى يمكن أن تؤديه اللغة الجانبيَة فى الدلالة ، وكيف أنها قادرة على تحويل المعنى . ونشير إلى أن المعجم لا يستطيع أن يحدد تلك الأشياء المتصلة بميزان جهارة الصوت وطبقته والصوت المنفتح والبطء والسرعة وسواها من الجوانب المؤثرة فى المعنى . وهناك ظاهرة تؤدى دوراً كبيراً فى الدلالة ، نعرض لها وهى :

(٥) الدكتور عبده الراجحى . اللغة وعلوم المجتمع ، ٣٨ وما بعدها

المسافة : تؤدى المسافة دوراً مهمًّا فى تحديد معانى المفردات والعبارات ، ولا يمكن للمعجم حين الشرح للألفاظ أن يقدم ما يتصل بها . وقد أطلق العلماء على دراسة المسافة وأثرها فى المعنى مصطلح Proxemics ؛ أى « علم المسافة » ، وهو يهتم بالتوقف أمام دور الجسم فى عملية الاتصال وذلك نحو الوقوف والجلوس والقعود وما يتم مراعاته حين الحديث بين بعض الأشخاص من المسافة ، وما لا يتم مراعاته أيضاً حسب العلاقة الموجودة بين اللذين يتحدثان معاً ... وهكذا . ونستطيع أن نقول إن العلماء على اختلاف اهتماماتهم توقفوا أمام المسافة ودورها فى عملية الاتصال الإنسانى ، فتناولها بالعرض والتحليل علماء النفس والاجتماع والأنثربولوجيا وسواهم ، وهناك عدة عمليات تتصل بالجسم يمكن دراستها حين النظر فى المسافة ؛ وذلك نحو العناق ، والإعاقة ، والضرب ، والتقبيل ، والقَرْص ، والضربة الخفيفة ، واللكمة ، واللمس وغيرها .

وهناك الكثير من المواقف فى الحياة الاجتماعية التى نستطيع خلالها التعرف على دور المسافة فى الدلالة ، ومن أمثلة ذلك أن الطالب حين يسير مع زميله أو يتحدث معه لا يراعى المسافة بينهما ، فى حين أنه لو ذهب إلى ناظر المدرسة أو عميد الكلية لأمرٍ من الأمور فالواجب عليه مراعاة وجود مسافة حين الحديث إلى الناظر أو العميد . وهناك ظاهرة أخرى تؤدى دوراً كبيراً فى الدلالة ، نعرض لها وهى :

الحركة الجسمية : تؤدى الحركة الجسمية دوراً ملموساً فى توصيل المعنى ، وقد اهتم بها المحدثون من علماء اللغة فى ضوء ما اصطلحوا على تسميته بـ Kinesics الذى يترجم إلى « علم الحركة الجسمية » أو « علم الكينات »(٦) . ويعد راى بيردوسل R.L. Birdwhistell رائد الحديث عن الحركة الجسمية ودورها فى توصيل المعنى ؛ وذلك حين أصدر كتاباً عام ١٩٥٢ عنوانه : Introduction to kinesics الذى أتبعه بعنوان إيضاحى هو :
an annotation system for analysis of body motion and gesture.

ويمكن تعريف الإشارة أو الحركة الجسمية بأنها تعبير أو فعل أو وضع جسمى اصطلحت عليه الجماعة اللغوية ، يصاحب الكلام أو لا يصاحبه ،

(٦) انظر كتاب : دراسات فى علم اللغة للدكتورة فاطمة محجوب ١٥٩

ويدل على معنى يقصده المتكلم ويدركه المستمع . ومن خلال هذا التعريف حدد بعض الباحثين(٧) العناصر التى تكون مفهوم التعريف ، وهى على النحو الآتى :

أولاً : تصدر الإشارات الجسمية عن أعضاء الجسم كما تصدر الأصوات الكلامية عن أعضاء النطق مثل الرأس والحاجبين والشفتين والرقبة والكتفين والذراع والكف والأصابع وغير ذلك .

ثانياً : تصدر الإشارات الجسمية عن عضو واحد منفرد ، أو عضوين من أعضاء الجسم كما نرى فى حالات العضّ بالأسنان على الأصابع إشارةً للندم ، أو ضرب كف بأخرى إشارة التعجب أو الاستنكار للرجل ، أو ضرب الصدر أو الخد بالكف إشارة التعجب أو الاستنكار للمرأة .

ثالثاً : قد تكون الإشارة بعضو جسمى بالتعاون مع شىء آخر مثل الإمساك بالعصا أو العَلَم أو أى شىء آخر يحمل دلالة اصطلاحية .

رابعا : قد تكون الإشارة فعلاً دلاليًا Semantic action يعبر به المتكلم عما يريده مثل الدق على المنضدة التى يجلس أمامها المتحدث ، أو تمزيق أو كسر ما يمسك به من أشياء تعبيراً عن الغضب أو الرفض أو الاستنكار .

خامساً : قد تكون الإشارة وضعاً جسميًّا Posture يشير إلى دلالة اصطلاحية مثل الجلوس مع اعتماد الخد أو الجبهة على راحة اليد إشارة للاستغراق فى التفكير أو حالة الحزن ، أو الجلوس كذلك مع تنكيس الرأس إلى أسفل ، أو المشى بخطى بطيئة متثاقلة مع ارتخاء الذراعين إشارة للحزن أو الإحباط ، أو المشى بخطى سريعة مع هز المنكبين والذراعين إشارة للفرح أو الكبر .

سادساً : مصاحبة الإشارة للكلام لتوضيحه أو تأكيده أو إكماله ، كما أنها يمكن أن تكون بديلاً عن الكلام فى حالات معينة يتحرج فيها الإنسان من الكلام ، أو قد لا يقدر عليه بسبب أو لآخر .

سابعاً : يتميز الجانب المكتسب من الإشارات الجسمية بالاصطلاحية

---

(٧) الدكتور كريم زكى حسام الدين : الإشارات الجسمية ، ص ١٠٣ وما بعدها .

conventionality حيث تتعدد دلالتها من خلال الاتفاق المشترك بين أفراد المجتمع الواحد الذين يستعملونها بشكل متكرر فى مواقف معينة ، ونلاحظ أن هذا النوع من الإشارات يختلف من مجتمع لآخر .

ثامناً : يتميز الجانب الفطرى أو الغريزى من الإشارات بالعالمية ؛ لأنها تكون مفهومة للمتكلمين بلغات مختلفة من مواقف أو حالات مشتركة مثل الاستفهام والطلب والموافقة والرفض والتعجب وغير ذلك ، ونجد المتكلم يستعمل هذه الإشارات عندما يخرج من بلد لآخر لا يعرف لغته .

تاسعاً : تعرف الإشارات الجسمية مثل اللغة ظواهر لغوية مثل المحظور من الإشارات Gestures taboo التى تعتبر من قبيل المستهجن والقبيح من الإشارات مثل الكلمات والتعبيرات المنافية للأدب ، كما تعرف الإشارات السرية الخاصة بجماعات اللصوص والأشقياء .

عاشراً : تختلف الإشارات والحركات الجسمية باختلاف السياق أو الموقف الكلامى الذى يتمثل فى جنس المتكلم وحالته النفسية ووضعه الاجتماعى ؛ فنجد الإشارة أو الحركة تتسم بالسرعة والعنف فى حالات الغضب والاستنكار ، كما تختلف إشارات المرأة وحركاتها عن إشارات الرجل وحركاته ، فإذا عبر الرجل عن التعجب ضرب كفًا بأخرى ، أما المرأة فتعبر عن ذلك بضرب صدرها أو وجهها بكفها ، كما يتدخل الوضع الاجتماعى فى اختيار شكل الإشارة أو الحركة مثل استعمال حركات النفى بهز الرأس أو تحريك السبابة يميناً ويساراً أو بإحداث طقطقة باللسان Clicking of tongue أو اختيار شكل المصافحة والتحية باليد فقط أو بالمعانقة أو بالقبلة وموضعها على الخد أو اليد أو الرأس .

وقد كان القدماء من العلماء العرب على دراية تامة بالدور الذى تؤديه حركات الجسم وإشاراته فى الدلالة ، وعلى رأسهم الجاحظ الذى توقف أمام « الإشارة » قائلاً : « فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب ، إذا تباعد الشخصان ، وبالثوب وبالسيف ، وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجراً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً » .

« والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغنى عن الخط » .

« وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة ، وحِلية موصوفة على اختلاف فى طبقاتها ودلالتها ؟ وفى الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مِرفق كبير ، ومعونة حاضرة فى أمور يُسِرُّها الناس من بعض ، ويخفونها من الجليس وغير الجليس . ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ، ولجهلوا هذا الباب البتة . ولولا أن تفسير هذه الكلمة يدخل فى باب صناعة الكلام لفسرتها لكم . وقد قال الشاعر فى دلالات الإشارة :

أشارتْ بطرفِ العينِ خفيةَ أهلِها ... إشارةَ مذعورٍ ولم تتكلّمِ
فأيقنتُ أن الطرفَ قد قال : مرحباً ... وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيَّمِ

وقال الآخر

وللقلبِ على القلبِ دليلٌ حين يلقاهُ
وفى الناسِ من الناسِ مقاييسٌ وأشباهُ
وفى العين غنى للمرءِ أنْ تنطقَ أفواهُ

وقال الآخر :

ومعشرٍ صيدٍ ذوى تَجِلّةْ ... ترى عليهم للندى أدِلّةْ[(٨)]

وقال الآخر :

ترى عينَها عينى فتعرف وحيَها ... وتعرفُ عينى ما به الوحىُ يرجعُ[(٩)]

وقال الآخر .

وعينُ الفتى تُبدى الذى فى ضميره ... وتعرفُ بالنجوى الحديثَ المغمَّسَا[(١٠)]

وقال الآخر :

العينُ تبدى الذى فى نفسِ صاحبِها ... من المحبةِ أو بُغضٍ إذا كانَا
والعين تنطقُ والأفواهُ صامتةٌ ... حتى ترى من ضمير القلبِ تبيانَا

---

(٨) صيد : سادة عظماء لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً زهواً وكبراً .
(٩) الوحى : الإشارة بأية صورة .
(١٠) المغمس : الخفى .

هذا ، ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت ...وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان ، مع الذى يكون مع الإشارة من الدَّلّ والشكل والتفتل والتثنى واستدعاء الشهوة ، وغير ذلك من الأمور »[11] .

وقد حدد الجاحظ فى هذا النص بعض الأمور المتصلة بالإشارة ، من بينها ماياتى :

١ــ تكون الإشارة عن طريق استخدام أعضاء الجسم كاليد والرأس والعين والحاجب والمنكب .

٢ــ وتكون الإشارة عن طريق استخدام بعض الأشياء الخارجة عن إطار الجسم الإنسانى كالثوب والسيف وسواهما ؛ بالإضافة إلى أن الإنسان يلجأ ــ أحياناً ــ إلى رفع السوط والسيف ، وتكون الإشارة هاهنا دالة على الزجر والردع ، والوعيد والتحذير .

٣ــ تؤدى الإشارة دوراً مهمًا فى توضيح دلالة الألفاظ خلال « اللغة المنطوقة » ؛ لذلك تنوب عن اللفظ وتغنى عنه حين التعبير عن أمر من الأمور .

٤ــ الإشارات الصادرة عن الجسم لها صور معروفة يكاد الناس يتفقون على طريقة معينة حين استعمال أية واحدة منها ، وهى فى الوقت نفسه تختلف فى الدلالة على المعنى الخاص بها ؛ لذلك يقال إن الإشارات لها طبقات تؤدى إلى الاختلاف فى دلالاتها .

٥ــ تساعد الإشارة بالطرف أو الحاجب أو سواهما على إخفاء الكثير من الأمور التى يريد بعض الناس إخفاءها من بعضهم الآخر فى مجلس من المجالس .

٦ــ لجأ الشعراء إلى استعمال الإشارة فى إبداعهم الأدبى للدلالة على الكثير من الأمور التى لا تقدمها الألفاظ ؛ فالإشارة عن طريق « طرف العين » قالت للشاعر : مرحباً وأهلاً وسهلاً ، بدلاً من محبوبته التى لم تسعفها الظروف المحيطة بها للكلام ؛ لذلك قال إنها « لم تتكلم » .

---

(١١) البيان والتبين : ١ /٧٩ وما بعدها .

٧ــ للإشارة المقدرة على تغطية مسافة أو مساحة أبعد من تلك التى يقدر عليها الصوت ؛ لذلك يقال إن مبلغها أبعد من مبلغ الصوت ، والدليل على ذلك أن الإنسان يلجأ أحياناً إلى استعمال الإشارة حين يعجز عن التوصيل بالصوت لبُعْدِ المسافة كما يحدث فى حالة النداء .

٨ــ تتصل الإشارة بالجمال والقبح حين استعمالها ؛ لذلك من الأشياء التى تُحسب للمتكلم أو الخطيب أو الشاعر أو غيرهم حسن استعمال الإشارة باليد والرأس .

٩ــ تؤدى الإشارة دوراً مهمًّا فى مجال إظهار الغنج والدلال وسواهما من الأمور .

وهناك الكثير من النصوص التى وردت فى (البيان والتبيين) و (الحيوان) تدل على إدراك الجاحظ للدور الذى تؤديه الإشارات فى مجال التعبير عن المعنى .

ومن العلماء الذين تنبهوا لدور ملامح الوجه فى الدلالة ابن جنى الذى توقف أمام جانب مهم حين استعمال اللغة المنطوقة يتصل بأحوال العرب ووجوهها التى تدل على استخفافها شيئاً أو استثقاله ، وتقبله أو إنكاره ، والأنس به أو الاستيحاش منه، والرضا به ، أو التعجب من قائله ، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود ، بل الحالفة على ما فى النفوس . وقد درس ابن جنى قول نعيم بن الحارس بن يزيد السعدى :

تقول ــ وصكّتْ وجهها بيمينها ــ أبَعْلِىَ هذا بالرحى المتقاعسُ(١٢)

فى ضوء الإشارة بـ « صكّ الوجه » ؛ أى لَطْم الوجه للدلالة على التعجب والإنكار قائلاً : « فلو قال (يقصد الشاعر) حاكياً عنها : أبعلى هذا بالرحى المتقاعس ، من غير أن يذكر صكّ الوجه ، لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة ، لكنه لما حكى الحال فقال « وصكّت وجهها » عُلِمَ بذلك قوة

(١٢) كان الشاعر قد عقد له النكاح على امرأة ولم يدخل بها بعدُ ، فمرّتْ به فى نسوة وهو يطحن بالرحى لضيف نزلوا به ، فقالت : أبعلى هذا ! تعجباً واحتقاراً له ، فقال الأبيات . والمتقاعس : الذى يخرج صدره ويدخل ظهره ، وذلك شكل من يطحن بالرحى : انظر : الخصائص : ١ /٢٤٥ (الهامش) .

إنكارها ، وتعاظم الصورة لها . هذا مع أنك سامع لحكاية الحال ، غير مشاهد لها ، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ، ولعظم الحال فى نفس تلك المرأة أبين ، وقد قيل : ليس المخبَر كالمعاين ، ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله : وصكّتْ وجهها ، لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها » . ويستمر ابن جنى فى حديثه عن الدور الذى تؤديه ملامح الوجه فى الدلالة على بعض المعانى حتى يصل إلى قوله : « وبعد فالحمّالون ، والحمّاميون ، والسّاسة[١٣] ، والوقّادون ، ومن يليهم ويُعتدُّ منهم ، يستوضحون من مشاهدة الأحوال ما لا يحصّله أبو عمرو من شعر الفرزدق إذا أخبر به عنه ، ولم يحضره ينشده . أو لا تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر فأراد أن يخاطب به صاحبه ، ويُنعم تصويره له فى نفسه استعطفه ليقبل عليه ؛ فيقول له : يافلان ، أين أنت ، أرنى وجهك ، أقبل علىَّ أحدّثك ، أمَا أنت حاضر ياهناهْ . فإذا أقبل عليه ، وأصغى إليه ، اندفع يحدثه أو يأمره أو ينهاه ، أو نحو ذلك . فلو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين ، مجزئاً عنه لما تكلف القائل ، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه ، والإصغاء إليه . وعلى ذلك قال :

العينُ تُبدى الذى فى نَفْسِ صاحِبِها ... من العداوة أو وُدٍّ إذا كانا

وقال الهذلى :

رَفَوْنى وقالوا : ياخُويلدُ لاتُرَعْ ... فقلت : وأنكرتُ الوجوهَ ، همُ همُ[١٤]

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهده الوجوه ، وجعلها دليلاً على ما فى النفوس . وعلى ذلك قالوا : رُبَّ إشارةٍ أبلغُ من عبارة »[١٥] .

وهناك نصوص أخرى كثيرة وردت عند القدماء من العلماء العرب تدل على إدراكهم لأهمية ملامح الوجه وحركات الجسم وإشاراته فى توصيل بعض المعانى التى تعجز عنها اللغة المنطوقة .

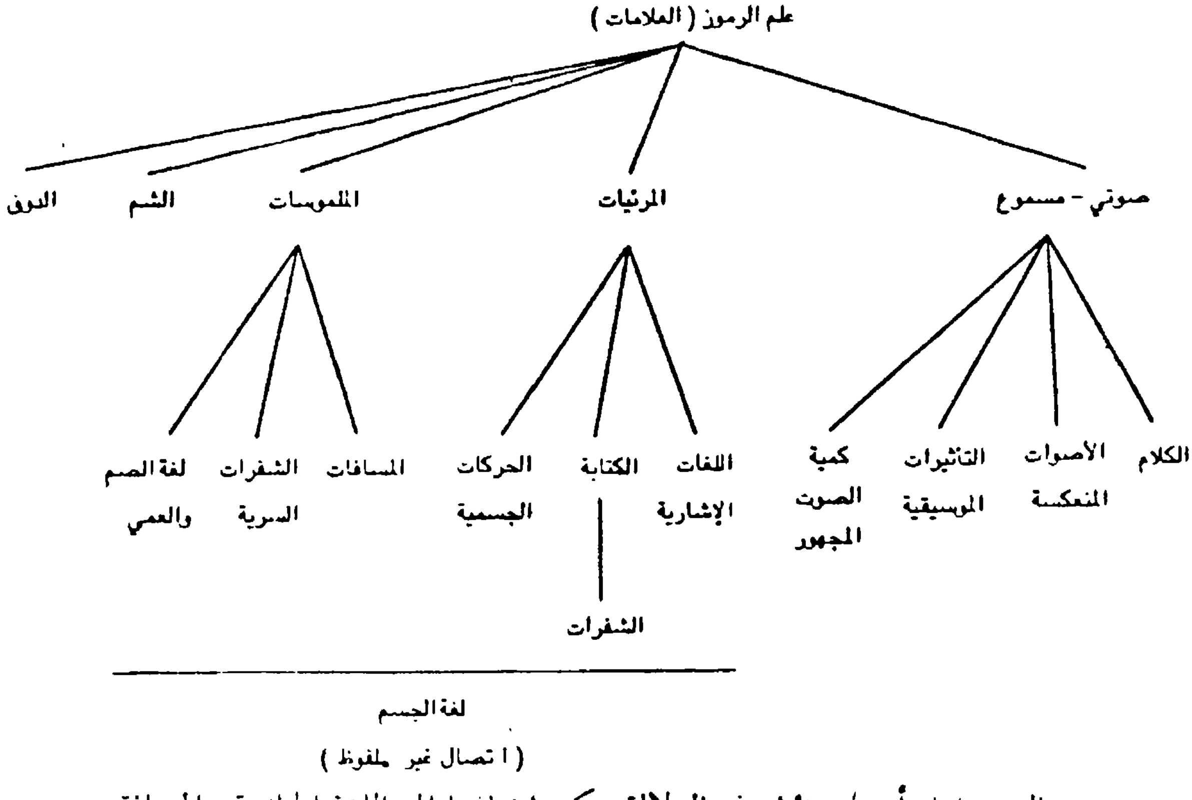
---

(١٣) الساسة : ساسة الدواب الذين يقومون بخدمتها .

(١٤) رفونى : سكنونى ، وقالوا : لا بأس عليك ، وقوله : هم هم ؛ أى هم الذين أخاف . وكان الشاعر قد وقع فى قوم من أعدائه فأظهروا له الملاينة حتى يسكنوا منه ، ولكنه عرف منهم الشر على الرغم مما أبدوه ففر منهم .

(١٥) الخصائص ١ /٢٤٥ وما بعدها .

بقى أن نشير إلى أن الحديث عن « المسافة » و « الحركة الجسمية » يُدرجان تحت علم واسع الانتشار فى أنحاء العالم كافةً يطلق عليه اسم « علم الرموز » Semiotics أو Semiology ، ومن بين مباحثه الاهتمام بـ « لغة الجسم » التى يطلق عليها اسم « الاتصال غير المنطوق أو غير الملفوظ » . ويمكن الإشارة إلى مباحث هذا العلم بصفة عامة خلال الشكل الآتى(١٦) :



وهناك عوامل أخرى تؤثر فى الدلالة يمكن إضافتها إلى اللغة الجانبية والمسافة والحركة الجسمية ، ولكن تلك العوامل كلها لا يستطيع المعجم تحديدها أو الإشارة إليها حين شرح معانى المفردات وتفسيرها ، وهذا هو الذى دفع اللغويين إلى رمى « المعنى المعجمى » بالقصور . ولعلنا نتساءل : هل كان المعنى قاصراً فى الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) ؟ نحاول الإجابة عن هذا السؤال فى ضوء التعرف على :

معالجة المعنى فى الرسائل اللغوية، ومعاجم الموضوعات :

بذل أصحاب الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات مجهودات ضخمة من

(١٦) انظر موسوعة كمبردج فى اللغة : ٣٩٩ .

أجل شرح المعنى وإيضاحه ، وقد ساعدهم فى هذا المجال إلمامهم بمعظم جوانب الموضوع الذى يجمعون ألفاظه . وهناك الكثير من النقاط التى تدل على الجهد الذى بُذِلَ لشرح المعنى ، وتدل أيضاً على أن المعنى فى تلك الرسائل والمعاجم لم يكن قاصراً ؛ بل حدده المعجميون على قدر المستطاع ، وتلك النقاط هى :

أولاً : اعتمدت الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات فى تحصيل الألفاظ ومعانيها على مصدر أصلى ، وهو ما يُعرف فى الدرس اللغوى الحديث باسم informant أى « الراوية » أو « المصدر البشرى » . واختيار هذا المصدر ليس عملية سهلة ؛ إذ لا يصلح كل متكلم لهذه المهمة ، وليس هناك مقياس قاطع فى اختياره ؛ فقد يكون شخص مصدراً صالحاً عند باحث ، وغير صالح عند باحث آخر ، والمسألة ترجع إلى ظروف البحث ، وإلى الباحث نفسه ، غير أن هناك عوامل ينبغى ألا نغفلها عند اختيار المصدر البشرى ؛ فهو أولاً ينبغى أن يكون فى حالة صحية مناسبة لا توقعه فى النسيان أو الغفلة أو التخليط ، ثم ينبغى أن يكون لديه من الوقت ما يتيح للباحث أن يلتقى به مدداً كافية ، ولابد أن يكون متكلماً جيداً للغة ؛ فبعض الناس يحب أن يتحدث كثيراً ، وبعضهم يتحدث بافتخار ، وبعضهم يتمتع بخيال واسع لخلق موضوعات ومواقف للكلام(١٧) .

هذه هى بعض المواصفات التى يجب توافرها فى المصدر البشرى ، ومعظمها وجدها الأوائل من جامعى اللغة فى « الأعراب » الذين قصروا حياتهم على البادية وما فيها . وقد كثرة أسماء أولئك الأعراب داخل الأعمال الموضوعية ، وهذا يدل على أن بعض جامعى اللغة كان يفضل بعض الأعراب على غيرهم .

ثانياً : اعتمد المعجميون على الشواهد فى تقديم المعنى ، وكانوا يكونون بعض السياقات والعبارات الافتراضية التى تساعد فى إيضاح المعنى إذا لم يجدوا شاهداً ، والدليل على ذلك أن الأصمعى أتى بعدة مترادفات تدور حول جماعة « خلق الإنسان » مؤيدة بالشواهد الشعرية ؛ فمن اسم تلك الجماعة « الشخص » . قال الأعشى :

(١٧) اللغة وعلوم المجتمع : ٧٩ وما بعدها .

وكأنّ مائِعَ الصُّوارِ بشخصِها عجزاءُ تُرزَقُ بالسُّلَيّ عيالَها

و « السمامة » . قال الراعي :

كأن على أعجازها كلما رأتْ سمامتَه فيئاً من الطير وُقَّعا

و « الآل » . قال ذو الرمة :

فما بلغتْ ديارَ الحيِّ حتى طرحْنَ سِخالهنَّ وصِرْنَ آلا

و « الطلل » . قال الكميت :

ولّى يُهزُّ قنائيْ غيرِ مُختتيءٍ من وَخْدِهِ طللٌ يأدو له طللٌ[18]

ثالثاً : اعتمد أصحاب الرسائل ومعاجم الموضوعات على الرؤية والمشاهدة لما يقدمون له من أوصاف ؛ خاصة فى الأبواب التى تدور حول النبات والشجر والنخل والكرم ؛ لذلك رحل المعجميون إلى البادية لجمع المادة اللغوية ، وفى أثناء الرحلة كانوا يشاهدون ما يصفون من الأشجار والنباتات .

نعود إلى عنوان هذه الدراسة وهو معالجة المعنى فى الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات ؛ فماذا نعنى به ؟ إننا نهدف إلى التعرف على الطرق والمناهج التى سارت عليها تلك الأعمال الموضوعية فى شرح الألفاظ وإيضاحها حتى يمكن التوصل إلى الدلالة ، وهو غاية تلك الأعمال . أما عن هذه الطرق وتلك المناهج فيمكن الإشارة إليها فى النقاط الآتية :

أولاً : تحديد المعنى خلال تصنيف الألفاظ حسب أحوال الشىء ودرجاته ، ومن هذا قول أبى زيد حول اللبن وأوصافه وأحواله : « أول اللبن اللبأ ، والذى يليه المفصح ... ثم الذى يصرف عن الصريح حارّاً الصريف ، فإذا سكنتْ رغوته فهو الصريح ... فإذا ذهبتْ عنه حلاوة الحلب ولم يتغير طعمه فهو سامط ، فإن أخذ شيئاً من الريح فهو خامط ، فإن أخذ شيئاً من طعم فهو ممَّحل ، فإذا كان فيه طعم الحلاوة فهو قوهة »[19] . وفى النص يتتبع أبو زيد درجات اللبن مستخدماً كلمة « أول » ، وبعد ذلك يقدم بعض الأوصاف الخاصة به ، فى ضوء ما يعتريه من تغير من حيث سكون الرغوة وذهاب حلاوة الحلب وغير ذلك .

(١٨) خلق الإنسان : ١٦٣ ؛ والمخصص : ١ /٥٢

(١٩) اللبأ واللبن : ١٤٦

ثانياً : تصنيف الألفاظ وبيان معانيها خلال تحديد المكان الذى تُطلق عليه ، يدلنا على ذلك قول ابن السكيت : « يقال : الشجُّ فى الوجه والرأس لا يكون إلا فيهما ، والدامية أيسر الشجاج ، والحرصة وهى التى خرجت من وراء الجلد ولم تخرق الجلد ، والحارصة التى تحرص الجلد ؛ أى تشقه قليلاً ... ومنها الباضعة وهى التى قد جرحت الجلد وأخذت فى اللحم ، ثم المتلاحمة وهى التى أخذت فى اللخم ولم تبلغ السمحاق ، ومنها اللاطئة وهى التى ندعوها السمحاق .. والسمحاق اسم السماءة التى بين اللحم والعظم »[٢٠] . وهنا يصف ابن السكيت الألفاظ حسب المكان الذى أصيب بالجرح ؛ فالشج حدِّد مكانه بأنه فى الوجه والرأس حسب ، والمتلاحمة ألتى أخذت فى اللحم .

ثالثاً : ذكر عبارة تدل على معنى ما ، تليها عبارة أخرى تؤدى المعنى نفسه ، ومن هذا قول ابن الأعرابى : « يقال : حَفَرَ حتى أعان وأعين ؛ أى حتى استخرج الماء ، وحفر حتى أصلد ، إذا وقع على موضع صلب أو على حجر ، وكذلك أكدى ... وحفر فأجبل ، وقع على جبل ، وأسهب ، إذا وقع على رمل أو ترابٍ يغلبه »[٢١] . ومن هذا أيضاً قول الأصمعى : « إذا استبان حملُ الشاةِ فأشرق ضَرْعُها ووقع فيه اللبأ ، قيل : قد أضرعتْ ؛ أى عظُم ضرعها ، وهى مضرِعٌ ، فإذا حَسُنَ ضرع الشاة قيل : شاة ضريع ، فإذا دنا ولادها قيل : شاة مقرِب ، فإذا دفعتْ باللبأ على رأس الولد قيل : شاة دافع ، فإذا كان أوانُ ولادها قيل : شاة مُتِمٌّ »[٢٢] .

رابعاً : ذكر عدة ألفاظ تؤدى معنى واحداً ، وهو ما يعرف بالترادف ، ومن هذا قول أبى زيد : « الهلثاءة ... والهدفة ، والرثدة ، واللبدة : كل ذلك الجماعة من الناس »[٢٣] . ويقال : « رجل حديد الفؤاد ، وشهم الفؤاد ، وذكى الفؤاد ، ونزّ الفؤاد : كلُّه من حدة القلب »[٢٤] . وقال الأصمعى : « يقال للطويل : الشَّوْقب ، والصلهب ، والشوذب ، والشرجب »[٢٥] .

(٢٠) الألفاظ : ٩٦ وما بعدها .
(٢١) البئر : ٥٥ .
(٢٢) الشاء : ٤٩ وما بعدها .
(٢٣) الألفاظ : ٣٥ .
(٢٤) السابق : ١٦٢ .
(٢٥) الغريب المصنف : ٢٤ .

خامساً : التفريق بين استعمال المفردات حسب الموقف نفسه ، ومن هذا قول الأصمعي : « اليم في البهائم موت الأم ، وفي الإنس موت الأب »(٢٦) . وقوله في « باب الشفة : هي من الإنسان الشفة ... وهما من البعير المشفران ، الواحد مِشْفَر ، والجميع مشافر ، وهما من ذوات الحافر الجحفلتان ، الواحدة جحفلة ، والجمع جحافل ... »(٢٧) .

سادساً : استخدم أسلوب الحصر وعناصره النفي والاستثناء لتحديد المعنى ، ومن ذلك قول أبي زيد : « العارض السحابة تراها في ناحية السماء ، وهي مثل الجِلْب ، إلا أن الجلب أبعد وأضيق من العارض ... ومنه الرباب ، وواحدته ربابة ، وهي السحابة الرقيقة السوداء ، تكون دون الغيم في المطر ، ولا يقال لها ربابة إلا في مطر »(٢٨) . وهاهنا يتحدث أبو زيد عن السُّحُب وأنواعها ، وقد استخدم أسلوب الحصر الذي أشرنا إليه .

وبعد هذا العرض لمعالجة المعنى في الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات وبالتحديد (الغريب المصنف) و (الألفاظ) هناك نا حية مهمة تتصل بتلك المعالجة وهي التعرف على الثروة اللفظية في ضوء الأضداد والترادف والمشترك والاشتقاق ...، ونبدأ بالتوقف أمام « الأضداد » وهو موضوع النقطة التالية .

الأضـــــداد

من الظواهر الدلالية التي تعرفها بعض الألفاظ في اللغة العربية وجود كلمة واحدة لها معنيان مختلفان تماماً ؛ وذلك نحو كلمة « الجَوْن » التي تدل على الأسود والأبيض ، وقد اصطلح القدماء على تسمية تلك الظاهرة باسم « الأضداد » .

وهناك مفهوم آخر للأضداد عند المحدثين من المشتغلين بالدراسات اللغوية ينصرف إلى العلاقة التي تنشأ بين لفظين يختلفان في الجذر المعجمي lexical root أو الأصل ويتضادان في الدلالة أو المعنى نحو : أسود وأبيض ، طويل وقصير ، قبيح وجميل .. وهكذا ، ولكن هذا المفهوم خارج عن إطار اهتمامنا ؛ لأننا نهدف إلى دراسة ظاهرة الأضداد في ضوء ما أشار إليه القدماء من اللغويين العرب ؛ أي الكلمة التي لها معنيان مختلفان أو متضادان تماماً .

(٢٦) الإبل : ٨١ .
(٢٧) الفرق : ١٨ .
(٢٨) المطر : ١١٠ .

وقد نال التأليف فى الأضداد اهتمام جيل من كبار العلماء ويأتى على رأسهم أبو على محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت ٢٠٦ هـ) ، وأبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) ، وأبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (ت ٢٤٥ هـ) ، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستانى (ت ٢٤٨ هـ) ، وأبو بكر محمد بن القاسم بن محمد الأنبارى (ت ٣٢٨ هـ) ، وأبو الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) ... وسوا هم . ولعله من المفيد الإشارة إلى أن بعض معاجم الموضوعات كـ (الغريب المصنف) لأبى عبيد قد عقدت للأضداد باباً منفرداً .

ولم يكن القدماء على اتفاق فى موقفهم من ظاهرة الأضداد فى الألفاظ العربية ؛ فقد أثبتها بعضهم وأنكرها بعضهم الآخر .

ومن الذين أنكروها أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ؛ فقد قال : « ليس فى كلام العرب ضد ؛ لأنه لو كان فيه ضد لكان الكلام محالاً ؛ لأنه لا يكون الأبيض أسود ، ولا الأسود أبيض . وكلام العرب وإن اختلف اللفظ فالمعنى يرجع إلى أصل واحد ، مثل قولهم : التلعة ، وهو ما علا من الأرض ، وهى ما انخفض ؛ لأنها مسيل الماء إلى الوادى ، فالمسيل كله تلعة ، فمرة يصير إلى أعلاه فيكون تلعة ، ومرة ينحدر إلى أسفله فيكون تلعة ، فقد رجع الكلام إلى أصل واحد ، وإن اختلف اللفظ . وكذلك الجون هو الأسود ، وإذا اشتد بياض الشىء حتى يعشى البصر رُئى كالأسود »[1] .

ومن الذين أنكروا الأضداد أيضاً عبد الله بن جعفر بن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) الذى وضع فى ذلك كتاباً ، والدليل على ذلك قوله : « النَّوء : الارتفاع بمشقة وثِقَل ، ومنه قيل للكوكب : قد ناء إذا طلع ، وزعم قوم من اللغويين أن النَّوء السقوط أيضاً ، وأنه من الأضداد ، وقد أوضحنا الحجة عليهم فى ذلك فى كتابنا فى إبطال الأضداد »[2] .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن ابن دريد قد قال فى معجمه اللغوى (الجمهرة) : « الشَّعْب : الافتراق ، والشَّعْب : الاجتماع ، وليس من الأضداد ، وإنما هى لغة قوم »[3] ؛ أى إن شرط الأضداد عنده أن يكون

(١) شرح أدب الكاتب : ٢٥١ .
(٢) المزهر : ١ /٣٩٦ .
(٣) الجمهرة : ١ /٢٩١ .

استعمال اللفظ فى المعنيين فى لغة واحدة(٤) .

ويرى أبو على القالى أن « الصريم : الصبح ، سُمّى بذلك ؛ لأنه انصرم عن الليل ، والصريم الليل ؛ لأنه انصرم عن النهار »(٥) ، ولكن هذا ليس بضد عند أبى على الذى يعوّل على النظر فى المعنى الأصلى للجذر المعجمى للكلمة .

ناتى ، بعد ذلك ، إلى من أثبتوا وجود تلك الظاهرة فى العربية فنجدهم كثيرين ؛ لذلك من الصعوبة حصرهم . يقول ابن فارس : « ومن سنن العرب فى الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو « الجون » للأسود ، و « الجون » للأبيض . وأنكر ناس هذا المذهب ، وأن العرب تأتى باسم واحد لشىء وضده ، وهذا ليس بشىء ؛ وذلك أن الذين رَوَوْا أن العرب تسمى السيف مهنداً والفَرَسَ طِرْفاً ، هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد . وقد جردنا فى هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا ردَّ ذلك ونقضه ؛ فلذلك لم نكرره »(٦) .

وقبل الدخول فى تعليل أسباب وجود ظاهرة الأضداد فى العربية نشير إلى أن الشعوبيين حاولوا الطعن فى اللغة العربية لاحتوائها على تلك الظاهرة اللفظية ، وقد أوضح ذلك أبو بكر الأنبارى فى كتابه قائلاً : « ويظن أهل البدع والزَّيْغ والازدراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس فى محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم » ، وقد رد أبو بكر الأنبارى على هذا الاتهام بقوله : « إن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يُعْرَف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ؛ فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ؛ لأنها تتقدمها ويأتى بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ؛ فلا يُراد بها فى حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد »(٧) . ومن هنا فإن الحكم على الكلمة بأنها من الأضداد أساسه السياق الذى تقع فيه ؛ لأن العلاقات بين المفردات داخل هذا السياق هى التى تحدد للكلمة معناها ، والدليل على ذلك أن كلمة « جَلَل » لها معنيان هما : اليسير والعظيم ، ونحاول التعرف على هذين المعنيين فى بعض الأبيات قال لبيد بن ربيعة :

(٤) المزهر : ١ /٣٩٦ .
(٥) الأمالى : ٢ /٣٢٢ .
(٦) الصاحبى : ١١٧ .
(٧) الأضداد : ص ١ وما بعدها ؛ والمزهر : ١ /٣٩٧ ؛ والعربية المصفى : ٦٢١ .

كلُّ شيءٍ ما خلا الموتَ جَلَلْ ... والفتى يسعى ويُلهيه الأَمَلْ

فقد دل ما تقدم قبل « جلل » وتأخر بعده على أن معناه كل شيء ما خلا الموت يسير ، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل هنا معناه عظيم . وقال الشاعر :

يا خَوْلَ يا خَوْلَ لا يطمع بك الأَمَلُ ... فقد يكذِّبُ ظنَّ الآملِ الأجَلُ

يا خَوْلَ كيف يذوقُ الغمض معترفٌ ... بالموتِ والموتُ فيما بعده جَلَلُ

فدلَّ ما مضى من الكلام على أن الجلل معناه يسير . وقال الشاعر :

قومي هُمُ قتلوا أميمَ أخي ... فإذا رميتُ يصيبني سهمي

فلئن عفوتُ لأعفونْ جللا ... ولئن سطوتُ لأوهننْ عظمي

فدل الكلام على أنه أراد : فلئن عفوتُ لأعفون عفواً عظيماً ؛ لأن الإنسان لا يفخر بصفحه عن ذنب حقير يسير .

وقد أطلق علماء اللغة المحدثون على الأضداد Antonym ولكن حين تنظر في تعريفه عندهم نجده يقول بالإنجليزية :

A word that is opposite in meaning to another word.

أي إن هناك كلمة لها معنى مغاير لكلمة أخرى ، ويمثلون لتلك العلاقة الدلالية بـ bad/good ، married/single[9] . لذلك يقال إن مفهوم الأضداد على نحو ما هو في اللغة العربية تكاد تنفرد به بين اللغات ؛ حتى إن أحد المشتغلين بدراسات المعاجم وصناعتها وهو « زجوستا » Zgusta لم يجد مثالاً لتلك الظاهرة لكي يوضحها إلا من العربية[10] . بل إن الدكتور ربحي كمال حين درس التضاد في ضوء « اللغات السامية » Semitic Languages حاول التوصل إلى بعض الأمثلة من اللغتين العبرية والسريانية تندرج تحت التضاد ، ولكنه قال بعد ذلك : « وهذه الألفاظ يمكن تأويلها على وجه ، يخرجها من باب الأضداد »[11] .

---

(٩) موسوعة كمبردج في اللغة : ٤١٥ .

(١٠) انظر كتاب : Manual of Lexicography ص ٧٤ وما بعدها ، وكتاب : الكلمة للدكتور حلمي خليل ١٣٦ .

(١١) التضاد في ضوء اللغات السامية : ٤١ .

وخلال القراءة فى تراث الأضداد ، نستطيع أن نتوصل إلى بعض الأسباب التي أدت إلى وجود تلك الظاهرة فى اللغة العربية ، ومن بين تلك الاسباب ما يأتى :

أولاً : يؤدى الاستعمال اللهجى إلى احتمال اللفظ لنوعين من المعنى ، يختلف كل منهما عن الآخر تماماً ؛ فإن كلمة « القُرْء » مفهومها الطُّهر عند أهل الحجاز ، والحَيْض عند أهل العراق .

وكلمة « السُّدْفَة » مفهومها الظُّلمة عند بنى تميم ، والضوء عند قيس ، ولها شاهدان . قال ابن مُقْبل :

وليلةٍ قد جعلتُ الصبحَ موعدَها ... بصُدْرةِ العَنْسِ حتى تعرف السَّدَفا

فقد استعمل اللفظ للدلالة على الصبح ؛ أى أسير حتى الصبح فترى ضوء الصبح . وقال العجاج :

وأقطعُ الليلَ إذا ما أُسْدَفَا

أى : أظلم

وكلمة « الشَّيح » مفهومها الجاد عند هُذَيْل ، والحَذِر عند غيرهم ، ولها شاهدان . قال أبو ذؤيب الهذلى يرثى رجلاً من بنى عمه ، ويصف مواقفه فى الحرب

وزَعْتهم حتى إذا ما تبدَّدُوا ... سِراعاً ولاحتْ أوجُهٌ وكُشُوحُ
بدرْتَ إلى أُولاهُم فسبقتهم ... وشايَحْتَ قبل اليوم إنك شيحُ(١٢)

فهذا الاستعمال معناه الجاد . وقال أبو السوداء العجلى :

إذا سِمعْن الرِّزَّ من رَبَاحِ
شايَحْنَ منه أيَّما شِياحِ
شايحن من ضربٍ ومن صباح(١٣)

يعنى : حذرن منه .

وكلمة « لَمَقَ » مفهومها الكتابة عند عُقيل ، والمَحْو عند سائر العرب .

---

(١٢) وزعتهم : رتبت صفوفهم للحرب وكففتهم عن التبدد والانتشار ، وشايحْت : كنت جادًّا .
(١٣) الرز : الصوت ، ورباح : اسم راعٍ .

قال الأصمعي : « لمقتُ الشيء ألمقه لَمْقاً : إذا محوْته في لغة عقيل ، وسائر العرب يقولون : لمقتُه : كتبتُه ، و نمقته : محوته »(١٤) .

وكلمة « العَيْن » مفهومها الجديد عند طيىء ، والقديم عند سائر العرب . قال الأصمعي : « والعَيْن : القربة التي تهيأتْ مواضعُ منها للتنقب من الإخلاق ، والعين في لغة طيىء الجديد . قال الطِّرِمّاح :

قد اخضلّ منها كلّ بالٍ وعيـــــــن وجفّ الروايا بالملا المتباطـــن(١٥)

وكلمة « وثَبَ » مفهومها قعد عند حمير ، وقفز عند العرب . وقد أدّى هذا الاختلاف اللهجي إلى هلاك رجل ، وأوضح ذلك الأصمعي في قوله : « يقال : قد وَثَبَ الرجل إذا استوى قائماً أو قفز ، ووثب الرجل إذا قعد ، ودخل الرجل على ملك حمير فقال له : ثِبْ (وثَبْ بالحميرية : اقعد) فوثب الرجل فتكسّر »(١٦) .

وكلمة « النَّبْل » (بضم النون أو فتحها) مفهومها الكبار من الإبل عند العرب ، والصغار من الإبل عند بني أسد ، ومن شواهد هذا الاستعمال الخاص ببني أسد أن رجلا منهم مات فورَّثَ أخاه إبلاً ، فقال رجل للوارث ، فعيَّره بأنه قد فرح لموت أخيه لما ورث منه ، فقال الوارث :

يقـــولُ جَزْءٌ ولم يقـــلْ جَدَلاَ إني تزوجتُ ناعمـــــاً جِدِلا
إن كنتَ أزننْتَنِـــي بها كَذِبـــاً جَزْءُ فلا قيتَ مثلهـــا عجـــلا
أفـــرحُ أن أُرْزَأ الكـــرامَ وأنْ أُورث ذوْدًا شائصاً نبـــلا(١٧)

ثانياً : هناك بعض الكلمات التي تتحد في جذرها المعجمي أو مادتها الأصلية ، وتؤدى زيادة صوت على واحدة منهما إلى نشأة علاقة التضاد بينهما ؛ فالكلمتان « قسط » و « أقسط » جذرهما واحد ، ولكن الثانية زيدت عليها الهمزة ، وهذا أدى إلى أن أصبحت « قسط » بمعنى جارَ ، و « أقسط » بمعنى عدل. قال تعالى: (وأقسطوا إنّ الله يحبُّ المقسطين)(١٨) أي العادلين ، وقال ــ سبحانه ــ في الجائرين : (وأما القاسطون فكانوا

(١٤) ثلاثة كتب في الأضداد : ٤٠ ؛ والغريب المصنف : ٦٢١ .

(١٥) السابق : ٤٤ .

(١٦) السابق : ٤٥ .

(١٧) اسم رجل ، وهو ابن سنان بن مؤلة .

(١٨) الحجرات / ٩ .

لجهنم حطباً »[١٩] وقال القُطامي :

ألـــيسوا بالألى قسطـــوا قديماً على النعمانِ وابتــدروا السِّطاعــا

وقد تنبه أبو حاتم السجستاني إلى نوع من التضاد يتصل بهذا ولكنه ينشأ عن همز كلمة دون أخرى . قال : « ومما ليس من ذا الباب وإن تقارب اللفظان : رجلٌ مُودٍ هالك ، ومُؤْدٍ تام السلاح ، ويقال للسلاح الأداة »[٢٠] .

ثالثاً : يؤدى « الاستعمال السياق » للألفاظ دوراً مهمًّا فى تعليل ظاهرة الأضداد فى العربية ، ومن النصوص الدالة على ذلك قولهم : « الذَّفَر بمعنى الطِّيب ، وبمعنى النَّتن ، ويُفرَّق بينهما بما يضاف إليه ويُوصف به . قالت حُميدة بنت النعمان بن بشير الأنصارى :

له ذفــرٌ كصُنـــانِ التيـــوس وأعيــا على المسك والغاليــهْ[٢١]

وقولهم « بما يضاف إليه ويوصف به » هو ما نقصده بالاستعمال السياق الذى يؤدى إلى خلع ألوانٍ كثيرة من المعنى على الألفاظ حتى إن بعضها يحتمل دلالتين تختلفان تماماً ويتصل بهذا الاستعمال الاتصال اللغوى بين الأفراد الذى يؤدى إلى إضافة بعض المعانى للألفاظ ؛ لذلك حفلت كتب الأضداد بالروايات التى حاول خلالها العلماء تأييد تلك المعانى . والدليل على ذلك أن كلمة « الجَوْن » للأسود والأبيض « وقالوا أُتى الحجاج بن يوسف بدرع حديد فعُرِضت عليه فى الشمس ، وكانت الدرع صافية ، فجعل لا يرى صفاءها فقال له رجل كان فصيحاً : الشمس جونة . فقد قهرتْ لونَ الدرع ؛ أراد بجونة البيضاء الشديدة البريق والصفاء . وقال بعضهم : بل عرضها على الحجاج فقال الحجاج : الشمس جونة ؛ أى نحّها عن الشمس »[٢٢] .

رابعاً : ظلت اللغة فيما مضى قروناً عدة وهى قانعة بمجال محدود فى البحث العلمى لا تكاد تجاوزه أو تتعداه ، حتى تنبهت الأذهان أخيراً إلى ما تضمنته الكلمات من دلالات ، وبدأ الدارسون يرون فى تلك الدلالات الغاية والهدف من كل لغة ، وأن اللغة فى حقيقتها لا تعدو أن تكون وسيلة من

(١٩) الحر / ١٥

(٢٠) ثلاثة كتب فى الأضداد ١٢٢

(٢٢) ثلاثة كتب فى الأضداد ٥٨

(٢٢) ثلاثة كتب فى الأضداد ٤٢

وسائل تنظيم المجتمع الإنسانى ، تربط بين الأفراد ، وتربط بين الجماعات ، وتربط بين الشعوب . وهنا نشأت المدرسة اللغوية الاجتماعية فى أوائل القرن العشرين ، وأخذ اللغوى الحديث يدرس اللغة فى ضوء الحياة الاجتماعية ، وظهر له بوضوح دور اللغة فى تشكيل المجتمع وتنظيمه[٢٣]. ومن الظواهر المتصلة بالجانب الاجتماعى فى استعمال اللغة داخل البيئة الواحدة لجوء الأفراد إلى انتقاء بعض المفردات الدالة على التفاؤل ، أو الابتعاد عن استعمال بعض المفردات خوفاً من الحسد ، أو التغيير فى دلالة بعض الألفاظ للاستهزاء والسخرية كما تقول للرجل تستجهله: ياعاقل، وتستخفه: ياحليم. قال الشاعر:

فقلتُ لسيدنا : ياحليمُ إنك لم تأسُ أسْوًا رفيقاً

وقد اهتم علم اللغة بالجانب الاجتماعى فى استعمال الألفاظ خلال مصطلح taboo الذى يُترجم إلى « اللامساس » أو « الحَظْر » أو « المحظورات اللغوية » ، ويُقصد به تلك الألفاظ التى يبتعد ابن اللغة عن استعمالها ؛ وذلك نحو الألفاظ الدالة على العورة أو السبّ أو المرض ... وقد تنبه القدماء من العلماء العرب لهذا الجانب الاجتماعى . يقول ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٣ــ٢٧٦ هـ) : « من المقلوب أن يُوصف الشىء بضد صفته للتطيّر والتفاؤل ، كقولهم للديغ : سليم تطيراً من السّقم ، وتفاؤلاً بالسلامة ، وللعطشان : ناهل ؛ أى سينهل ، يعنون : يَرْوى ، وللفلاة : مفازة ؛ أى منجاة ، وهى مهلكة . وللمبالغة فى الوصف كقولهم للشمس : جَوْنَة ؛ لشدة ضوئها ، وللغراب : أعور ؛ لحدة بصره . وللاستهزاء ، كقولهم للحبشى : أبو البيضاء ، وللأبيض : أبو الجون »[٢٤] . ونحن نعرف فى الديانة اليهودية أن كلمة « يهوه » فى العبرية بمعنى : الإله ، ينطقها اليهود : أذوناى ، بمعنى : سادتى ؛ بسبب الخوف الذى يسيطر عليهم ، لارتباط الاسم القديم بالكوارث واللعنات التى حلّت عليهم خلال تاريخهم الطويل[٢٥] .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن القرآن الكريم يلجأ فى التعبير إلى الكنايات اللطيفة والتعريضات الحسنة ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذ

(٢٣) انظر التصدير الذى كتبه الدكتور إبراهيم أنيس لكتاب : اللغة فى المجتمع لمؤلفه م.م. لويس Lewis .

(٢٤) تأويل مشكل القرآن ١٨٥

(٢٥) فصول فى فقه العربية ٣٤٦

تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين . نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنَّى شئتم)[٢٦] ، الذى علّق عليه الزمخشرى (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ٤٦٧ــ٥٣٨ هـ) قائلاً : « وقوله (وهو أذى فاعتزلوا النساء) (من حيث أمركم الله) (فأتوا حرثكم أنى شئتم) من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة ، وهذه وأشباهها فى كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها فى محاوراتهم ومكاتباتهم »[٢٧]

ولكن ما علاقة هذا كلّه بالأضداد ؟ الحقيقة أن هناك الكثير من الألفاظ التى تندرج تحت الأضداد يمكن تعليلها فى ضوء التفاؤل والتشاؤم والخوف من الحسد او غير ذلك . ومن أمثلة هذا أن الجذر المعجمى (ش و هـ) يدل على ما هو قبيح كما فى قوله الحطيئة :

أرى ثَمَّ وجهـاً شوّه الله خلقَـه فقُبِّح من وجهٍ وقُبِّـح حاملُـهُ

ولكن العرب تقول : فرسٌ شوهاءُ أى حسنة . والذى دفعها إلى ذلك الخوف عليها من الحسد ؛ نظراً للارتباط الذى نعرفه بين العربى وفرسه ؛ ولذلك قال أبو حاتم السجستانى : « لا أظنهم قالوا للجميلة شوهاء ، إلا مخافة أن يصيبها عين » .

ويُطلَق على الصحراء اسم « المفازة » مأخوذة من قولهم : فاز يفوز ؛ إذا نجا ، على الرغم من أنها مَهْلكة . قال تعالى : (فلا تحسبنَّهم بمفازةٍ من العذاب)[٢٨] ؛ أى بمنجاة . وأصل المفازة مهلكة فتفاءلوا بالسلامة والفوز ، كقولهم للملدوغ : سليم ، والسليم المُعافى[٢٩] . ويؤكد هذا أيضاً قول ابن الأنبارى : « واختلف الناس فى اعتلال لها : لِم سُمّيت مفازةً على معنى المهلكة وهى مأخوذة من الفوز ؟ قال الأصمعى وأبو عبيد : سُميت مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز ، كما قيل للأسود : أبو البيضاء ، وقيل للعطشان : ريّان »[٣٠] .

---

(٢٦) البقرة / ٢٢٢ و ٢٢٣ .

(٢٧) الكشاف : ١ /٣٦٢

(٢٨) آل عمران / ١٨٨

(٢٩) ثلاثة كتب فى الأضداد : ٣٨

(٣٠) الأضداد : ١٠٥ .

ومما يتصل بذلك استعمال كلمة « المسجور » للدلالة على الفارغ ، على الرغم من أنها تستعمل فى الأغلب الأعم للدلالة على المملوء ، وقد خرّج أبو حاتم السجستانى هذا الاستعمال فى ضوء التفاؤل ، ونقدم النص كاملاً للمادة المعجمية : « وقالوا : المسجور المملوء ، وهو قول النمر بن تولب :

إذا شاء طَالَـــعَ مسجـــورةً ترى حولها النبـــعَ والسأسما

وقال بعضهم : المسجور الفارغ ، بلغنى ذاك ، ولا أدرى ما الصواب ، ولا أقول فى (والبحر المسجور)[٣١] شيئاً ، ولا : (وإذا البحارُ سُجّرت)[٣٢] ؛ لأنه قرآن فأنا أثق به ، وقالوا : قالت جارية بالحجاز : إن حوضكم لمسجور ، ولم تكن فيه قطر . قال أبو حاتم : يمكن أن يكون هذا على التفاؤل ، كما يقال للعطشان : ريّان ، وللملدوغ : السليم . وقال ذو الرمة فى المسجور ، وهو يعنى المملوء :

صففْنَ الخدودَ والنفوسُ نواشزٌ على ظهرِ مسجورٍ صخوبِ الضفادعِ[٣٣]

خامساً : هناك اختلاف بين اللغويين حين الحكم على بعض الألفاظ على أنها من الأضداد ، وهذا الاختلاف من عوامل وجود الظاهرة فى اللغة . وقد كان بعض العلماء يحكم على لفظة قرآنية بأنها من الأضداد فى حين أن بعضهم الآخر كان يتحرج من ذلك ؛ فأبو عبيدة يقول : خاف من الخوف ومن اليقين ، وكان يقول : (فإن خفتم ألا تعدلوا)[٣٤] يريد : أيقنتم ، ولكن أبا حاتم السجستانى يعلق على هذا قائلاً : « ولا علم لى بهذا ؛ لأنه قرآن ، فإنما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدرى لعله ليس كما يظن» ، وكان أبو عبيدة يقول : (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم)[٣٥] أى شككتم ، ويكون أيقنتم » ، ولكن أبا حاتم يقول : « ولا علم لى بهذا ، ولا أعرف فيه إلا شككتم »[٣٦] .

(٣١) الطور / ٦ .
(٣٢) التكوير / ٦ .
(٣٣) ثلاثة كتب فى الأضداد : ١٢٦ وما بعدها .
(٣٤) النساء / ٣ .
(٣٥) الطلاق / ٤ .
(٣٦) ثلاثة كتب فى الأضداد : ٨٠

سادساً : من الظواهر اللغوية التي تطبع بعض الكلمات في العربية استعمال صيغة صرفية والمقصود بها صيغة صرفية أخرى ، ومن ذلك كلمة (دافق) في قوله تعالى : (خُلِق من ماء دافق)[37] فهي على وزن « فاعل » ، ولكنها بمعنى اسم المفعول « مدفوق » ، وكلمة (راضية) في قوله تعالى : (فهو في عيشة راضية)[38] معناها مرضية ، وقال الحطيئة :

دع المكارم لا ترحلْ لبغيتها ۞ واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسي

« الطاعم الكاسي » كلاهما اسم فاعل ، والمراد اسم المفعول ؛ أي « المطعوم المكسوُّ » ... وهكذا

وهذا الاستعمال لصيغة صرفية والمراد صيغة أخرى من عوامل نشأة الأضداد ؛ فإن كلمة « الذَّعور » تعني الذاعر والمذعوْر ، قال الشاعر :

تنولُ بمعروفِ الحديثِ وإن تُرِدْ ۞ سوى ذاك تُذْعَرْ منك وهي ذعور

وهناك نص لأبي حاتم أشار فيه إلى هذا التحويل في الصيغ ، يقول فيه : « وجعلوا حروفاً كثيرة (أي كلمات كثيرة) من المفعول به على لفظ الفاعل ، قالوا : رجل ركوب للكثير الركوب ، وبعير مركوب في معنى مركوب ، وطريق ركوب ، وقال تعالى : (فمنها ركوبهم)[39] ؛ أي من الأنعام ؛ يعني ما يركبونه ، وقال أوس :

تضمَّنها وهْمٌ ركوبٌ كأنه ۞ إذا ضمَّ جنبيه المخارمُ رزْدَقُ

وقال الراجز :

يدعن صوَّان الحصى ركوبا

أي طريقاً يُركب ويُسلك »[40] .

سابعاً : يعد « الاتساع » expansion من الظواهر اللغوية التي تطبع الجملة العربية من حيث أصواتها وأبنيتها وتراكيبها ودلالة ألفاظها ، وقد توقف القدماء

---

(٣٧) الطارق / ٥

(٣٨) الحاقة / ٢١ .

(٣٩) يس / ٧٢ .

(٤٠) ثلاثة كتب في الأضداد : ١١١ .

أمام دور هذا الاتساع فى وجود الأضداد ، ومن ذلك قولهم : « اتسعت العرب فجعلوا « فَعَلَ » فى مواضع لما لم ينقطع بعد ، ولما لم يكن بعد . وجعلوا « يَفْعَلُ » وأخواتها لما قد كان ؛ فقال تعالى : (كيف نكلم من كان فى المهد)(٤١) ؛ أى من هو فى المهد ، وقوله تعالى : (ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار)(٤٢) ؛ أى ينادون فى الآخرة ، وفى التفسير : (يا أبانا مُنِعَ منّا الكيلُ)(٤٣) ؛ أى يُمْنَعُ ، وقال الحطيئة فجعل « شهد » فى معنى « يشهد » :

شهد الحطيئةُ يومَ يلقى ربَّه ... أنَّ الوليدَ أحقُّ بالعُذْرِ

وقالوا فى « يفعل » لما لم يقع قال الشاعر :

ولقد أمرُّ على اللئيمِ يسبُّنى ... فمضيْتُ ثُمَّتَ قلتُ : لا يعنينى

أى « ولقد مررت » ، وقال بعض الشعراء وهو الطرماح بن حكيم :

ومَنْ كان لا يأتيك إلا لحاجةٍ ... يروحُ لها يوماً إليك ويغتدى

فإنى لآتيكم تشكّرَ ما مضى ... من الودِّ واستيجابَ ما كان فى غَدِ

أى ما يكون فى غد »(٤٤) .

* * *

وبعد فهذه محاولة للتعرف على الأضداد ؛ إذ إنها من الظواهر اللغوية التى لقيت اهتمام القدماء من أصحاب المعاجم ؛ بالإضافة إلى أن بعض العلماء أفردها بالتأليف ، وهم من أصحاب الرسائل اللغوية . وننتقل إلى الحديث عن ظاهرة لفظية أخرى ، وهى « الترادف » ، ونعرض لها فى النقطة التالية .

---

(٤١) مريم / ٢٩ .
(٤٢) الأعراف / ٤٤ .
(٤٣) يوسف / ٦٣ .
(٤٤) ثلاثة كتب فى الأضداد : ١٣١ وما بعدها .

الترادف

الترادف Synonym من الظواهر الأصيلة فى العربية ؛ لأنه من المألوف وجود الكثير من الألفاظ التى تدور فى إطار الدلالة على معنى واحد ؛ لذلك يقال إن العلاقة بين تلك الألفاظ علاقةُ ترادفٍ . وقد اهتم بالتأليف فى موضوع الترادف الكثيرون من اللغويين القدماء ؛ فنجد كتاب (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) للأصمعى ؛ و (الألفاظ المترادفة) لعلى بن عيسى الرمانى (ت ٥٨٤ هـ) ؛ و (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف) للفيروزابادى (أبى طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين ت ٨١٧ هـ) . ويضاف إلى ذلك أن بعض الباحثين يطلق على « معاجم الموضوعات » اسم « معاجم المترادفات » لاهتمامها بجمع الألفاظ التى تدور حول موضوع واحد أو معنى واحد .

وقد اختلف القدماء فى موقفهم من الحكم على بعض الألفاظ بأنها مترادفة ، والدليل على ذلك تلك الرواية التى أوردها السيوطى وتشير إلى أن أبا على الفارسى كان بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه الذى قال : أحفظ للسيف خمسين اسماً ، فتبسم أبو على وقال : ما أحفظ له إلا اسماً واحداً ، وهو السيف . قال ابن خالويه : فأين المهنَّد والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو على : هذه صفات » .

وإذا كان أبو على الفارسى قد أنكر وجود الترادف فى اللغة ؛ حيث إن أسماء السيف عبارة عن صفات له ؛ فإن أبا هلال العسكرى قد وضع كتاباً قائماً بذاته يدور حول بيان الفروق اللغوية بين الألفاظ التى يُظن أنها مترادفة ، وقدم لذلك بقوله : « ما رأيتُ نوعاً من العلوم ، وفنًّا من الآداب إلا وقد صُنِّف فيه كتب تجمع أطرافه وتنظم أصنافه إلا الكلام فى الفرق بين معانٍ تقاربت ، حتى أشكل الفرق بينهما نحو : العلم والمعرفة ، والفطنة والذكاء ، والإرادة والمشيئة ، والغضب والسخط ، والخطأ والغلط ، والكمال والتمام ... »(١) .

وقد بدأ أبو هلال كتابه بعنوان : « باب فى الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجباً لاختلاف المعانى فى كل لغة » قال فيه : « الشاهد على

(١) الفروق اللغوية : ٩ .

أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعانى أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة . وإذا أُشير إلى الشيء مرة واحدة فعُرِف فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة . وواضع اللغة حكيم لا يأتى فيها بما لا يفيد ؛ فإن أُشير منه فى الثانى والثالث إلى خلاف ما أشير إليه فى الأول كان ذلك صواباً ؛ فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعانى وعين من الأعيان فى لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضى خلاف ما يقتضيه الآخر ، وإلا لكان الثانى فضلاً لا يُحتاج إليه .. وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد ؛ لأن فى ذلك تكثيراً للغة بما لا فائدة فيه »[٢] .

ومن أجل إنكار أبى هلال لوجود ظاهرة الترادف فى العربية وإبطاله إياها ، نجده يتوقف أمام بعض الكلمات التى قيل بترادفها مبيناً ما فيها من فروق دقيقة فى الدلالة . يقول حول الفرق بين « التفاوت » و « الاختلاف » : « الفرق بين الاختلاف والتفاوت أن التفاوت كله مذموم ؛ ولهذا نفاه الله تعالى عن فعله ، فقال : (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت)[٣] . ومن الاختلاف ما ليس بمذموم ؛ ألا ترى قوله تعالى : (وله اختلاف الليل والنهار)[٤] . فهذا الضرب من الاختلاف يكون على سَنَنٍ واحد ، وهو دال على عِلْم فاعله . والتفاوت هو الاختلاف الواقع على غير سَنَن ، وهو دال على جهل فاعله »[٥] .

ويقول عن الفرق بين « الاستواء » و « الاستقامة » : « إن الاستواء هو تماثل أبعاض الشيء ، واشتقاقه من السِّىّ وهو المثل ، كأن بعضه سِىُّ بعضٍ ؛ أى مثله . ونقيضه التفاوت ، وهو أن يكون بعض الشيء طويلاً ، وبعضه قصيراً ، وبعضه تامًّا ، وبعضه ناقصاً . والاستقامة : الاستمرار على سَنَنٍ واحد ، ونقيضها الاعوجاج ، وطريق مستقيم : لا اعوجاج فيه »[٦] .

---

(٢) السابق : ١٣ وما بعدها .

(٣) الملك /٣ .

(٤) المؤمنون / ٨٠ .

(٥) الفروق اللغوية : ١٥١ .

(٦) السابق : ١٤٩ وما بعدها .

ويعد كتاب أبي هلال العسكرى متميزاً فى موضوعه وطريقة معالجته للألفاظ ، وهو جدير بدراسة مستقلة للتعرف على تلك الفروق الدلالية بين الألفاظ التى أشار إليها ؛ لأن بعض اللغويين الذين عاصروه أو أتوا بعده تبنوا طريقته فى التمييز بين ما قيل إنه مترادف ؛ لذلك يقول ابن فارس : « إن فى « قعد » معنى ليس فى « جلس » ؛ ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد ، وأخذه المقيمُ والمقعِدُ ، وقعدت المرأة عن الحيض ، وتقول لناسٍ من الخوارج : قَعَدٌ ، ثم تقول : كان مضطجعاً فجلس ؛ فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هى دون الجلوس ؛ لأن الجَلْس : المرتفع ، والجلوس ارتفاع عما هو دونه ، وعلى هذا يجرى الباب كله »[7] .

وأشار التاج السبكى فى شرح المنهاج إلى من أنكر الترادف بقوله : « ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف فى اللغة العربية ، وزعم أن كل ما يُظَن من المترادفات فهو من المتباينات التى تتباين بالصفات ، كما فى الإنسان والبشر ؛ فإن الأول موضوع له باعتبار النسيان ، باعتبار أنه يؤنس ، والثانى باعتبار أنه بادى البشرة . وكذا الخندريس العُقار ؛ فإن الأول باعتبار العتق ، والثانى باعتبار عَقْر الدَّن لشدتها . وتكلّف لأكثر المترادفات بمثل هذا المقال العجيب »[8] .

والحقيقة أن هؤلاء الذين أنكروا الترادف كان بعضهم من الأدباء النقاد الذين يستشفون فى الكلمات أموراً سحرية ، ويتخيلون فى معانيها أشياء لا يراها غيرهم ، فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة ، يتبنون الكلمات ، ويرعونها رعاية كبيرة ، ينقبون عما وراء المدلولات ، سابحين فى عالم من الخيال ، يصور لهم من دقائق المعانى وظلالها ما لا يدركه إلا هم ، ولا يقف عليه إلا أمثالهم[9] .

وهناك مجموعة من كبار اللغويين القدماء أقروا بوجود الترادف فى العربية ،

---

(7) الصاحبى : ١١٦ . ويقول ابن فارس فى معجمه (مقاييس اللغة ١ /٤٧٣) أيضاً : « يقال : جلس الرجل جلوساً ؛ وذلك يكون عن نوم واضطجاع ، وإذا كان قائماً كانت الحال التى تخالفها القعود » .

(8) المزهر : ١ /٤٠٣ .

(9) الدكتور إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية ١٨١ .

وقدموا أدلة كثيرة تؤيد ذلك من بينها قولهم إنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يُعبَّر عن شيء بغير عباراته ؛ وذلك أنا نقول فى : لا ريب فيه ، لا شك فيه . فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ . فلما عُبِّر عن هذا بهذا عُلِمَ أن المعنى واحد . قالوا : وإنما يأتى الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد فى مكان واحد تأكيداً ومبالغة ، كقولهم :

وهنـدٌ أتـى مـن دونِهـا النّـأىُ والبُعْـدُ[١٠]

قالوا : فالنأى هو البعد . قالوا : وكذلك قول الآخر :

عـامَ الحبـسِ والأصْـرِ[١١]

إن الحبس هو الأصر[١٢] .

ومن الأدلة على وجود الترادف أيضاً ما حدَّث به أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ أنه حين وفد على النبى ــ ﷺ ــ من قبيلته دَوْس ، وأسلم ، طلب إليه الرسول ﷺ أن يناوله سكيناً كانت بالقرب منه ، قال : فلم أعرف ماذا أراد بكلمة « سكين » ، فلما رأيته ينظر إليها علمت أنه يريدها ، فقلت : آلمُدية تريد ؟ ثم ناولته إياها » . أى إن هناك علاقة ترادف بين كلمتى « السكين » و « المدية » ، وقد نشأت تلك العلاقة عن الاختلاف اللهجى ، ودخلت الكلمتان اللغة ، وأصبحتا بمعنى واحد . ومن هنا فإنه مهما حاول بعض الاشتقاقيين من علماء اللغة كابن دريد وابن فارس وأمثالهما أو بعض الأدباء من أصحاب الخيال الخصب الذين يلتمسون من ظلال المعانى فروقاً بين مدلولات الألفاظ ؛ أقول : مهما حاول هؤلاء إنكار وقوع الترادف فى ألفاظ العربية فليس يغير هذا من الحقيقة الواقعة شيئاً ؛ فالترادف قد اعترف به معظم القدماء وشهدت له النصوص[١٣] .

(١٠) هذا عجز بيت للحطيئة ، وصدره :

ألا حبّـذا هنـدٌ وأرضٌ بها هنـدُ

(١١) هذا جزء من بيت لزهير بن أبى سلمى ، وهو قوله :

تاللهِ ذا قسـماً لقد علمـتْ ذبيـانُ عامَ الحبسِ والأصْرِ

انظر ديوانه بشرح ثعلب ص ٨٨ .

(١٢) الصاحبى : ١١٦ .

(١٣) الدكتور إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ٢١١ .

وهناك بعض الأسباب التى أدّتْ إلى وجود علاقة الترادف بين الألفاظ فى العربية ، وقبل الدخول فى بيان تلك الأسباب نتوقف أمام رأى علم اللغة فى تلك الظاهرة .

توقف اللغوىُّ أولمان S. Ullmann أمام الألفاظ المتعددة التى لها مدلول واحد قائلاً : « المصطلح المألوف الذى يطلق على هذه الحالة هو الترادف Synonym . والمترادفات هى ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها فى أى سياق . والترادف التام — على الرغم من عدم استحالته — نادر الوقوع إلى درجة كبيرة ؛ فهو نوع من الكماليات التى لا تستطيع اللغة أن تجود بها فى سهولة ويسر . فإذا ما وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة ؛ حيث إن الغموض الذى يعترى المدلول والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية أو الانفعالية التى تحيط بهذا المدلول لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه ، وكذلك سرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة ؛ بحيث يصبح كل لفظ منها مناسباً وملائماً للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد »(١٤) .

ويعرِّف كريستال D. Crystal الترادف بأنه علاقة التشابه أو التماثل التى تنشأ بين بعض الكلمات مثل Kingly و Royal و Regal وكذلك : Pavement و Sidewalk ، وكذلك : Youth و Youngster ... وهكذا . ويرى كريستال أن الترادف التام بين الكلمات صعب الوقوع ؛ لأن الأساليب المختلفة والسياقات المتنوعة هى المعيار فى الحكم على وجود علاقة الترادف والدليل على ذلك أن جذرين معجميين قد يكونان مترادفين فى جملة دون أخرى(١٥) . ومن هنا فإن أصحاب علم اللغة الحديث ينكرون وجود علاقة الترادف الكامل أو التام ؛ لذلك يقول بلومفيلد L.Bloomfield : إننا ندعى أن كل كلمة من كلمات الترادف تؤدى معنى ثابتاً مختلفاً عن الأخرى ، ومادامت الكلمات مختلفة صوتيًّا فلابد أن تكون معانيها مختلفة كذلك ، وعلى هذا فنحن — فى اختصار — نرى أنه لا يوجد ترادف حقيقى . ويقول Harris موضحاً رأى بلومفيلد : إنه فى إطار اللغة الواحدة لا يوجد ترادف ؛ فالاختلاف الصوتى

(١٤) دور الكلمة فى اللغة : ١٠٧ .

(١٥) موسوعة كمبردج فى اللغة : ١٠٥ .

لابد أن يصحبه اختلاف فى المعنى ، فكل كلمة من الكلمات التالية تختلف عن الأخرى فى بعض ملامح المعنى الأساسية أو الإضافية : quick ، fast ، swift ، rapid ، speedy[١٦] . لذلك يقول اللغويون بوجود ما يسمى بـ « شبه الترادف » والمقصود به تقارب اللفظين تقارباً شديداً لدرجة يصعب معها بالنسبة لغير المتخصصين التفريق بينهما ؛ ولذا يستعملهما الكثيرون دون تحفظ ، مع إغفال هذا الفرق . ويمكن التمثيل لهذا النوع فى العربية بكلمات مثل : عام ، سنة ، حول ... وثلاثتها قد وردت فى مستوى واحد من اللغة ، وهو القرآن الكريم . ويُحمل على هذا النوع كثير من الكلمات التى توصف بالترادف مثل answer مع reply ، و ill مع sick ، و own مع possess[١٧] .

وعلى الرغم من هذا الاختلاف بين العلماء قديماً وحديثاً حول الترادف التام أو الكامل ؛ فإن ظاهرة كثرة الترادف من خصائص اللغة العربية ، ولا تكاد لغة أخرى تشركها فى هذا ؛ لذلك نرى أنه من الأجدى والأنفع أن نحاول تلمس الأسباب لوجودها . ويمكن تنظيم تلك الأسباب كما يأتى :

أولاً : فى رأى اللغوى الفرنسى دار مستيتر Darmesteter الذى ذهب إليه فى كتابه (حياة الألفاظ) أن بعض الألفاظ مع تكونها ودورانها على الألسنة تأخذ شكلين مختلفين ، يصبحان مع الاستعمال مترادفين[١٨] . وعندنا فى العربية ما يؤيد ذلك مثل : جذب وجبذ ، وفم وفوه ، وإنس وإنسان[١٩] ، ويتصل بذلك ما يصيب بعض الكلمات من « القلب المكانى » Metathesis عن طريق تغيير فى ترتيب حروفها المفردة عن الصيغة المعروفة لها بواسطة تقديم بعض الحروف وتأخير بعضها الآخر مثل : مسرح ومرسح ، وأرانب وأنارب ، وزواج وجواز ، وملعقة ومعلقة ... وهكذا . ويلجأ « ابن اللغة » Native- speaker ــ أحياناً ــ إلى القلب لإحساسه بأن الكلمة المقلوبة أسهل حين الأداء الصوتى لها ، وهو موجود فى بعض اللغات كالإنجليزية حيث يستعمل بعض الأفراد كلمة aks بدلاً من ask .

(١٦) انظر كتاب Language ص ١٤٥ ، وعلم الدلالة ٢٢٤ .

(١٧) علم الدلالة : ٢٢٠ وما بعدها ؛ وكتاب Componential Analysis ص ١٧ .

(18) La Vie des Mots, p. 138.

(١٩) الدكتور حسن ظاظا : كلام العرب ١٠٣

ثانياً : يؤدى تعدد اللهجات إلى وجود عدة ألفاظ تدل على شيء واحد في اللغة الواحدة ؛ وذلك بعد أن تدخل تلك اللهجات في اللغة وتصبح جزءاً منها ، وقد عبّر عن ذلك أحد علماء أصول الفقه بقوله : « تضع إحدى القبيلتين أحدَ الاسمين ، والأخرى الاسم الآخر للمسمّى الواحد ، من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ، ثم يشتهر الوضعان ، ويخفى الواضعان ، أو يلتبس وَضْع أحدهما بوضع الآخر ، وهذا مبنى على كون اللغات اصطلاحية »[٢٠] . ومن هنا فإنّ ما يقوم بين بعض الكتل البشرية التى كانت مجزأة من الوحدة السياسية واللغوية يعد واحداً من أسباب ظهور الترادف في استعمال الألفاظ .

وقد أشارت الرسائل اللغوية إلى الكثير من الألفاظ التى تعنى دلالة خاصة لدى القبائل العربية ، ومن أمثلة ذلك مايأتى :

١ــ يسمى أهل الحجاز سعفات النخل العواهن .

٢ ــ ويطلقون على السَّعَف اسم الجريد .

٣ ــ ويسمى أهل الحجاز العذق نخلةً ، في حين أنه عند سواهم من القبائل القِنْو الذى يقال له الكباسة .

٤ ــ يطلق أهل المدينة على الدِّبس ، وهو طعام يُتخذ من التمر والعسل ، اسم الصقر ، وغيرهم يسميه المصقَّر .

٥ ــ يقال للتمر الذى لا يشتد نواه الشيشاء ، وأهل المدينة يسمونه السُّخَّل .

٦ ــ يسمى أهل نجد السعفات اللواتى يلين القلبة الخوافى ويسمونها أيضاً الجدال .

٧ ــ يطلق أهل نجد على الرقلة ، وهى النخلة إذا ارتفعت وبعدت عن متناول اليد اسم العيدانة .

٨ ــ يقال للموضع الذى فيه التمر إذا صُرِم المربد ، وأهل نجد يسمونه الجرين .

٩ ــ وإذا كان أهل نجد يسمونه الجرين ، فإن من يلى اليمامة من القبائل العربية يسمونه المسطح .

١٠ــ القالب البُسر في بلحرث بن كعب ، والبُسر هو التمر إذا عظم

---

(٢٠) المزهر ١ /٤٠٥ وما بعدها .

واحمرّ[٢١] .

١١ــ الهجرس القرد عند أهل الحجاز ، وعند غيرهم الثعلب[٢٢] .

١٢ــ السرحان الأسد عند هذيل ، وعند غيرهم الذئب[٢٣] .

١٣ــ من النبات الثُمام ، والواحدة ثُمامة ، وأهل نجد يسمونه الجليل[٢٤] .

١٤ــ أهل العالية يسمون الثمام الشُّبهان[٢٥] .

١٥ــ قال العقيليون : حرام الله لا آتيك ، كقولهم : يمين الله[٢٦] .

١٦ــ يقال : مالك عليَّ قاهٌ ؛ أى سلطان ، والقاه : الطاعة عند بنى أسد[٢٧] .

وتشير الألفاظ إلى أن بعض القبائل العربية قد تطلق الخاص على العام ؛ فأهل الحجاز يطلقون على النخلة اسم « العذق » فى حين أنه عند سواهم من القبائل « القنو » الذى يقال له « الكباسة » ، وهنا يطلقون الخاص على العام ؛ إذ إن « العذق » جزء من النخلة لا النخلة بجميع أجزائها وتشير الألفاظ أيضاً إلى أن هناك بعض الأشياء التى يُطلَق عليها أكثر من اسم ؛ فالموضع الذى يوضع فيه التمر إذا صُرِم يسمى « المربد » ، ويسميه أهل الحجاز « الجرين » ، ويسميه من يلى اليمامة « المسطح » ، وتلك التسميات المختلفة أساس العمل فى باب المترادفات ، وهى تدل على أن من أهم أسباب وجود هذا الباب اختلاف اللهجات بين القبائل ، وتشير الألفاظ أيضاً إلى أن بعض القبائل قد تسمّى الشىء الواحد بأكثر من اسم ؛ فأهل نجد يسمون السعفات اللواتى يلين القلبة « الخوافى » ويسمونها أيضاً « الجدال » . وأخيراً فإن الألفاظ تبين أن بعض القبائل تضيف أصواتاً مفردة إلى بعض الكلمات فى حين أن بعضها الآخر يحذف أحد الأصوات ؛ فالدبس يسمى « الصقر » عند أهل اليمامة ، فى حين أن القبائل العربية تسميه « المصقر » بإضافة صوت الميم .

---

(٢١) النخل والكرم : ٦٥ــ٧٢ .

(٢٢) الوحوش : ١٠٥ .

(٢٣) السابق والصفحة نفسها .

(٢٤) النبات والشجر : ٤٣

(٢٥) السابق : ٤٤

(٢٦) الغريب المصنف : ٦٦٩

(٢٧) السابق : ٣١ .

وتحفل اللهجات العربية الحديثة بالمترادفات ، وهذه بعض الألفاظ التى نستعملها فى مصر وما يقابلها فى بعض البلاد العربية :

الفكّـــــــة = الخُرْدَة
الطماطـــــم = البَنَدُورة
الكزبـــــرة = الجُلْجُلان
الأرز = العيش
العيـــــش = الخبز
الدقيـــــق = الطّحين
البطيـــــخ = الحَبْحَب
القطـــــار = الرتل
سيارة النقـــل = الشاحنة
طلمبة البنزين = بنزينخانة

ولعله من المفيد الإشارة إلى كثرة المترادفات التى نتجت عن محاولة تعريب بعض مخترعات الحضارة الحديثة مثل كلمة Telephone التى يعادلها : التليفون ، والمسرّة ، والهاتف .

ثالثاً : حين قال أبو على الفارسى إنه لا يحفظ للسيف إلا اسماً واحداً وإن بقية ما يُطلق عليه من أسماءٍ إنما هى صفات له ، كان الرجل يشير إلى أحد الأسباب الرئيسية التى أدَّتْ إلى وجود الترادف فى اللغة ، والمقصود بذلك أن تكون هناك صفة من الصفات تدور على ألسنة المتكلمين يطلقونها على مسمى بعينه ، ثم تبلغ مستوى معيناً من الشيوع يحوّلها إلى اسم يُطلق على هذا المسمى ، وتصبح تلك الصفة مرادفة لهذا الاسم .

وقد أشار أصحاب الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات إلى الكثير من الأسماء التى كانت فى أصل وضعها اللغوى صفاتٍ للمسميات ، والدليل على ذلك أن « السماء » يطلق عليها اسم « الخلقاء » ، وهذا الاسم كان صفة لها ، وقد أُطلق عليها لأنها ملساء كالخلقاء من الحجارة . قال الأعشى :

قد يترك الدهرُ فى خلقـــاءَ راسيـــةٍ وَهْياً ويُنْزِلُ منها الأعصمَ الصدعَا(٢٨)

(٢٨) قطرب : الأزمنة ١٣ ، وديوان الأعشى ٧٣ .

وهذا نص من (الغريب المصنف) لأبى عبيد يدور حول السيوف ونعوتها ، وهو يدل دلالة واضحة على أن معظم أسماء السيوف ما هى إلا صفات . قال : « سمعت الأصمعى يقول : من السيوف الصفيحة وهو العريض ، والقضيب وهو اللطيف ، والمفقّر وهو الذى فيه حُزوز مطمئنة عن متنه ، والصمصامة الصارم الذى لا ينثنى ، والمأثور الذى فى متنه أثر ، والقضِم وهو الذى طال عليه الدهر فتكسر حدُّه ، والكَهام الكليل الذى لا يمضى ، والدَّدان وهو نحو من الكهام ، والأنيث وهو الذى من حديد غير ذكر ، والمِعْضَد الذى يمتهن فى قطع الشجر ونحو ذلك ، والجُزار وهو الماضى النافذ ، والخشيب وهو الذى بُدِىء طبعُه ثم صار الخشيب لمَّا كثر عند العرب الصقيل ، وذو الكريهة وهو الذى يمضى على الضرائب ، والمَشْرفى وهو المنسوب إلى المشارف وهى قرى من أرض العرب تدنو من أُرض الريف ، والقُسَاسِى قال : ولا أدرى إلى أى شىء نُسِب ، والعضْب القاطع ، والحسام مثله ، والمُذكّر وهى سيوف شفراتها حديد ذكر ومتونها أنيث يقول الناس إنها من عمل الجن . قال الأموى (عبد الله بن سعيد) : ومنها الهُدام ، وهو القاطع ... » .

ويتصل بالصفات التى تتحول إلى أسماء تلك الألفاظ التى يلجأ الأدباء إلى التلوين فى استعمالها داخل السياقات المختلفة ، وهذا يؤدى إلى خَلْع بعض المعانى عليها ؛ حتى إنها تصبح من المترادفات . ولعلنا نذكر فى هذا المجال المعجم اللغوى الذى ابتكره الشعراء للتعبير عن الحب ، وتصوير حالة من أصابه الحبُّ وغلبه الشوق ؛ حتى إن معاجم الموضوعات اهتمت بحصر الألفاظ الخاصة بالحب وبيان درجاته ، معتمدة فى ذلك على ما ورد فى الشعر العربى الذى قيل فى « باب الغزل » و « باب النسيب » وما يعادلهما ؛ لذلك يقول المعجميون : « أول مراتب الحب الهوى ، ثم العَلاقة وهو الحب اللازم للقلب ، ثم الكَلَف وهو شدة الحب ، ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذى اسمه الحب ، ثم الشَّعَف وهو إحراق الحب القلبَ مع لذة يجدها ... »[٢٩] .

---

(٢٩) الثعالبى : فقه اللغة ٢٦٧ .

رابعاً : يحدث أن يكون فى اللغة لفظان لمعنيين متجاورين ؛ أى كل واحد منهما قريب الشبه من الآخر ، ولكنهما مع ذلك مختلفان ؛ ثم يختفى الفرق بينهما مع طول الاستعمال ، ويعتبران من المترادف . فمثلاً (الرَّيْب) و « الشك » كانا مختلفين ؛ فالشك هو التوقف بين طرفى قضية نفياً وإثباتاً ، والعجز عن الترجيح ، وهو موقف مزعج يشبه الشعور بالوخز ؛ أى الشك بالإبر مثلاً . أما الريب فأصله الغليان والفوران والاضطراب الذى يصيب اللبن عندما يروب ، وهو موقف نزاع وتخبط وثورة ، ولكن اللفظتين وصلتا مع الاستعمال إلى التساوى فى المعنى ؛ أى الترادف ، وقال المفسرون فى قوله تعالى : (ذلك الكتاب لا ريب فيه)[٣٠] ؛ أى لاشك فيه . والأقرب أنه بمعنى لا نزاع فيه ولا خلاف عليه من حيث كونه هدى للمتقين .

وكذلك السبع والأسد ؛ أولهما عام لجنس الضوارى كله ، والثانى فصيلة منه ، ولكن الاستعمال جعلهما مترادفين فى كثير من الأحيان .

ومن المعرب الذى فيه تلك السمات الفعل « زخرف » والفعل « زركش » ؛ فهما يدلان عادة فى أذهان الناس على الزينة والحلية والتنميق ، وهما مترادفان ، مع أن « زخرف » آتٍ من اليونانية « زُو » أى حيوان و « غراف » أى الرسم والكتابة ، وهكذا تكون الزخرفة فى الأصل برسم الحيوانات ، على حين أن « زركش » مأخوذ عن الفارسية « زَر » أى ذهب و « كشيدن » أى سحب وبسط ؛ فهو الطلاء بالذهب[٣١] .

خامساً : هناك الكثير من اللغات الأجنبية كالفارسية والرومية (اليونانية (والسريانية والقبطية والحبشية التى جاورت العربية قبل ظهور الإسلام وفى صدره ، وقد اتصل العرب بأهل تلك اللغات بقصد التجارة وغيرها وأدّى هذا إلى تسرب ألفاظ عديدة إلى العربية ؛ لأن الاحتكاك اللغوى أمر طبيعى فى تلك الحال ، وقد أصبحت تلك الألفاظ فيما بعد مترادفاتٍ بالنسبة إلى ما يناظرها فى العربية ؛ حتى إن بعض الشعراء كرؤبة بن العجاج والأعشى وغيرهما استعاروا الكلمة من كلام العجْم للقافية لتستطرف ولكن لا يستعمله

(٣٠) البقرة / ٢ .

(٣١) الدكتور حسن ظاظا : كلام العرب ١٠٦ .

المستطرف ولا يصرِّفونه ولا يشتقون منه الأفعال ولا يرمون بالأصلي المستطرف[٣٢] .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن الاقتراض الذى يحدث بين اللغات أمر طبيعي ؛ بل هو من الظواهر الشائعة المألوفة ، فاللغة الإنجليزية لغة غنية بصفة خاصة بالمترادفات أو أشباه المترادفات بتعبير أدق ؛ فهى قد فتحت الباب على مصراعيه للاقتراض من اللغة اللاتينية وما تفرع عنها من لغات ، وقد عملتْ بذلك على ثراء مصادر الترادف فيها ثراءً واسعاً ، واكتسبت ألواناً من المعانى الدقيقة والدلالات المختلفة ، كما ظفرت بتنوع فى التعبير إلى درجة لم تصل إليها أية لغة أوربية أخرى[٣٣] .

وقد اهتم أصحاب معاجم الموضوعات بالتوقف أمام الألفاظ التى دخلت العربية من اللغات الأجنبية ، حتى إنهم تحدثوا عن أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة ، وتحدثوا أيضاً عن الألفاظ الرومية التى وردت فى العربية مثل كلمة « القسطاس » وهى بمعنى الميزان . قال الراغب الأصفهانى : « القسطاس : الميزان ، ويُعبَّر به عن العدالة ، كما يعبر عنها بالميزان »[٣٤] . قال تعالى : (وزنوا بالقسطاس المستقيم)[٣٥] ، واقترضوا من الرومية أيضاً « الكانونين » الأول والثانى ، وهما الشهران العربيان المعروفان[٣٦] .

وهناك أسماء كثيرة تطلق على الخمر من بينها ما غير عربى نحو « الخندريس » ؛ فقد قال الجواليقى (أبو منصور الجواليقى موهوب بن أحمد ابن محمد بن الخضر ٤٦٥ــ٥٤٠ هـ) عنها : « الخندريس : من صفات الخمر ... روميٌّ معرَّب ... وقال قوم إنها معربة من الفارسية ، وإنما هى كندريش ؛ أى ينتف شاربُها لحيته لذهاب عقله ، فعُرِّبت فقيل : خندريس »[٣٧]

(٣٢) أبو منصور الجواليقى : المعرّب ٥٧ وما بعدها .
(٣٣) دور الكلمة فى اللغة : ١١١
(٣٤) المفردات : ٤٠٣ .
(٣٥) الإسراء / ٣٥ .
(٣٦) الخليل : كتاب العين ٥ /٢٨٢ ، وقد قال : « والكانونان شهران فى قلب الشتاء ــ رومية » .
(٣٧) المعرب : ١٧٣

ومن أسماء الخمر أيضاً « الزَّرَجُون » فارسى معرب ، وأصله « زرّ » : ذهب ، و « كُون » : لون ؛ أى لون الذهب . وقد أصبحت مع الخندريس من المترادفات الدالة على الخمر .

وبعد هذا العرض للأسباب التى أدت إلى وجود الترادف فى اللغة العربية ، نشير إلى أن الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) لأبى عبيد و (الألفاظ) لابن السكيت بها الكثير من المترادفات ، ولكن علينا أن نهتم ، قبل الحكم على تلك الألفاظ بكونها مترادفة ، بالنظر فى السياق الذى ترد فيه اللفظة ؛ بل لابد من ضبط أصوات الكلمة ؛ فقد قال أبو عبيد ، راوية عن أبى زيد : « هى الدِّعوة فى النسب ، والدَّعوة فى الطعام »[38] فاستعمال صائت قصير مكان آخر من شأنه أن يغير دلالة اللفظ . كذلك ينبغى إخراج الاستعمال المجازى للألفاظ من الترادف ، ويُكْتَفى بالنص نفسه ، وكون اللفظ نصًّا يعرف بشيئين : أحدهما عدم احتماله لغير معناه وضعاً كالعشرة ، والثانى : ما اطّرد استعماله على طريقة واحدة ، فى جميع موارده[39] . ومن هنا فإن شرط الترادف الحقيقى هو الاتحاد التام فى المعنى ، والحكم فى هذا مرجعه أولاً وأخيراً إلى الاستعمال[40] .

وقد أشرنا فى بداية حديثنا عن الترادف إلى أن بعض الباحثين[41] يطلق على بعض معاجم الموضوعات اسم « معاجم المترادفات » ، وإنما دفعه إلى ذلك النظر فى الأبواب التى ضمت تحتها ألفاظاً متحدة المعنى ، ولكن هذه التسمية غير دقيقة ؛ حيث إن تلك المعاجم لم تقتصر على الألفاظ المترادفة ؛ بل حوت ألفاظاً أخرى بينها اختلاف فى المعنى ، ويمكن دراستها تحت الظواهر الخاصة بالألفاظ كالأضداد والمشترك والمعرب والدخيل ؛ بالإضافة إلى الترادف . ثم إن تقسيم الموضوع نفسه داخل الرسائل والمعاجم متشعب ؛ فباب الخيل أو الرسالة اللغوية التى تدور حول الخيل لا تحتوى على أسماء الخيل ؛ بل فيها معالجة معجمية لأسماء أعضائه ، والعيوب التى تلحقه ، وعَدْوه والصفات المستحبة فيه ... وغيرها . والنظر فى أحد الكتب التى اهتمت بجمع المترادفات

(٣٨) الغريب المصنف : ٦٤٣ .

(٣٩) ابن القيم : بدائع الفوائد ١ /١٥ .

(٤٠) الدكتور إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ ٢١٣ .

(٤١) الدكتور أحمد مختار عمر : البحث اللغوى عند الهنود ١٣٣ وما بعدها .

يبين الاختلاف بينها وبين الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات من حيث الجمع والتصنيف ؛ فقد جمع أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) الألفاظ المترادفة فى فصول دون شرح أو تحليل ، وهذا يخالف ما فى الرسائل ؛ فقد قال فى أحد فصوله : « السرور والحبور والجذل والغبطة والبهج والفرح والارتياح والاستبشار »(٤٢) تدل على السرور والحبور ، وبطبيعة الحال فإن هناك بعض ما يعادل هذا فى أعمال الموضوعات ، ولكن فى مواضع قليلة ؛ بحيث تبيّن الاختلاف بين كتب المترادفات وتلك الأعمال ومن هنا فإن المترادفات جزء من الأعمال الموضوعية .

* * *

ونحاول التعرف على ظاهرة لفظية أخرى ، وهى المشترك اللفظى .

---

(٤٢) الألفاظ المترادفة ٩ .

الاشتراك اللفظى

اللفظ المشترك هو « اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة »[1] . ومن أمثلة ذلك كلمة « عين » التى ذكر لها ابن فارس تسعة معانٍ نظمها شعراً ، مع جَعْل تلك الكلمة قافية كل بيت منها ، وهى كما يأتى :

يادارَ سُعْدَى ذاتِ الضالِ من إضَمٍ سقاكِ صوبُ حيا من واكفِ العينِ

العين : سحاب ينشأ من قبل القبلة .

إنى لأذكُرُ أياماً بها ، ولنا فى كل إصباحِ يومٍ قرةُ العينِ

العين ههنا : عين الإنسان وغيره .

تُدْنِى معشقة منّا معتّقةٌ تشجُّها عذبةٌ من نابعِ العينِ

العين ههنا : ما ينبع من الماء .

إذا تمزَّزَها شيخٌ به طَرَقٌ سرتْ بقوتها فى الساق والعين[2]

العين ههنا : عين الركبة .

والزق ملآنُ من ماء السرور فلا تخشى تولُّه مافيه من العين[3]

العين ههنا : ثقب يكون فى المزادة .

وغاب عُذّالُنا عنّا فلا كَدَرٌ فى عيشنا من رقيب السوءِ والعين

العين ههنا : الرقيب .

يقسِّمُ الودَّ فيما بيننا قِسماً ميزانُ صدقٍ بلا بخْسٍ ولا عين

العين ههنا : العين فى الميزان .

وفائضُ المال يُغنينا بحاضره فنكتفى من ثقيل الدَّيْن بالعين

العين ههنا : المال الناضُّ .

والمُجْمَلُ المجتبى تغنى فوائدُه حفاظَه عن كتابِ الجيم والعين

العين ههنا : اسم معجم الخليلِ بن أحمد[4] .

---

(١) المزهر : ١/٣٦٩ .

(٢) الطرق : ضعف الركبتين .

(٣) توله الماء : أن يتسرب .

(٤) معجم الأدباء : ٤/٩٠ وما بعدها .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن الخليل واضع علم العروض قد اهتم ببيان أن تكرار اللفظ فى القوافى ليس بضائر إذا لم يكن لمعنى واحد ، وأنه ليس بإيطاء(٥) ، وله ثلاثة أبيات على قافية واحدة ، يستوى لفظها ويختلف معناها ؛ أى إنها من المشترك ، وهى قوله :

ياويح قلبى من دواعى الهوى ... إذ رحل الجيرانُ عند الغُروبِ
أتبعتهم طَرْفى وقد أمعنوا ... ودمعُ عينى كفيض الغُروبِ
بانوا وفيهم طَفْلةٌ حُرّةٌ ... تفترُّ عن مثل أقاحى الغُروب

فالغروب الأول : غروب الشمس ، والغروب الثانى : جمع غَرْب وهو الدلو العظيمة المملوءة ، والغروب الثالث : جمع غَرْب وهى الوهاد المنخفضة(٦) . وقد بالغ بعض الشعراء فى هذا المجال ؛ أى تكرار اللفظ فى القوافى مع اختلاف المعنى ؛ وذلك كقول أحدهم :

أتعرفُ أطلالاً شجوْنَك بالخالِ ... وعيشَ زمانٍ فى العُصُرِ الخالى(٧)
ليالى ريعانُ الشبابِ مُسلّطٌ ... علىَّ بعصيانِ الإمارة والخالِ(٨)
وإذْ أنا خِدْنٌ للغوىِّ أخى الصبا ... وللغَزِلِ المِريِّح ذى اللهو والخال(٩)
وللخود تصطاد الرجالَ بفاحمٍ ... وخدٍّ أسيلٍ كالوذيلةِ ذى الخال(١٠)
إذا رُئِمَتْ رَبْعاً رَئِمْتُ رِباعها ... كما رئم الميثاءَ ذو الريبةِ الخالى(١١)
ويقتادنى منها رخيمٌ دَلالُهُ ... كما اقتادَ مُهْراً حين يألفه الخالى(١٢)
زمانَ أفدّى من يراحُ إلى الصِّبا ... بعمِّى من فرط الصبابة والخالِ(١٣)
وقد علمتْ أنى وإن مِلْتُ للصِّبا ... إذا القومُ كعُّوا لستُ بالرَّعِشِ الخالى(١٤)
ولا أرتدى إلا المروءة حُلّةً ... إذا ضنَّ بعضُ القومِ بالعَصْبِ والخالى(١٥)

(٥) الإيطاء : اتفاق قافيتين أو أكثر بمعنى واحد فى قصيدة واحدة

(٦) مراتب النحويين : ٦٠ .

(٧) شجونك بالخال : يريد موضعاً بعينه ، فى العصر الخالى : الماضى

(٨) الإمارة والخال : يريد الراية .

(٩) ذو اللهو والخال : يريد الخيلاء والكِبْر .

(١٠) كالوذيلة ذى الخال : يريد واحد خِيلان الوجه .

(١١) ذو الريبة الخالى : يعنى العَزَب .

(١٢) حين يألفه الخالى : هو الذى يُخْليه ؛ أى يلقى اللجام فى فيه .

(١٣) من فرط الصبابة والخال : يريد أخا أمه .

(١٤) بالرعش الخالى : يعنى المنخوب الضعيف .

(١٥) بالعصب والخال : يريد بُرود الخال ، وهى ضرب من بُرود اليمن

وإن أنا أبصرتُ المُخُولَ ببلدةٍ ... تنكّبتُها واشتممت خالاً على خالِ(16)
فحالف فحلفي كل حلف مهذَّبٍ ... وإلا تحالفني فخالٍ إذاً خالِ(17)
وإني حليف للسماحة والندى ... كما احتلفت عبسٌ وذُبيانُ في الخالِ(18)
وثالثنا في الحلف كلّ مهنَّدٍ ... لما رِيمَ من صُمِّ العظام به خالِ(19)

والذى يلفت النظر أن أبا الطيب اللغوى (ت ٣٥١ هـ) رأى أن الشاعر قد ترك الكثير من المعانى التى يمكن توليدها من « الخال » و « الخالى » وأخذ ينظمها شعراً(20) .

وقد نشأ خلاف بين علماء اللغة حول اتفاق اللفظ وتعدد معانيه ، فنجد ابن درستويه الذى عارض فى وجود الترادف اللغوى ينكر الاشتراك اللفظى ؛ لذلك حين توقف أمام معانى كلمة « وجد » قال : « فظن من لم يتأمل المعانى ، ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعانٍ مختلفة ، وإنما هذه المعانى كلها شيء واحد ، وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شرًّا »(21) . وقال أيضاً : « فإذا اتفق البناءان فى الكلمة والحروف ، ثم جاءا لمعنيين مختلفين ، لم يكن بد من رجوعهما إلى معنى واحد ، يشتركان فيه ، فيصيران متفقى اللفظ والمعنى »(22) .

ويرى أبو على الفارسى أن « اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغى ألا يكون قصداً فى الوضع ولا أصلاً ، ولكنه من لغات تداخلت ، أو أن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ، ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب ، فتصير بمنزلة الأصل »(23) .

وقد أيّد الدكتور إبراهيم أنيس رأى ابن درستويه وأثنى عليه بقوله : « وقد كان ابن درستويه محقًا حين أنكر معظم تلك الألفاظ التى عُدّت من المشترك

---

(16) على خال : يعنى السحاب .
(17) من إذا خال : من المخالاة وهى [illegible] .
(18) بالخال : يريد موضعاً
(19) خال : أى قاطع .
(20) انظر مراتب النحويين ٦٣ وما بعدها .
(21) تصحيح الفصيح : ١/٣٦٤ ، والنص فى المزهر : ١/٣٨٤ .
(22) تصحيح الفصيح : ١/٢٤٠
(23) المخصص : ١٣/٢٥٩

اللفظي واعتبرها من المجاز . فكلمة « الهلال » حين تعبر عن هلال السماء ، وعن حديدة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال ، وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال ، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال ، لا يصح إذن أن تعد من المشترك اللفظي ؛ لأن المعنى واحد في كل هذا ، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات(٢٤) .

ونشير إلى أن الكثير من القدماء اعترفوا بالمشترك اللفظي ، والدليل على ذلك المؤلفات التي وصلت إلينا ، وتدور حوله ؛ بالإضافة إلى المؤلفات التي فقِدت ، ومن أهم المؤلفات بصفة عامة مايأتي :

ـ الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠ هـ) .

ـ إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : الحسين محمد بن الدامغاني (ت ٢٢٤ هـ) .

ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه : أبو العميثل الأعرابي (ت ٢٤٠ هـ) .

ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه : المبرد (ت ٢٨٥ هـ) .

ـ المنجَّد في اللغة : كراع (علي بن الحسن الهنائي ت ٣١٠ هـ) .

ويعد كتاب كراع من أشمل ما وصل إلينا حول المشترك ، وقد جمع الألفاظ في ستة أبواب هي :

ـ **الباب الأول** : في ذكر أعضاء البدن من الرأس إلى القدم .
ـ **الباب الثاني** : في ذكر صنوف الحيوان من الناس والسباع والبهائم والهوام .
ـ **الباب الثالث** : في ذكر الطير ، الصوائد منها والبغاث وغير ذلك .
ـ **الباب الرابع** : في ذكر السلاح وما قاربه .
ـ **الباب الخامس** : في ذكر السماء وما يليها .
ـ **الباب السادس** : في ذكر الأرض وما عليها .

وقبل الدخول في التعرف على الأسباب التي أدّت إلى وجود الاشتراك اللفظي ، نتعرف على موقف المحدثين منه .

---

(٢٤) دلالة الألفاظ : ٢١٤

هناك مصطلحان لهما رواج فى كتب علم اللغة ، وهما يستخدمان حين الحديث عن تعدد المعنى والمشترك اللفظى ، وهما :

١ ـــ Polysemy الذى يترجم إلى « تعدد المعنى » ، وهو يشير إلى الحالات التى يكون فيها الجذر المعجمى الواحد له أكثر من معنى ، أو Several meanings of a word ، ومن أمثلة ذلك كلمة Chip التى تدل على : قطعة من الخشب ، طعام ، دورة إلكترونية ، الشىء الصغير أو التافه ... لذلك ليست هناك أية مشكلة حين يقول أحد أبناء اللغة الإنجليزية إن كلمة Chip لها عدة معانٍ أو دلالات مختلفة .

وهناك طريقتان رئيسيتان تتبعهما الكلمات فى اكتساب معانيها المتعددة Polysemy . الطريقة الأولى منهما يمكن توضيحها بالكلمة الإنجليزية operation « عملية » خير توضيح . هذه الطريقة تبدأ بمجرد حدوث التغيير فى تطبيق الكلمات واستعمالها ، ثم يعقب ذلك شعور المتكلمين بالحاجة إلى الاختصار فى المواقف والسياقات التى يكثر فيها تكرار الكلمة تكراراً ملحوظاً ، ومن ثم يكتفون باستعمالها وحدها للدلالة على ما يريدون التعبير عنه ؛ إنه ليس من الضرورى مثلاً ، بل لعله مما يوجب التندر ، أن تنص وأنت فى مستشفى على أن العملية المشار إليها فى الحديث هى عملية جراحية ، وأنها ليست عملية استراتيجية أو صفقة تجارية فى سوق الأوراق المالية . فإذا تبلورت الكلمة وتحدد معناها الجديد فى البيئة الفنية الخاصة ، كان لابد لها فى الوقت المناسب من أن توسع فى حدود دائرتها الاجتماعية حتى تصبح مقررة ثابتة فى الاستعمال اللغوى العام .

ويقابل هذا الطريق التاريخى البطىء إلى تعدد المعنى طريق آخر قصير ، يتحقق فى الاستعمال المجازى ؛ فالمجازات ـــ مثلاً ـــ كما فى نحو Crane وظيفتها إلحاق مدلول جديد بمدلول قديم عن طريق العلاقة المباشرة بين المدلولين ، غير أن السمات المشتركة فقط هى التى يدركها المتكلم حين يتم الانتقال من المعنى القديم جنباً إلى جنب مع المعنى الجديد ؛ فالطير المسمى Crane (طير الكركى) سوف يظل يُدْعَى بهذا الاسم ، على الرغم من أن اللفظ نفسه قد

أطلق على تلك الآلة المعهودة التى تستعمل فى رفع الأحمال الثقيلة (الرافعة أو ما يسمى بالونش فى اللغة الدّارجة)[٢٥] .

٢ــ Homonymy الذى يترجم إلى «المشترك اللفظى»، وهو يشير إلى الكلمات التى تتطابق حين النطق، ولكن معانيها تختلف، مثل: flower «زهرة»، و flour «الدقيق»، و hair «الشعر» و heir «الوريث»، و threw «رمي أو قذف»، و through «خلال»، و read «يقرأ»، و reed «قصب أو آلة من آلات النفخ».. وهكذا. ويطلق على هذا النوع من الكلمات التى تتفق نطقاً وتختلف دلالة وكتابة مصطلح Homophones، ويعرفونه بالإنجليزية بأنه words with the same pronounciation but different meanings مثل الكلمتين rode و rowed.

وهناك نوع آخر من الاشتراك اللفظى يتصل بالكلمات التى لها حروف الهجاء نفسها ولكن معانيها تختلف مثل كلمة sound التى تدل على معنى healthy « صحيح البدن » ، أو « صوت » .. ويطلق على هذا النوع من الكلمات مصطلح Homographs ويعرفونه بالإنجليزية بأنه Words with the same spelling but different meanings مثل كلمة wind التى تدل على « الهواء » و « يدير /يقلّب »[٢٦] .

ومن هنا فإننا نستطيع تحديد مجال مصطلح Homonymy على النحو الآتى :

Homonymy
(المشترك)

Homophones	**Homographs**
(المشترك الصوتى)	**(المشترك الكتابى)**
ألفاظ تتطابق نطقاً وتختلف دلالة	**ألفاظ تتطابق كتابة وتختلف دلالة**

(٢٥) دور الكلمة فى اللغة : ١٣٠ وما بعدها .
(٢٦) انظر موسوعة كمبردج فى اللغة : ٤٤٢

والحقيقة أن التفريق بين ما يتصل بتعدد المعنى والاشتراك اللفظى واضح بما فيه الكفاية ؛ ومع ذلك فإن اللغوى تصادفه ــ أحياناً ــ بعض الصعوبات حين محاولة التعرف على المعنى الأصلى للكلمة ، ومن أمثلة ذلك كلمة table التى لها معنيان هما : arrangement of data ، و furniture ؛ لذلك تلجأ المعاجم إلى البحث فى التاريخ الاشتقاق للكلمة حتى يمكن التوصل إلى أصلها وقد فعلتْ ذلك مع كلمة pupil التى تستعمل فى سياق pupil in school و pupil of the eye ، ولم تعبأ المعاجم بما قيل من أنها كلمتان ؛ لأن تلك الكلمة لها أصل تاريخى واحد فقط . وكذلك الكلمة الفرنسية voler لها معنيان هما : fly و steal ، وهى كلمة واحدة على الرغم من تعدد معناها ؛ لأنها ترتدُّ إلى الأصلى اللاتينى volare .

وبعد هذا العرض نحاول التعرف على أسباب وجود الاشتراك اللفظى فى اللغة العربية ، وهى على النحو الآتى :

أولاً : يؤدى الاستعمال المجازى للألفاظ إلى تعدد المعنى للفظ الواحد ؛ فقد قال ابن السكيت : « يقال : إنه لجمادُ الكفِّ أى جامد الكف ، وسنة جماد لا مطر فيها ، وناقة جماد لا لبن بها ، ورجل مجمدٌ »[٢٧] ، وكلمة « مجمد » تدل على قلة الخير بصفة عامة ؛ بالإضافة إلى دلالتها على البخل ، ومن ثم فقد أطلقها ابن السكيت على السنة الجدباء ، والناقة التى لا لبن بها ، وهو نوع من الاشتراك عن طريق « المجاز » . وقال ابن السكيت أيضاً : « رجل بكيء إذا كان قليل الخير ، وأصله أن يقال : ناقة بكيء ، إذا كانت قليلة الخير »[٢٨] . والصفة هنا « بكيء » تدل على قلة الخير عند الإنسان والناقة معاً .

والحقيقة أن القدماء من أصحاب المعاجم العربية قد اهتموا بمعالجة المعنى المجازى لبعض الألفاظ ، ومن أولئك الراغب الأصفهانى (أبو القاسم الحسين ابن محمد ت ٥٠٢ هـ) فى معجمه المتميز : (المفردات فى غريب القرآن) ، ومن أمثلة ذلك ما ورد فى مادة (س ب ح) إذ قال : « السَّبْح : المر السريع فى الماء ؛ يقال : سَبَحَ سَبْحاً وسباحةً ، واستُعير لمرِّ النجوم فى الفلك نحو :

(٢٧) الألفاظ : ٤٦

(٢٨) السابق : ٥٧

(وكلٌ فى فَلَكٍ يسبحون)[29] ، ولجرى الفرسِ نحو : (والسابحاتِ سبحاً)[30] ولسرعة الذهاب فى العمل نحو : (إنّ لك فى النهار سبحاً طويلاً) ... »[31] .

وقد توسع جارالله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (ت ٤٦٧ـ٥٣٨ هـ) فى تتبع الاستعمال المجازى للألفاظ فى معجمه (أساس البلاغة) ؛ لذلك عدَّ إفراد المجاز عن الحقيقة ، والكناية عن التصريح من خصائص معجمه[32] .

ويؤدى الاستعمال المجازى دوره فى نشأة الاشتراك اللفظى فى اللغات الأخرى ، وقد سبق أن أشرنا إلى دلالة كلمة Crane التى تدل على طير الكركى والآلة المعهودة التى تستعمل فى رفع الأحمال الثقيلة . ومن أمثلة ذلك أيضاً كلمة collation التى تدل على الموازنة والمراجعة التفصيلية ، وفى الوقت نفسه تدل على « الأكلة الخفيفة » ، ولكن من أين أتت تلك الدلالة ؟ من البديهى أنه ليست هناك مشابهة بين المعنيين ؛ بل إن احتمال وجود أية صلة بينهما احتمال يبدو بعيداً أول الأمر ، ولكن التاريخ يمدنا بما يفسر هذه الحالة . لقد كانت العادة فى الأديرة أن يتناول الرهبان طعاماً خفيفاً بعد فراغهم من قراءة سِيَر الرواد الأوائل من رجال الدين ومراجعة هذه السير ، فكان هذا الارتباط العرضى كافياً لأن ينحرف بالكلمة ويقودها إلى هذا التطور فى المعنى[33] .

ثانياً : من عوامل نشأة الاشتراك اللفظى اختلاف اللهجات ، والدليل على ذلك وجود كلمة هى هى من حيث اللفظ عند عدة قبائل عربية ولكن المعنى يختلف ؛ بالإضافة إلى الاختلاف فى الاستعمال السياقى لها ؛ فإذا حدثت وحدة بين تلك القبائل اكتسبت تلك الكلمة عدة معانٍ هى محصلة ما عند كل قبيلة من مفهوم أو استعمال سياق . وقد لفت إلى ذلك أبو عبيد حين أشار إلى المشترك بالنسبة إلى لهجتين ، ومن ذلك : « الألفت فى كلام قيس : الأحمق ،

(٢٩) المزمل / ٧ .
(٣٠) النازعات / ٣ .
(٣١) المفردات : ٢٢١ .
(٣٢) أساس البلاغة : ٨ .
(٣٣) دور الكلمة فى اللغة : ١٨٩ وما بعدها .

والألفت فى كلام تميم الأعسر ... والسَّليط عند عامة العرب : الزيت ، وعند أهل اليمن : دُهن السمسم » . ويؤدى اختلاف اللهجات داخل الوطن العربى الكبير إلى تعدد معانى الكلمة الواحدة ، ومن أمثلة ذلك كلمة « العيش » التى تدل على الخبز فى مصر ، والأرز فى بعض البلاد العربية .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن ابن السرَّاج (أبو بكر محمد بن سهل ت ٣١٦ هـ) قد تنبه للدور الذى يؤديه اختلاف اللهجات العربية فى نشأة الاشتراك اللفظى . قال : « الذى يوجبه النظر على واضع كل لغة أن يخص كل معنى بلفظ ؛ لأن الأسماء إنما جعلت لتدل على المعانى ، فحقها أن تختلف كاختلاف المعانى ، ومحال أن يصطلح أهل اللغة على ما يلبس دون ما يوضح . وهذا ادعاء من ادعى أنه ليس فى لغة العرب لفظتان متفقتان فى الحروف إلا لمعنى واحد ، لكنه أغفل أن الحى أو القبيلة ربما انفرد القوم منهم بلغة ، ليس سائر العرب عليها ، فيوافق اللفظ فى لغة قوم وهو يريدون معنى لفظ آخر من لغة آخرين ، وهم يريدون معنى آخر . ثم ربما اختلطت اللغات فاستعمل هؤلاء لغة هؤلاء ، وهؤلاء لغة هؤلاء . فأصل اللغة قد وُضعت على بيان وإخلاص ، لكل معنىً لفظى ينفرد به ، إلا أنه دخل اللبس من حيث لم يقصد »[٣٤] .

ثالثاً : تعرف الحياة الفكرية عند العرب ما يسمى بـ « الألفاظ الإسلامية » والمقصود بها ما استحدثه القرآن الكريم أو ما جاء فى الحديث الشريف من ألفاظ لم يعرفها العرب من قبل ، أو تلك التى عرفها العرب ، ولكن تم خلع دلالات جديدة عليها عن طريق الاستعمال القرآنى الكريم ، وما ورد على لسان الرسول ﷺ ؛ لذلك تنبه أصحاب معاجم الموضوعات إلى ما أطلقوا عليه « أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها » نحو : الزكاة ، الحج ، المسلم ، المؤمن ، الكافر ، المنافق ، الفاسق ، الجِنْث ، الخبيث ، القرآن ، القبلة ، السلسبيل ...»[٣٥] والذى أدّى إلى تعذر وجود فارسية أكثرها الدورُ الذى أدّاه الاستعمال القرآنى الكريم لها .

---

(٣٤) الاشتقاق : ٣٣ ؛ وانظر فصول فى فقه العربية : ٢٣٠ .

(٣٥) فقه اللغة وسر العربية : ٤٥٢ .

وقد اهتم الكثيرون من علمائنا القدماء بالمعالجة المعجمية للألفاظ الإسلامية خلال بيان الدلالات المختلفة لها ، ويأتى على رأس أولئك ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٣ــ٢٧٦ هـ) الذى توقف أمام ما أسماه « اللفظ الواحد للمعانى المختلفة » . وقد أتى بأربع وأربعين كلمة للتطبيق ، ومن بينها : القضاء ، الهدى ، الأمة ، العهد ، الإلّ ، القنوت ، الدِّين ، المولى ، الضلال ... وسواها . وكان ابن قتيبة يبدأ ببيان أصل دلالة الكلمة ، ثم يشير إلى دلالتها فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف ؛ بالإضافة إلى الشعر والأمثال والأقوال المأثورة . ونقدم نصًّا يدور حول المعانى التى يدول حولها لفظ « القنوت » . قال :

« القنوت : القيام . وسُئل ﷺ : أى الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت ؛ أى طول القيام . وقال تعالى : (أَمَّنْ هو قانتٌ آناءَ الليل ساجداً وقائماً)[٣٦] ؛ أى : أَمَّنْ هو مُصَلٍّ ، فسميت الصلاة قنوتاً ؛ لأنها بالقيام تكون . ورُوِى عنه ، عليه السلام ، أنه قال : مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل القانت الصائم ؛ يعنى المصلى الصائم . ثم قيل للدعاء : قنوت ؛ لأنه إنما يدعو به قائماً فى الصلاة قبل الركوع أو بعده . وقيل : الإمساك عن الكلام فى الصلاة قنوتٌ ؛ لأن الإمساك عن الكلام يكون فى القيام ، لا يجوز لأحد أن يأتى فيه بشىء غير القرآن ، قال زيد بن أرقم : كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت : (وقوموا لله قانتين)[٣٧] ؛ فنُهينا عن الكلام وأمِرْنا بالسكوت . ويقال : إن قانتين فى هذا الوضع : مطيعين . والقنوت : الإقرار بالعبودية كقوله : (وله من فى السموات والأرض كل له قانتون)[٣٨] ؛ أى مُقرُّون بعبوديته . والقنوت : الطاعة كقوله : (والقانتين والقانتات)[٣٩] ؛ أى المطيعين والمطيعات . وقوله : (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله)[٤٠] ؛ أى مطيعاً لله . ولا أرى أصل هذا الحرف (أى أصل كلمة القنوت) إلا الطاعة ؛ لأن جميع هذه الخلال : من الصلاة ، والقيام فيها ، والدعاء وغير ذلك يكون

(٣٦) الزمر / ٩ .
(٣٧) البقرة / ٢٣٢ .
(٣٨) الروم / ٢٦ .
(٣٩) الأحزاب / ٣٥ .
(٤٠) النحل / ١٢٠ .

عنها »[٤١] .

ومن هنا فإن لفظ « القنوت » من المشترك الذى خلع عليه القرآن الكريم والحديث الشريف بعض المعانى ، وإن كان ابن قتيبة فى نهاية حصره لمعانيه المختلفة انتهى إلى أن له أصلاً معنويًّا هو « الطاعة » وباقى المعانى تفرعت عن هذا الأصل .

وقد جاء عالم آخر ، بعد ابن قتيبة ، هو أبو حاتم الرازى (ت ٣٢٢ هـ) وخَصَّ « الألفاظ الإسلامية » بالدراسة المستقلة فى كتابه الرائد فى ميدانه : (الزينة فى الكلمات الإسلامية والعربية) الذى تتبع فيه ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف موضحاً ما طرأ عليها من تطور فى الدلالة لم تكن معروفة من قبل .

رابعاً : يؤدى « التطور اللغوى » دوراً مهمًّا فى نشأة الاشتراك اللفظى ، والمقصود بذلك أن تكون هناك كلمتان كانتا فى الأصل مختلفتى الصورة والمعنى ، ثم حدث تطور فى بعض أصوات إحداها فاتفقت لذلك مع الأخرى فى أصواتها . وهكذا أصبحت الصورة التى اتحدت أخيراً مختلفة المعنى ؛ أى صارت لفظة واحدة ، مشتركة بين معنيين أو أكثر[٤٢] .

مثال ذلك ما رُوِىَ من أن « مَرَدَ : أقدم وعتا ، ومَرَدَ الخبز : ليَّنَه بالماء » ، وأصل الكلمة بالمعنى الثانى هو « مَرَثَ » ففى المعاجم : « مرث الشىء فى الماء : أنقعه فيه حتى صار مثل الحساء » فقد أبدل صوت الثاء هنا تاء ، فصارت الكلمة « مرت » ، وهذه رويت لنا كذلك ، ثم جُهرت التاء لمجاورتها للراء ، فصارت « مَرَدَ » وبذلك ماثلت كلمة « مَرَدَ » بمعنى : أقدم وعتا .

ومثال ذلك أيضاً ما فى المعاجم من قولها : « الفروة : جلدة الرأس والغِنى »[٤٣] ، وأصل الكلمة بالمعنى الثانى هو « الثروة » أبدلت الثاء فاءً على طريقة العربية فى مثل « جدث » و « جدف » و « حثالة » و « حفالة » وما أشبه ذلك[٤٤] .

(٤١) تأويل مشكل القرآن : ٤٥١ وما بعدها
(٤٢) فصول فى فقه العربية ٣٣٢
(٤٣) المأثور عن أبى العميثل الأعرابى . ٧ وما بعدها
(٤٤) فصول فى فقه العربية : ٣٣٢

والتطور اللغوى الذى يؤدى إلى نشأة الاشتراك اللفظى ليس وقفاً على العربية ، وقد أشار إلى ذلك أولمان فى قوله : « والمشترك اللفظى ينشأ عن مصدرين مختلفين ، أكثرهما وقوعاً اتفاق كلمتين مستقلتين أو أكثر فى الصيغة اتفاقاً بطريق المصادفة . وعلى هذا ليس هناك أقل من أربع كلمات تمثلها الصيغة Sound فى اللغة الإنجليزية . فهذه الكلمات الأربع بعد أن اشتقت من أصول مختلفة أخذت تتقارب بعضها من بعض فى الصيغة حتى اتحدت وتماثلت . فالكلمة Sound بمعنى Healthy « صحيح البدن » كلمة جرمانية قديمة ، وهناك ما يقابلها بالفعل فى تلك اللغة وهى الكلمة Gesund التى لا تزال تؤدى هذا المعنى نفسه . أما Sound بمعنى صوت فإنها ترجع إلى الكلمة الفرنسية son ، وما العنصر (d) إلا تطور متأخر الحدوث . و Sound بمعنى « سَبَر الغَوْرَ » امتداد للفعل الفرنسى Sonder . وربما تكون هناك علاقة تاريخية بين هذه الكلمة الفرنسية وبين الكلمة Sound الرابعة التى تعنى « مضيق الماء » والتى توجد فى لغات جرمانية متعددة[٤٥] .

خامساً : يؤدى اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة إلى ظهور الاشتراك اللفظى ؛ إذ ربما كانت اللفظة المقترضة تشبه فى لفظها كلمة عربية لكنها ذات دلالة مختلفة . وقد حدث ذلك فى العربية فى مراحلها الأولى ، ومن أمثلة ذلك أن « السَّكْر نقيض الصحو » ، وفيها أيضاً أن « كل شق سدَّ فقد سُكِر ، والسَّكْر سد الشقّ » ، والمعنى الأول عربى ، أما الثانى فهو معرب من الآرامية Sakkar . وقد فطن إلى هذا شهاب الدين الخفاجى حين قال : « لا يضر المعرَّب كونه موافقاً للفظ عربى ، كسَكَّر ، فإنه معرب ، وإن كان عربى المادة ، بمعنى : أغلق[٤٦] . قال الله تعالى : (سُكِرتْ أبصارُنا)[٤٧] .

وفى العربية الفصحى كذلك : « الحُب بمعنى الوداد ، وهو حُب الشىء » ، وفيها كذلك : « الحُب : الجَرة التى يُجعل فيها الماء »[٤٨] والمعنى الأول عربى أصيل ، أما الثانى فهو فيها مستعار من الفارسية لكلمة مماثلة تماماً للفظ العربى .

(٤٥) دور الكلمة فى اللغة : ١٣٩ .
(٤٦) شفاء الغليل : ٨ .
(٤٧) الحجر / ١٥ .
(٤٨) شفاء الغليل : ٦٨ .

وفى العربية كذلك : « السُّور حائط المدينة ، والسور الضيافة » . والمعنى الأول عربى ، أما الثانى فهو لكلمة فارسية ، شرفها النبى ﷺ حين نطق بها ، فى قوله عليه الصلاة والسلام : « يا أهلَ الخندق ، قوموا فقد صنع جابر سُوراً » قال أبو العباس ثعلب : إنما يراد من هذا أن النبى ﷺ تكلم بالفارسية ، صنع سُوراً ؛ أى طعاماً دعا إليه الناس(٤٩) .

* * *

وبعد هذا العرض لما يتصل بالاشتراك اللفظى ننتقل إلى الحديث عن ظاهرة لفظية أخرى أشارت إليها الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) وهى « الاشتقاق » ، وهو موضوع النقطة التالية .

---

(٤٩) المعرب ١٩٢ وانظر فصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب الذى جمع تلك النصوص ٣٣١ وما بعدها

الاشتقاق

يُعرِّف الاشتقاق بأنه أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة ، وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية ، يذكر فيها : من أين جاءت ؟ ومتى وكيف صيغت ؟ والتقلبات التى مرت بها ؛ فهو إذن علم تاريخى ، يحدد صيغة كل كلمة فى أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه ، ويدرس الطريق الذى مرت به الكلمة ، مع التغييرات التى أصابتها ، من جهة المعنى ، أو من جهة الاستعمال .[1]

فهو عند علماء الغرب بهذا المعنى علم نظرى عملى ، يُعْنَى بتاريخ الكلمة ، ويتتبع حياتها عبر العصور المختلفة . أما الاشتقاق عند العرب فهو علم عملى تطبيقى[2] ؛ لأنه عبارة عن توليد لبعض الألفاظ من بعض ، والرجوع بها إلى أصل واحد ، يحدد مادتها ، ويوحى بمعناها المشترك الأصيل ، مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد[3] .

وكان القدماء من العلماء العرب يرون أن لكل لفظة اتصالاً بنا حية ما ، وكانوا يعللون الأسماء والمسميات ؛ لذلك حفلت الرسائل اللغوية والمعجمات على اختلاف أنواعها بهذا التعليل . ومن هنا فقد أجمع أهل اللغة ــ إلا من شذّ منهم ــ أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتقُّ بعض الكلام من بعض ، واسم « الجنّ » مشتق من « الاجتنان » ، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر ؛ تقول العرب للدرع : جُنَّة ، وأجنَّه الليلُ ، وهذا جنين ؛ أى هو فى بطن أمه . وأن « الإنس » من الظهور ؛ يقولون : آنسْتُ الشىء : أبصرْتُه . وعلى هذا سائر كلام العرب ، علم ذلك مَنْ علم ، وجهله مَنْ جهل .[4] .

والاشتقاق من أغرب كلام العرب ، وهو ثابت عن الله تعالى بنقل العدول عن رسول الله ﷺ ؛ لأنه أوتى جوامع الكلم ، وهى جمع المعانى الكثيرة فى

(١) فندريس : اللغة ٢٢٦

(٢) فصول فى فقه العربية : ٢٩٠

(٣) الدكتور صبحى الصالح : دراسات فى فقه اللغة ١٧٤

(٤) الصاحبى : ٩٦

الألفاظ القليلة ؛ فمن ذلك قوله فيما صحَّ عنه : « يقول الله : أنا الرحمن ، خلقتُ الرُّحم(*) وشققت لها من اسمى »[٦] .

تراث الاشتقاق فى العربية : حظى موضوع الاشتقاق فى اللغة العربية بعناية كثير من علمائنا منذ أقدم العصور الإسلامية ؛ فقد تعاوره العلماء بالبحث والتأليف منذ أواخر القرن الثانى الهجرى ، وتعددت نواحى البحث فى هذا الموضوع ، فشارك فيه الكثير من أعلام اللغويين والنحويين فى عصور مختلفة ، غير أن عوادى الزمن أتت على الكثير مما ألفوه ، ولم يبق لنا منه إلا القليل .[٧]

وهناك الكثير من المؤلفات التى وصلت إلينا ، يأتى على رأسها (اشتقاق الأسماء) الذى وضعه أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) وقد اهتم فيه بدراسة بعض الأسماء من حيث بيان اشتقاقها ، دون أن يضع مقدمة توضح مفهوم الاشتقاق عنده ، أو الدافع للتأليف فيه ، وإنما بدأه بالتوقف أمام كلمة « الهَيْصَم » التى تعنى : الغليظ الشديد . قال الراجز :

أهـــون عيبِ المرء أن تثلّمَــــا
ثنيَّــةٌ تتــركُ نابــاً هَيْصَمَــــا

يريد : غليظاً شديداً . وممن سمى بهذا الاسم الهيصمُ بن سفيان ، كان السفير بين تميم والأزد ، أيام مسعود بن عمرو ، الذى يقال له قمر العراق .[٨]

ومن الألفاظ التى توقف أمامها « لِجْلَاج » ، وهو مصدر اللجلجة ، واللجلاج الاسم . يقال : لَجْلَجَ ذلك الأمر لجلجةً ولجلاجاً ، ومعنى اللجلجة : أن يردِّد الكلمة فى فيه ، ولايخرجها ، واللّقمة لايسيغها . قال الشماخ بن ضرار :

مُفــجُ الحوامـــى عن نُسورٍ كأنها   نَوى القَسْبِ تُرِّتْ عن جريمٍ مُلَجْلَج

ترتْ : طاحت ، والملجلج فى هذا المكان : تمر لُجْلجَ فى الفم . ومثل من

(٥) الرُّحم : مصدر كالرحمة

(٦) المزهر : ١/٣٤٦

(٧) انظر مقدمة كتاب الاشتقاق للأصمعى : ٤٦

(٨) السابق : ٧٢ ؛ والاشتقاق لابن دريد : ٣٣١

الأمثال : « الحقُّ أبلج ، والباطل لَجْلَج .
قال هميان بن قحافة :

تسمعُ فى أجوافها لَجَالَجا
أزاملاً وزجـلاً هُزَامِجَا

يعنى أنها تلجلج الصوت فى أجوافها ، ولاتخرجه . الهزامج : الذى يتبع بعضه بعضاً .[9] هذا ماقاله الأصمعى عن « الجلاج » ، وهناك بعض الشعراءالذين تسموا بهذا الاسم مثل بجير بن الحصين ، أحد بنى ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، أحد الفرسان فى الجاهلية ، وممن أدرك الإسلام .[10]

ومن كتب الاشتقاق التى وصلت إلينا (كتاب الاشتقاق) لأبى بكر محمد ابن‌السرى بن سهل السراج (ت ٣١٦ هـ) الذى أشار إلى دور الاشتقاق فى القوافى والسجع والخطب وتسلطه عليها ، وهو من الظواهر الفريدة التى تدل على فضل لغة العرب على سائر اللغات بهذه التصاريف وكثرتها . ويرى ابن السراج أنه ربما وجدت الشاعر من القدماء الفصحاء يُحوجه الوزن إلى قلب البناء ، أو يحتاج إلى المعنى ، فيشتق له لفظاً يلتئم به شعره . ولهذا ماوقعت الزوائد فى كلام العرب بغير معنى مستفاد .

وكان ابن السراج معتدلاً فى معالجته لما يتصل بالاشتقاق من ظواهر لغوية كالغلو والإسراف فى تلمس الأصل الذى اشْتق منه الاسم أو غيره ؛ لذلك قال : « مما ينبغى أن يُحذر منه غاية الحذر أن يشتق من لغة العرب لشىء قد أخذ من لغة العجم . قال : فيكون بمنزلة من ادّعى أن الطير ولد الحوت » .[11] ويقصد ابن السراج بذلك بعض اللغويين الذين حاولوا بيان اشتقاق الأعجمى من العربى ، ومن أولئك ابن دريد الذى سنعرض له بعد قليل ؛ إذ قال عن « الفردوس » إنه مشتق من « الفَرْدَسَة » ، وأضاف : « والفردسة : السعة ، وصدر مفردس : واسع ، ومنه اشتقاق الفردوس » .[12]

(٩) الاشتقاق للأصمعى : ٧٥ ومابعدها .
(١٠) الآمدى : المؤتلف والمختلف : ٢٦٤
(١١) الاشتقاق لابن السراج : ٤١
(١٢) جمهرة اللغة : ٣/٣٣٣

ومن كتب الاشتقاق التى وصلت إلينا (كتاب الاشتقاق) لأبى بكر محمد ابن الحسن بن دريد الأزدى (ت ٣٢١ هـ) وقد قال فى مقدمته : « وكان الذى حدانا على إنشاء هذا الكتاب أن قوماً ممن يطعن على اللسان العربى ، وينسب أصل التسمية بما لا أصل له فى لغتهم ، وأدى إلى ادعاء مالم يقع عليه اصطلاح من أوليتهم ، وعدوا أسماء جهلوا اشتقاقها ، ولم ينفذ علمهم فى الفحص عنها ، فعارضوا بالإنكار »(١٣) وهو يعنى بهذا أصحاب « الشعوبية »(١٤) . ومع أن غايته كانت التعريض بادعاء الشعوبية ، وأن يجد لكل اسم معناه ، فقد كان لابد له من أن يعترف بعجزه عن إعطاء المعنى الدقيق لعدد كبير نسبياً من الأسماء ؛ لذلك فهو يذكر ـــ أحياناً ـــ احتمالات مختلفة لشرح اسم واحد . وسبب ذلك فى كثير من الأحيان أن لبعض الأصول فى اللغة العربية معانى مختلفة .(١٥)

ابن جنى والاشتقاق : لم يصل إلينا كتاب مستقل يعالج فيه ابن جنى ظاهرة الاشتقاق فى الدرس اللغوى ، ولكن الرجل عقد باباً فى خصائصه تحدث فيه عن الاشتقاق وقد لقى هذا الباب شهرة واسعة فى الأوساط اللغوية وغير اللغوية لما فيه من دقة فى المعالجة ، ووضوح فى عرض مايتصل بالاشتقاق ؛ حتى إن آدم متز قال : « وكذلك ظهرت فى القرن الرابع دراسة جدية للاشتقاق اللغوى ، وبقيت عصراً طويلاً ، وكان أستاذ هذه المدرسة ابن جنى الموصلى . وهو الذى يُنسب إليه ابتداع مبحث جديد فى علم اللغة ، وهو المسمى الاشتقاق الأكبر ، وهو البحث الذى لايزال يؤتى ثمره إلى اليوم ، والذى يختص بمادة الكلمة دون هيئتها ، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا » .(١٦)

---

(١٣) الاشتقاق لابن دريد : ٣/١

(١٤) انظر كتاب : عبقرية العربية فى رؤية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب للدكتور لطفى عبد البديع : ٧٦.

(١٥) الدكتورة فيكا فالتر : أسماء الأعلام العربية من القرن الجاهلى الأخير إلى العصر العباسى : ٢٠٨

(١٦) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع : ٣٣٠

أشار ابن جنى فى بداية حديثه إلى أن الاشتقاق على ضربين : الصغير والكبير ، وقد عرّف الأول بقوله : « فالصغير مافى أيدى الناس وكتبهم ؛ كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه ، وإن اختلفت صيغه ومبانيه . وذلك كتركيب (س ل م) ؛ فإنك تأخذ منه معنى السلامة فى تصرفه ؛ نحو سلم ويسلم ، وسالم ، وسلمان ، وسلمى والسلامة ، والسليم : اللديغ ؛ أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة . وعلى ذلك بقية الباب إذا تأوّلته ، وبقية الأصول غيره ؛ كتركيب (ض ر ب) و (ج ل س) و (ز ب ل) على مافى أيدى الناس من ذلك . فهذا هو الاشتقاق الأصغر » . وقد أثنى ابن جنى على ماقدمه ابن السراج من حديث عن الاشتقاق فى كتابه الذى أشرنا إليه قائلاً : « وقد قدم أبو بكر (ابن السراج) ـــ رحمه الله ـــ رسالته فيه بما أغنى عن إعادته ؛ لأن أبا بكر لم يَألُ فيه نصحاً ، وإحكاماً ، وصنعة وتأنيساً »(١٧) .

« وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة ومايتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه ؛ كما يفعل الاشتقاقيون ذلك فى التركيب الواحد » .

وقد طبّق ابن جنى مفهوم الاشتقاق الأكبر على الجذر المعجمى (ق و ل) قائلاً : « إن معنى (ق و ل) أين وُجدت ، وكيف وقعت ، من تقدم بعض حروفها على بعض ، وتأخره عنه ، إنما هو للخفوف والحركة ، وجهات تراكيبها الستة مستعملة كلها ، لم يُهمَل شيء منها ، وهى : ق و ل ، ق ل و ، و ق ل ، و ل ق ، ل ق و ، ل و ق » . وقد عالج ابن جنى تلك التراكيب الستة كما يأتى :

١ ـــ **ق و ل** : وهو القول ؛ وذلك أن الفم واللسان يخفان له ، ويقلقان ويمذلان به ، وهو بضد السكوت الذى هو داعية إلى السكون ؛ ألا ترى أن

---

(١٧) الخصائص : ٢/ ١٣٤

الابتداء لمّا كان أخذاً فى القول ، لم يكن الحرف المبدوء به إلا متحركاً ، ولما كان الانتهاء أخذاً فى السكوت ، لم يكن الحرف الموقوف عليه إلا ساكناً .

٢ ــ **ق ل و** : منه القِلْو : حمار الوحش ؛ وذلك لخفته وإسراعه . ومنهم قولهم : « قلوت البُسر والسويق ؛ فهما مقلوّان » ؛ وذلك لأن الشىء إذا قلى جف وخف ، وكان أسرع إلى الحركة وألطف .

٣ ــ **و ق ل** : منه الوقل للوعل ؛ وذلك لحركته ، وقالوا : توقل فى الجبل : إذا صعد فيه ؛ وذلك لايكون إلا مع الحركة والاعتمال .

٤ ــ **و ل ق** : قالوا : وَلَق يلق : إذا أسرع . قال القلاخ بن حزن المنقرى يهجو جليداً الكلابى :

إنّ الجليدَ زلــق وزملـــق
كذنبِ العقرب شوّال غلـق
جاءت به عَنْسٌ من الشام تَلِــق

أى تخِفّ وتسرع .

٥ ــ **ل و ق** : جاء فى حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه : « لا آكلُ من الطعامِ إلا مالُوِّق لى » ؛ أى ماخُدِم وأعملت اليد فى تحريكه وتلبيقه حتى يطمئن وتتضام جهاته . ومنه اللّوقة للزُّبدة . وذلك لخفتها وإسراع حركتها ، وأنها ليست لها مُسْكة الجبن وثقل المَصْل ونحوهما .

٦ ــ **ل ق و** : منه اللقوة للعُقَاب ، قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها . قال امرؤ القيس :

كأنى بفتخـــاء الجنـــاحَين لقـــوةٍ دفوفٍ من العِقبانِ طأطأتُ شِمْلالِ

ومنه اللِقوة فى الوجه ، والتقاؤهما أن الوجه اضطرب شكله ، فكأنه خفة فيه ، وطيش منه ، وليست له مُسكة الصحيح ، ووفور المستقيم . واللقوة : الناقة السريعة اللقاح ؛ وذلك أنها أسرعتْ إلى ماء الفحل فقبلته ، ولم تنبُ عنه نُبُوَّ العاقر .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن بعض اللغويين يرى أن هذا الاشتقاق الأكبر

ليس معتمداً فى اللغة ، ولايصح أن يُستنبط به اشتقاق فى لغة العرب ، وإنما جعله ابن جنى بياناً لقوة ساعده ورده المختلفات إلى قدر مشترك ، مع اعترافه وعلمه بأنه ليس هو موضوع تلك الصيغ ، وأن تراكيبها تفيد أجناساً من المعانى مغايرة للقدر المشترك .(١٨)

وبعد هذا العرض نحاول التعرف على مافى علم اللغة من حديث عن « الاشتقاق » .

هناك مصطلحان يتعاملان مع الألفاظ من حيث التعرف على اشتقاقاتها ومعانيها والتطور التاريخى لاستعمالها على الألسنة ، وفى النصوص المختلفة ، وأول هذين المصطلحين هو Derivation الذى يترجم إلى « الاشتقاق » وهو يتعامل مع الكلمات التى يتم توليدها من أصل واحد بواسطة طرق ثلاث :

ـ استعمال السوابق Prefixes وهى مجموعة من المورفيمات المقيدة التى تسبق الجذر المعجمى وتصبح معه كلمة واحدة وذلك مثل Un فى Un happy ، و re فى reread و re write .

ـ استعمال اللواحق Suffixes ، واللاحقة مورفيم مقيد يضاف إلى آخر الكلمة لتكوين كلمة مشتقة ذات معنى مختلف مثل en فى blacken . واللاحقة إما تصريفية inflectional ، أو اشتقاقية derivational . والفرق بينهما هو أن اللاحقة التصريفية تغير معنى الكلمة ولا تغير نوعها مثل لاحقة الجمع فى boys ؛ فى حين أن اللاحقة الاشتقاقية تغير معنى الكلمة وتغير نوعها مثل اللاحقة ment فى movement(١٩)

ـ استعمال الدواخل أو المقحمات أو الأحشاء infixes وهو مورفيم يضاف وسط الكلمة مثل ee فى feet و a فى ran . وهى نوع من أنواع الزوائد .(٢٠)

والاشتقاق بطرقه الثلاث السابقة له أمثلة عربية كثيرة ؛ فأحرف المضارعة عبارة عن مجموعة من السوابق التى تؤدى إلى إنتاج صيغة فعلية جديدة من

(١٨) المزهر : ٣٤٧/١

(١٩) معجم علم اللغة النظرى : ٢٧٤

(٢٠) السابق : ١٣١

لماضى نحو « ذَهَبَ » الذى يتحول إلى أذهب ، يذهب ، تذهب ، نذهب ؛ دلك تعد الهمزة والياء والتاء والنون سوابق .

وحين إلحاق بعض الضمائر بالفعل الماضى فإن تلك الضمائر عبارة عن لواحق ، نحو : ذهبْتُ ، وذهبْتَ ، وذهبتِ .. وسواها . والتاء فى « كاتبة » لاحقة تفيد تأنيث صيغة اسم الفاعل « كاتب » .

والألف فى « قاتل » عبارة عن داخلة ، تم إقحامها فى صيغة « قتل » .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى المصطلح الثانى الذى يتعامل مع المفردات وهو Etymology الذى يترجم إلى « علم أصول الكلمات » أو « علم تأصيل الكلمات » . وقد سبق أن أوضحنا مفهوم هذا المصطلح عند اللغوى السويسرى دى سوسير ، وكيف أن هذا العلم يحاول التعرف على تطور الكلمات ومعرفة تاريخها من حيث استعمالها فى النصوص المختلفة ، حتى إنه يغوص فى البحث داخل العائلات اللغوية المتشابهة لمعرفة هذا التاريخ ؛ لذلك حين عرّف اللغويون هذا المصطلح بالإنجليزية قالوا : The study of the Origins and history of the form and meanings of words ؛ أى إنه يهتم بدراسة أصول الصيغ وتاريخها ومعانى الكلمات .

وهناك نوع من المعاجم يطلق عليه اسم « المعاجم التطورية أو التاريخية » تهتم بما سبقت الإشارة إليه من أمور تتصل بالكلمة ، وتنطلق تلك المعاجم من المفهوم الذى يقول إن اللغات تعيش حياتها كالكائنات الحية ، تتغير وتتطور وتنمو مع نمو الفكر وتقدم الزمن . وفى أثناء ذلك تغير كثيراً من بضاعتها ، فتتخفف مما لم تعد الحاجة تدعو إليه وتضيف ماصار ضروريًّا ، وتحور من بعض الألفاظ فى النطق ، أو الإملاء ، أو المعنى ، أو فحوى المعنى ، أو الاستعمال ، أو الحكم النحوى ، أو بعض الصيغ المشتقة . وكل ذلك يحتاج إلى متابعة ، ويحتاج إلى معجم يساير كل لفظ من لدن مولده ، فى استعمالاته المتطورة ، ويلازمه إلى يوم تأليف هذا المعجم ، أو إلى يوم موت ذاك اللفظ .

كيف تطورت لفظة « الجريدة » منذ الجاهلية إلى اليوم من حيث المعانى ، وماعلاقة الجريدة اليومية فى عصرنا هذا بالجريدة الجاهلية ، وهى قضبان النخل إذا جُرّدت من الخوص ، وكيف تمت المسيرة التطورية بين المعنيين .[21]

كيف تطورت كلمة « الأستاذ » منذ أن كانت فى لغة الفرس قبل الإسلام إلى اليوم ؟ إن أبا منصور الجواليقى (ت ٥٤٠ هـ) يقول عنها : « فأما « الأستاذ » فكلمة ليست بعربية . يقولون للماهر بصنعته : أستاذ ، ولا توجد هذه الكلمة فى الشعر الجاهلى ، واصطلحت العامة إذا عظموا الخصىّ أن يخاطبوه بالأستاذ ، وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذى هو الصانع ؛ لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم ، فكأنه أستاذ فى حسن الأدب ، ولو كان عربيًّا لوجب أن يكون اشتقاقه من « الستّذ » وليس ذلك بمعروف » .[22]

ونلاحظ أن العامة لاتزال تطلق فى العصر الحديث على الماهر فى صنعته لقب « أستاذ » ؛ بل إنه حين يؤدى أحد لاعبى كرة القدم أداء رفيعاً يصفه المعلق الرياضى بأنه « أستاذ » . ونشير إلى أن الحياة الجامعية تستعمل كلمة « أستاذ » للدلالة على أرفع الألقاب العلمية و أعلاها فى تلك الحياة .

وقد حفلت الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات بألفاظ كثيرة عالج المعجميون اشتقاقها ، ومن أمثلة ذلك قول ابن السكيت : « والمنسر مابين الثلاثين إلى الأربعين ، وإنما سمّى منسراً ؛ لأنه مثل منسر الطائر ، يختلس اختلاساً ثم يرجع لايزاحف . قال عروة بن الورد العبسى :

تقول لك الويلاتُ هل أنت تاركٌ ضبوءاً برجلٍ تارةً وبمنسرِ[23]

ونلاحظ أن ابن السكيت أخذ التسمية من شىء مشابه . وقال فى موضع آخر : « هو ينغر عليه : إذا غلا عليه من الغضب ، ويقال : قد تنغّر ، وإنما أُخذ من نغرانِ القِدْر وهو غَلْيُها . ويقال : قد شَرَى ، وهو أن يتمادى ويتتابع فى غضبه ، ويقال : شرى البرق وهو يشرى : إذا كثر لمعانه » .[24] فابن

(٢١) الدكتور حسن ظاظا : كلام العرب ١٤٤
(٢٢) المعرب : ٧٣
(٢٣) الألفاظ : ٤٦
(٢٤) السابق : ٧٩

السكيت اشتق من « غليان القدر ونغرانه » فعلاً للدلالة على الإنسان إذا غلا في غضبه ، وهذا نوع من التوسع في الدلالة ؛ إذ إن حالة القدر تماثل ــ بعض الشيء ــ حالة الإنسان الذى يسيطر عليه الغضب من حيث الاضطراب . كذلك نجد البرق يروح ويأتى ولايظل على حالة بعينها ، وهناك بعض حالات الغضب التى تماثلها فأتى ابن السكيت بالفعل « شرى » للدلالة على ذلك ، وهو يدل فى الوقت نفسه على البرق إذا كثر لمعانه .

ويعادل ماقاله ابن السكيت ماورد فى « النخل والكرم » حول أسماء الخمر . قال أبو حاتم : « يقال لها : العُقار ؛ لأنها عاقرت الدنّ زماناً ، ويقال : قد عاقر الرجلُ الشربَ إذا لزمته ، والقَرْقَف التى يقرقف عنها صاحبها تأخذه عنها رعدةٌ ، والحُميًا سورة الشراب وصدمته فى الرأس وحميا كل شيء شدتُه ، والمعتقة : التى أطيل حبسها فى الدن ، والكُميت لون الخمر إلى الكمتة » .[٢٥] وهنا نجد أن أسماء الخمر قد اشتقت من بعض الحالات الخاصة بها فـ « العقار » من المعاقرة للدن ، وملازمة الرجل للشراب ، و « القرقف » من الحالة التى يشعر بها شارب الخمر .. وهكذا .

وحين عالج ابن الأعرابى بعض الأسماء التى تطلق على « البئر » ربط ذلك بالماء من حيث وفرتها وقلتها ، وبالغَرْف باليد وعدمه . قال : « بئر جموم : سريعة رجوع الماء . ويقال للماء إذا خرج من عيونه فارتفع فى البئر : جَمَّ يَجُمُّ جَمًّا ، والماء نفسه : الجمُّ ... وإذا كان يُغرف منها باليد قيل : بئر غروف » .[٢٦] ومن هنا فإن ابن الأعرابى أخذ من الفعل « جَمَّ » الدال على خروج الماء من عيونه وارتفاعه فى البئر الصفة « جموم » وأطلقها على البئر ؛ فقال « بئر جموم » . وأخذ من الغرف باليد صفة أخرى أطلقها على البئر وهى « غروف » .

وتوقَف قُطرب أمام كلمة « الزِّبْرِقان » الدالة على الخفيف اللحية قائلاً :

---

(٢٥) النخل والكرم : ٩٣

(٢٦) البئر : ٦٢ ومابعدها .

« ويقال : زَبْرَق فلانٌ عمامته ؛ أى حمَّرها . وكأن الزبرقان بن بدر[27] من ذلك ، وأظنه كان يلبس ذلك فسُمِّى به » .[28] وواضح أن هناك صلة بين الاسم « الزبرقان » والفعل « زبرق » بمعنى : حمَّر عمامته .

ومن التراكيب المتداولة فى البيئة العربية قولهم « القمر الباهر فى الليالى البيض » كأن القمر يبهَرُ السواد كلّه ، وقال المُسيَّب بن علس :

إذْ فارسُ الميمـــــونِ يتبعهـــــم كالطَّلْـــقِ يتبـــعُ ليلـــةَ البَهْـــرِ

وقالوا « ليلة البدر » وإنما سُمِّى بدراً لمبادرته الشمس فى ليلها ونهارها .. وقالوا « أَبْدَرَ القمرُ » صار بدراً . ويقال : غلامٌ بَدْرٌ : إذا امتلأ شباباً قبل أن يحتلم .[29]

واهتم قطرب بتعليل أسماء الشهور وبيان اشتقاقها ، ومن النصوص الدالة على ذلك قوله : « ثم الشهور : فالمحرم سُمِّى المحرم ؛ لأنه حُرِّم فيه القتال . وصفر : كانوا يخرجون فيه إلى بلاد يقال لها : الصُّفَرية ، يمتارون منها . وربيعٌ الأول والآخِر لارتباع القوم والمقام . والرباعى : العِيَرات والعِيرات معها القوم يمتارون عليها التمر ؛ وذلك فى أول الربيع . وجُمادى الأولى وجُمادى الآخِرة : لجمود الماء فيهما ، وكانا يسميان : شِيبان ومِلْحان . ورَجَبٌ لضرب من الفزع ؛ يقال : رَجِبَ الرجلُ يرجبُ : إذا فزع ، ورجبتُ الرجلَ رجباً : هبتُه ؛ ويقال : عِذْقٌ مُرَجَّبٌ ؛ أى معمود ...

ورجبٌ أيضاً هو الأصمُّ ويسمى مُنصِلَ الأسنة ؛ لأنه كانت تُنتزع فيه الأسنة للأمن والكف عن القتال ، وقال قوم : إنما سُمِّى الأصمَّ ؛ لأن السلاح يُغمد فيه فلا يُسمعُ وَقْع الحديد بعضِه على بعض . وأما شعبان فلتشعب القبائل واعتزال بعضهم بعضاً . ورمضان لشدة الرمض فيه والحر ، يكون فَعلان من ذلك . وأما شوال فلشولان الإبل فيه بأذنابها ؛ لأنها تشُول بها عند اللقاح ، ويقال لها عند ذلك : الشُّوَّل ، إذا لقحتْ ، فهى شائل ، وقالوا فى الجميع :

---

(٢٧) صحابى (ت ٤٥ هـ) . انظر : أسد الغابة : ٢٤٧/٢ ؛ والإصابة : ٥٥٠/٢

(٢٨) الأزمنة : ١٨

(٢٩) السابق : ٢٠ ومابعدها

نوق شُولان . وذو القعدة لقعودهم فيه لايبرحون . وذو الحجة لحجهم فيه ، وكانوا يحجون ويلبون فى حجهم فى الجاهلية »[٣٠] . ويدل هذا النص على أن أسماء الشهور الهجرية تم اشتقاقها من بعض الصفات والأفعال ؛ فالمحرم سُمّى كذلك لأنه حُرّم فيه القتال ، وصفر للخروج إلى بلاد يقال لها الصفرية ، وربيع لارتباع القوم والمقام ، وجُمادى لجمود الماء ، وشعبان لتشعب القبائل واعتزال بعضهم بعضاً .. وهكذا .

* * *

وبعد هذا العرض للاشتقاق وماورد منه فى الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات ، نتوقف أمام ظاهرة لفظية تتصل به وهى :

النحت : ويُعرف «النَّحْت » بأنه ضربٌ من ضروب الاشتقاق ، والعرب تنحِتُ من كلمتين وثلاثِ كلماتٍ كلمةً واحدةً ، وهو جنس من الاختصار كقولهم : رجل عبشميٌّ ، منسوب إلى عبد شمس ، وأنشد الخليل :

أقـولُ لها ودمـعُ العيـنِ جارٍ   ألم يحزنك حيعلـة المنـادى

من قولهم « حيَّ على الصلاة » .

وقد اهتمت معاجم الموضوعات بالإشارة إلى الأقوال المتداولة على الألسنة التى تم نحت ألفاظ منها ، ومن ذلك : « البسملة حكاية قول : بسم الله . السَّبْحلة حكاية قول : سبحان الله . الهيللة حكاية قول : لا إله إلا الله . الحوقلة حكاية : لاحول ولاقوة إلا بالله . الحمدلة حكاية قول : الحمد لله . الحيعلة حكاية قول المؤذن : حى على الصلاة حى على الفلاح . الطلبقة حكاية قول : أطال الله بقاءك . الدمعزة حكاية قول : أدام الله عزَّك . الجعلفة حكاية قول : جُعلت فِداءك »[٣١] .

ويعرِف المحدثون النحت بقولهم : « أنْ تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمةً فذةً ، تدل على ماكانت تدل عليه الجملة

(٣٠) الأزمنة : ٣٧ ومابعدها .

(٣١) فقه اللغة وسر العربية : ٣١٣

نفسها » .[٣٢] وهو على أربعة أقسام :

١ ــ النحت الفعلى : وهو أن تنحت من الجملة فعلاً ، يدل على النطق بها ، أو على حدوث مضمونها ؛ مثل : « جَعْفَلَ » إذا قال لآخر : جُعلت فداءك ، و « بَسْمَلَ » إذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم .

٢ ــ النحت الوصفى : وهو أن تنحت من كلمة واحدة ، تدل على صفة بمعناها أو بأشد منه ؛ مثل : « ضِبَطْر » للرجل الشديد ، من « ضبط » و « ضبر » ، وفى « ضبر » معنى الشدة والصلابة .

٣ ــ النحت الاسمى : وهو أن تنحت من كلمتين اسماً ؛ مثل : « جُلْمُود » من « جمد » و « جلد » ، ومثل « حبْقُر » للبرد ، وأصله « حبُّ قُرّ » .

٤ ــ النحت النسبى : وهو أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلى بلدتى طبرستان وخوارزم ــ مثلاً ــ فتنحت من اسميهما اسماً واحداً على صيغة اسم المنسوب ، فتقول « طبرخزى » ونحو ذلك .[٣٣] .

وإذا نظرنا فى الكلمات المنحوتة من حيث اللفظ ، وقارنَّا كل واحدة منها بأصولها ، ألفينا تأثير النحت عليها غير متساوٍ . ويمكن تلخيص هذا التأثير فى النقاط الآتية :

١ ــ يحدث اختزال فى الكلمتين ويكون متساوياً فى كلتيهما ، فيُحذف من كل منهما حرف كما فى « عبشمى » من عبد شمس ، أو حرفان كما فى « سَبْحَلَ » من سبحان الله .

٢ ــ يحدث اختزال غير متساوٍ فى كلتيهما ، كأن يُحذف من الأولى حرفٌ ومن الثانية حرفان كما فى « أَيْشٍ » إذ هى من : أىّ شىء ؛ فحذف من الأولى حرف التضعيف (الياء) ، ومن الثانية حرفا الياء والهمزة .

(٣٢) عبد القادر المغربى : الاشتقاق والتعريب ١٣.

(٣٣) السابق : ١٣ ومابعدها ؛ وفصول فى فقه العربية : ٣٠٢

٣ ــ يحدث اختزال فى إحدى الكلمتين دون الأخرى بحيث تبدو إحداهما كاملة فى الصيغة المنحوتة كما فى « تَيْمُلِيّ » من تيم اللات ؛ إذ حدث الحذف من الثانية « اللات » دون الأولى . ومثلها « حَبْرَم » من : حبّ الرمان ؛ إذ حدث الحذف فى الثانية دون الأولى أيضاً .

٤ ــ يكون الاختزال كَلِميًّا لا حرفيًّا فى كثير من الصيغ المنحوتة كما فى « مَشْكَنَ » من : ماشاء الله كان ؛ إذ حُذِفَ لفظ الجلالة ، ومثل « حَوْقَلَ » من : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ إذ حُذفت عدة كلمات هى : لا ، وإلا ، ولفظ الجلالة ، فضلاً عن حذف عدد من الحروف فى العبارة الأولى ، وهى الألفات فى : ما ، وشاء ، وكان ، والهمزة أيضاً .(٣٤)

ومن المفيد الإشارة إلى أن الخليل بن أحمد هو أول من تحدث عن النحت وفطن إليه ، وقد عرّفه بأنه أَخْذُ كلمة من كلمتين متعاقبتين، ، ومثل له بقولهم « عبشمى » وأنشد قول الشاعر :

وتضحكُ منى شَيْخَــةٌ عبشميَّــةٌ كأنْ لم تَرَى قبلى أسيراً يمانيَـــــا

نسبها إلى عبد شمس ؛ فأخذ العين والباء من « عبد » وأخذ الشين والميم من « شمس » وأسقط الدال والسين ؛ فبنى من الكلمتين كلمة ؛ فهذا من النحت .(٣٥)

وقد أوضح الخليل العلاقة بين النحت والاشتقاق ، مشيراً إلى أن العرب ربما اشتقت من الاسم بعد نحته اسماً أو فعلاً ؛ فقالوا : حيعلة وحيعل . قال الشاعر :

فبـات خيـالُ طيـفك لى عنيقـاً إلى أنْ حَيْعَـلَ الداعــى الفلاحـــا

ثم قال الخليل : « فهذه كلمة جُمعت من « حيّ » ومن « على » وتقول : حَيْعَلَ يحيعلُ حيعلةً ، وقد أكثرتُ من الحيعلة ؛ أى من قولك « حى على » . وهذا يشبه قولهم : تَعَبْشَم الرجلُ وتَعَبْقَسَ ، ورجل عبشمى ، إذا كان من عبد شمس أوَ من عبد قيس ؛ فأخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً » .(٣٦)

(٣٤) انظر : المباحث اللغوية فى العراق للدكتور مصطفى جواد ٩٣ ومابعدها .

(٣٥) كتاب العين : ١/٦٩

(٣٦) السابق : / ٦٠ ومابعدها

ويعد أبو الحسين أحمد بن فارس إمام القائلين بالنحت بين القدماء من اللغويين العرب ؛ حتى إنه بالغ فى ذلك تماماً ، والدليل على ذلك قوله : « اعلم أن للرباعى والخماسى مذهباً فى القياس ، يستنبطه النظر الدقيق ؛ وذلك أن أكثر ماتراه منه منحوت ، ومعنى النحت : أن تُؤخذ كلمتان ، وتنحت منهما كلمة تكون آخذةً منهما جميعاً بحظ » .(٣٧) ولقد كان ابن فارس أميناً ومنصفاً حين أشار إلى ريادة الخليل فى الحديث عن النحت . ومن أمثلة المنحوت عند ابن فارس : « البُحْتُر : وهو القصير المجتمع الخَلْق ؛ فهذا منحوت من كلمتين : من الباء والتاء والراء ، وهو من : بترتُه فبُتِرَ ، كأنه حُرِمَ الطول ، فبتر خلقُه . والكلمة الثانية : الحاء والتاء والراء ، وهو من : حَتَرْتُ وأحترتُ ؛ وذلك ألا تُفْضِلَ على أحد ، يقال : أَحْتَرَ على نفسه وعياله ؛ أى ضيَّق عليهم ؛ فقد صار هذا المعنى فى القصير ؛ لأنه لم يُعْطَ ماأعْطِيَهُ الطويل » .(٣٨)

وقد اهتم المحدثون من المشتغلين بالدراسات اللغوية بالنحت ، وأشار أولمان إليه فى قوله : « ربما لا يستطيع المتكلم أن يفصل بين كلمتين وردتا إلى ذهنه دفعة واحدة ، وربما تتداخل الكلمتان فيما بينهما تداخلاً تامًا ، والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الزلة وجود كلمة هى خليط من عناصر مختلفة ، أو صيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق المزج بينهما Contamination أو تكوين كلمة صناعية مشتملة على مزيج من أصوات كلمتين أخريين وجامعة لمعنييهما .. وأكثر الكلمات التى تكون بهذه الطريقة ذات عمر قصير ، غير أن قدراً غير يسير منها قد يُكتب له البقاء فيستقر فى اللغات ككلمات جديدة ... ومن هذا brunch التى تتكون من breakfast و Lunch .. » .(٣٩)

وأطلق اللغويون على النحت مصطلح Haplology وهو مصطلح صوتى فى الأغلب الأعم ؛ لأنهم ينظرون إليه على أنه حذف بعض أصوات الكلمة

---

(٣٧) مقاييس اللغة : ٣٢٨/١

(٣٨) السابق : ٣٢٩/١

(٣٩) دور الكلمة فى اللغة : ١٥٦

للتخفيف حين نطقها بواسطة أبناء اللغة ، ويشترط فى تلك الأصوات التى يتم حذفها أن يكون بينها وبين ماهو مثبت بعض التشابه النطقى ؛ وذلك مثل كلمة probably التى تتحول إلى prabli ، و temporary التى تتحول إلى tempri ، ومن هنا فإنه يمكن ترجمة المصطلح إلى « الاختزال الصوتى » . ونشير إلى أن هذا المصطلح ؛ أى Haplology ربما يتناول اختزال عدة كلمات لتصبح كلمة واحدة على نحو مايحدث فى اللغة العربية ، يدلنا على ذلك الفارق بين كلمتى England و Englaland ؛ إذ إن الثانية مأخوذة من Land of the Angles .

* * *

وبعد هذا الحديث عن الاشتقاق والنحت ننتقل إلى الحديث عن ظاهرة لفظية أخرى ، لقيت اهتمام الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات وهى « المعرَّب » .

المعرب

أشارت الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات إلى الكثير من الألفاظ غير العربية ، وهى تندرج تحت مصطلح « المعرَّب » وغيره ، وقبل الدخول فى التعرف على تلك الألفاظ نتوقف أمام بعض المصطلحات التى تستخدم فى مجال التأصيل اللغوى للمفردات ، وهى على النحو الآتى :

١ ــ **المعرب** : ويُطلق على اللفظ الأجنبى الذى غيره العرب بالنقص فى حروفه أو الزيادة أو القلب ، وهذا اللفظ استعاره العرب الخُلّص من أمة أخرى فى عصر الاحتجاج اللغوى .

ومن أمثلة المعرب كلمة « الآجُر » وهو اللَّبِن المحرَق المعد للبناء ، وهو فارسى معرب ، وفى تلك الكلمة عدة لغات : آجُرٌّ ، آجُرّ ، آجُورّ ، ياجُورّ ، آجُرُون ، آجِرُون .

وقد وردت الكلمة بلغاتها المختلفة فى الشعر ، ومن شواهد ذلك قول أبى دُوادٍ الإيادى :

ولقد كان ذا كتائبَ خُضْرٍ وبلاطٍ يشاد بالآجُرُونِ

ويروى « بالآجِرون » . وقال أبو كدراء العجلى :

بَنى السُّعاة لنا مجداً ومَكْرُمَةً لا كالبناء من الآجُرِّ والطينِ

وقال ثعلبة بن صُعَيْرٍ المازنى :

تُضْحِى إذا دَقّ المطىُّ كأنها فَدَنُ ابنِ حيةَ شاده بالآجُرِ

ومن أمثلة المعرب أيضاً كلمة « الجورب » ، وهو لفافة الرِّجْل ، ويجمع على جوارب وجواربة ، ويرى بعض اللغويين أن هذا اللفظ قد كثر حتى صار كالعربى ، على الرغم من أنه معرب عن اللفظة الفارسية « كورب » . وقد ورد اللفظ فى شعر رجل من بنى تميم يخاطب عمر بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ :

انبِذْ برملة نبذَ الجوربِ الخَلَقِ وعِشْ بعيشةَ عيشاً غير ذى رَنَقِ[1]

٢ ــ **الدخيل** : وهو اللفظ الأجنبى الذى دخل العربية دون تغيير ، وقد استعاره العرب من لغة أخرى فى مرحلة متأخرة من حياة العربية عن عصور العرب الخُلّص الذين يحتج بلسانهم .

ومن أمثلة الدخيل « الآبنوس » مأخوذ من اليونانية ، وهو شجر كبير من أجود الأشجار الخشبية ، خشبه أدكن اللون إلى السواد ؛ لتراكم الصمغ والراتينج عليه ، وهو صُلب ثقيل لا يطفو على الماء ، أوراقه مركبة ريشية ، وينبت بالسودان والحبشة ، ويوجد فى سيلان وجنوبى الهند . قال ابن المعتز يذكر صاحبته :

ضحكت شِرٌّ إذ رأتنى قد شبتُ وقالت : قد فُضِّضَ الأبنوسُ

وقال أسامة بن منقذ يستهدى ابنه مُرهِفاً عصا :

أريد عصا من آبنوسَ تُقلّنى فإن الثمانين استعادتْ قُوىَ رِجْلى

ولم يعرفه الفرس والعرب حتى القرن الثالث الهجرى إلا دواء ، وهو وإن كان معروفاً منذ القدم عند الساميين الذين كانوا يجلبونه من الهند والحبشة لم ينتفع به إلا قليلاً فى صدر الإسلام ، وذلك لندرته ؛ وكان يستخدم هو والعاج فى صنع

---

(١) رملة : هى أخت طلحة بن عبد الله الخزاعى ، وعيشة : هى عائشة ، والأفصح استعمالها مهموزة لا كما استعملها الشاعر ، والرنق : الكدر .

قطع الشطرنج والنرد ، كما استخدم فى الأثاث والأبواب .[2]

٣ ــ **المُولّد** : وهو اللفظ الذى استعمله الناس قديماً بعد عصر الرواية ، أو هو لفظ عربى البناء اكتسب دلالة جديدة عن تلك التى كان العرب يعرفونها .

وهناك ألفاظ كثيرة مولدة ؛ وذلك نحو « الطُّفَيْلى » التى لا توجد فى العتيق من كلام العرب ، وأصلها أتى من أن رجلاً بالكوفة يقال له طُفَيْل ، يأتى الولائم من غير أن يُدْعَى إليها فنسب إليه .

ومن الكلمات التى تنسب إلى أهل الحاضرة دون أهل البادية قولهم « قَحْطِى » للرجل الذى إذا أكل لايبقى من الطعام ولا يَذَرُ ، وهو منسوب إلى القحط لكثرة أكله ، كأنه نجا من القحط .

وتدل كلمة « السيارة » على القافلة كما فى قوله تعالى : (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم) .[3] وقد تم توليد معنى جديد للسيارة ؛ فهى عربة آلية سريعة السير تسير بالبنزين ونحوه ، وتستخدم فى الركوب أو النقل ، وهذا المعنى مُحْدَثٌ ؛ لأنه قد استعمله المحدثون وشاع فى لغة الحياة العامة .

و « النِّحرير » بمعنى الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير بكل شىء ، ليس من كلام العرب ، وهى كلمة مولدة .

وقولهم « أيام العجوز » ليس من كلام العرب فى الجاهلية ؛ إنما وُلِّد فى الإسلام ، وهى خمسة أيام ، أول يوم منها يسمى « صِنًّا » ، وثانى يوم يسمى « الصِّنَّبر » ، وثالث يوم يسمى « وَبْراً » ، والرابع يسمى « مطفىء الجمر » ، والخامس « مكفىء الظعن » . وهناك من يقول إن تلك الأيام سبعةٌ فى أواخر الشتاء : أربعة من آخر فبراير ، وثلاثة من أول مارس .

وهناك بعض القضايا الخلافية حول المعرب والدخيل والمولد ، قبل أن نعرض لها ، نتوقف أمام مجموعة من الألفاظ التى وردت فى الرسائل اللغوية

(٢) مجمع اللغة العربية : المعجم الكبير ، الجزء الأول ، حرف الهمزة ١٣

(٣) يوسف / ١٩

ومعاجم الموضوعات ، وهى ليست من اللغة العربية ، ومن تلك الألفاظ مايأتى :

١ ـــ الإسْفَنْطُ : قال عنها ابن السكيت : « اسم بالرومية معرب ، وليس بالخمر ، وإنما هو عصير العنب ، ويسمى أهل الشام الإسفنط : الرَّسَاطُون ، يُطبخ ويُجعل فيه أفواه ثم يُعتَّق » . ويرى بعض اللغويين أن الإسفنط الخمر ؛ بل هى أعلى الخمر وأصفاها . قال الأعشى :

وكأنَّ الخمرَ العتيقَ من الإسفنطِ ممزوجةً بماءِ زلالِ
باكرتْها الأغرابُ فى سِنَةِ النومِ فتجرى خلالَ شوكِ السَّيالِ

٢ ـــ الفِصْفِصَةُ : وهى بمعنى الرَّطبَة ، أو القت ، أو رطب القت ، أو القصب ، وتجمع على « الفَصَافِص » . قال أعشى بن قيس :

ألم تَرَ أنَّ الأرضَ أصبح بطنُها   نخيلاً وزرعاً نابتاً وفَصَافِصَا

والكلمة فارسية معربة ، وأصلها بالفارسية « إسْبَسْتْ » . قال الشاعر :

وقارفتْ وهى لم تُجْرَبْ وباع لها   من الفصافصِ بالنُّمِّى سِفْسِيرُ[٥]

٣ ـــ القيروان : أصله بالفارسية « كَارْوَانْ » فعُرِّب . قال امرؤ القيس :

وغارةٍ ذاتِ قيروانٍ   كأن أسرابَها الرِّعالُ

والقيروان : معظم الجيش ، والقافلة .[٦]

٤ ـــ التوت : هو فارسى معرب ، وأصله « التوث » فأعربته العرب فجعلت التاء ثاء ، وألحقته ببعض أبنيتها .[٧] وورد بأصله الفارسى فى قول أحد

---

(٤) الألفاظ : ٢١٥ ؛ والمعرب : ٦٦ . والزلال : الصافى ، والأغراب : جمع غرب ، وهو تحديد الأسنان ، وغَرْبُ كل شيء : حده ، وأراد أن يقول : باكرتها الأسنان فقال : باكرتها الأغراب ، والسِّنَة : النعاس ، والسيال : شجر له شوك أبيض شديد البياض ، يُشبَّه بياض الأسنان به ؛ أى : فيجرى الريق ، وهو كالخمر ، خلال أسنانها ، التى هى كشوك السَّيال .

(٥) قارفت : قاربت ، وقارف الشيء : داناه ، والنمى : فلوس رصاص كانت تتخذ أيام بنى المنذر ، يتعاملون بها ، والسفسير : السمسار ، وهى لفظة فارسية .

(٦) الألفاظ : ٥٤

(٧) كتاب النخل : ٧٣

الأعراب :

لروضةٌ من رياض الحزنِ أو طرَفٌ من القُرَيْــــة حَزْنٌ غير محروثِ
أحلى وأشهى لعيني إن مررتُ به من كَرْخ بغدادَ ذى الرمان والتوث

٥ ــ السَّجَنْجَل : المرآة بالرومية ، وقيل : هى سبيكة الذهب ، وقيل : الزعفران ، وقيل : ماء الذهب . قال امرؤ القيس :

مُهفهفــةٌ بيضاء غيــرُ مُفَــاضةٍ ترائبُها مصقولةٌ كالسجنجــلِ[٨]

٦ ــ السِّجِلاَّط : مأخوذة من الرومية « سِجِلاَّطُسْ » وتم تعريبه ، وورد فى قول حميد بن ثور :

تخيَّــرن إمَّــا أُرْجُوانــاً مُهَذَّبــاً وإمَّا سِجِــلاَّطَ العــراقِ المختَّمــا

ولتلك اللفظة عدة معانٍ ؛ فهى اسم للياسمين ، والكساء الكحلى ، وشىء من صوف تلقيه المرأة على هودجها ، وهى ثياب كتان مَوْشية كأن وشيه خاتم . وقد أدى هذا الاختلاف فى الدلالة إلى لجوء الأصمعى لسؤال عجوز رومية عن اللفظة التى تدل على النمط يطرح على الهودج ؛ فقالت : سجلاطس ، وهو يمسك هذا النمط بيديه .[٩]

٧ ــ سُليمَانُ : اسم النبى عليه السلام ، عبرانى ، وقد تكلمت به العرب فى الجاهلية ، وورد فى شعر النابغة . قال :

إلا سليمــان إذ قال الإلـــهُ له قم فى البرية فاحددها عن الفَنَــدِ[١٠]

وإنما سمَّى الناسُ بهذا الاسم لما شاع الإسلام ونزل القرآن الكريم ، فسمَّوْا به كما سموا بإبراهيم وداود وإسحق وغيرهم من أسماء الأنبياء على معنى التبرك .[١١]

٨ ــ سِنِمَّارٌ : اسم أعجمى ، وقد تكلمت به العرب ، وجرى به المثل ، فقالوا : « جزاءُ سنمارٍ » . قال أبو عبيد : وكان من حديثه فيما يحكيه العلماء :

---

(٨) مهفهفة : ضامرة البطن ، ومفاضة : كبيرة البطن ، والترائب : النحر ، ومصقولة : مجلوة ، والسجنجل فى اللاتينية Sexangulus ؛ أى ذات الزوايا الست .

(٩) الجمهرة : ٣/٤٠٤

(١٠) احددها : امنعها ، والفند . الكذب

(١١) المعرب : ٢٣٩

أنه كان بنّاءً مجيداً ، وهو من الروم ، فبنى الخورنق الذى بظهر الكوفة ، للنعمان بن امرىء القيس ، فلما نظر إليه النعمان كره أن يعمل مثله لغيره ، فألقاه من أعلى الخورنق ، فخرَّ ميتاً ، وفيه يقول القائل :

جزتْنا بنو سعدٍ بحسن بلائنا جزاء سنمارٍ وما كان ذا ذنبِ

ويقال : إنه قال للنعمان : إن أخذتَ هذا الحجر من هذا الموضع من البناء تداعى كله فسقط ، فقتله لذلك .

وعلّق بعضهم على قول البُريق بن عِياضٍ :

جزتْنى بنو لحيان حقن دمائهم جزاء سنمارٍ بما كان يفعل

بقوله : « سنمار » غلام أحيحة بن الجُلاح الأنصارى ، وكان بنى له أُطُماً ، فقال : لايكون شىء أوثق من بنائه ، ولكن فيه حجر إن سُلّ من موضعه انهدم الأطُم ، فقال له : أرنيه ، فأصعده ليُريه ؛ فرمى به من الأطم فقتله ؛ لئلا يعلّمه أحداً .(١٢)

٩ ــ الشاهين : طائر معروف ، فارسية ، وهو نسبة إلى « شاه » بالفارسية بمعنى السلطان ، وجمعه شواهين وشياهين ، وقد تكلمت به العرب . قال الفرزدق :

حِمى لم يحُطْ عنه سريعٌ ولم يخفْ نويرة يسعى بالشياهين طائره(١٣)

١٠ ــ المَسَاتِق : فراء طول الأكمام ، مفردها « مُستُقة » ، وأصلها بالفارسية « مُشْتَهْ » فعُرّب ، ورُوى عن عمر ــ رضى الله عنه ــ أنه كان يصلى وعليه مشتقة . وعن أنس بن مالك : « أن ملك الروم أهدى إلى رسول الله ﷺ مشتقة من سندس ، فلبسها رسول الله ﷺ ؛ فكأنى أنظر إلى يديها تذبذبان (أى تضطربان وتتحركان) ، فبعث بها إلى جعفر ، فلبسها جعفر ، ثم جاء ، فقال رسول الله ﷺ : إنى لم أبعث بها إليك لتلبسها ، قال : فما أصنع بها ؟ قال : أبعث بها إلى أخيك النجاشى » . وأنشد :

---

(١٢) السابق : ٢٤٣

(١٣) سريع : عامل كان للسلطان على حمى العراق . يريد : رعت هذه الوحوش بهذه الرياض العازبة ، التى لا يفزع طائره ، ولايرعى بها سريع إبل السلطان ، فتنفر وحوشها .

إذا لبستْ مساتقهـــا غنـــــىٌّ فياويـــحَ المساتـــقِ مالقينـــا[14]

هذه هي بعض الألفاظ التى وردت فى الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات ، وتندرج تحت لغات أخرى غير العربية . ونحاول التعرف على بعض القضايا المتصلة بالألفاظ غير العربية ، ويمكن تقديمها خلال النقاط الآتية :

أولاً : يعد الاتصال بين الشعوب من الظواهر الشائعة عبر العصور فى الحياة البشرية ، وقد اتصل العرب بالأمم المجاورة لهم كالفرس والروم والسريان والنبط والأحباش وسواهم ، وأدى هذا الاتصال إلى الاحتكاك اللغوى المباشر بين العربية ولغات أولئك القوم ؛ لذلك تسربت ألفاظ كثيرة إلى اللغة العربية من تلك اللغات ، ومن هنا فإن العلماء يرون أن تطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خارجى ، يعد أمراً مثالياً ، لا يكاد يتحقق فى أية لغة ؛ بل على العكس من ذلك ، فإن الأثر الذى يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيراً مايلعب دوراً هامًا فى التطور اللغوى ؛ ذلك لأن احتكاك اللغات ضرورة تاريخية ، واحتكاك اللغات يؤدى حتماً إلى تداخلها .[15]

وقد تنبه الجاحظ لدور الاحتكاك بين الأمم فى ظهور التبادل اللفظى ؛ أى حين استعمال بعض المفردات الذى هو أعظم نواحى التأثر والتأثير اللغوى ظهوراً . قال « ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس فى قديم الدهر عَلِقوا بألفاظ من ألفاظهم ؛ ولذلك يسمون البِطِّيخ الخِرْبِز ، ويسمون السَّميط الروذق[16] ، ويسمون المصوص المزوز[17] ، ويسمون الشطرنج الاشترنج ، إلى غير ذلك من الأسماء . وكذا أهل الكوفة فإنهم يسمون المِسْحَاة بال[18] ، وبال بالفارسية . ولو علق ذلك لغة أهل البصرة ، إذا نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب ، كان ذلك أشبه ؛ إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النبط وأقصى

---

(١٤) المعرب : ٣٥٩

(١٥) فندريس : اللغة ٣٤٨

(١٦) السميط : إلقاء الحيوان فى الماء الحار بعد ذبحه لنتف ريشه أو صوفه أو وبره .

(١٧) المصوص : طعام يتخذ من اللحم فيطبخ ثم ينقع فى الخل .

(١٨) المسحاة : المجرفة التى يجرف بها الطين والوحل .

بلاد العرب ، ويسمى أهل الكوفة الحوك باذروج[19] ، والباذروج بالفارسية ، والحوك كلمة عربية . وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مَرْبَعَةً ، ويسميها أهل الكوفة الجهارسو ، والجهارسو بالفارسية ، ويسمون السوق أو السويقة وازار ، والوازار بالفارسية ، ويسمون القِثّاء خياراً ، والخيار فارسية ، ويسمون المجزوم ويذى بالفارسية » .[20]

وقد استعمل الشعراء فى شعرهم الكثير من الألفاظ غير العربية ، ويأتى على رأسهم الأعشى ميمون بن قيس الذى يعد رائداً فى هذا المجال . واهتم نقاد الشعر بالنظر فى الألفاظ من حيث أصالتها فى العربية أو عدم أصالتها ؛ بل إن واحداً من كبار اللغويين هو ابن قتيبة لفت نظره مقدرة أوس بن حجر على أن يجمع ثلاثة ألفاظ غير عربية فى بيت واحد ، وهو قوله :

وقارفتْ وهى لم تُجْرَبْ وباع لها   من الـفصافص بالنمِّىِّ سِفْسِيـــرُ

الذى أشرنا إليه من قبل .[21]

ولعله من المفيد الإشارة إلى أن ظاهرة الاقتراض اللغوى ليست وقفاً على العربية ؛ بل هى من الظواهر الشائعة فى اللغات ، لذلك يرى ماريو باى Mario Pei أن الإنجليزية اقترضت من لغات أخرى كثيرة : أوربية ، وآسيوية ، وإفريقية ، وهندية ، وأمريكية وغيرها من اللغات التى اتصل بها المتكلمون من الإنجليز ، ويرى أيضاً أن هناك طريقين ممكنين لهذا الاقتراض ؛ أولهما : أن تأخذ اللغة المقترضة الكلمة وتخضعها لقوانينها الصيغية والصوتية ، كما حدث للكلمة الفرنسية القديمة Verai التى تحولت إلى Very ، وفى تلك الحالة يكون عندنا كلمة مقترضة Loan word . والآخر : أن تترجم اللغة المقترضة وحدات الكلمة المقترضة ترجمة حرفية إلى كلمة وطنية . وفى تلك الحال يكون عندنا ترجمة مقترضة Loan translation . والكلمة الإنجليزية expression مأخوذة من الكلمة اللاتينية expressio ، فهى لذلك كلمة مقترضة . أما الكلمة الألمانية

(١٩) الحوك : البقلة الحمقاء (الرجلة) .

(٢٠) البيان والتبيين : ٣٢/١ ومابعدها .

(٢١) انظر : الشعر والشعراء ٢٠٦/١ ومابعدها .

Ausdruck فمأخوذة من كلمة لاتينية مطابقة لها ؛ فهى لذلك ترجمة مقترضة .[٢٢]

ثانياً : اهتم القدماء من علماء العربية حين استعمال الألفاظ المعربة بإجرائها على الأوزان المألوفة لدى أبناء العربية ، ويعد هذا الإجراء على الأوزان منهجاً يميز هذا الاستعمال ، فى الأغلب الأعم ، ومن أمثلة ذلك الكلمة الفارسية « لِغَام » التى عُربت إلى « لجام » ، وقد قالوا فى جمعه « لُجُم » ، وصغروه على « لُجَيِّم » ، وصغروه مرخماً « لُجَيْماً » على حذف الألف الزائدة ، واشتقوا منه الفعل أمراً وغيره ، فقالوا : « أَلْجِمْه ، وقد أَلْجَمَهُ » ، واستعملوا منه صيغة المصدر وهى « الإلجام » ، وقالوا : « فرس ملجَم ورجل ملجِم » ، وقال الشاعر :

وملجمنا ما إنْ ينال قذاله

وورد فى الحديث الشريف : « استثفرى وتلجّمى »[٢٣] ؛ فهذا وزن « تفعّل » .

ومن الألفاظ المعربة التي أجريت على الأوزان المألوفة « ديوان » ؛ فأصله فارسى ، وإنما أراد « دِيَانْ » و « ديوان » ؛ أى الشياطين ؛ أى : كُتّاب يشبهون الشياطين فى نفاذهم ، و « الدّيُو » هو الشيطان .[٢٤]

وقد جمعوه على « دواوين » ، واشتقوا من ديوان الفعلَ ؛ فقالوا : دَوَّنَ ودُوِّن .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن الكلمات العربية التى وقعت للعرب ، فعربوها بألسنتهم ، وحولوها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظهم ، تصبح عربية ، فيجرى عليها من الأحكام مايجرى على تلك ، فتتوارد عليها علامات الإعراب ، إلا فى بعض الأحوال وتعرف بـ « أل » ، وتضاف ويضاف إليها ،

---

(٢٢) أسس علم اللغة : ١٥٧ . وانظر موسوعة كمبردج فى اللغة : ٣٣٠ ؛ إذ إن علم اللغة يدرس الاقتراض فى ضوء مصطلح Borrowing

(٢٣) تلجمى : اجعلى موضع خروج الدم عصابة تمنع الدم ، على التشبيه بوضع اللجام فى فم الدابة .

(٢٤) المعرب : ٢٠٢

وتثنى وتجمع ، وتذكر وتؤنث . وفوق ذلك كله تصرف أهل اللغة فى الكلمة المعربة وإعمالهم مباضع الاشتقاق فى بنيتها .(٢٥)

ثالثاً : اهتم القدماء من اللغويين العرب بوضع القواعد الصوتية والصرفية التى تساعد فى التعرف على المعرب ، ومن تلك القواعد مايأتى

١ ـ وجود الجيم والقاف فى الكلمة نحو : جلوْبق ، وجرنْدق ، وهما اسمان ، الجَوْق (الجماعة من الناس) .

٢ ـ وجود الصاد والجيم فى الكلمة ، نحو : الجصّ ، والصَّنجة (الميزان) ، والصولجان (العود المعوج) .

٣ ـ ليس فى أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء ، نحو : نَرْجس (من الرياحين) ، ونَوْرج (الذى يُداس به الطعام ، من حديد كان أو من خشب) ، ونِرْسِيان (ضرب من التمر يكون بالكوفة) .

٤ ـ ليس فى كلام العرب زاى بعد دال إلا دخيل ، من ذلك : الهنداز والمُهندز ، وأبدلوا الزاى سيناً فقالوا : المهندس .

٥ ـ لم يَحْكِ أحد من الثقات (أو الثقاة على لهجة طيىء) كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء ؛ فإذا جاء ذلك فى كلمة فهى دخيل ، نحو : البستان .

٦ ـ هناك أصوات فى اللغة العربية أطلق عليها القدماء اسم « حروف الذلاقة » وجمعوها فى قولهم « مر بنفل » وأشاروا إلى أن الكلمة الرباعية والخماسية إذا جاءت خالية من تلك الأحرف أو الأصوات الستة فهى غير عربية ، ومن أمثلة ذلك : عقجش ، وحُظَائج .(٢٦)

ولعله مما يتصل بتلك القواعد التى وضعها القدماء للتعرف على ماهو غير عربى ، حديثهم عن المنهج الذى تم اتباعه حين استعمال ماهو أعجمى ، وقد اهتم بذلك الجواليقى ؛ إذ عقد باباً عنوانه : « معرفة مذاهب العرب فى

(٢٥) عبد القادر المغربى : الاشتقاق والتعريب ٤٨

(٢٦) المعرب : ٥٥ ومابعدها .

استعمال الأعجمى »(٢٧) ، ويمكن تنظيم ماورد فيه على النحو الآتى :

١ ـــ هناك بعض الأصوات التى توجد فى اللغات الأخرى غير العربية ، وحين تعريب كلمات بها أصوات من هذا القبيل ، يتم إبدالها إلى أقربها من حيث الخروج من الحلق فى العربية ، وهذا الإبدال لازم ؛ لئلا يدخل كلام العرب أصواتٌ ليست مألوفة أو معروفة فى العربية . ومن أمثلة ذلك تغيير ماهو بين الجيم والكاف(٢٨) ، وربما جعلوه جيماً ، وربما جعلوه كافاً ، وربما جعلوه قافاً ؛ لقرب القاف من الكاف ؛ فلباس الرِّجْل يقال له بالفارسية « گوْرَب » وعُرِّب إلى « جَوْرب » بالإبدال الصوتى .

وهناك صوت فى الفارسية يقع بين الباء والفاء ، وربما أبدلوه فاء ، وربما أبدلوه باءً . قالوا : فالوذ (نوع من الحلواء تعمل من الماء والدقيق والعسل) ، وفِرِند (الحرير أو السيف) .

وأبدلوا السين من الشين ؛ فقالوا للصحراء : دَسْت وهى بالفارسية : دَشْت . وقالوا : سراويل ، وإسماعيل ، وأصلهما : شروال ، وإشماويل ؛ وذلك لقرب السين من الشين فى الهمس .

٢ ـــ اهتم القدماء حين التعريب بإلحاق اللفظ بالأوزان أو الأبنية الصرفية المألوفة ؛ لذلك قال الفراء : « يُبنى الاسم الفارسى أىَّ بناء كان ، إذا لم يخرج عن أبنية العرب » ، ومن أمثلة ذلك كلمة « دِرْهَم » التى تشبه الكلمة العربية « هجْرَع » (الأحمق) من حيث البنية الصرفية ؛ و « دينار » التى تشبه « دِيماس » (الحمام) ، و « جورب » التى تشبه « كوكب » ... وهكذا .

٣ ـــ لجأ العرب إلى النقصان أو الزيادة حين استعمال بعض الكلمات الأعجمية نحو : إبْرَيْسَم ، وإسرافيل ، وفيروز ، وقهرمان ، وأصله قِرْمان .

٤ ـــ لم يكن التغيير فى الكلمات الأعجمية أو الإبدال أو النقصان أو الزيادة متعمداً ، والدليل على ذلك وجود الكثير من تلك الكلمات التى تُركت على

---

(٢٧) المعرب : ٥٤ ومابعدها

(٢٨) هناك صوت (حرف) فى الفارسية يرسم :گ، وهو غير معروف فى العربية .

حالها دون تغيير ، نحو : خُرَاسان .

ونشير إلى أن الذى دفع القدماء إلى وضع هذا المنهج فى التعريب أن العربية « لغة ، إذا دخلتها كلمة أجنبية عنها ، قلق موضعها ، حتى تأخذ وزن كلمات اللغة وهيئة حركاتها ؛ لتشاكلها وتماثلها وتأتلف معها ؛ لذلك تراهم يشذبون الكلمات الأعجمية الطارئة التى لم تأت على أوزان العرب ، بالحذف والإبدال ، حتى تلائم الأسلوب العربى » .[29]

رابعاً : ربما يسود اللفظ الأعجمى على مقابله العربى ، وتصبح له السيطرة والشيوع على ألسنة المتكلمين ، وفى الشعر والنثر ، حتى إن هذا المقابل العربى يتوارى أو يقل استعماله ، وتلك ظاهرة تنبه إليها القدماء من علماء اللغة ، ومن أمثلة ذلك كلمة « الإبريق » أصلها فارسى معرب ، يدل على طريق الماء ، أو صبّ الماء على هِيَنةٍ ، وقد تكلمت به العرب قديماً . قال عدى بن زيد العبادى :

ودَعَا بالصَّبُوحِ يوماً فجاءتْ قَيْنَةٌ فى يمينها إبريقُ

وقد ساد لفظ « الإبريق » الفارسى على مقابله العربى « التامورة » ؛ حتى إنه مايزال سائداً فى العصر الحديث .

ونشير إلى أن اللغويين المعاصرين يرون أن إدخال الألفاظ الأجنبية ليس بدعاً ولا خطراً يُخْشى منه ، إذا تناوله الكتاب والعلماء والمستعملون للغة بما ينبغى من الوعى والاحتياط ، وهو فى تلك الحالة أقل تشويهاً للغة من المولد . نأخذ ــ مثلاً ــ « الهاتف » ؛ فإن أصل معناها : الصوت يُسمع دون أن يُرى شخص الصائح ؛ أى إنه ربما يكون عفريتاً من الجن . ونَقْل هذه اللفظة إلى معناها التقنى (التكنولوجى) وهو « التليفون » سيوقع فى كثير من اللبس ، وسيجعل استعمال هذه الكلمة من جديد لهذا المعتقد العربى الفولكلورى القديم ، محفوفاً بإمكانية الخلط بين معناها الأصلى والمعنى الحديث ، ولنتصور شاعراً معاصراً ينتظر حديثاً تليفونياً من حبيبته ، ويطول انتظاره دون جدوى ، فيلعن « الهاتف » الذى أضرب عن الكلام ، أهو ياترى

(٢٩) أحمد رضا العاملى : مولد اللغة ٦١

يلعن العفاريت ، أم يلعن هذه الآلة الحديثة ، لأنها لا تحمل إليه الصوت الناعم العزيز ؟

لذلك يفضل بعض اللغويين استعمال « الهاتف » على كلمة « التليفون » الدخيلة ، لأن الهاتف بمعناه القديم مايزال صالحاً للاستعمال . ثم إن كلمة التليفون ستتيح لنا أن نشتق منها فنقول « تَلْفَنَ » مثلاً ، والمعول فى كل ذلك ليس على صانع اللفظة ، ولكن على مستعملها ؛ فاللفظة إن كانت سهلة منسجمة مع الذوق اللغوى الموروث فرضت نفسها ؛ فالتيلفون والفعل « تلفن » ظفرا بحق الحياة فى القصص والمسرحيات والسينما والصحافة وعلى ألسنة المتكلمين ، على حين ظل « التلغراف » بين إقدام وإحجام ، وفقد المعركة ، أو كاد ، أمام الكلمات المولدة : بَرْق ، برقية ، أبرق إليه ... إلخ .[٣٠]

خامساً : نشب خلاف بين القدماء حول وجود ألفاظ غير عربية فى القرآن الكريم ؛ فأثبت ذلك بعضهم ، وأنكره بعضهم الآخر ؛ فقد رُوِىَ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم فى ألفاظ كثيرة أنه من غير لسان العرب مثل : سجيّل ، والمشكاة ، واليم ، والطور ، وأباريق ، وإستبرق وغير ذلك . فى حين أن أبا عبيدة يقول : من زعم أن فى القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول[٣١] ، واحتج بقوله تعالى : (إنّا جعلناه قرآناً عربياً) .[٣٢] ويرى الرأى نفسه أبو بكر بن الأنبارى ؛ إذ يقول : « وقال بعض المفسرين : صِرْهُنَّ[٣٣] معناه : قطِّع أجنحتهن ، وأصله بالنبطية : صِرِية . ويحكى هذا عن مقاتل بن سليمان ، فإن كان أُثِرَ هذا عن أحد من الأئمة ، فإنه مما اتفقت فيه لغة العرب ولغة النبط ؛ لأن الله عز وجل ، لايخاطب العرب بلغة العجم ؛ إذ بيّن ذلك فى قوله جلا وعلا : (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) .[٣٤]

(٣٠) انظر : دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ١٤٦ ومابعدها ؛ واللسان والإنسان للدكتور حسن ظاظا ٨٥ ومابعدها .

(٣١) المعرب : ٥٢ ومابعدها .

(٣٢) الزخرف / ٣

(٣٣) انظر المعرب للجواليقى : ١٩٥

(٣٤) الأضداد : ٣٨

والحقيقة أن الكثير من تلك الألفاظ قد طال عليه الأمد فى الجاهلية ، وألف الناس استعمالها ، وصارت جزءاً من لغتهم ، وربما نسوا أصلها فى كثير من الأحيان ، وجاء القرآن الكريم ، فأنزله الله تعالى بهذه اللغة العربية ، التى أصبح بعض هذا المعرب من مقوماتها ، فجاء فيه شيء من تلك الألفاظ ، التى عرّبها القوم من لغات الأمم المجاورة .[٣٥] وقد عبّر عن هذا أبو محمد عبد الحق بن أبى بكر بن عبد الملك الغرناطى بن عطية (ت ٥٤٣ هـ) : « إن القاعدة والعقيدة هى أن القرآن بلسان عربى مبين ، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب ، فلا تفهمها إلا من لسان آخر ، فأما هذه الألفاظ ، وماجرى مجراها ، فإنه قد كان للعرب العاربة التى نزل القرآن بلسانها بعض مخالفة لسائر الألسنة بتجارات ، وبرحلتى قريش ، وسفر مسافرين ، كسفر أبى عمرو إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب ، وكسفر عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعمش إلى الحيرة وصحبته لنصاراها مع كونه حجة فى اللغة ، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الصحيح ، ووقع بها البيان . وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربىٌّ فلجهله الصريح بما فى لغة غيره . كما لم يعرف ابن عباس معنى (فاطر)[٣٦] إلى غير ذلك ، فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها فى الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربتها فهى عربية بهذا الوجه ، وماذهب إليه الطبرى[٣٧] من أن اللغتين اتفقتا فى لفظة ولفظة ، فذلك بعيد ، بل إحداها أصل والأخرى فرع فى الأكثر ؛ لأنا لاندفع أيضاً جواز

---

(٣٥) فصول فى فقه العربية : ٣٥٩ ومابعدها

(٣٦) قال ابن عباس ـــ رضى الله عنهما ـــ : « كنتُ لا أدرى ما (فاطر السموات والأرض) حتى أتانى أعربيان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، يقول : أنا ابتدأتها » . الإتقان فى علوم القرآن : ١٤٩/١

(٣٧) ذهب الطبرى وغيره إلى أن القرآن الكريم ليس فيه لفظة إلا وهى عربية صريحة ، وأن الأمثلة والحروف التى تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيه أن تواردت الغات فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد .

الاتفاق قليلاً شاذاً »[٣٨]

ونحاول التعرف على بعض الألفاظ التى وردت فى الكتاب العزيز ، وأشار العلماء إلى أنها ليست عربية ، ومن أمثلة ذلك مايأتى :

١ ــ الدينار : فارسي معرب ، وأصله « دِنَّارٌ » ، وهو وإن كان معرباً فليس تعرف له العرب اسماً غير « الدينار » ؛ فقد صار كالعربى . ولذلك ذكره الله تعالى فى كتابه : (ومنهم من إنْ تأْمنه بدينارٍ)[٣٩] ؛ لأنه خاطبهم بما عَرَفُوا . واشتقوا منه فعلاً ؛ فقالوا : رجل مُدنَّر : كثير الدنانير ؛ وبِرْذَون مدنَّر : أشهب مستدير النقش ببياض وسواد .[٤٠]

٢ ــ الفردوس : أصله رومى أُعْرِبَ ، وهو البستان . كذلك جاء فى التفسير . وقد قيل « الفردوس » تعرفه العرب ، وتسمى الموضع الذى فيه كَرْمٌ فردوساً . وقال أهل اللغة : الفردوس مذكر ، وإنما أُنِّثَ فى قوله تعالى : (يرثون الفردوس هم فيها خالدون)[٤١] ؛ لأنه عَنَى به الجنة . وفى الحديث : « نسألك الفردوس الأعلى » . قال الزجاج : وقيل الفردوس : الأودية التى تنبت ضروباً من النبت . وقيل : هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية . قال : والفردوس أيضاً بالسريانية ، كذا لفظه فردوس ، قال : ولم نجده فى أشعار العرب إلا فى شعر حسان . وحقيقته أنه البستان الذى يجمع كل مايكون فى البساتين ؛ لأنه عند أهل كل لغة كذلك . وبيت حسان :

وإنّ ثوابَ الله كل موحّـــــــــدٍ ... جنانٌ من الفـــردوس فيها يُخلَّـــدُ

وقال ابن الكلبى بإسناده : الفردوس البستان بلغة الروم . وقال الفراء : وهو عربى أيضاً ، والعرب تسمى البستان الذى فيه الكرم فردوساً . وقال السُّدِّىُّ : الفردوس أصله بالنبطية فِرْدَاساً . وقال عبد الله بن الحارث : الفردوس

---

(٣٨) مقدمتان فى علوم القرآن : ٢٧٦ ومابعدها .

(٣٩) آل عمران/٧٥

(٤٠) المعرب : ١٨٧

(٤١) المؤمنون/١١

الأعناب .[42]

٣ ـ السِّجِّيل : قال ابن قتيبة : بالفارسية « سَنْكْ » و « كِلْ » ؛ أى حجارة وطين[43] . والكلمة وردت فى القرآن الكريم ثلاث مرات بلفظ : (حجارة من سجيل) .[44]

★ ★ ★

وبعد هذا العرض نتوقف أمام ظاهرة لفظية أخرى نالت اهتمام الرسائل اللغوية ومعاجم الموضوعات وهى « النوادر » .

النوادر

اهتم أبو عبيد فى معجمه الموضوعى (الغريب المصنف) بالإشارة إلى « نوادر الأسماء » و « نوادر الأفعال » وذلك فى بابين ، وقبل الدخول فى العرض لما قدمه ، نتوقف أمام مفهوم بعض المصطلحات اللغوية التى تهتم بالنوادر بصفة عامة ، وهى على النحو الآتى :

١ ـ الوحشى : حوشى الكلام : وحشيّه وغريبه ، وقال ابن رشيق القيروانى (ت ٤٥٦ هـ) : « الوحشىُّ من الكلام مانفر عن السمع ، ويقال له أيضاً : حُوشِى ، كأنه منسوب إلى الحُوش ، وهى بقايا إبل وبار بأرض قد غَلَبَتْ عليها الجنُّ فعمرتها ونفت عنها الإنس لايطؤها إنسىٌّ إلا خبلوه . قال رؤبة :

جرت رجالاً من بلادِ الحُوشِ

وإذا كانت اللفظة حسنةً مستغربةً لايعلمها إلا العالم المبرز ، والأعرابى القح ؛

(٤٢) المعرب : ٢٨٨ ومابعدها .

(٤٣) السابق : ٢٢٩

(٤٤) هود/٨٢ ، الحجر/٧٤ ، الفيل / ٤

فتلك وحشية ». [1]

وقد اهتم علماء البلاغة بالإشارة إلى دور الوحشى أو الحوشى فى تهجين الكلام وخلع الفصاحة عنه ؛ لذلك نصح إبراهيم بن المهدى كاتبه عبد الله بن صاعد بقوله : « إياك وتتبع وحشى الكلام طمعاً فى نيل البلاغة ؛ فإن ذلك هو العىُّ الأكبر ، وعليك بما سَهُلَ ، مع تجنبك ألفاظ السّفل ». [2] وقد مثّل علماء البلاغة للوحشى بقول أبى تمام :

لقد طلعتْ فى وجهِ مصرَ بوجهه بلا طالع سد ولا طائـر كَهْـلِ

قال ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) : « فإن كهلاً هاهنا من غريب اللغة ، وقد رُوِىَ أن الأصمعى لم يكن يعرف هذه الكلمة وليست موجودة إلا فى شعر بعض الهذليين (يقصد أبا خراش الهذلى) وهو قوله :

فلو كان سلمى جَاره أو أجـارَه رياحُ بن سعدٍ ردَّه طائرٌ كهـلْ

وقد قيل : إن الكهل : الضخم ، وكهل لفظة ليست بقبيحة ، لكنها وحشية غريبة لايعرفها مثل الأصمعى ». [3]

٢ ــ **الشوارد** : جمع شاردة ، وأصل التشريد : التفريق ، وهى بمعنى الحوشى فى اصطلاح العلماء . وقد قابل صاحب القاموس بها « الفصيح » فى قوله : « وكنتُ برهةً من الدهر ألتمس كتاباً جامعاً بسيطاً ، ومصنفاً على الفُصح والشوارد محيطاً ». [4]

ونشير إلى أن الحياة الفكرية عند العرب تعرف ألفاظاً تفرّد بها بعض أئمة اللغة الذين اهتموا برواياتها ، ولم ترد عن غيرهم ؛ لذلك انصرف مفهوم الشوارد إلى هذا التفرد اللفظى ، وحين وضع الحسن بن محمد بن الحسن الصغانى (ت ٦٥٠ هـ) كتابه حول « الشوارد » أتبعه بعنوان آخر هو « أو ماتفرد به بعض أئمة اللغة » . وتلك الشوارد عند أبى حاتم السجستانى (ت ٢٤٨ هـ) كانت موضوعاً لكتاب عنوانه « تقويم المُفْسَد والمزال عن جهته

(١) العمدة : ٢/٥ ؛ والمزهر : ١/٢٣٣

(٢) المزهر : ١/٢٣٤

(٣) سر الفصاحة : ٦٦ ومابعدها . وهناك أمثلة أخرى كثيرة ذكرها ابن سنان لما هو وحشى

(٤) القاموس : ١/٣

من كلام العرب » .[٥] أى إنه يُعِدُّ هذا الذى تفرد به الأئمة ليس مطرداً شائعاً ، بل هى فاسد أزيل عن كلام العرب الذى له شيوع فى الاستعمال .

وحين ننظر فيما قدمه أبو حاتم نجده يدور فى إطار عدة ظواهر لغوية هى التى تم التفرد بها ، نحو :

ــ النسب إلى بعض الكلمات على غير القياس كقولهم فى النسبة إلى إصطخر : إصطخرزىّ .

ــ الإبدال الصوتى بين بعض الكلمات كقولهم : الرهيق بدلاً من الرحيق ، وبَغْدِين بدلاً من بَغْداد ، و « عند حُفَينةَ الخبرُ اليقين »[٦] بدلاً من « جفينة » .

ــ الاختلاف فى ضبط الكلمة ، عن طريق استعمال صائت قصير مكان آخر ، قال أبو حاتم : « الرِّئِىُّ من الجن : لغة فى الرَّئِىّ ، وكذلك كل فَعِيل ، ثانيه أحد حروف الحلق ، نحو : رِغِيف ، وشِعِير ، وبِعِير ، وسِعِيد » .

ــ التصرف فى استعمال التراكيب النحوية خلال اللغة المنطوقة ؛ فهم يقولون : « فلان من أجمل الرجال وأحسنه » ؛ أى « وأحسنهم » ؛ ويقولون : « فلانةُ من أحسن النساء كلهن وأعقله » ؛ أى « وأعقلهن » .

ــ الاختلاف فى جمع الكلمات ؛ وذلك نحو جمع كلمة « حَبّ » على « حُبّان » قياساً على « تمر وتُمران ، لحم ولُحمان » .

٣ ــ **الغرائب** : جمع غريبة ، وحين ننظر فى الأمثلة التى قدمها علماء اللغة للغرائب نجدها ألفاظاً تم خلع دلالة جديدة عليها ليست مألوفة كثيراً فى البيئة العربية ؛ فإن « الخازِباز : السِّنَّور » عند بعضهم وقد علّق ابن الأعرابى على ذلك بقوله : « وهو من أغرب الأشياء ، والمشهور أنه اسم للذباب ، ولداء يأخذ الإبل فى حلوقها ، ولنَبْتٍ » .

(٥) أشار الصغانى إلى هذا الكتاب ، ونقل نصوصاً كثيرة منه . انظر : الشوارد ٤٨ ــ ٥٢

(٦) قال الأصمعى : « أصله أن جفينة هذا كان عنده علم رجل مقتول ، وفيه يقول الشاعر :

تُسائــــــــلُ عن أبيها كلَّ ركْبٍ وعنــد جفينــةَ الخبــرُ اليقيــنُ

فسألوا جفينة ، فأخبرهم خبر القتيل » . ويروى أيضاً « جهينة » .

و « الوَطْب : وعاء اللبن مشهور ، وكذا المِخْقَن ، وهو غريب » .

و « الجود : الجوع » . وقد علّق أحد اللغويين على هذا الاستعمال بأنه من أغرب ماسمعه فى « باب الجوع » .(٧)

ونشير إلى أن الحياة اللغوية عند القدماء عرفت التأليف فى الغريب اللفظى ، ولكنه يختلف عن الغرائب والغريبة ؛ لذلك وجدنا مؤلفاتٍ تدور حول غريب القرآن الكريم ، وغريب الحديث الشريف ، والغريب فى اللغة على وجه العموم .

وهناك بعض المؤلفات التى وصلت إلينا حول غريب القرآن الكريم ، ومن أمثلتها (غريب القرآن) لابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) الذى أوضح غرضه ومنهجه فى مقدمته قائلاً : « وغرضنا الذى امتثلناه فى كتابنا هذا أن نختصر ونكمل ، وأن نوضح ونجمل ، وأن لا نستشهد على اللفظ المبتذل ، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل ، وألاّ نحشوَ كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد . فإنا لو فعلنا ذلك فى نقل الحديث ، لا حتجنا إلى أن نأتى بتفسير السلف ــ رحمة الله عليهم ــ بعينه . ولو أتينا بتلك الألفاظ ، كان كتابنا كسائر الكتب التى ألفها نَقَلَةُ الحديث ، ولو تكلفنا بَعْدُ اقتصاصَ اختلافهم ، وتبيين معانيهم ، وفتق جملهم بألفاظنا ، وموضع الاختيار من ذلك الاختلاف ، وإقامة الدليل عليه ، والإخبار عن العلة فيه ، لأسهبنا فى القول ، وأطلنا الكتاب ، وقطعنا منه طمع المتحفظ ، وباعدناه من بغية المتأدب ، وتكلفنا من نقل الحديث ماقد وُقيناه وكُفيناه » .

وقال ابن قتيبة عن بعض الأسماء التى تناولها فى كتابه : « نفتتح كتابنا هذا بذكر أسمائه الحسنى ، وصفاته العُلى ، فنخبر بتأويلهما واشتقاقهما ، ونتبع ذلك ألفاظاً كثر تردادها فى الكتاب ، لم نَرَ بعض السور أولى بها من بعض ، ثم نبتدىء فى تفسير غريب القرآن » .(٨)

(٧) المزهر : ٢٣٩/١

(٨) غريب القرآن : ٣ ومابعدها .

وقد نال غريب الحديث الشريف عناية القدماء أيضاً ، ويعد أبو عبيدة فى طليعة أولئك ، وأشار إلى ذلك ابن الأثير فى مقدمة كتابه قائلاً : « فقيل : إن أول من جمع فى هذا الفن شيئاً وألف أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتاباً صغيراً ، ذا أوراق معدودات ، ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ، وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما : أن كل مبتدىء لشىء لم يُسْبق إليه ومبتدع لأمر لم يُتقدَّم فيه عليه ، فإنه يكون قليلاً ثم يكثر ، وصغيراً ثم يكبر . والثانى : أن الناس يومئذٍ كان فيهم بقية ، وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عمَّ ، ولا الخطب قد طَمَّ » .(٩)

ولأبى عبيد صاحب المعجم الموضوعي (الغريب المصنف) مؤلف مهم فى (غريب الحديث) ، مكث فى جمعه وتأليفه وسؤال العلماء عن مادته أكثر من أربعين سنة ؛ لذلك نال تقدير العلماء من اللغويين والفقهاء والمفسرين وسواهم ، وقد قال ابن درستويه : « رغب فيه أهل الحديث والفقه واللغة ؛ لاجتماع مايحتاجون إليه فيه » .(١٠)

نأتى ، بعد ذلك ، إلى الغريب فى ألفاظ اللغة ، فنجده قد نال اهتمام القدماء منذ المراحل الباكرة ؛ لذلك رحلوا إلى البوادى لمشافهة الأعراب وجمع هذا الغريب . وقد أفرده عيسى بن إبراهيم الربعى (ت ٤٨٠ هـ) بالتأليف خلال معجمه الموضوعى الذى أطلق عليه اسم (نظام الغريب فى اللغة) ، وقال فى مقدمته : « هذا كتاب مختصر اقتصرت فيه على المستعمل من غريب اللغة وماقالته العرب وتداولته فى أشعارها وخطبها ، وتجاذبته فى أمثالها ومقاماتها ومخاطباتها ، وجعلته له كالأصل للشىء والقاعدة للبنيان ، وسميته : نظام الغريب » .(١١) وقد بدأه بالحديث عن « ماجاء من الغريب فى خَلْق الإنسان » .

٤ ــ **النوادر** : وهى جمع نادرة ، وتدور فى إطار الدلالة الاصطلاحية لكل من الوحشي والشوارد والغرائب . وكانت النوادر ضمن الموضوعات

(٩) النهاية : انظر المقدمة .

(١٠) السابق ٦/١ ومابعدها

(١١) نظام الغريب ٢٠

التى اهتم بها أبو عبيد ، وقد أفردها فى معجمه ببابين حول نوادر الأسماء ونوادر الأفعال على نحو ما أشرنا من قبل . وقد اهتمت بعض المعاجم اللغوية بالنوادر أيضاً ؛ فيقول ابن دريد فى مقدمة معجمه : « وجمعنا النوادر فى باب فسيمناه النوادر ؛ لقلة ماجاء على وزن ألفاظها نحو : قهوباة ، وطوبالة ، وقرعبانة ، وماأشبه ذلك » .[١٢]

وهذا الاهتمام بالنوادر ماهو إلا امتداد لما وضعه الأوائل من مؤلفات حول هذا الموضوع ، وأول من يُنسَبُ إليه كتاب فيها أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٧ هـ) ، ثم توالى التأليف بعد ذلك ؛ فهناك كتاب للقاسم بن معن الكوفى (ت ١٧٥ هـ) ، ويونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) ، وقد قال السيوطى عن نوادر يونس : « النوادر ليونس ، رواية محمد بن سلام الجمحى ، وهذا الكتاب لم أقف عليه ، إلا أنى وقفت على منتقى منه بخط الشيخ تاج الدين بن مكتوم النحوى ، وقال : إنه كتاب كثير الفائدة ، قليل الوجود »[٢٣] . وهذه الكتب مفقودة ، ولكن وصلت إلينا نصوص منها فى بطون بعض المصادر كـ (المزهر) للسيوطى ، وهذا نصٌّ من نوادر يونس بن حبيب :

« أهل الحجاز يقولون : خمس عَشْرة خفيفة ، لايحركون الشين ، ومنهم من يفتحها . أهل الحجاز : يَبْطِشُ ، وتميم : يَبْطُشُ . تميم : هيهات ، وأهل الحجاز : أيهات . أهل الحجاز : مِرْيَة ، وتميم : مُرْيَة .[١٤] أهل الحجاز : الحِصاد ، وتميم : الحَصاد . أهل الحجاز : الحِجّ ، وتميم : الحَجّ . أهل الحجاز : تخذت ووخذت ، وتميم : اتخذت . أهل الحجاز : رِضوان ، وتميم : رُضْوان . أهل الحجاز : سَلْ ربَّك ، وتميم : اسأل .. » .[١٥]

ومن أهم كتاب النوادر التى وصلت إلينا وأكثرها شهرة نوادر أبى زيد الذى اتخذ مفهوم النوادر عنده عدة اتجاهات ، من بينها جمع بعض المقطوعات

---

(١٢) الجمهرة : ٣/١

(١٣) المزهر : ١٥٠/٢

(١٤) المرية : الشك

(١٥) المزهر : ٢٧٥/٢ ومابعدها

الشعرية دون شرح أو تحليل . يقول تحت عنوان « باب رجز » :

جاءوا يجرون السودَ جرّا
صهبَ السِّبال يتفون الشرّا
لتجدنى بالأمير بَرّا
وبالقناةِ مِدْعساً مِكَرّا
إذا غُطَيْفُ السُّلَمِىُّ فرّا

وكان أبو زيد يلجأ — أحياناً — إلى شرح الشعر الذى يأتى به ؛ وذلك كتوقفه أمام قول سحيم بن وثيل اليربوعى :

كانتْ عُبيدُ شهودَ الحىِّ فاعتزلوا … وحميرىٌّ فلم تعجزْ ولم تُلَمِ
ظلت نساؤهم والقوم أنجيةٌ … يُعْدَى عليها كما يُعْدَى على النَّعَمِ

بالشرح قائلاً : « عبيد وحميرى : قبيلتان من بنى يربوع ، وقوله « لم تلم » : لم تأت أمراً تلام عليه أو تستوجب الملامة عليه ، وواحد الأنجية : نجى كما ترى ، وهى جماعة يتناجون[16] ، كما قال عز وجل : (خلصوا نجياً)[17] .

وعرض أبو زيد للنوادر من كلام العرب فى أبواب مختلفة ، وخلال هذا العرض قدم معالجة معجمية للفروق الدلالية بين الألفاظ ، وتخفيف الهمز ، والمشترك اللفظى ، والسماع النادر ، ومن أمثلة : « سمع أبو زيد رجلاً من أهل العالية يقول : هو لكهْ وعليكهْ ، فى قولهم : هو لك وعليك » . ويقول : « سمعت رجلاً من بنى عقيل يقول : هم اللذون ، ولم يقل : الذين » .[18]

ومن كتب النوادر التى وصلت إلينا نوادر أبى مسحل الأعرابى الذى تحدث فيها عن بعض الكلمات المتحدة فى المعنى ، ثم يعقب عليها بما يفيد ذلك . قال : « خطب الأمير فما زال على قرىٍّ واحد ، وأثْوٍ واحد ، وسَدْو واحد ، وعراق واحد ؛ أى على طريقة واحدة » .[19] ونستطيع أن نقول أن نوادر أبى مسحل من أقدم الكتب التى دارت حول الترادف .

(١٦) النوادر : ٩١ و ١٠٩ — ١١١
(١٧) يوسف/٨٠
(١٨) النوادر : ٨٩ و ١٧١
(١٩) أبو مسحل : النوادر ١/١٢

وقد عقد أبو عبيد في معجمه الموضوعي (الغريب المصنف) بابين حول النوادر من الأسماء والأفعال ، ونبدأ بما كتبه عن نوادر الأسماء . قال : « البَرْتُ : الرجل الدليل وجمعه أبْرَاتٌ ، والبرزخ : مابين كل شيئين ، والحَرْش : الأثر ، والعميقة : ساحل البحر ، ويقال : شَيْنٌ عباقية[20] للذى له أثر باقٍ ، والوثيج من كل شيء : الكثيف ... » .[21]

وعرض لنوادر الأفعال ، ولكن تلك الأفعال لم تكن كلها نادرة ؛ فقوله : « عَذَلْنَا فلاناً فاعتذل ؛ أى لام نفسه » ليس من النوادر ؛ بل مايزال مستعملاً حتى الآن . أما قوله : « مَتَعْتُ بالشيء : ذهبتُ به ، ومنه قيل : لئن اشتريْتَ هذا الغلام لتمتعنَّ منه بغلامٍ صالح ؛ أى لتذهبن »[22] فهو من النوادر ؛ لأن استعمال الفعل « تمتع » بمعنى « تذهب » ليس شائعاً .

بقى أن نشير إلى أن علماء اللغة يرون أن الوحشي والشوارد والغرائب والنوادر تقابل « الفصيح » ؛ لذلك نختم هذا العرض بالتوقف أمام مايتصل به من جوانب لغوية .

ينصرف المعنى اللغوى للجذر المعجمى (ف ص ح) إلى البيان والظهور ، ونقدم بعض التراكيب النحوية التى توضح ذلك المعنى اللغوى ، وهى كما يأتى :

ـــ أفْصَحَ اللبنُ : إذا ذهبت عنه اللباء ، وانجلت رغوته .

قال الشاعر :

ولم يخشوا مصالتـــــه عليهم وتحت الرغـوةِ اللبـنُ الفصيـحُ

ولذلك يقال : سقاهم لبناً فصيحاً ، وهو الذى أُخذت رغوته ، أو ذهب عنه لباؤه وخلص منه .

ـــ أفصح العجميُّ : إذا خلص كلامُه من اللكنة واللحن ، أو تكلم

(٢٠) عباقية الرجل : أثر جراحه فى حر الوجه

(٢١) الغريب المصنف : ٢٢٢

(٢٢) السابق : ٢٣٢

بالعربية .

ــ أفصح الصبيُّ فى منطقه : فَهِمَ مايقول فى أول مايتكلم .

ــ جاء فِصْحُ النصارى : أى يوم بروزهم فى معيَّدهم ، وقد تكلمت به العرب . قال حسان بن ثابت :

ودنا الفِصْحُ فالولائدُ ينظمن سراعاً أكلَّة المرجان

ويجوز أن يكون ذلك لاعتقادهم أن عيسى ــ عليه السلام ــ ظهر فيه .

ــ أَفصَحَ كلِ شيء : إذا وضح ، وفى الكتاب العزيز : (وأخى هارون هو أفصح منّى لساناً فأرسله معى)[٢٣]

ــ له مالٌ فصيح وصامت . قال الشاعر :

وقد كنتُ ذا مالٍ فصيحٍ وصامتٍ وذا إبــلٍ قد تعلــمين وذا غنَــمْ

ــ أفصح الصبحُ : إذا ظهر ضوءه وعلا .

ــ سُمّى الكلام الفصيح فصيحاً كما أنهم سموه بياناً ، لإعرابه عما عُبر به عنه وإظهاره له إظهاراً جلياً . رُوى عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : « أنا أفصحُ العرب بيد أنى من قريش » .[٢٤]

نأتى ، بعد ذلك ، إلى مفهوم الفصاحة فى اصطلاح علماء البلاغة ، فنجدهم يشيرون إلى أن الفصاحة خاصةً صفةٌ تقع للمفرد ، فيقال : كلمة فصيحة ، ولايقال : كلمة بليغة .

وحين درسوا فصاحة المفرد أشاروا إلى بعض الشروط التى يجب توافرها فيه ، وصل بها ابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) إلى ثمانية[٢٥] ، وهى مجموعة من الشروط اللغوية التى تؤدى إلى تلك الفصاحة ، ويمكن العرض لها خلال النقاط الآتية :

(٢٣) القصص/٣٤

(٢٤) انظر : سر الفصاحة ٥٨ ومابعدها ؛ وأساس البلاغة ٤٧٤ ؛ والطراز ١٠٣/١ ؛ ومجمل اللغة ٧٢٢/٣ ؛ والإيضاح ٧٢

(٢٥) سر الفصاحة : ٦٤ ــ ٩٢

١ ـــ أن يكون تأليف اللفظة المفردة من أصوات متباعدة المخارج ، وعلى هذا جل كلام العرب . ومن أمثلة التأليف من الأصوات المتقاربة فى مخارجها الذى يؤدى إلى الصعوبة فى النطق كلمة « الهُعْخُع »[٢٦] ، فقد رُوى أن أعرابياً سُئل عن ناقته فقال : تركتُها ترعى الهعخع .[٢٧]

٢ ـــ أن تجد لتأليف اللفظة فى السمع حسناً ومزية على غيرها ، وإن تساويا فى التأليف من الأصوات المتباعدة ، مثال ذلك الأصوات (ع ذ ب) ، فإن السامع يجد لقولهم : العُذيب ، وعذيبة ، وعَذْب ، وعذاب ، وعَذَب ، وعذبات ، مالا يجده فيما يقارب هذه الألفاظ فى التأليف ، وليس سبب ذلك بُعْد الأصوات فى المخارج فقط ، ولكنه تأليف مخصوص مع البعد ، ولو قدمت الذال أو الباء ، لم تجد الحسن على الصفة الأولى فى تقديم العين على الذال ، لضرب من التأليف فى النغم يفسده التقديم والتأخير . وقد مثّل ابن سنان لبعض الكلمات القبيحة فى تأليفها مثل « الجِرشّى » فى قول المتنبى :

مبـــارك الاسم أغـــر اللقـــــب كريم الجرشّى عظيم الـــــنسبْ[٢٨]

٣ ـــ أن تكون الكلمة غير متوعرة وحشية ، وقد مثل ابن سنان لذلك بكلمة « كهل » التى وردت فى قول أبى تمام :

لقد طلعتْ فى وَجْهِ مصرَ بوجهه بلا طالع سد ولا طائـــر كهـــلِ

الذى أشرنا إليه من قبل .

٤ ـــ أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية ، ومن أمثلتها « تفرعن » فى قول أبى تمام :

جليتَ والموتُ مبدٍ حُرَّ صفحتـــه وقـد تَفَرْعَـــنَ فى أفعالـــه الأجـــلُ

فإن « تفرعن » مشتق من اسم فرعون ، وهو من ألفاظ العامة ، وعادتهم أن

(٢٦) ضرب من النبت .

(٢٧) الإيضاح : ٧٢

(٢٨) الجرشى : النفس ، واللقب : ماينبذ به الرجل . والمعنى : يريد أن اسم سيف الدولة علىٌّ ، وهو اسم يتبرك به لمكان على ـــ كرم الله وجهه ـــ وهو مشتق من العلو ، والعلو محبوب مطلوب . ويريد : أنه مشهور اللقب بسيف الدولة ، وقد اشتهر به فى الآفاق فهو أعز ، والأغر : الواضح الأبلج ، وشريف النسب : لأنه من ربيعة وهم كرام أشراف . انظر شرح ديوان المتنبى : ١/٩٩

يقولوا : تفرعن فلانٌ ، إذا وصفوه بالجبرية .

٥ ــ أن تكون الكلمة جاريةً على العرف العربى الصحيح ، غيرَ شاذة ، ويدخل فى هذا القسم كل ماينكره أهل اللغة ، ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد فى الكلمة ، وقد يكون ذلك لأجل أن اللفظة بعينها غير عربية ، كما أنكروا على أبى الشيص قوله :

وجناح مقصوص تحيّف ريشه ريبُ الزمانِ تحيف المقراض

وقالوا : « المقراض » ليس من كلام العرب . وقد تكون الكلمة عربية ، ولكن عُبِّر بها عن غير ماوُضعت له فى عرف اللغة ، كما قال أبو تمام :

حلّتْ محلّ البِكْر من معطى وقد زُفّتْ من المعطى زفافَ الأيِّم

فوضع « الأيم » مكان « الثيِّب » وليس الأمر كذلك ؛ لأن الأيم هى التى لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً .

٦ ــ ألا تكون الكلمة قد عُبِّر بها عن أمر آخر يُكْرَهُ ذكرهُ ؛ فإذا أُوردت ، وهى غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت ، ومثال ذلك قول عروة بن الورد العبسى :

قلتُ لقوم فى الكنيف تروَّحوا عشية بتنا عند ماوانَ رُزَّح[٢٩]

٧ ــ أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الأصوات ؛ فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة . قال المتنبى :

إنّ الكريمَ بلا كرامٍ منهمُ مثل القلوبِ بلا سويداواتها

فإن « سويداواتها » كلمة طويلة جداً عند ابن سنان .

٨ ــ أن تكون الكلمة مصغرة فى موضع عُبِّر بها فيه عن شىء لطيف أو خفى أو قليل أو مايجرى مجرى ذلك ، فإنها تحسن به ، ولعل ذلك لموقع الاختصار بالتصغير ، ومثال ذلك قول الشريف الرضى :

يولع الطل بُرْدَيْنا وقد نسمتْ رُويحةُ الفجرِ بين الضالِ والسلمِ

فلما كانت الريح المقصود هنا نسيماً مريضاً ضعيفاً حسنت العبارة عنه بالتصغير ، وكان للكلمة طلاوة وعذوبة .

(٢٩) ماوان : قرية من أرض اليمامة ، ورزّح : يقال قوم رزح ؛ أى صعاليك

هذه هى الشروط الثمانية الخاصة بفصاحة اللفظة المفردة على نحو ماقدمه ابن سنان الخفاجى .

ولعله من المفيد الإشارة إلى أنه إذا كان العلماء قد قابلوا الوحشى والشوارد والغرائب والنوادر بالفصيح ، فإن ابن جنى قد قابل بين مصطلحين هما « المطرد » و « الشاذ » مع ربطهما بالقياس ؛ لذلك نحاول التعرف على ما أشار إليه أبو الفتح بالتوقف أمام مفهوم « القياس » أولاً الذى درس فى ضوئه هذا المصطلحين .

القيـاس : يعد القياس من الأسس المهمة التى اعتمد عليها القدماء فى استنباط قواعد اللغة ، ومعرفة أبنيتها الصرفية ، وتراكيبها النحوية ، ودلالة ألفاظها . ويؤدى القياس دوراً كبيراً فى التوصل إلى معرفة الكثير مما هو مجهول فى اللغة ، والمقصود بذلك أن القدماء حين وضعوا قوانين Rules صياغة « اسم الفاعل » ــ مثلاً ــ كانت صالحة للتطبيق على تلك الكلمات التى لم نسمع اسم الفاعل الخاص بكل منها من قبلُ . وقد اختلفت مناهج القدماء وطرقهم فى التعامل مع القياس ؛ فقد كان علماء البصرة يقيسون على ماهو كثير شائع فى اللغة ، فى حين كان علماء الكوفة يقيسون على القليل والنادر فى استعماله ؛ لذلك قالوا إن عبد الله ابن أبى إسحاق (ت ١١٧ هـ) هو أول من بَعَج النحوومدَّالقياس وشرح العلل ، وكان مائلاً إلى القياس فى النحو .

وقد عرَّف القدماء القياس بأنه « حَمْل غير المنقول على المنقول ، إذا كان فى معناه »[٣٠] ، أو « حمل فرع على أصل بعلّةٍ ، وإجراء حكم الأصل على الفرع »[٣١] ، أما المحدثون فقالوا فى تعريفه « استنباط مجهول من معلوم » .[٣٢]

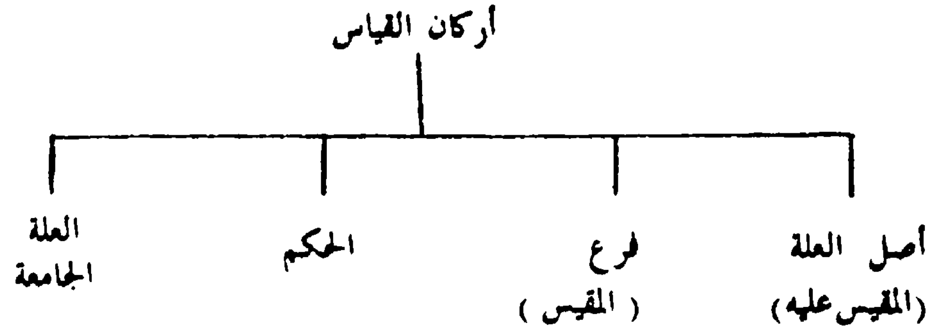
وللقياس أربعة أركان هى « أصل : وهو المقيس عليه ، وفرع : وهو

(٣٠) أبو البركات الأنبارى : الإغراب فى جدل الإعراب ٤٥

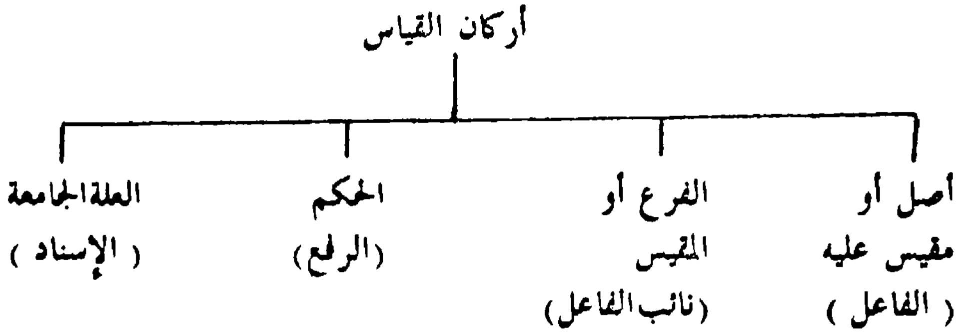
(٣١) أبو البركات الأنبارى : لمع الأدلة فى أصول النحو ٩٣

(٣٢) الدكتور إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ٩ .

المقيس ، وحكم ، وعلة جامعة » . ويمكن إيضاح ذلك خلال الشكل الآتى :



ومن أمثلة القياس « أن تركب قياساً فى الدلالة على رفع مالم يُسمَّ فاعله ، فتقول : اسم أُسْنِدَ الفعلُ إليه مقَدَّماً عليه ، فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً عليه ، فالأصل هو الفاعل ، والفرع هو مالم يسم فاعله ، والحكم هو الرفع ، والعلة الجامعة هى الإسناد ، والأصل فى الرفع أن يكون للأصل الذى هو الفاعل ، وإنما أجرى على الفرع الذى هو مالم يُسمَّ فاعله بالعلة الجامعة التى هى الإسناد » .(٣٣) ويمكن توضيح مسألة رفع مالم يسم فاعله (نائب الفاعل) قياساً على الأصل الذى هو الفاعل ، خلال الشكل الآتى :



نأتى بعد ذلك إلى ماكتبه ابن جنى حول « المطرد » و « الشاذ » وربطهما بـ « بالقياس » ؛ فنجده يقول عن الجذر المعجمى (ط ر د) إنه يدل على التتابع والاستمرار فى أصله وضعه اللغوى ، أما (ش ذ ذ) فيدل على التفرق والتفرد . وقد جعل أهل علم العرب مااستمر من الكلام فى الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطرداً ، وجعلوا مافارق عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذاً .

(٣٣) انظر : لمع الأدلة ٩٣ ومابعدها ، والاقتراح للسيوطى : ٩٦

ويرى ابن جنى أن الكلام فى الاطراد والشذوذ على أربعة أضرب :

١ ــ مطرد فى القياس والاستعمال جميعاً ، وهذا هو الغاية المطلوبة ، والمثابة المنوبة ؛ وذلك نحو : قام زيد ، وضربت عمراً ، ومررت بسعيد .

٢ ــ مطرد فى القياس ، شاذ فى الاستعمال ؛ وذلك نحو الماضى من « يَذَرُ » و « يَدَعُ » ؛ فهو « وَذَرَ » و « وَدَعَ » ، ولكنه غير مستعمل ؛ إذ استغنوا عنهما بـ « ترك » .

٣ ــ مطرد فى الاستعمال ، شاذ فى القياس ، نحو قولهم : استصوبتُ الأمر ، ولابد من اتباع السمع الوارد به فيه نفسه ، لكنه لايُتَّخذ أصلاً يقاس عليه غيره ؛ لذلك لايقال فى استقام : استقوم ، ولا فى استساغ : استسوغ ، قياساً على « استصوب » .

٤ ــ شاذ فى القياس والاستعمال جميعاً ، وهو كتتميم عين مفعول فيما عينه واو ، نحو : ثوب مصوون ، ومسك مَدْوُوف .(٣٤)

وبعد هذا العرض نؤكد ــ مرة أخرى ــ على تلك الصلة التى عقدها القدماء حين تحديد مفهوم المصطلحات بين الوحشى والوحشى والشوارد والغرائب والنوادر والشواذ من جهة ، والفصيح والمطرد من جهة أخرى .

* * *

ولقد احتوت الرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) على بعض الظواهر الدلالية وذلك نحو تضييق المعنى وتوسيعه أو تعميمه ، ونحاول التعرف على ذلك فى النقطة التالية ، وموضوعها « التطور الدلالى » .

(٣٤) الخصائص : ١/٩٦ ومابعدها

التطور الدلالى

هناك ظاهرة لغوية شائعة فى معظم اللغات ، وهى حدوث ما يمكن أن نسميه بـ « التطور الدلالى » ، ونقصد بذلك ما يطرأ على معانى الكلمات من تطور يتصل بتوسيع المعنى أو تضييقه أو تساميه أو انحطاطه أو غير ذلك . ونستطيع تفسير هذا التطور فى ضوء النظر إلى اللغة وحياتها فى المجتمع على أنها كائن حى ، يعيش فى حركة دائمة .

وقد تنبه القدماء منذ المراحل الباكرة إلى هذا التطور الدلالى ، واعترف به الكثيرون ؛ بل كان بعضهم من المتشددين كابن قتيبة ، ومن أمثلة ذلك أن ابن السكيت يقول : « ومما تضعه العامة فى غير موضعه قولهم : خرجْنَا نتنزَّهُ ، إذا خرجوا إلى البساتين ، وإنما التنزُّه التباعد عن المياه والأرياف . ومنه يقال : فلان يتنزه عن الأقذار ؛ أى يتباعد منها . ومنه قول الهذلى (أسامة بن حبيب) :

أقبُّ طريدٌ بِنُزْه الفلا ... ةِ لا يردُ الماءَ إلاَّ ائتيابا

« بِنُزْه الفلاة » : يعنى ما تباعد من الفلاة عن المياه والأرياف »[١] . أى إن ابن السكيت يرى أن دلالة الفعل « نتنزه » تتصل بالتباعد عن المياه والأرياف ، وليس الخروج إلى البساتين ، ولكن ابن قتيبة يقول : « وليس هذا عندى خطأ ؛ لأن البساتين فى كلِ مِصْر وفى كل بلد إنما تكون خارج المصر . فإذا أراد الرجل أن يأتيها فقد أراد أن يتنزه ؛ أى يتباعد عن المنازل والبيوت . ثم كثر هذا واستعمل ، حتى صارت النزهة القعود فى الخضر والجنان »[٢] .

وهناك بعض النصوص التى وردت فى الرسائل اللغوية ، وتشير إلى التطور الدلالى الذى يطرأ على معانى المفردات ، وقبل الدخول فى التعرف على ذلك ، نتوقف أمام كيفية تغيير المعنى ، وهو على النحو الآتى :

١ ــ **تضييق المعنى (تخصيص العام)** : هناك بعض الألفاظ التى كانت فى أصل وضعها اللغوى تفيد الدلالة على العموم ، ثم خُصَّت فيما بعد ، وهذا

(١) إصلاح المنطق : ٢٨٧ .

(٢) أدب الكاتب : ٣٤ .

تحول من العام إلى الخاص . ومن أمثلة ذلك أن كلمة « السَّبْت » تدل على الدهر ، ثم خُصَّ الاستعمال بأحد أيام الأسبوع ، وهو فرد من أفراد الدهر . وكلمة « الحج » تفيد الدلالة على قصدِك الشئ وتجريدك له ، ثم خُصَّ بقصد بيت الله الحرام .

وتخصيص العام أو تضييق المعنى ليس وقفاً على العربية ؛ بل تعرفه غيرها من اللغات ، ومن ذلك كلمة meat الدالة على الطعام فى الإنجليزية ، ثم تخصصت فى الدلالة على اللحم . وكلمة poison الدالة على الجرعة من أى سائل ، ثم تخصصت فى الدلالة على السُّمّ . ومن ذلك أن الكلمة الروسية Shtraf ، وهى مأخوذة من الألمانية ، كانت تعنى أولاً العقوبة بوجه عام ، ثم صارت تدل على معنى الغرامة المالية ليس غير[٣] .

٢ ـــ **توسيع المعنى (تعميم الخاص)** : وهذا التطور عكس السابق عليه تماماً ؛ حيث تكون لدينا كلمة تدل فى أصل وضعها اللغوى على معنى معين خاص بها ، ثم يحدث اتساع فى دلالتها ، فتتحول إلى أن تشمل عدة معانٍ . أو يمكن أن نقول إن توسيع المعنى أن تكون هناك كلمة تدل على فرد ، ثم تستعمل للدلالة على أفراد كثيرين .

وقد أشار الأصمعى إلى ما يتصل بالاتساع فى الدلالة حين قال : « أصل الوِرْد : إتيان الماء ، ثم صار إتيان كل شئٍ وِرْدًا . والقَرَب : طلب الماء ، ثم صار يقال ذلك لكل طلب ؛ فيقال : هو يَقْرُبُ كذا ؛ أى يطلبه ، ولا تقربْ كذا . ويقولون : رفع عقيرته ؛ أى صوته ، وأصل ذلك أن رجلاً عُقِرَتْ رجله فرفعها وجعل يصيح بأعلى صوته ، فقيل بعدُ لكل من رفع صوته : رَفَعَ عقيرته »[٤] .

والذى يلفت النظر أن القدماء من اللغويين العرب قد أطلقوا على هذا النوع من التطور الدلالى ؛ أى الاتساع فى معانى الكلمات ، مصطلحَ « الاستعارة » ، وأشاروا إلى أن العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة ، إذا كان المسمَّى بها بسببٍ من الأخرى ، أو مجاوراً لها ، أو مشاكلاً . فيقولون

(٣) انظر : دلالة الألفاظ : ١٥٠ ؛ ودور الكلمة فى اللغة : ١٨٠ ؛ وعلم اللغة : ٣٠٩ .

(٤) الصاحبى : ١١٢ .

للنبات : نَوْءٌ ؛ لأنه يكون عن النوء عندهم . قال رؤبة بن العجاج :

وجَفُّ أنواءُ السحابِ المرتزقْ

أى جفّ البقل . ويقولون للمطر : سماء ؛ لأنه من السماء ينزل ، فيقال : مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم . قال الشاعر :

إذا سَقَطَ السماءُ بأرضِ قومٍ رعيناه وإنْ كانوا غِضَابَـا[٥]

ونشير إلى أن بعض أصحاب المعاجم قد عقدوا فى معاجمهم باباً للاستعارات ، ومن أولئك ابن دريد الذى عقد فى جمهرته باباً لذلك ، ومما ورد فيه قولُه : « النُّجْعَةُ أصلها طلب الغيث ، ثم كَثُرَ فصار كل طلب انتجاعاً . والمنيحة أصلها أن يُعْطَى الرجلُ الناقةَ فيشرب لبنها أو الشاةَ ، ثم صارت كلُّ عطية منيحة » .

ولقد علل قدامة بن جعفر احتياج العرب إلى الاستعارة بقوله : « وأما الاستعارة فإنما احتيج إليها فى كلام العرب ؛ لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم ، وليس هذا فى لسان غير لسانهم ، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة ، ربما كانت مفردة له ، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره »[٦] .

وتوسيع المعنى أو تعميم الخاص ليس وقفاً على العربية ، ومن أمثلته فى اللغات الأخرى أن الطفل الباريسى عندما يرى نهراً يقول « أرى سيناً » ، وهذه هى حال الأطفال الذى يسمون جميع الأنهار باسم النهر الذى يروى البلد الذى يعيشون فيه[٧] .

وتنحدر الكلمة الإنجليزية arrive عن اللاتينية adripare بمعنى « يصل إلى الشاطىء » ، وهذه الأخيرة ترجع بدورها إلى ripa ؛ أى « شاطىء » . فهذه الكلمة كانت فى الأصل مصطلحاً بحريًّا ، لا يجوز استعماله إلا فى معنى الوصول إلى الميناء ، أما الآن فقد اتسع نطاق استعمالها حتى أصبحت تشمل عدداً ضخماً من أنواع الوصول ، سواء أكان ذلك على القدم أم بأية وسيلة

---

(٥) تأويل مشكل القرآن : ١٣٥ .

(٦) نقد النثر : ٦٤ .

(٧) اللغة : ٢٥٨ .

أخرى من وسائل الانتقال[٨] .

والكلمة الإنجليزية barn كانت تدل فيما مضى على مخزن الشعير ، ولكنها الآن تدل على مخزن أى نوع من أنواع الحبوب وعلى مخزن ما سوى الحبوب أحياناً[٩] .

٣ ــ **انتقال المعنى** : ويتصل هذا النوع من التطور الدلالى بالاستعارة أيضاً ؛ لأن انتقال المعنى هاهنا مشروط بوجود علاقة المشابهة بين المدلولين ، ومن أمثلة ذلك أننا حين نتحدث عن « عين الإبرة » نكون قد استعملنا اللفظ الدال على عين الإنسان استعمالاً مجازيًّا ، والذى سوّغ ذلك شدة التشابه بين هذا العضو والثقب الذى ينفذ الخيط من خلاله .

وربما ينتقل مجال الدلالة لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين ، وهذا ما يطلق عليه اسم « المجاز المرسل » Metonymy ، ومن أمثلة ذلك كلمة bureau بمعنى « مكتب » ؛ فقد يكون معناها اليوم المكتب الذى يجلس إليه الإنسان ويكتب عليه ، أو المصلحة الحكومية ، أو المكان الذى تدار منه الأعمال . ومن الواضح أنه ليست هناك أية مشابهة بين المدلولين ، ولكن بينهما ارتباطاً من نوع آخر ؛ فالمكتب الذى نكتب عليه يوضع عادة فى الأماكن التى تدار منها الأعمال ، وعلى هذا فالفكرتان مرتبطتان بعضهما ببعض فى ذهن المتكلم ، أو قل إنهما ينتميان إلى مجال عقلى واحد ، وهذا هو التفسير النفسى لذلك النوع من المجاز المعروف بالمجاز المرسل[١٠] .

وبعد هذا العرض لما يتصل بالتطور الدلالى ، نحاول التعرف على ما يندرج تحته فى الرسائل اللغوية وبعض معاجم الموضوعات .

إن كلمة « فم » من أعضاء الجسم الخاصة بالإنسان ، ولكن يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) لجأ إلى التوسيع فى دلالتها ؛ فصارت عنده صالحة للإطلاق على كل شئ من الطير وغير ذلك ، وورد هذا فى الشعر . قال رؤبة

(٨) دور الكلمة فى اللغة : ١٨٠ .

(٩) علم اللغة : ٣٠٩ .

(١٠) دور الكلمة فى اللغة : ١٨٨ . وللتعرف على « المجاز » وما يتصل به من تقسيمات وشواهد ، انظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب : ٣ /١٩٣ ــ ٢٢٠ .

يصف الحوت :

كالحوتِ لا يرويه شئٌ يَلْهَمُـهْ
يصبحُ ظمآنَ وفى البحرِ فَمُـهْ[11]

وقال حُميد بن ثور يصف الحمامة :

عجبتُ لها أنّى يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تَفْغَرْ بمنطقها فَمَا[12]

فجعلا للحمامة والحوت فماً[13] .

ومن أمثلة توسيع الدلالة أو المعنى أيضاً أن « ظُفْر » الإنسان يطلق على طرف القوس العربية ، ويرى الأصمعى أن « الظُّفْر قد يستعار لكل شئٍ »[14] . قال الأعشى :

فى مِجْدَلٍ شُيِّدَ بنيانُـه يزلُّ عنه ظُفـرُ الطائـر[15]

وقال زهير :

لدى أسدٍ شاكى السلاحِ مُقاذِفٍ له لِبَدٌ أظفارُه لم تُقَلَّمِ[16]

وتطلق كلمة « الكُرَاع » على مستدق الساق العارى من اللحم من البقر والغنم ، وتجمع على « الأكارع » ، وقد استعاره بعض الشعراء فجعله للناس ، ومن ذلك ما أنشده ابنُ الأعرابى عن أبى زياد الكلابى :

أشكـو إلى مـولاى من مـولاتى
تربـط بالحبـلِ أكيـرعـاتى[17]

ومن الصفات التى تطلق على الناقة « خَبْر » ، فيقال : ناقةٌ خَبْرٌ ، إذا كانت غزيرةً ، وأصل ذلك من المزادة تسمى « الخَبْر » ، قال النابغة يذكر إبلاً تحمل الماء للخيل فى المزادة :

(١١) ديوان رؤبة : ١٥٩ .
(١٢) ديوان حميد : ٢٧ .
(١٣) ثابت بن أبى ثابت : الفرق ١٨ .
(١٤) السابق : ٢٣ .
(١٥) ديوان الأعشى : ١٠٨ .
(١٦) ديوان زهير : ٢٣ .
(١٧) الفرق : ٦٩ .

مُقرَّنةٌ بالأُدْمِ والصُّهْبِ كالقطا   عليها الحُبُورُ مُحقبَاتُ المراجلِ[18]

وكلمة « المشافر » خاصة بالبعير ، ومفردها « مِشْفَر » وتدل على شفة البعير الغليظة ، وقد قيل لشفاه الحبشى مشافر . قال الفرزدق :

فلو كنتَ ضبيًّا عرفْتَ قرابتى   ولكنَّ زنجيًّا عظيم المشافرِ[19]

وهذا اتساع فى الدلالة عن طريق الاستعارة .

وهناك ألفاظ كثيرة وردت تحت ما أسميناه بالتطور الدلالى ، ولعل ما ذكرناه يوضح المقصود بهذا التطور .

ولقد أشار أبو عبيد فى (الغريب المصنف) إلى نوع آخر من التطور الدلالى ، شرحه السيوطى حين وضعه تحت عنوان : « فيما وُضع عامًّا ، واستعمل خاصًّا ، ثم أُفرِد لبعض أفراده اسمٌ يخصُّه »[20] . قال أبو عبيد : « سمعتُ الأصمعى يقول : الرَّبع هو الدار حيث كانت ، والمَرْبَع المنزل فى الربيع خاصة ، والعَقار : المنزل فى البلاد ، والضياع ، والمنتجع : المنزل فى طلب الكلأ ، الفم : واحد الأفواه للبشر ، وكل حيوان ، وأفواه الأزقة خاصة ، واحدها فُوّهة مثال حمرة ، ولا يقال فم ، قاله الكسائى » .

ويقصد أبو عبيد وجود ألفاظ تدل على جنس الأشياء بصفة عامة ، ويندرج تحتها مسميات خاصة ؛ فكلمة « الحَبْل » لفظ عام ، فى حين أن « الكُرّ » للحبل الذى يُصعد به إلى النخل لفظ خاص ، ويقال : النوم فى الأوقات عام عام ، والقيلولة : نصف النهار خاص .

* * *

وبعد هذا العرض ، فننقل إلى نوع آخر من الدراسة الدلالية المتصلة بالرسائل اللغوية و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) وهو التعرف على دلالة الألفاظ فى الشواهد .

---

(١٨) الأصمعى : كتاب الإبل ٩٤ .

(١٩) الفرق : ٣٢ ؛ وخلق الإنسان : ١٠٧ ؛ وخزانة الأدب : ٤ /٣٧٩ .

(٢٠) المزهر ١ /٤٣٣

دلالة الألفاظ فى الشواهد

اهتم أصحاب الرسائل اللغوية ، وأبو عبيد فى (الغريب المصنف) وابن السكيت فى (الألفاظ) بدراسة معانى المفردات التى وردت فى آيات القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشعر ، والأمثال والأقوال المأثورة ؛ لذلك لم يكتف المعجميون ببيان محل الشاهد ، وإنما وسعّوا الدائرة ، فشرحوا الكثير من المفردات الموجودة داخل تلك الشواهد دلاليًا .

ونبدأ بالشواهد القرآنية الكريمة للتعرف على معانى بعض المفردات على نحو ما أشار المعجميون . قال تعالى : (إنَّا خلقْنا الإنسانَ من نطفةٍ أمشاج نبتليه)[1] ، يروى فى التفسير أنها النطفة المختلفة بالدم ، يقال للواحد : مِشْج ، والجميع أمشاج ، قال زهير بن حَرَامٍ الهذلى :

كأنَّ الريشَ والفُوقين منها ... خلافَ النَّصْلِ سِيطَ به مشيجُ[2]

وقال تعالى : (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعها فى السماء . تُؤتِى أُكُلها كلَّ حينٍ بإذنِ ربها ويضرب الله الأمثالَ للناس لعلهم يتذكرون . ومَثَلُ كلمةٍ خبيثة كشجرة خبيثة اجتُثَّتْ من فوقِ الأرضِ مالها من قرار)[3] .

تناول أبو حاتم السجستانى[4] بعض المفردات بالشرحِ ؛ فإن (كلمة طيبة) هى قول (لا إله إلا الله) ، و (كشجرة طيبة) هى النخلة ؛ فكما أن قول (لا إله إلا الله) سيد الكلام ، كذلك النخلة سيدة الشجر .

(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) هى الحنظلة ، ألم تَرَ إلى الريح كيف تصفقها يميناً وشِمالاً . وقال قتادة بن دعامة السدوسى : لقى رجل رجلاً من العلماء فقال : ما تقول فى « الكلمة الخبيثة » فقال : ما أعلمُ لها فى الأرض مستقرًا ، ولا فى السماء مصعداً ، إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافى بها يوم القيامة .

(١) الإنسان /٢ .
(٢) ثابت بن أبى ثابت : خلق الإنسان ٢ .
(٣) إبراهيم /٢٤ — ٢٦ .
(٤) كتاب النخل : ٣٣ وما بعدها .

وفُسِّر قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) على أنه الشرك بالله — جلَّ وعز — لا تقبلها السماء والأرض ، ليس لها قرار فى السماء والأرض .

وهناك آراء مختلفة حول تفسير الحين فى قوله تعالى : (تؤتى أُكلها كل حين) ؛ فيرى سعيد بن جُبير أنه ستة أشهر ، ويرى ابن عباس — رضى الله عنهما — أنه غدوة وعشية ، ويرى مُجاهد بن جبر أنه سنة .

ولعله مما يتصل بالحديث عن النخل أن بعض القوم يرى أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة ؛ وذلك حين سمع قوله تعالى : (فيها فاكهة ونخل ورمان)(٥) ، ولكن أبا حاتم السجستانى يرى أن العلى القدير ذكرهما فى الجملة ، ثم أفردهما تفضيلاً ، كما قال تعالى : (قل من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال)(٦) تفضيلاً لهما على سائر الملائكة ، وكما قال تعالى : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) فأجمل النبيين ، ثم قال تعالى : (ومنك من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم)(٧) فأفردهم تفضيلاً لهم على سائر الأنبياء(٨) .

وقال تعالى : (وحدائق غُلْباً)(٩) المقصود بـ (غلباً) كرام النخل ، ويرى عِكْرمة بن عمار (ت ١٥٩ هـ) أنها الحدائق الغلاظ ، ألا ترى أنه يقال للرجل الغليظ الرقبة : إنه لأغلبُ الرقبة(١٠) .

وقال تعالى : (أقم الصلاةَ لدلوكِ الشمسِ إلى غَسق الليلِ وقرآن الفجرِ إن قرآن الفجرِ كان مشهوداً)(١١) قال ابن عباس عن معنى (لدلوك الشمس) لزوالها الظهر والعصر . وقال رؤبة :

شادخةُ الغُرّةِ غرّاءُ الضَّحِكْ
تبلُّجَ الزهراءِ فى جنحِ الدَّلَكْ(١٢)

---

(٥) الرحمن ٦٨.
(٦) البقرة /٩٨ .
(٧) الأحزاب ٧.
(٨) النحل : ٤٠
(٩) عبس /٣٠
(١٠) النحل : ٤٨ .
(١١) الإسراء /٧٨ .
(١٢) ديوان رؤبة : ١١٦ .

فجعل الدلك غيبوبة الشمس[١٣] . وقال ذو الرمة :

مصابيحُ ليستْ باللواتى تقودُها نجومٌ ولا بالآفلاتِ الدَّوالكِ[١٤]

وقال تعالى : (والليلِ إذا عَسْعَسَ)[١٥] ؛ أى أظلم ، وقال بعضهم (عسعس) : ولّى ، وهذا من الأضداد ، وهو قول ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : (عسعس) ؛ أى أدبر . قال عِلْقة بن قُرط التيمى :

حتى إذا الصبحُ لها تنفَّسَا
وانجاب عنها ليلها وعَسْعَسَا

فالمعنى هاهنا الظلمة[١٦] .

وقال تعالى : (فمن خاف من مُوصٍ جَنَفاً)[١٧] أى : ميلاً ، وهذا المعنى مأخوذ من دلالة الجذر المعجمى (ج ن ف) ؛ إذ إن الرجل إذا كان فى أحد شقيه عَوَجٌ قيل : به جَنَفٌ . قال الشاعر :

جَنِفتْ له جَنَفاً فحاذر شرَّها زوراءُ منه وهو منها أزورُ

ومنه يقال : جَنِفَ فلان فى الحكم ؛ أى مال[١٨] .

وهناك آيات كثيرة اهتم أصحاب الرسائل اللغوية بالكشف عن معانى بعض ألفاظها ، ولكن اللافت للنظر أن أولئك لم يكونوا ليكتفوا بهذا الكشف عن المعانى فحسب ، وإنما خاضوا فى بعض الجوانب الدلالية التى ترتبط بالتركيب النحوى للآيات الكريمة ، ومن أمثلة ذلك توقف قطرب أمام ما يسمى بـ « المقلوب » ؛ أى تقديم ما يوضحه التأخير ، وتأخير ما يوضحه التقديم ، وقد ورد ذلك فى قوله تعالى : (خُلِقَ الإنسانُ من عجلٍ)[١٩] والمراد : خُلِق

---

(١٣) قطرب : كتاب الأزمنة ١٧ ؛ وانظر معانى القرآن : ٢ /١٢٩ .
(١٤) ديوان ذى الرمة : ٧٣٤ .
(١٥) التكوير /١٧ .
(١٦) الأزمنة : ٥١ .
(١٧) البقرة /١٨٢ .
(١٨) خلق الإنسان للأصمعى : ٢١٨ ؛ وخلق الإنسان لثابت : ٢٤٢ ومابعدها ؛ والمخصص : ٢ /١٩ .
(١٩) الأنبياء /٣٧

العجلُ من الإنسان ، يعنى العجلةُ ؛ وقوله تعالى : (ما إنَّ مفاتحه لتنوءُ بالعُصْبةِ أولى القوة)[٢٠] والمراد : لتنوء العصبةُ بها ؛ أى لتنهض بها متثاقلة[٢١] .

ويعد الحديث الشريف من الشواهد المهمة فى الرسائل اللغوية والمعاجم العربية على اختلاف أنواعها ، وقد نال غريبه اهتمام أبى عبيد على نحو ما أشرنا من قبل ؛ إذ إن له معجماً عنوانه (غريب الحديث) . وكان بعض أصحاب الرسائل كثابت بن أبى ثابت يعبر عن كل أثر ولو لم يكن عن الرسول ﷺ بالحديث[٢٢] .

وهناك أحاديث شريفة كان الرسول ﷺ يوضح المقصود ببعض ألفاظها ، والدليل على ذلك قول عبد الله بن عمر بن الخطاب : « قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن كشجرة لا يتحاتُ ورقها » . قال ابن عمر : فوقع فى نفسى أنها النخلة ، وعنده رجال من العرب ، فذكروا الشجر ، فما أصابوا حتى قال رسول الله ﷺ : هى النخلة ، فقلت لأبى : لقد وقع فى نفسى أنها النخلة ، فقال : يا بُنَىَّ ، ما منعك أن تتكلم بها ؟ فقلت : الحياء ، وكنتُ من أصغر القوم سنًا ، فقال : لأن تكون حيِيًا أحبُّ إلىَّ من كذا وكذا »[٢٣] .

وكانت الأحاديث الشريفة تفسر بعض الألفاظ القرآنية الكريمة أحياناً ، ومن ذلك ما رُوِىَ عن أنس بن مالك قال : « أُتى النبى ﷺ بقناعٍ عليه بُسْر ، فقال : (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة) قال : هى النخلة ، و (مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) وهى الحنظلة ، فأخبرتُ بذلك أبا العالية الرياحى[٢٤] ؛ فقال : هكذا كنا نسمع »[٢٥] .

وقد اهتم المعجميون بشرح بعض ألفاظ الحديث الشريف وبيان الدلالة

---

(٢٠) القصص /٧٦ .
(٢١) الأزمنة : ٢٦ ؛ وتأويل مشكل القرآن : ١٩٧ ؛ والمغنى : ٩١٤ ؛ وأمالى المرتضى : ٢ /١١٥ .
(٢٢) انظر : خلق الإنسان ٣٣٥
(٢٣) النخل : ٣٥ ؛ وتيسير الوصول إلى جامع الأصول للشيبانى : ١ /٢٩ .
(٢٤) هو رُفيع بن مهران (ت ٩٠ أو ٩٣ هـ) . انظر الإصابة : ٧ /١٤١ .
(٢٥) النخل : ٣٦ .

الخاصة بها ، ومن أمثلة ذلك توضيح معنى « الصَّفَر » فى قوله ﷺ : « لا عَدْوَى ولا هامةَ ولا صَفَرَ » ، قال أبو عبيدة : « سمعتُ يونسَ يسأل رؤبة بن العجاج عن الصَّفَر فقال : هى حية تكون فى البطن تصيب الماشية والناس ، وهى أعدى من الجَرَبِ عند العرب . وإنما تشتد على الإنسان وتؤذيه إذا كان جائعاً » . قال أعشى باهلة :

لا يتأرّى لما فى القِدْرِ يرقُبه ولا يَعضُّ على شُرْسوفِه الصَّفَرُ[٢٦]

ونالت دلالة الألفاظ فى الشعر عناية اللغويين ؛ بالإضافة إلى توقفهم أمام اختلاف رواية بعض الأبيات وتأثيره فى المعنى ، والسرقات الشعرية وصلتها بالأداء اللغوى على المستوى الدلالى[٢٧] . ونشير إلى أن اللغويين كانوا يعلقون على معانى بعض المفردات برواية بعض الأقوال ، ومن أمثلة ذلك ما حدَّث به به عيسى بن عمر من أنه سأل ذا الرمة عن شئ من الكلام ليس على وجهه فقال : أتعرفُ اليَتْنَ ؟ قلتُ : نعم ، قال : كلامك يتنٌ ، وأنشد :

فجاءتْ به يتناً يجرُّ مشيمةً تبادرُ رجلاه هناك الأناملا

وقال عيسى بن عمر : قالت أمُّ تأبطَ شرًّا لما بكتْ عليه : « واللهِ ما حملتهُ وُضْعاً ، ولا ولدتُه يتناً ، ولا أرضعته غَيْلاً »[٢٨] .

نأتى ، بعد ذلك ، إلى شروحِ المفردات التى وردت فى بعض الأبيات . قال كثّير :

وإنى لأستأنى ولولا طَماعةٌ بعزَّةَ قد جمَّعتُ بين الضرائرِ
وهَمَّ بناتى أن يَبِنَّ وحمَّمَتْ وجوهُ رجالٍ من بنىَّ الأصاغر[٢٩]

قوله « أستأنى » من الأناة : أنتظرُ بالتزويج طمعاً فى عزة ، وقوله « وهمَّ بناتى أن تبنَّ » يقول : ولولا ذلك قد تزوجتُ ووُلِدَ لى نساءٌ يبنَّ ؛ أى يخرجن إلى أزواجهن[٣٠] .

(٢٦) ثابت : خلق الإنسان ٢٧٦ .
(٢٧) انظر : كتاب الإبل ٦٦ .
(٢٨) السابق : ٧١ وما بعدها .
(٢٩) ديوان كثير : ١ /١٢١ .
(٣٠) ثابت : خلق الإنسان : ٢٠ ؛ والمخصص : ١ /٣٦ .

وكان اللغويون حين يشرحون بعض المفردات التي فى الأبيات ، يأتون لها بشواهد أخرى لتوضيح المعنى . قال ساعدة بن جُؤَيَّة :

حتى أُتيح لها وطال إيابُها ... ذو رُجْلَةٍ شَثْنُ البراثنِ جَحْنَبُ

جحنب : قصير ، ذو رجلة : شديد المشى قوى عليه . ويقال : رجل ذو رجلة ، ورجلٌ رجيلٌ ، وامرأة رَجيلةٌ ، وفرس ذو رجلة . قال الشاعر :

أنّى اهتديتِ وكنتِ غيرَ رَجيلةٍ ... شهدتْ عليكِ بما فعلتِ عيونُ

وقال الحارث بن حلزة :

أنّى اهتديت وكنتِ غير رجيلةٍ ... والقومُ قد قطعوا متونَ السَّجسجِ(٣١)

وربط اللغويون الشعر بالاستعمال السياقى للألفاظ ، ومن أمثلة ذلك أن العرب إذا تداعت بعضُها على بعض تقول : ما له عامَ وآمَ(٣٢) . قال عبد الملك بن مروان حين أنشده جرير :

تعزّتْ أمُّ حَزْرةَ ثم قالتْ ... رأيتُ الموردين ذوى لِقاحِ
تُعلِّلُ وهى ساغبةٌ بنيهـا ... بأنفاسٍ من الشَّبِمِ القَراحِ(٣٣)

لا أروى اللهُ عيمتها ، فلما أنشده :

ألستم خيرَ مَنْ ركب المطايا ... وأندى العالمين بطونَ راحِ

استوى (أى عبد الملك) قاعداً وكان متكئاً ، فقال : أعِدْ ، فأعاد البيت عليه فقال : ويحَكَ أُترويها مائة من الإبل ؟ فقال : نَعَمْ ، إنْ كانت من نَعَمِ كلبٍ(٣٤) .

ونشير إلى أنّ المعجميين كانوا يعدون استعارة لفظ مكان آخر نوعاً من أنواع « الضرورات الشعرية » ؛ فقد قال أبو دُوَادٍ :

---

(٣١) الفَرْق : ٢٤ وما بعدها ؛ وانظر تاج العروس (ر ج ل) .
(٣٢) عامَ : بقى بلا حلوبة ، وآم : ماتتْ امرأته .
(٣٣) القراح : الخالص الذى لا يشوبه شئ .
(٣٤) الفرق : ٢٠ وما بعدها .

فبتْنــا عُـراةً لدى مهـرِنــا   نُنزِّعُ من شــفتيه الصَّفَــارَا

فجعل للفرس شفتين ضرورة[٣٥] ، على الرغم من أن تلك الاستعارة اللفظية من ضروب التوسع فى دلالة الألفاظ على نحو ما أشرنا حين حديثنا عن التطور اللغوى .

واهتم المعجميون بشرح الألفاظ العربية التى وردت فى شعر بعض الشعراء خلال مقارنتها بالمعرَّب ، ومن أمثلة ذلك قول الأسود بن يعطر :

من خمرِ ذى نَطَفٍ أغنَّ كأنما   قنأتْ أناملُه من الفِرْصَادِ

الذى علّق عليه أبو حاتم السجستانى بقوله : « الفرصاد هو التوت ، ولا يقال بالثاء المعجمة بثلاث نقط ، إنما هو اسم فارسى أعربته العرب فجعلوا الثاء تاءً »[٣٦] .

وتعد الأمثال والأقوال المأثورة من الشواهد التى عوّل عليها المعجميون فى شرح معانى المفردات ، وقد بيّنوا ما فيها من ألفاظ إذا كانت غامضة فى دلالتها ، ومن ذلك قول العرب فى مَثَلٍ لهم : « أمَا والله لأقيمنَّ صَعَرَكَ » ، والصعر : ميل فى العنق فى أحد الشقين ويكون فى الوجه أيضاً إذا مال فى أحد شقيه ، يقال : رجل أصْعَرُ ، وامرأة صَعْرَاءُ ، من قوم صُعْرٍ ، قال الحطيئة :

أمْ مَنْ لخصمٍ مضجعين قِسِيِّهم   صُعْرٍ خدودُهم عِظامُ المَفْخرِ[٣٧]

ومن الأقوال المأثورة التى شرحوا معانى مفرداتها قولهم : « إذا أفلت الشابُّ من ثلاثٍ أفلت من شر الشباب : من شر ذَبْذَبِه وقَبْقَبِه ولَقْلَقِه » فذبذبه : فرجه ، وقبقبه : بطنه ، ولقلقه : لسانه[٣٨] .

وقال أبو عبيد : قال محمد بن سلام الجمحى : قرّب أعرابى جَفنةً من ثريد لأضياف له ، وقال : لا تشرموها ولا تقعروها ولا تصقعوها . قالوا :

(٣٥) السابق : ٢٠ .

(٣٦) النخل : ٧٣ .

(٣٧) خلق الإنسان للأصمعى : ٢٠١ ؛ وخلق الإنسان لثابت : ٢٠٨ .

(٣٨) خلق الإنسان لثابت : ١٨٨ .

ويحك . فمن أين نأكل ؟. والشَّرْم : أن تأكل من نواحيها ، والقعر : أن تأكل من أسفلها ، والصقع : أن تأكل من أعلاها[٣٩] .

* * *

وبعد فهذه محاولة للتعرف على دلالة الألفاظ فى الشواهد على نحو ما قدمه اللغويون ؛ خاصة أصحاب الرسائل والرواد الأوائل الذين اشتهروا بجمع الألفاظ من البادية وألسنة الأعراب .

(٣٩) السابق ٢٦

الخاتمـــة

إن البحث فى « معاجم الموضوعات » من البحوث الأصيلة ؛ لأنه يقدم الفرصة للاتصال بالمنابع الأولى للفكر اللغوى عند العرب ، ويعود السبب فى ذلك إلى أنّ الذين ألفوا فيه عدد من كبار اللغويين وجامعى اللغة الأوائل ؛ وذلك على نحو ما يتمثل فى « الرسائل اللغوية فى الموضوعات » التى تعد اللبنة الأولى فى صناعة معاجم الموضوعات ؛ لأنها تهم بجمع ألفاظ اللغة التى تدور فى إطار موضوع واحد كالخيل أو المطر أو الكرم ، ولأنها أيضاً قد استُغلت فى عمل معجمى (الغريب المصنف) لأبى عبيد ، و (الألفاظ) لابن السكيت .

وقد حاولنا — ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً — أن نتتبع المعجم الموضوعى منذ نشأته الأولى ، حتى أصبح واحداً من أنواع المعاجم العربية التى يعول عليها الأدباء واللغويون ، ولذلك مهّدنا لتلك المحاولة بالحديث عن « المعجم الموضوعى : ماهيته ومعناه » ، مع الاهتمام بالنصوص الأولى التى تنسب إلى كبار الأئمة ، حتى يمكن تقديم تعريف محدد بالمعجم الموضوعى . وقد أتبعنا ذلك التمهيد بثلاثة أبواب تدور حول « الرسائل اللغوية فى الموضوعات » ، و « المعجم الموضوعى عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجرى » ، و « دراسة لغوية » فى النصوص التى احتوتها الرسائل و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) خلال مستويات ثلاثة : الصوتى ، والتركيبى ، والدلالى ، وقد أفادت تلك الدراسة اللغوية فى تقديم بعض الحقائق الخاصة بالواقع اللغوى للعربية .

ولعل أهم ما فى تلك المحاولة من جديد أن البحث فى معاجم الموضوعات نفسه لم يتناوله كثير من الباحثين قديماً وحديثاً ، وإنما اهتمت معظم الدراسات الخاصة بالمعاجم ، باللغوية منها ؛ وذلك خلال تتبع نشأتها الأولى ، والطرق التى سارت عليها فى جمع الألفاظ وحصرها . ولعله مما يتصل بالجديد فى هذا البحث أيضاً تحليل المادة المعجمية التى اشتملت عليها الرسائل و (الغريب المصنف) و (الألفاظ) فى ضوء مناهج البحث فى علم اللغة الحديث . وإننا لننتهز الفرصة لتوجيه الدعوة للباحثين فى اللغة لإعادة قراءة تراثنا المعجمى قراءة جديدة نستعين خلالها بالمناهج التى وضعها المحدثون فى التحليل اللغوى .

إن الأعمال العلمية التى تناولت المعاجم اللغوية بالدراسة سيطر عليها طابع التأريخ لنشأة المعجم العربى ، ومعرفة التطور التاريخى لتلك النشأة ، دون الغوص فى بطون تلك المعاجم بالتحليل اللغوى لمادتها ، والدليل على ذلك أن كتاب الدكتور حسين نصار (المعجم العربى : نشأته وتطوره) الذى ظهرت طبعته الأولى عام ١٩٥٦ م ، مايزال منهجه فى تتبع النشأة والتطور هو المسيطر على المؤلفات التى اهتمت بالمعاجم اللغوية .

نعود إلى بحثنا (معاجم الموضوعات فى ضوء علم اللغة الحديث) فنجد الكثير من النتائج التى تم التوصل إليها ، نحو توثيق نسبة بعض الرسائل اللغوية ، ومعرفة مناهج الأوائل فى جمع اللغة من البوادى وألسنة الأعراب ، وحصر المصادر التى كانت الأساس الذى اعتمد عليه اللغويون فى استقاء موضوعات تلك الرسائل ، وقد حصرناها فى القرآن الكريم ، والحياة فى شبه الجزيرة العربية ، والشعر العربى بألوانه المختلفة وفنونه المتنوعة . وهناك نتائج أخرى كثيرة نستطيع التوصل إليها حين قراءة هذا البحث .

بقى أن نشير إلى أن معظم الرسائل اللغوية التى وضعها القدماء تحتاج إلى عناية المحدثين من حيث إعداد ما هو مخطوط للنشر ، وإعادة تحقيق ما تم نشره على أسس علمية سليمة .

وبعد فهذه محاولة للتعرف على « معاجم الموضوعات فى ضوء علم اللغة الحديث » قمت بها جادًّا مخلصاً ، وأرجو أن تكون مقدمة أو تمهيداً لبحوث أخرى ، تهتم بهذا اللون من التأليف المعجمى عند العرب .

وعلى الله قصد السبيل ،،،

المصادر العربية

الآمدى (الحسن بن بشر) :

١ ـــ المؤتلف والمختلف ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، البابى الحلبى ، ١٩٦١ .

إبراهيم أنيس :

٢ ـــ الأصوات اللغوية ، الطبعة الثانية ، لجنة البيان العربى ، ١٩٥٠ .

٣ ـــ دلالة الألفاظ ، الطبعة الثالثة ، الأنجلو ، ١٩٧٦ .

٤ ـــ اللهجات العربية ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٢ .

٥ ـــ من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٥١ .

إبراهيم السامرائى :

٦ ـــ التطور اللغوى التاريخى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٦ .

٧ ـــ فقه اللغة المقارن ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٣ .

ابن الأثير (ضياء الدين) :

٨ ـــ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، حققه أحمد الحوفى وبدوى طبانة ، القاهرة ١٩٥٩ .

ابن الأثير (مجد الدين) :

٩ ـــ النهاية فى غريب الحديث والأثر ، المطبعة العثمانية ، ١٣١١ هـ .

ابن الأجدابى (أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل) :

١٠ـــ الأزمنة والأنواء ، حققه عزة حسن ، دمشق ، ١٩٦٤ .

١١ـــ كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ فى اللغة العربية ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٣٠٥ هـ .

أحمد الحوفى :

١٢ـــ أغانى الطبيعة فى الشعر الجاهلى ، نهضة مصر ، ١٣٧٧ هـ ـــ ١٩٥٨ م .

١٣ــ الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، الطبعة الثالثة ، نهضة مصر .

أحمد رضا العاملي .

١٤ــ مولد اللغة ، بيروت ، ١٩٥٦ .

أحمد سليمان ياقوت :

١٥ــ فى علم اللغة التقابلى ، دراسة تطبيقية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ .

أبو أحمد العسكرى (الحسن بن عبد الله) :

١٦ــ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ، حققه عبد العزيز أحمد ، الحلبى ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٣ م .

أحمد عيسى :

١٧ــ تاريخ النبات عند العرب ، مطبعة الاعتماد ، ١٣٦٣ هـ ــ ١٩٤٤ م .

أحمد مختار عمر :

١٨ــ البحث اللغوى عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م .

١٩ــ البحث اللغوى عند الهنود وأثره على اللغويين العرب ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٢ .

٢٠ــ علم الدلالة ، دار العروبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

أحمد مطلوب :

٢١ــ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العلمى العراقى ، ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .

أحمد مكى الأنصارى :

٢٢ــ أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٢ م .

الأصمعى :

٢٣ــ الإبل ، حققه أوغست هفنر ، بيروت ١٩٠٣ .

٢٤ــ أسماء الوحوش وصفاتها ، مخطوط بدار الكتب المصرية (٣٣١ لغة تيمور) .

٢٥ــ الأضداد ، حققه أوغست هفنر ، بيروت ١٩١٢ .

٢٦ــ خلق الإنسان ، حققه أوغست هفنر ، بيروت ١٩٠٣ .

٢٧ــ الخيل ، مخطوط بدار الكتب المصرية (٣٣١ لغة تيمور) .

٢٨ــ الشاء ، مخطوط بدار الكتب المصرية (٣٣١ لغة تيمور) .

٢٩ــ الفَرْق ، مخطوط بدار الكتب المصرية (٣٣١ لغة تيمور) .

٣٠ــ النبات والشجر ، حققه أوغست هفنر ولويس شيخو ، بيروت ١٩٠٨ .

ابن الأعرابى :

٣١ــ كتاب البئر ، حققه رمضان عبد التواب ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ .

الأعشى :

٣٢ــ الديوان ، حققه محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب بالجماميز .

امرؤ القيس :

٣٣ــ الديوان ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٨ م .

ابن الأنبارى (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد) :

٣٤ــ الإغراب فى جدل الإعراب ، حققه سعيد الأفغانى ، مطبعة الجامعة السورية ، ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٧ م .

٣٥ــ أسرار العربية ، حققه محمد بهجة البيطار ، دمشق ، ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٧ م .

٣٦ــ البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ، حققه رمضان عبد التواب ، مركز تحقيق التراث ، القاهرة ١٩٧٠ .

٣٧ــ لمع الأدلة فى أصول النحو ، حققه سعيد الأفغانى ، مطبعة الجامعة السورية ، ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٧ م .
٣٨ــ نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، حققه إبراهيم السامرائى ، بغداد ١٩٥٦ .

ابن الأنبارى (أبو بكر محمد بن القاسم) :

٣٩ــ الأضداد ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، الكويت ، ١٩٦٠ .
٤٠ــ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، حققه عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ١٩٦٤ .
٤١ــ المذكر والمؤنث ، حققه محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م .

أوتو جسبرسن :

٤٢ــ اللغة بين الفرد والمجتمع ، ترجمة عبد الرحمن أيوب ، الأنجلو ، ١٩٥٤ .

أوس بن حجر :

٤٣ــ الديوان ، حققه محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م .

أولمان :

٤٤ــ دور الكلمة فى اللغة ، ترجمة كمال بشر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٢ .

برجشتراسر :

٤٥ــ التطور النحوى للغة العربية ، مطبعة مصر ١٩٢٩ .

بروكلمان :

٤٦ــ تاريخ الأدب العربى ، الجزء الثانى ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف بمصر .

البنا الدمياطى :

٤٧ــ إتحاف فضلاء البشر فى قراءات الأربعة عشر ، القاهرة ١٣٥٩ هـ .

ابن البيطار :

٤٨ــ الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، طبعة بولاق ١٢٩١ هـ .

تمام حسان :

٤٩ــ اللغة بين المعيارية والوصفية ، الإنجلو ١٩٥٨ .

٥٠ــ اللغة العربية : معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ .

٥١ــ مناهج البحث فى اللغة ، الأنجلو ١٩٥٥ .

ثابت بن أبى ثابت :

٥٢ــ خلق الإنسان ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ، ١٩٦٥ .

٥٣ــ الفَرْق ، حققه حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، لبيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م .

الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد) :

٥٤ــ فقه اللغة وسر العربية ، حققه مصطفى السقا وآخرون ، البابى الحلبى ، ١٩٧٢ .

الجاحظ (عمرو بن بحر) :

٥٥ــ البيان والتبيين ، حققه حسن السندوبى ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٥١ هـ ــ ١٩٣٢ م .

٥٦ــ الحيوان ، حققه عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الأولى ، الحلبى ، ١٣٥٦ هـ ــ ١٩٣٨ م /١٣٦٤ هـ ــ ١٩٤٥ م .

جريــر :

٥٧ــ الديوان ، حققه محمد إسماعيل الصاوى ، الطبعة الأولى ، مطبعة الصاوى ١٣٥٣ هـ .

ابن الجزرى (محمد بن محمد) :

٥٨ـ غاية النهاية فى طبقات القراء ، حققه برجشتراسر ، السعادة ١٩٣٢

٥٩ـ النشر فى القراءات العشر ، نُشِرَ بإشراف على محمد الضباع ، الطبعة الأولى ، التجارية .

ابن جنى :

٦٠ـ الخصائص ، حققه محمد على النجار ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧١ هـ ـ ١٣٧٦ هـ/١٩٥٢ م ـ ١٩٥٦ م .

٦١ـ سر صناعة الإعراب ، حققه مصطفى السقا وآخرون ، الحلبى ، ١٩٥٤ .

٦٢ـ المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، حققه على النجدى ناصف وزميلاه ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ ـ ١٣٨٩ هـ .

الجواليقى (موهوب بن أحمد) :

٦٣ـ شرح أدب الكاتب ، نشره مصطفى صادق الرافعى ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٦٤ـ المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، حققه أحمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، دار الكتب بالقاهرة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م .

جون ليونز :

٦٥ـ نظرية تشومسكى اللغوية ، ترجمه حلمى خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٥ .

الجوهرى (إسماعيل بن حماد) :

٦٦ـ تاج اللغة وصحاح العربية ، حققه أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٥٦ .

أبو حاتم السجستانى :

٦٧ـ الأضداد ، حققه أوغست هفنر ، بيروت ١٩١٢ .

٦٨ــ الكرم ، حققه هفنر وشيخو ، بيروت ١٩٠٨ .
٦٩ــ النخل ، حققه إبراهيم السامرائى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥ م .

حاتم الطائى :

٧٠ــ الديوان ، حققه عادل سليمان جمال ، مطبعة المدنى ، القاهرة ١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م .

حاجى خليفة شلبى :

٧١ــ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، مطبعة المعارف ١٣٦٢ هـ ــ ١٩٤٣ م .

ابن حجر العسقلانى :

٧٢ــ الإصابة فى تمييز الصحابة ، طبعة السعادة ١٣٢٨ هـ .

حسان بن ثابت :

٧٣ــ الديوان ، تحقيق وليد عرفات ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٤ .

حسن ظاظا :

٧٤ــ كلام العرب ، مطبعة المصرى ، توزيع دار المعارف ١٩٧١ .

الحطيئة :

٧٥ــ الديوان ، حققه أحمد بن الأمين الشنقيطى ، طبعة التقدم .

حلمى خليل :

٧٦ــ الكلمة ، دراسة لغوية ومعجمية ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣ .

حُمَيْد بن ثور الهلالى :

٧٧ــ الديوان ، صنعة عبد العزيز الميمنى ، القاهرة ١٩٥١ .

أبو حَيان الأندلسى :

٧٨ــ البحر المحيط ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .

أبو حيّان التوحيدى :

٧٩ـ الإمتاع والمؤانسة ، حققه أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة ١٩٤٢ .

ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد) :

٨٠ـ الحجة فى القراءات السبع ، حققه عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٧١ .

٨١ـ مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع ، حققه برجشتراسر ، الرحمانية ، القاهرة ١٩٣٤ .

الخطيب الإسكافى (محمد بن عبد الله) :

٨٢ـ مبادىء اللغة ، الطبعة الأولى ، السعادة ١٣٢٥ هـ .

الخطيب البغدادى (أحمد بن على) :

٨٣ـ تاريخ بغداد ، الخانجى ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣١ م .

الخطيب القزوينى :

٨٤ـ الإيضاح فى علوم البلاغة ، حققه محمد عبد المنعم خفاجى ، دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد) :

٨٥ـ وفيات الأعيان ، حققه إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

الخفاجى (شهاب الدين) :

٨٦ـ شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

الخليل بن أحمد :

٨٧ـ العين ، حققه مهدى المخزومى وإبراهيم السامرائى ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٠ ـ ١٩٨٦ .

ابن خير الإشبيلى (أبو بكر محمد) :

٨٨ـ الفهرسة ، الطبعة الثانية ، بيروت والقاهرة وبغداد ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م .

ابن دُرَيْد (أبو بكر محمد بن الحسن) :

٨٩ــ الاشتقاق ، طبعة جوتنجن ١٨٥٤ .

٩٠ــ جمهرة اللغة ، الطبعة الأولى ، نشر كرنكو ، حيدر آباد ، ١٣٤٤ هـ .

٩١ــ وصف المطر والسحاب وما نعتته العرب الروّاد من البقاع ، حققه عز الدين التنوخي ، دمشق ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٣ م .

ذو الرمة :

٩٢ــ الديوان ، حققه كاريل هنرى هيس مكارتنى ، كمبردج ، ١٣٧٧ هـ ــ ١٩١٩ م .

أبو ذؤيب الهذلى :

٩٣ــ شعره فى : ديوان الهذليين ، الطبعة الأولى ، دار الكتب ، القاهرة ١٣٦٤ هـ ــ ١٩٥٤ م .

الراغب الأصفهانى (أبو القاسم الحسين بن محمد) :

٩٤ــ المفردات فى غريب القرآن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

ربحى كمال :

٩٥ــ التضاد فى ضوء اللغات السامية ، بيروت ، ١٩٧٢ .

الربعى (عيسى بن إبراهيم) :

٩٦ــ نظام الغريب ، حققه برونله ، الطبعة الأولى ، مطبعة هندية بالموسكى .

ابن رشيق :

٩٧ــ العمدة فى صناعة الشعر ونقده ، حيدر آباد ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٤ هـ ــ ١٩٢٥ م .

الرمانى :

٩٨ــ الألفاظ المترادفة ، حققه محمد محمود الرافعى ، مصر ، ١٣٢١ هـ .

رمضان عبد التواب :

٩٩ـ بحوث ومقالات فى اللغة ، الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢ .

١٠٠ـ فصول فى فقه العربية ، الخانجى ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ .

رؤبة بن العجاج :

١٠١ـ مجموعة أشعار العرب ، وهو مشتمل على ديوان رؤبة وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه ، حققه وليم بن الورد البروسى ، ليبزج ١٩٠٣ .

رودلف زلهايم :

١٠٢ـ الأمثال العربية القديمة ، ترجمة رمضان عبد التواب ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .

الزُّبَيْدى (أبو بكر محمد بن الحسن) :

١٠٣ـ طبقات اللغويين والنحويين ، مطبعة السعادة ، ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م .

الزَّبيدى (محمد مرتضى) :

١٠٤ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، الطبعة الأولى ، الخيرية ، ١٣٠٦ هـ ، وهناك طبعة موثقة صَدَرَ منها عشرون جزءاً ، وهى تطبع فى الكويت .

الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السرى) :

١٠٥ـ خلق الإنسان ، حققه إبراهيم السامرائى ، طبعة المجمع العلمى العراق ، ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

الزجاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) :

١٠٦ـ الإيضاح فى علل النحو ، حققه مازن المبارك ، القاهرة ١٩٥٩ .

١٠٧ـ مجالس العلماء ، حققه عبد السلام محمد هارون ، الكويت ١٩٦٢ .

الزمخشرى (جار الله محمود بن عمر) :

١٠٨ـ أساس البلاغة ، دار الكتب المصرية ١٩٢٢ .

١٠٩ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، طبعة الحلبى ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٣م .

ابن زنجلة (أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد) :

١١٠ـ حجة القراءات ، حققه سعيد الأفغانى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

زهير بن أبى سُلمى :

١١١ـ الديوان ، صنعة أبى العباس ثعلب ، دار الكتب المصرية ، ١٣٦٣ هـ ـ ١٩٤٤ م .

زيد بن رفاعة :

١١٢ـ جوامع كتاب إصلاح المنطق ، الطبعة الأولى ، الهند ، ١٣٥٤ هـ .

أبو زيد الأنصارى (سعيد بن أوس) :

١١٣ـ اللبأ واللبن ، حققه هفنر وشيخو ، بيروت ١٩٠٨ .

١١٤ـ المطر ، حققه هفنر وشيخو ، بيروت ١٩٠٨ .

١١٥ـ النوادر ، حققه سعيد الخورى الشرتونى ، بيروت ١٨٩٤ .

١١٦ـ الهمز ، حققه لويس شيخو ، بيروت ١٩١١ .

أبو زيد القرشى :

١١٧ـ جمهرة أشعار العرب ، الرحمانية بمصر ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م .

السبكى (تاج الدين) :

١١٨ـ طبقات الشافعية الكبرى ، الطبعة الأولى ، الحسينية .

سحيم عبد بنى الحسحاس :

١١٩ـ الديوان ، حققه عبد العزيز الميمنى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م .

ابن السراج (أبو بكر محمد بن السرى) :
١٢٠ــ الاشتقاق ، حققه محمد صالح التكريتى ، بغداد ١٩٧٣

ابن السكيت :
١٢١ــ إصلاح المنطق ، حققه أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٤٩ .
١٢٢ــ الأضداد ، حققه أوغست هفنر ، بيروت ١٩١٢ .
١٢٣ــ الألفاظ ، حققه لويس شيخو ، بيروت ١٨٩٥ .
١٢٤ــ شرح ديوان عروة بن الورد ، حققه ابن أبى شنب ، الجزائر ١٩٢٦ .
١٢٥ــ القلب والإبدال ، حققه أوغست هفنر ، بيروت ١٩٠٣ .

ابن سنان الخفاجى (أبو محمد عبد الله بن محمد) :
١٢٦ــ سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

سيبويه :
١٢٧ــ الكتاب ، حققه عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٨٥ هـ ــ ١٣٩٧ هـ /١٩٦٦ م ــ ١٩٧٧ م .

ابن السيد البطليوسى (أبو محمد عبد الله بن محمد) :
١٢٨ــ الاقتضاب فى شرح أدب الكُتّاب ؛ المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩٠١ .
١٢٩ــ المثلث ، حققه صلاح الفرطوسى ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م .

ابن سيده (على بن إسماعيل) :
١٣٠ــ المخصص ، الطبعة الأولى ، بولاق ١٣١٦ هـ .

السيوطى (جلال الدين) :
١٣١ــ الإتقان فى علوم القرآن ، الطبعة الثالثة ، الحلبى ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥١ م .

١٣٢ـ الاقتراح فى علم أصول النحو ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ١٣١٠ هـ .
١٣٣ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، الحلبى ١٩٦٥ .
١٣٤ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، الحلبى ١٩٥٨ .
١٣٥ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية ، دار المعرفة ، بيروت .

شارلتون :

١٣٦ـ فنون الأدب ، ترجمة زكى نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

الشافعى (الإمام محمد بن إدريس) :

١٣٧ـ الرسالة ، حققه أحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى ، الحلبى ، ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م .

الشماخ بن ضرار :

١٣٨ـ الديوان ، حققه الشنقيطى ، طبعة السعادة ١٣٢٧ هـ .

الصغانى (الحسن بن محمد بن الحسن) :

١٣٩ـ الأضداد ، حققه أوغست هفنر ، بيروت ١٩١٢ .
١٤٠ـ الشوارد ، أو ما تفرَّد به بعضُ أئمة اللغة ، حققه مصطفى حجازى ، وراجعه محمد مهدى علام ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

طاش كبرى زاده :

١٤١ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حققه كامل بكرى وعبد الوهاب أبو النور ، القاهرة ١٩٦٨ .

طرفة بن العبد :

١٤٢ــ الديوان ، حققه الدكتور على الجندى ، الأنجلو ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٥٨ م .

طه حسين :

١٤٣ــ فى الأدب الجاهلى ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦ .

أبو الطيب اللغوى (عبد الواحد بن على) :

١٤٤ــ الإبدال ، حققه عز الدين التنوخى ، دمشق ١٣٧٩ هـ ــ ١٣٨٠ هـ/١٩٦٠ م/١٩٦١ م .

١٤٥ــ الأضداد فى كلام العرب ، حققه عزة حسن ، دمشق ١٩٦٣ .

١٤٦ــ مراتب النحويين ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، نهضة مصر ١٩٥٥ .

ابن عبد البر :

١٤٧ــ الانتقاء فى فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء : مالك والشافعى وأبى حنيفة ، رضى الله عنهم ، طبعة القدسى ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

عبد الجبار الجومرد :

١٤٨ــ الأصمعى : حياته وآثاره ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٥٥ .

ابن عبد ربه :

١٤٩ــ العقد الفريد ، حققه أحمد أمين وآخرون ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٧٢ هـ ــ ١٩٥٣ م .

عبد الصبور شاهين :

١٥٠ــ أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ، الطبعة الأولى ، الخانجى ، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م .

١٥١ــ فى علم اللغة العام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م .

عبد القادر البغدادى :

١٥٢ــ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، حققه عبد السلام هارون ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٩ .

عبد القادر المغربى :

١٥٣ــ الاشتقاق والتعريب ، القاهرة ١٩٤٧ .

عبد الله درويش :

١٥٤ــ المعاجم العربية مع اهتمام خاص بمعجم (العين) للخليل بن أحمد ، طبعة الرسالة ، ١٩٥٦ .

١٥٥ــ معجم (تهذيب اللغة) لأبى منصور الأزهرى ، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة العدد الثامن عشر ١٩٦٣ .

عبد المجيد عابدين :

١٥٦ــ الأمثال فى النثر العربى القديم مع مقارنتها بنظائرها فى الآداب السامية الأخرى ، الطبعة الأولى ، مصر ١٩٥٦ .

عبده الراجحى :

١٥٧ــ فقه اللغة فى الكتب العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٢ .

١٥٨ــ اللغة وعلوم المجتمع ، دار نشر الثقافة ، الإسكندرية ١٩٧٧ .

١٥٩ــ اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ، دار المعارف ١٩٦٨ .

١٦٠ــ النحو العربى والدرس الحديث ، بحث فى المنهج ، دار نشر الثقافة ، الإسكندرية ١٩٧٧ .

أبو عبيد البكرى :

١٦١ــ فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال ، حققه عبد المجيد عابدين وإحسان عباس ، بيروت ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م .

أبو عبيد القاسم بن سلام :

١٦٢ــ الأجناس من كلام العرب وما اشتبه فى اللفظ واختلف فى المعنى ، طبعة الكتبى ١٣٥٦ هـ ــ ١٩٣٨ م .

١٦٣ــ الأموال ، حققه محمد حامد الفقى ، التجارية بمصر ١٣٥٣ هـ .
١٦٤ــ الرحل والمنزل ، حققه هفنر وشيخو ، بيروت ١٩٠٨ .
١٦٥ــ الغريب المصنف ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢ لغة ش) .
١٦٦ــ ما ورد فى القرآن الكريم من لغات قبائل العربية ، مطبوع على هامش تفسير الجلالين ، طبعة الاستقامة ، القاهرة .
١٦٧ــ النخل ، حققه هفنر وشيخو ، بيروت ١٩٠٨ .
١٦٨ــ النعم والبهائم والوحوش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض ، حققه موريس بوج ، ليبزج ١٩٠٨ .

أبو عبيدة (مَعْمَر بن المثنى) :

١٦٩ــ الخيل ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ١٣٥٨ هـ .
١٧٠ــ مجاز القرآن ، حققه محمد فؤاد سزكين ، الطبعة الأولى ، الخانجى ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٤ م .

العجاج :

١٧١ــ الديوان ، حققه عزة حسن ، دار الشرق ، بيروت ١٩٧١ .

عروة بن الورد :

١٧٢ــ الديوان ، حققه عبد المعين الملوحى ، دمشق ١٩٦٦ .

ابن عطية (أبو محمد عبد الحق) :

١٧٣ــ مقدمة تفسير ابن عطية المسمَّى (الجامع المحرر) ، نشرها آرثر جفرى ضمن كتاب (مقدمتان فى علوم القرآن) ، الخانجى ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م .

عز الدين على بن محمد :

١٧٤ــ أُسْد الغابة فى معرفة الصحابة ، القاهرة ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣ .

على بن حمزة :

١٧٥ــ التنبيهات ، حققه عبد العزيز الميمنى ، دار المعارف ١٩٦٧ .

١٦٣ـ الأموال ، حققه محمد حامد الفقى ، التجارية بمصر ١٣٥٣ هـ .
١٦٤ـ الرحل والمنزل ، حققه هفنر وشيخو ، بيروت ١٩٠٨ .
١٦٥ـ الغريب المصنف ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢ لغة ش) .
١٦٦ـ ما ورد فى القرآن الكريم من لغات قبائل العربية ، مطبوع على هامش تفسير الجلالين ، طبعة الاستقامة ، القاهرة .
١٦٧ـ النخل ، حققه هفنر وشيخو ، بيروت ١٩٠٨ .
١٦٨ـ النعم والبهائم والوحوش والسباع والطير والهوام وحشرات الأرض ، حققه موريس بوج ، ليبزج ١٩٠٨ .

أبو عبيدة (مَعْمَر بن المثنى) :

١٦٩ـ الخيل ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد ١٣٥٨ هـ .
١٧٠ـ مجاز القرآن ، حققه محمد فؤاد سزكين ، الطبعة الأولى ، الخانجى ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م .

العجاج :

١٧١ـ الديوان ، حققه عزة حسن ، دار الشرق ، بيروت ١٩٧١ .

عروة بن الورد :

١٧٢ـ الديوان ، حققه عبد المعين الملوحى ، دمشق ١٩٦٦ .

ابن عطية (أبو محمد عبد الحق) :

١٧٣ـ مقدمة تفسير ابن عطية المسمّى (الجامع المحرر) ، نشرها آرثر جفرى ضمن كتاب (مقدمتان فى علوم القرآن) ، الخانجى ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .

عز الدين على بن محمد :

١٧٤ـ أُسْد الغابة فى معرفة الصحابة ، القاهرة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣ .

على بن حمزة :

١٧٥ـ التنبيهات ، حققه عبد العزيز الميمنى ، دار المعارف ١٩٦٧ .

فاطمة محجوب :

١٨٨ـــ دراسات فى علم اللغة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .

الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) :

١٨٩ـــ المذكر والمؤنث ، حققه رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٧٥ .

١٩٠ـــ معانى القرآن ، حققه أحمد يوسف نجاتى وزميله ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٥٥ .

الفرزدق :

١٩١ـــ الديوان ، حققه عبد الله إسماعيل الصاوى ، الطبعة الأولى ، مطبعة الصاوى ، القاهرة ١٣٥٤ هـ ـــ ١٩٣٦ م .

فيكافالتر :

١٩٢ـــ أسماء الأعلام العربية من القرن الجاهلى الأخير إلى العصر العباسى ، بحث منشور بمجلة اللسان العربى ، الجزء الأول ، المجلد التاسع ، ذو القعدة ١٣٩١ هـ ـــ ١٩٧٢ م .

الفيروزابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) :

١٩٣ـــ القاموس المحيط ، القاهرة ١٩١٣ م .

فندريس :

١٩٤ـــ اللغة ، ترجمه عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٥٠ .

ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) :

١٩٥ـــ أدب الكاتب ، حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ، التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٨٢ هـ ـــ ١٩٦٣ م .

١٩٦ـــ الأنواء فى مواسم العرب ، حيدر آباد ، الهند ١٩٥٦ .

١٩٧ـــ تأويل مشكل القرآن ، حققه السيد أحمد صقر ، الطبعة الثانية ، دار التراث ، القاهرة ١٣٩٣ هـ ـــ ١٩٧٣ م .

١٩٨ـــ الشعر والشعراء ، حققه أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، ١٩٦٦ .

فاطمة محجوب :

١٨٨ــ دراسات فى علم اللغة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .

الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) :

١٨٩ــ المذكر والمؤنث ، حققه رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٧٥ .

١٩٠ــ معانى القرآن ، حققه أحمد يوسف نجاتى وزميله ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٥٥ .

الفرزدق :

١٩١ــ الديوان ، حققه عبد الله إسماعيل الصاوى ، الطبعة الأولى ، مطبعة الصاوى ، القاهرة ١٣٥٤ هـ ــ ١٩٣٦ م .

فيكافالتر :

١٩٢ــ أسماء الأعلام العربية من القرن الجاهلى الأخير إلى العصر العباسى ، بحث منشور بمجلة اللسان العربى ، الجزء الأول ، المجلد التاسع ، ذو القعدة ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧٢ م .

الفيروزابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) :

١٩٣ــ القاموس المحيط ، القاهرة ١٩١٣ .

فندريس :

١٩٤ــ اللغة ، ترجمه عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص ، لجنة البيان العربى ، القاهرة ١٩٥٠ .

ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) :

١٩٥ــ أدب الكاتب ، حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ، التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٣ م .

١٩٦ــ الأنواء فى مواسم العرب ، حيدر آباد ، الهند ١٩٥٦ .

١٩٧ــ تأويل مشكل القرآن ، حققه السيد أحمد صقر ، الطبعة الثانية ، دار التراث ، القاهرة ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م .

١٩٨ــ الشعر والشعراء ، حققه أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، ١٩٦٦ .

كمال بشر :

٢١٠ــ دراسات فى علم اللغة ، القسم الثانى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ١٩٧١ .

٢١١ــ علم اللغة العام ، الأصوات ، دار المعارف ١٩٧١

لبيد بن ربيعة :

٢١٢ــ الديوان ، حققه إحسان عباس ، الكويت ١٩٦٢ .

لطفى عبد البديع :

٢١٣ــ عبقرية العربية فى رؤية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب ، الطبعة الأولى ، النهضة المصرية ١٩٧٦

ماريوباى :

٢١٤ــ أسس علم اللغة ، ترجمه أحمد مختار عمر ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، القاهرة ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٧ م .

مازن الوعر :

٢١٥ــ قضايا أساسية فى علم اللسانيات الحديث ، دار طلاس ، سوريا ١٩٨٧ .

المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد) :

٢١٦ــ المذكر والمؤنث ، حققه صلاح الدين الهادى ورمضان عبد التواب ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٧٠ .

المتنبى :

٢١٧ــ الديوان ، بشرح العكبرى ، حققه مصطفى السقا وآخرون ، بيروت ١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٨ م .

ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس) :

٢١٨ــ كتاب السبعة فى القراءات ، حققه شوقى ضيف ، دار المعارف ١٩٧٢ .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

٢١٩ـــ المعجم الكبير ، وقد صدر منه جزءان ، يدور أولهما حول (الهمزة) والآخر حول (الباء) القاهرة ١٩٨٢ .

٢٢٠ـــ المعجم الوسيط ، القاهرة ١٩٦٠ .

محمد أحمد أبو الفرج :

٢٢١ـــ المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٦٦ .

محمد باقر الموسوى :

٢٢٢ـــ روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات ، حققه أسد الله إسماعيليان ، دار المعرفة ، بيروت .

محمد فريد وجدى :

٢٢٣ـــ دائرة معارف فى القرن العشرين ، دار المعرفة ، بيروت .

محمد على الخولى :

٢٢٤ـــ معجم علم اللغة النظرى ، مكتبة لبنان ١٩٨٢ .

محمد المبارك :

٢٢٥ـــ فقه اللغة وخصائص العربية ، الطبعة الثانية ، دار الفكر الحديث ، لبنان ١٩٦٤ .

محمود السعران :

٢٢٦ـــ علم اللغة ، مقدمة للقارىء العربى ، دار المعارف ١٩٦٢ .

محمود سليمان ياقوت :

٢٢٧ـــ التراكيب غير الصحيحة نحويًا فى (الكتاب) لسيبويه ـــ دراسة لغوية ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٩ .

٢٢٨ـــ شرح جمل سيبويه ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٢ .

٢٢٩ـــ العلامة فى النحو العربى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ .

٢٣٠ــ فقه اللغة وعلم اللغة ، نصوص ودراسات ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٣ .
٢٣١ــ قضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين ، دار المعارف ١٩٨٥ .
٢٣٢ــ المبنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن الكريم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٩ .

محمود فهمى حجازى :

٢٣٣ــ مدخل إلى علم اللغة ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ .

المرتضى (على بن الحسين الموسوى) :

٢٣٤ــ الأمالى ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، الحلبى ١٩٥٤ .

المرزبانى (أبو عُبيد الله محمد بن عمران بن موسى) :

٢٣٥ــ الموشح ؛ مآخذ العلماء على الشعراء فى عدة أنواع من صناعة الشعر ، حققه على محمد البجاوى ، دار نهضة مصر ١٩٦٥ .

المرزوقى (أحمد بن محمد) :

٢٣٦ــ الأزمنة والأمكنة ، حيدر آباد ١٣٣٢ هـ .

أبو مسحل الأعرابى (عبد الوهاب بن حريش) :

٢٣٧ــ النوادر ، حققه عزة حسن ، دمشق ١٩٦١ .

مصطفى جواد :

٢٣٨ــ المباحث اللغوية فى العراق ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٥٥ .

ابن المعتز (عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد) :

٢٣٩ــ طبقات الشعراء ، حققه عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ١٩٧٦

المفضل بن سلمة :

٢٤٠ــ الفاخر ، حققه عبد العليم الطحاوى ، الطبعة الأولى ، الحلبى ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م .

المفضل الضبى :

٢٤١ــ أمثال العرب ، الطبعة الأولى ، التقدم ، مصر ١٣٢٧ هـ ــ ١٩٠٩ م .

مكتب تنسيق التعريب بالمغرب :

٢٤٢ــ معجم الفقه والقانون ، ١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٩ م .

م . م . لويس :

٢٤٣ــ اللغة فى المجتمع ، ترجمه تمام حسان ، الحلبى ١٩٥٩ .

ابن منظور (محمد بن مكرم) :

٢٤٤ــ لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ١٣٧٤ هـ ــ ١٩٥٥ م .

مهدى المخزومى :

٢٤٥ــ الخليل بن أحمد الفراهيدى : أعماله ومنهجه ، طبعة الزهراء ، بغداد ١٩٦٠ .

موريس ڤَراس :

٢٤٦ــ فى النحو التحويلى ، ترجمه صالح الكشو ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، بيت الحكمة ، تونس ١٩٨٩ .

الميدانى (أحمد بن محمد) :

٢٤٧ــ مجمع الأمثال ، طبعة عبد الرحمن محمد ، مصر ١٣٥٢ هـ .

النابغة الجعدى :

٢٤٨ــ الديوان ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٩٦٤ .

النابغة الذبيانى :

٢٤٩ــ الديوان ، حققه شكرى فيصل ، بيروت ١٩٦٨ .

ابن النديم (محمد بن إسحاق) :

٢٥٠ــ الفهرست ، الرحمانية ، مصر .

النويرى (أحمد بن عبد الوهاب) :

٢٥١ــ نهاية الأرب فى فنون الأدب ، دار الكتب المصرية .

ابن هذيل :

٢٥٢ــ حلية الفرسان وشعار الشجعان ، حققه محمد عبد الغنى حسن ، دار المعارف ١٩٥١ .

ابن هشام :

٢٥٣ــ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، حققه مازن المبارك وزميله ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٩ .

أبو هلال العسكرى :

٢٥٤ــ الفروق اللغوية ، القاهرة ١٩٥٣ .

الهمذانى (عبد الرحمن بن عيسى) :

٢٥٥ــ الألفاظ الكتابية ، مصر ١٩٣١ .

ياقوت الحموى :

٢٥٦ــ معجم الأدباء ، دار المأمون ، مصر ١٩٣٦ .

٢٥٧ــ معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٧ .

يحيى العلوى :

٢٥٨ــ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، طبعة المقتطف بإشراف سيد المرصفى ١٣٢٢ هـ ــ ١٩١٤ م .

ابن يعيش :

٢٥٩ــ شرح المفصل ، المطبعة المنيرية .

* * *

المصادر الأوربية

Bach & Harms (editors)

1 - Universals in Linguistics Theory, U.S.A., 1968.

Bazell, C.E. & Robins, R.H.:

2 - In Memory of J.R. Firth, Longmans, 1966.

Birdwhistell, R.L.:

3 - Introduction to Kinesics, An Annotation System for Analysis of Body Motion and Gesture, Washington, Foreign Service Institute, 1952.

Bloomfield, Leonard :

4 - Language, New York : Holt, Rinehart & Winston, 1933.

Balinger, Dwight :

5 - Aspects of Language, Second edition, U.S.A., 1975.

Britton, Karl :

6 - Communication, A Philosopical Study of Language, London, 1939.

Carroll, John :

7 - The Study of Language, Harvard University Press, 1950.

Grystal, David :

8 - The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge University Press, 1989.

Dean & Wilson :

9 - Essays on Language and Usage, Second edition, U.S.A., 1966.

Dik, Simon :

10 - Functional Grammar, North-Holland, 1978.

Dixon, Robert :

11 - What is Language ? A new approach to linguistic description, Longman, London, 1965.

Greenberg, Joseph (editor) :

12 Universals of Language, M.I.T Press, New York, 1978

Hill, Archibald :

13 - Introduction to Linguistics Structures, From Sound to Sentence in English, U.S.A., 1958.

Householder & Saporta :

14 - Problemes in Lexicography, Report of the Conference on Lexicography, Held at Indiana University, November 11-12, 1960.

Langacker, Ronald :

15 - Language and it's Structure, Some Fundamental Linguistic Concepts, Second edition, U.S.A., 1973.

Lodwig & Barrett :

16 Words, Vocabularies and Dictionaries, U.S.A., 1973.

Lyons, John :

17 - Semantics, Cambridge University Press, 1977

Nida, E.A.:

18 - Componential Analysis of Meaning, Mouton, 1975.

Ogden, Charles & Richards, Ivor :

19 - The Meaning of Meaning, London, 1923.

Palmer, Frank :

20 - Grammar, Penguin Books, 1973

Palmer, L.R.:

21 - Descriptive and Comparative Linguistics, A Critical Introduction, London, 1972.

Pei, Mario & Gaynor, Frank :

22 - Dictionary of Linguistics, U.S.A., 1954.

Sampson, Geoffrey :

23 - Schools of Linguistics, Competition and Evaluation, London, 1980

De Saussure, Fredinand :

24 - Course in General Linguistics, Translated from French by Wade Baskin, London, 1960.

Schaff, Adam :

25 - Introduction to Semantics, Translated from Polish by Olgierd Wojlasiewicz, Pergamon Press, 1962.

Wright, William :

26 A Grammar of Arabic Language, Translated from the German of Caspri, London, 1875

Zgusta, Ladislav :

27 - Manual of Lexicography, Monton, The Hague, Paris, 1971

المحتويـــات

* * *